

الدكتور علي الجندري
الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة
وجامعة بيروت العربية

شعر الحروب

في العصر الجاهلي



دار
مكتبة الجامعة العربية
بيروت

شعر الحزب

في البصر الجاهلي

تأليف

الدكتور علي أبحر

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة

وكلية الآداب بجامعة بيروت العربية

الطبعة الثالثة

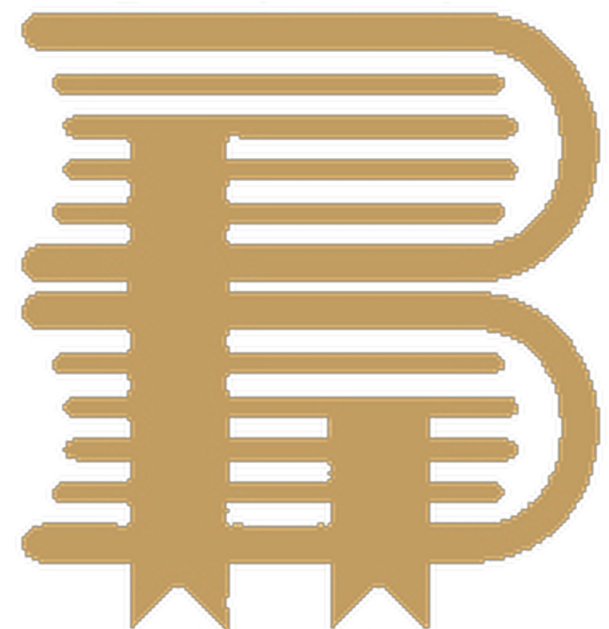
١٩٦٦

[مزيدة ومنقحة]

الناشر

مكتبة الجامعة العربية
بيروت

شبكة كتب الشيعة



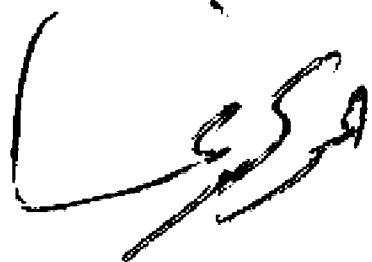
shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

الطبعة الأولى : سنة ١٩٥٨
الطبعة الثانية : سنة ١٩٦٣
الطبعة الثالثة : سنة ١٩٦٦

كل نسخة غير ممضاة بخط المؤلف تعتبر مسروقة ، ويعاقب حاملها
وحائزها وبائعها .

توقيع المؤلف



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةٌ



شهد النصف الأول من القرن الحالي حربين عالميتين ؛ احترق العالم بلظاهما ، وذهب ضحيتها ملايين البشر . ومع ذلك فإن شبح الحرب يخيم على العالم الآن مما ينذر بوقوع حرب عالمية ثالثة لا يعلم مداها إلا الله . والعجيب أن الفترة التي تكون بين حربين ينذر أن توجد فيها فرصة للناس يتنفسون فيها الصعداء ، أو يحسون لذة الحياة ونعيم العيش في راحة وأمن ، بل إن الحديث عن الحرب يكاد لا ينقطع . وإن المتتبع لتاريخ البشرية يرى أن الحرب موجودة في كل وقت ؛ إن لم تكن عالمية ففي جزء أو أكثر أجزاء العالم كل هذا يجعل الشخص يعتقد أن الحرب قد تكون من غرائز الإنسان : كأن في طبعه أن يحارب لسبب ما . فما زال الإنسان منذ بدء خلقه يشير الحرب ويعاني من ويلاتها ، ومع ذلك لا يقر له قرار ، ولا يهدأ له بال ، فما ينتهي من واحدة إلا ويفكر في أخرى ، ولا يسكت القتال في مكان إلا وينشب في آخر .

ومن العجيب كذلك أن كلا من الطرفين المتحاربين يخوض غمار الحرب وهو يعتقد في قرارة نفسه أنه محق وعلى صواب . مما يدل على أن الفرد ينظر دائماً

إلى كل شيء من ناحيته الخاصة التي تخدم أغراضه وأطماعه ، بصرف النظر عن غيره من إخوته في الإنسانية ، وحققهم في الحياة والمتعة بها كحقه . وهذا معناه أن الإنسان لم يصل بعد إلى الاعتراف بالمثل العليا عن عقيدة صادقة ، والإقرار بمبادئ العدل والمساواة والإنصاف ، والعمل على تنفيذها في بعد عن الأثرة وحب الذات .

ومع أن الإنسانية قد قطعت من عمرها قروناً طويلة منذ وجد الإنسان الأول إلى اليوم ، تطورت فيها الحياة ، وخطا الجنس البشري فيها خطوات كثيرة جداً في سبيل التقدم الذي يسمونه المدنية والحضارة ، فقد يجد الباحث المدقق أن السبب الذي كان الإنسان الأول يحارب من أجله وهو في بدء حياته في طور الطفولة الإنسانية ودور الهمجية ، هو نفس السبب الذي يحارب من أجله الإنسان وهو في درجة عالية من المدنية والحضارة . لكن مما لا شك فيه أن أساليب الحروب ، وطرق القتال ، ووجهات النظر تتغير تغيراً كبيراً في كل طور عن سابقه ، تبعاً للتطور في التفكير ، والتوسع في العلم ، والازدياد في الكشف والاختراع .

ولا ريب أن الإنسان ، بحكم ما في غرائزه من حب للاستطلاع ، يلذ له أن يقف على تطور القتال لدى أبناء جنسه في كل مظهره : فيتتبع مراحل الحرب منذ أقدم العصور خطوة خطوة بقدر ما يستطيع ؛ ليرى أسبابها ، وطريقتها ، ونتائجها ، وآثارها ، ووجهة نظر القوم نحوها ، وتأثيرها بالعلم والفكر ، وتأثير الظروف المختلفة فيها ، واختلافها باختلاف الأزمنة والأمكنة .

مثل هذا العمل يتطلب من الناحية النظرية نوعين من الدراسة : أحدهما يبحث عن الحقائق المجردة ، والوثائق المؤكدة التي تصور ما حدث في كل العصور تصوراً دقيقاً صادقاً ، وهذا هو عمل التاريخ والمؤرخ العام ؛ وثانيها يبحث عن مشاعر القوم وعواطفهم نحو هذه الحقائق فيما عبروا به عنها ليصوروا فيه إحساساتهم تصوراً حقيقياً تاماً ، وهذا هو عمل الناقد ومؤرخ

الأدب . وهذا النوع الثاني فيه متعة وطرافة ، وهو بجانب ذلك لا يخلو من حقائق تاريخية تنفع المؤرخ العام في ميدانه .

هذا إلى أن الدراسة الأدبية بجانب القيام بمهمتها قد تقوم بمهمة النوع الأول ، وذلك حتى لا يكون هناك لعصر من العصور سجلات محفوظة سوى النصوص الأدبية الخالصة . فمن ثنایا العواطف والخيال نستطيع أن نتبين الحقائق التاريخية ، وبذلك تنفع التاريخ العام وأصحابه ، فوق ما تقدم للنقاد والأدباء من لذة ومتعة . وربما كان لنا أن نقول إن دراسة الشعر الجاهلي على الخصوص تؤدي إلى هذا كله . لأن الشعر الجاهلي هو السجل الوحيد الذي خلفه العرب الجاهليون ، ولعل هذا هو السبب في القول المشهور : « الشعر ديوان العرب » .

ولكن مع كثرة ترديد هذا القول منذ القدم ، فإن الشعر العربي على العموم لم ينل ما يستحقه من العناية والاهتمام ببحث كل جزئية فيه ، وكل ما هنالك أن مؤرخي الأدب قد قاموا برسم خطوط عامة لتاريخ العرب الأدبي ولم يعن أحد من المؤرخين أو النقاد بدراسة الشعر دراسة موضوعية خالصة عميقة ، فيستقصيه في صبر وأناة ، ويتتبعه بيتاً بيتاً ، ثم يرتبه ترتيباً دقيقاً ، وينظمه في أبواب حسب الموضوعات التي تحدث فيها الشعراء ، وبعد ذلك يحلل كل مجموعة على حدة ، وفي النهاية يستخلص من هذه الدراسة الظواهر العامة الواضحة في الموضوع الشعري الذي يبحثه . تلك في نظري هي الدراسة التي يستحقها الشعر وتتناسب مع ما له من الأهمية العظيمة والمنزلة السامية ، وتتلخص طريقتهما في ثلاث كلمات ، هي : إحصاء وتحليل ونقد .

ولا يخفى ما للإحصاء من أهمية عظمى في البحوث على اختلاف نواحيها . فلقد أصبح الإحصاء في عصرنا الحاضر أول الأسس التي يعتمد عليها الباحثون في دراساتهم المختلفة لتكون هذه الدراسات أتم وأكمل ، وتجيء نتائجهم في النهاية أعم وأشمل . فالنقد الأدبي الذي يبنى على هذا الأساس له أهميته ومكانته الممتازة ، لأنه قائم على أساس قوي متين .

وأعتقد أن دراسة النصوص الأدبية إذا قامت على هذه الأسس الثلاثة تكون ذات فائدة كبرى ؛ لأنها تقفنا على مدى التطور الأدبي في العصر الواحد أو العصور المختلفة : فنعرف ما كان لدى الشعراء من أفكار معينة أو مختلفة ، قليلة أو كثيرة ، سطحية أو عميقة مثلاً ، ومدى إحساساتهم ومشاعرهم نحو ظاهرة واحدة أو ظواهر متنوعة ، وخيالاتهم وتصوراتهم ، وما في صورهم الشعرية من تطور أو تجديد ، ثم كيفية عرضهم لكل هذا في ذلك التعبير اللفظي الموسيقي ، فنعرف ما حدث للأدب في شتى نواحيه من تغير ، أو جمود ، أو مزج من هذا وذاك على مر العصور واختلاف الأزمنة والبيئات . ولا يخفى ما في ذلك من أهمية لمؤرخي الأدب .

هذا إلى أن دراسة الموضوع الأدبي الواحد بهذا الشكل في عصور متلاحقة تفيد النقاد فائدة عظيمة ، ذلك أنهم ، بعد تمحيص ما تسفر عنه هذه الدراسة من نتائج ، يستطيعون أن يستنتجوا منها قواعد عامة في النقد ، فمثلاً بعد أن تتجلى أمامهم أفكار الشعراء في موضوع معين يمكنهم أن يحاولوا معرفة السبب في شيوع ظاهرة أو ظواهر معينة لدى الشعراء في زمن واحد أو أزمان مختلفة ؛ أكان ذلك مثلاً لاختلاف البيئة ؟ أم لاختلاف الزمن ؟ أم لاختلاف الخلق الشخصي أو الحياة الفردية للشاعر الواحد أو للشعراء المتعددين ؟ أم لسبب آخر ؟ وهكذا . فهذه الدراسة في نظري مفيدة لجميع الباحثين في ميادين الأدب وتاريخه والبلاغة والنقد الأدبي .

لذلك كله نبنت في نفسي فكرة لدراسة الشعر العربي على هذا النحو من الدراسة . ويمكن أن تتم هذه الدراسة في الشعر أو الأدب على العموم بطريقتين تؤديان في النهاية إلى نتيجة واحدة :

أولاهما : أن يدرس موضوع واحد في أقدم عصر أدبي ، ثم تدرس بقية موضوعات تلك الفترة . وعندما تتم دراسة أدبيها كله توجد صورة أدبية كاملة لهذا العصر . وبعد ذلك تدرس العصور الأدبية الأخرى بنفس الطريقة إلى أن تنتهي كل العصور . وبهذا يمكن رسم صورة أدبية واضحة لكل العصور

الأدبية بموضوعاتها الجزئية .

ثانيتهما : أن يدرس موضوع واحد في أول العصور الأدبية ، ثم يدرس هذا الموضوع نفسه في العصور المتلاحقة إلى النهاية . وبذلك تتم دراسة هذا الموضوع الجزئي في كل العصور . فتتكون له صورته الكاملة الخاصة بتبين فيها ما حدث له في عمره الطويل . وبعد هذا تدرس بقية الموضوعات بهذه الطريقة . وبتجميع هذه الدراسات للموضوعات المختلفة تتكون الصورة الأدبية الواضحة لكل العصور الأدبية بموضوعاتها الجزئية .

وتنفيذاً لهذه الفكرة بدأت بأقدم العصور في الأدب العربي وهو العصر الجاهلي . ومن يتصفح نتاج الشعراء في هذا العصر يجد أنهم تحدثوا في موضوعات كثيرة : كالحرب ، والطبيعة ، والحب ، والأخلاق ، وغير ذلك : ونظراً لما يحيط بنا في عالمنا الحاضر من مظاهر التوتر والتعارض واختلاف وجهات النظر مما قد يجعل الانفجار وشيك الوقوع رأيت أن أبدأ بدراسة موضوعات الحرب في الشعر الجاهلي .

وتبعاً للخطة التي شرحتها آنفاً قمت بالإحصاء أولاً : فاستقصيت كل المراجع التي ورد فيها ذكر للشعر الجاهلي ، ثم استخرجت منها كل ما فيها من شعر يتصل بالحرب . ولم أقصر في ذلك على ما تحدث فيه الشعراء عن حرب معينة ، بل جمعت مع هذا ما تحدث به الشعراء عن حرب خيالية ، أو أعمال حربية متصورة ، كتلك الأشعار التي يمتدح فيها الشاعر عظيماً من العظماء ولا يشير فيها إلى حرب معينة خاض الممدوح غمارها فعلاً ، بل يتصوره قائداً ومحارباً ومنتصراً ، ثم يصوره بجميع حالاته هذه في شعره . وتلك الأشعار التي يذم فيها الشاعر قوماً فيصور جبنهم ، وقلة خبرتهم الحربية ، وفرارهم ، وغير ذلك من أنواع الذم المتصل بالقتال . فكل شعر جاهلي يتصل بالحرب من قريب أو بعيد جمعته في هذا الإحصاء . وبذلك وجد عندني أكثر من خمسة آلاف بيت من شعر العصر الجاهلي متصل كلها بالحرب وهي من نتاج حوالي مائة وخمسين شاعراً عاش معظمهم ومات قبل الإسلام

وقليل منهم عاش بعد ظهور الإسلام ، لكن ما أخذ من شعر هؤلاء روعي فيه أن يكون مما قالوه في حياتهم الجاهلية . وقد ورد في هذه المجموعة بعض أبيات قليلة لشعراء مجهولين ظهرت فيها المسحة الجاهلية بوضوح فأدخلتها ضمن هذه المختارات . ثم نظمت هذه المجموعة ، ورتبتها بحسب الأغراض التي تحدث فيها الشعراء وبعد ذلك قمت بتحليل دقيق لكل بيت لمعرفة ما فيه من أفكار وعواطف وصور ، ثم اتبعت تحليل كل وحدة بنماذج من الشعر تؤيد كل ما ذكر في هذا التحليل .

وفي الفصل الخاص بالوصف عناية خاصة بالتشبيهات والاستعارات وقد سميتها « الصور الشعرية » . وجمعتها كلها في ملحق خاص في آخر الكتاب ، مرتبة بحسب الجزئيات التي تحدثت عنها في تحليل الوصف . وهي مرقمة أرقاماً متسلسلة من البدء إلى النهاية ، لكل صورة رقم خاص . وهي الأرقام التي يجدها القارئ في أثناء الكلام عن الصور الشعرية لكل جزئية من جزئيات الموضوعات . فالأرقام التي بين الأقواس هناك هي أرقام الصور الشعرية التي في آخر الكتاب ليرجع إليها من شاء أن يعرف النص الشعري لهذه الصور .

ولزيادة الإيضاح في الأسلحة قمت برسم توضيحي لكل سلاح على حدة ، بينت فيه أجزائه بالتفصيل ، لكي يمكن معرفة ما قد يرد منها في الشعر بسهولة . ويجب أن يكون مفهوماً هنا أن هذه الرسوم ليست إلا لتوضيح ما تتكون منه هذه الأسلحة من أجزاء فقط . فليست لها صبغة أو حجة تاريخية ، أي لا تصور الأشكال الحقيقية التي كانت عليها هذه الأسلحة في العصر الجاهلي ، كما ينبغي أن يكون مفهوماً أنه ليس بلام أن يكون كل جزء موضح في رسوم هذه الأسلحة قد ورد ذكره في الشعر الجاهلي . وإنما بينت الأجزاء بالتفصيل لبيان أجزاء كل سلاح كاملة ، ولأنه ربما يحتاج إليها في دراسات العصور التالية .

وهذا التحليل للشعر هو الباب الأول في هذا الكتاب ثم اتبعت التحليل بنقد عام للشعر على ضوء هذا التحليل ، ذكرت فيه ملاحظاتي على كل موضوع ،

والملامح العامة التي تتجلى في الأفكار والعواطف والخيال والأسلوب . وهذا النقد هو موضوع الباب الثاني . ثم تأتي خاتمة الكتاب ، وفيها تلخيص عام للحقائق التي ظهرت في هذا البحث .

وقد بدأت البحث بتمهيد فيه فصلان : أولهما يبين أثر البيئة الجاهلية - كما تصورها لنا كتب التاريخ والأخبار - في قيام الحروب والمنازعات بين العرب في ذلك الوقت ؛ وثانيهما يتحدث بإجمال عن أيام العرب من كتب القصص والتاريخ لمعرفة أسبابها ، وطرقها ، ونتائجها ، وأثر ذلك في الأدب على وجه العموم .

فالببحث يتكوّن من تمهيد وبابين وخاتمة وملحق فيه نصوص الصور الشعرية ، وأسماء الشعراء الذين اخترنا هذه المجموعة من أشعارهم .

وأحب أن أنبه القارئ إلى أن غرضي من هذه الدراسة هو دراسة الشعر الحربي وحده . لذلك لم أعتمد في هذا البحث إلا على الشعر فقط ، صارفاً النظر عن غيره من المصادر ، وعماقيل عن هذا الشعر من قبل . فالحقائق الواردة في هذا البحث كلها مأخوذة من الشعر دون أدنى تأثر بشيء غيره على الإطلاق . ولم أتعرض في هذا البحث لشيء من أشعار الصعاليك لأن لهم فلسفة خاصة تستحق في نظري بحثاً قائماً بذاته .

وإني أرجو الله الكريم أن يكون هذا البحث قد أدى خدمة للأدب العربي والباحثين فيه ، وأن ينفع به المتطلعين إلى الدراسة والتمحيص . كما أرجوه تعالى أن يوفقنا - أنا ومن يحب هذه الطريقة - إلى متابعة السير في دراسة بقية الموضوعات الشعرية في كل العصور الأدبية لتكون الفائدة أتم وأكمل . إنه نعم المولى ونعم النصير .

علي الجندي

القاهرة في يوم الأربعاء أول يناير سنة ١٩٥٨

الطبعة الثانية في يناير سنة ١٩٦٣ .

الطبعة الثالثة في سبتمبر سنة ١٩٦٦ .

تتميز

الفصل الأول

أثر البيئة الجاهلية في قيام الحروب

كان العرب الجاهليون يعيشون في شبه الجزيرة العربية . تلك البلاد التي تقع في الطرف الجنوبي الغربي من قارة آسيا ، وكانت هذه البقعة صحراوية قاحلة . ما عدا اليمن والأراضي المنخفضة في تهامة وهجر . وأرض هذه الصحراء غير صالحة للزراعة لعدم وجود ما تحتاج إليه من الماء ، « فلم يكن بشبه الجزيرة كلها أنهار تجري بانتظام ، أو منابع تفيض باستمرار ؛ لأن ما كان يسقط على البلاد من أمطار قليلة كان يتسرب جزء كبير منه في باطن الرمال ، وكانت الرياح التي تهب من المحيط الأطلسي تحمل إليها بعض الأمطار التي تسقط على جبال اليمن المرتفعة في أشهر الصيف . أما بقية بلاد العرب التي تسمى نجداً فما كانت الأمطار تزورها إلا أحياناً في أشهر الشتاء والربيع . وكان من آثارها أن تنبت الأعشاب والمراعي في أواسط هذه الصحراء الجرداء ، وأن تفيض منابع الماء التي تنضب في أيام القحط . » (١) كذلك كانت هذه الصحراء خالية من الصناعة في ذلك الحين .

وقد ترتب على ذلك أن أصبح السكان في حياتهم نوعين : نوع استقر في مكان واحد ، وأقام فيه حيث وجد أسباب الرزق ميسرة ومنتظمة ، وقد

Sir C. Lyall : Ancient Arabian poetry, Introduction P XXI. (١)

عرف هذا النوع بالحضر وهم سكان القرى والمدن ؛ وهؤلاء كانوا يعيشون على ما تنتجه البقعة التي يقيمون فيها من زراعة ، أو يشتغلون بالتجارة ؛ سكان المدن في اليمن في أقصى الجنوب ، واللخميين والغسانيين في أقصى الشمال ، وسكان مكة ويثرب في الوسط ، وكان هؤلاء الحضر يمثلون أقلية السكان . ونوع لم تنهياً له الظروف التي تحجب إليه الإقامة في المدن ، فعاش بين ربوع الصحراء .

وهؤلاء هم البدو ، وكانوا يعيشون متفرقين مبعثرين في أنحاء الصحراء على هيئة قبائل ، ويعتمدون في حياتهم على حيواناتهم من الخيل والإبل والغنم . ومن هذا النوع كانت غالبية السكان . وكانت هذه الحيوانات في نظر البدو لا تقدر بثمن ، لأن فيها حياتهم : يأكلون لحومها ، ويشربون ألبانها ، ويتخذون من أشعارها ، وأصوافها ، وأوبارها ملابسهم ، وخيامهم ، وأثاث بيوتهم . وكانت الإبل والخيل فوق هذا وسيلة الانتقال والمواصلات في هذه الصحراء الواسعة الأرجاء ذات السبل الملتوية والطرق المجهولة المهجورة ، كما كانت من أهم العدد الضرورية في القتال . فكان البدو يعتمدون على هذه الحيوانات أيام السلم وأيام الحرب . ومن ثم أصبح لها في نظرهم قيمة عظيمة ، وسموها « المال » فكانت ثروة الشخص تقدر بعدد ما يملكه من هذه الحيوانات .

لذلك كان من الطبيعي أن تكون العناية بها والمحافظة عليها شغلهم الشاغل وأن يطمح الواحد منهم إلى تكثير عدد ما يملكه منها بأية طريقة كانت مشروعة أو غير مشروعة .

وكان من أثر هذا أن عاش البدوي وكلّ همّه البحث عن الطعام لماشيته . ومع أن بعض القبائل كانت لها منازل وديار حول بعض منابع الماء ، فإنهم كانوا « بمجرد أن تغطى سهول نجد ومنحدراتها بالعشب يتحركون نحوها بحيواناتهم ، ويستولي كل منهم على مكان معين ، إلى أن ينتهي المرعى ، فيعودون ثانية إلى منازلهم » ^(١) . ولا شك أن التسابق على منابت الكلأ ،

(١) المرجع السابق ص XXI .

والرغبة في الاستيلاء على أكبر جزء منه ، خليقان أن يؤديا إلى حدوث تصادم يتسبب عنه قتال . وإذا علمنا أن هذه الصحراء لم يكن بها من ذلك العشب ما يكفي جميع حيوانات القبائل كلها مدة طويلة ، فإن توقع التصادم يكون أكثر ، وما يستتبع ذلك من قتال يكون أعنف .

وإذا كانت بلاد العرب الجاهليين على هذه الحال من قلة الخير ، وعدم التنوع في وسائل الحياة ، وكسب الرزق ، فمعنى هذا انتشار الفقر والبؤس ، وكثرة الجائعين والمحتاجين . وكثيراً ما ينشر البؤس غشاوة على العيون فتحجب عن أصحابها نور الحق ، ويصبح الجوع ملهبة يخلق من أهله أسوداً كواسر تهجم على غيرها في غير شفقة ولا رحمة . ومن هنا كان الفقر الضارب أطنابه على شبه الجزيرة حينئذ مصدر خطر على ذوي اليسر من السكان ؛ جعلهم يتوقعون هجمات الفقراء عليهم في كل لحظة ، خصوصاً إذا علمنا أنه قد كان هناك من العوامل ما يساعد على حدوث مثل هذه الهجمات ، وإذا لاحظنا ما كان في نفس البدوي من تقدير عظيم للماشية وطموحه الإكثار منها تبين لنا أن الهجمات على الأغنياء لم يكن يتوقع أن يقوم بها الفقراء فقط ، بل ربما قام بها الموسرون أمثالهم طمعاً في الغنى وكثرة الثروة ، فكان الطمع كالفقر يدفع صاحبه إلى الاعتداء على الآخرين ، وشن الغارات والحروب .

وقد أدى انتشار الفقر المدقع في ذلك الوقت إلى وجود فئة كانت تسمى « الصعاليك » ، وهم أفراد كانوا في منتهى الفقر ، ويمتازون بالقوة الجسمية وسرعة العدو مع الشجاعة والأنفة ، وكانوا أشبه بقطاع الطرق ، يعيشون على السلب والنهب والإغارة على أموال الأغنياء ، فكانت كل القبائل معرضة لهجماتهم .

وكانت الصحراء التي عاشوا فيها ممتدة الأطراف ، واسعة الأرجاء ، يجري بها الحيوان كما يشاء ، ويسبح الطير كما أراد ، وكل شيء فيها حر طليق ومن الطبيعي ألا يكون الإنسان أقل شأنًا من ذلك كله في الانطلاق والحرية.

فنشأ العربي وفي دمه حب الحرية ، وتقديسها ، وكراهية الذلة ، ومقت الاستعباد . وكان يعتقد أن الحياة في ظل الاستعباد مذلة ، وأن الموت خير من مثل هذه الحياة . ومن المؤكد أن يسوقه هذا الاعتقاد إلى أن يقف بكل قوة في وجه من تسول له غريزة حب السيطرة محاولة الحد من حريته وانطلاقه ويعارضه بكل شدة ، ولو كان في ذلك حتفه وهلاكه .

والنظام الذي كان سائداً في هذه الصحراء وقتئذ هو النظام القبلي . فكانت كل قبيلة تعتبر نفسها أمة قائمة بذاتها يتكون شعبها من أفرادها هي ، ووطنها هو حماها الذي تحدد مساحته هي ، وكل فرد يعمل لصالح القبيلة كلها ، وهي في مجموعها مطالبة بحماية أفرادها ، ولا يدين الواحد منهم لأي شخص بالطاعة والولاء إلا لرئيس قبيلته هو فقط ، فلم يكن العربي ليعترف بسلطة لأحد عليه سوى رئيس قبيلته . وكان الرئيس ناصح القبيلة ، ومستشارها في السلم ، وقائدها في الحرب . وكانت مهمته إشاعة العدل بين جميع أفراد القبيلة دون أدنى تحيز أو محاباة . فاعتمدت القبيلة على أفرادها ، واعتمد كل فرد على قبيلته . كل منهم عليه أن يحافظ على شرفها ، وأن يدافع عن حماها وعليها في مجموعها أن تحمي الفرد وترعى شئونه ، وبخاصة النساء ، فما كان لامرأة أن تهان أو تمس كرامتها ، والنظرة إليها كانت تعد اعتداء عليها ، لأن في ذلك خدشاً لحياها ، وفي ذلك اعتداء على شرف القبيلة كلها ، والسكوت عليه عار شنيع ، وسبة لا تنسى .

ولم يكن في هذه البيئة تقدم علمي ، فلم تنل العقول حظاً واسعاً من الثقافة في شتى الميادين ، فكان من أثر انتشار الفقر ، وعدم الاستقرار ، وامتلاء الحياة بالمشقات والمصاعب ، بالإضافة إلى عدم وجود الثقافة الواسعة أن كانت الغالبية العظمى من السكان حادى المزاج ، سريعى الغضب ضيقى الأفق ، محدودى التفكير يبالغون في فهم كثير من الأشياء وبخاصة تلك التي تتصل بالشرف ، والعزة ، والكرامة ، والأنفة والإباء ، مما قد يبعدهم أحياناً عن الصواب ، ويجعلهم يشورون لأتفه الأسباب ، ويسرعون إلى امتشاق الحسام

في غير روية ولا أناة، وكثيراً ما يكون ذلك لمجرد فهم خاطيء أن كرامتهم قد مست ، أو شرفهم قد امتن .

وفي هذه الصحراء الواسعة التي كان يخيم عليها الفقر ، كانت تضل فيها المسالك ، وتلتوي الطرق المحفوفة بالأخطار والمهالك ، فكان العربي يفخر بأنه يحير اللاجئ ، ويحمي المستجير ، ويجب المستغيث ، ويعطي الواحد من هؤلاء ما لأفراد القبيلة من حقوق .

وهكذا نرى أن القبيلة كان عليها أن تصون شرفها، وتحافظ على حيواناتها، وتحمي الحمى ، وتجير اللاجئ . وفي سبيل القيام بهذه الواجبات لا بد أن العرب قد اضطروا إلى أن يتحملوا كثيراً من المشقات، ويخوضوا غمار حروب طاحنة أزهق فيها كثير من الأرواح .

فإذا ما خرجنا من نطاق الفرد والقبيلة . وأثر البيئة الجاهلية في دفعها إلى القتال ، نجد أنها قد دفعتها إلى ذلك أيضاً في نطاق أوسع بسبب الظروف التي أحاطت بالسكان في ذلك الحين : فهناك قبائل مختلفة ، كل منها تحب أن تكون أوسع حمى ، وأكثر سلطاناً ، وأعلى شرفاً وأكبر ثروة ، وأعظم مجداً ، وفي سبيل ذلك فليحدث من النزاع ما يحدث، وليكن بعده ما يكون من حرب أو قتال ، فقد يكون الحظ معها ، والنصر حليفها . وهناك البدو والحضر ، ولا شك أن الاختلاف بينهما في الحياة يسبب كراهية كل فريق للآخر ولا عجب أن ينتج عن ذلك منازعات وحروب ؛ وهناك القسمان الكبيران للسكان : فالنسابون يقسمون العرب في ذلك الوقت قسمين أصليين هما : القحطانيون وهم أهل الجنوب ، سكان اليمن ؛ وفيهم حضر كثير ؛ والعدنانيون ، أهل الشمال ، ومعظمهم من البدو ؛ ويروون كذلك أن العداوة بين هذين العنصرين كانت مشهورة في التاريخ . وبعض الباحثين يرجع سبب ذلك إلى طبيعة الاختلاف بين أهل الحضر وأهل الصحراء وبغض كل منهما للآخر ، ومن ثم كان يحدث بينهما كثير من المنازعات والمشاحنات، فالاختلاف بين القبائل بعضها وبعض ، وبين أهل الحضر والبدو ، وبين سكان الجنوب

وسكان الشمال كان سبباً في شيوع الحقد والحسد والتنافس بين هذه العناصر المختلفة . ولا شك أن ذلك مما يساعد على قيام المنازعات والحروب .

وكان من أثر اعتزاز العربي بقبيلته وكل فرد فيها ، أن عظم شأن أخيه في نظره لدرجة أنه كان إذا اعتدي على واحد منهم ما كان يهناً لهم بال حتى ينالوا من المعتدي أكثر مما فعل . فكانت عادة الأخذ بالثأر متأصلة في نفوس العرب . إذا قتل أحدهم لم يكن لهذا من دواء إلا دم الأعداء ، ولذلك كانوا يمتنعون عن التنظيف والاعتسال ، وتمسك لديهم الرغبة في الطعام ، حتى يأخذوا بثأر القتل . ولم يكن من شأنهم التفكير في أخذ الدية مقابل دم القتل ، لأن هذا يعد عاراً لا يحى ، وطعنة في شرف القبيلة تظل تدمى خزيًا وخجلًا أبد الدهر . وكان الاعتقاد السائد أن روح القتل كانت تتمثل في شكل بومة « تسمى الهامة أو الصدى » وتظل تصيح قائلة « اسقوني ، اسقوني » حتى يؤخذ بثأره . فقتل شخص كان يؤدي إلى قتال جديد . وقد يجر الأخذ بالثأر إلى تجديد القتال مرات ومرات في معارك متتالية في زمن طويل ، كما يروون عن مقتل كليب الذي كان سبباً في حرب البسوس التي يقال إنها دامت أربعين سنة .

فالبيئة الجاهلية هيأت للعرب في ذلك الوقت ظروفاً جعلتهم يتنازعون ، ويتشاحنون ، ويتحاربون ، وقد ساعد على ذلك عامل قوي جداً ؛ هو عدم وجود سلطة مركزية عامة يخضع لها العرب جميعاً . فعدم وجود حكومة عليا تتولى شئون البلاد كلها ، وتشيع العدل بين الناس على السواء . وتنتصف للمظلوم من الظالم ، وتأخذ على يد المجرم والمسيء ، ويدين لها الجميع بالولاء ، هو العامل الأساسي في حدوث المنازعات ، وانتشار الفوضى ، وقيام الحروب .

وحياة هذه ظروفها وملابساتها لا يستطيع البقاء فيها إلا من كان قوياً مرهوب الجانب ، أما الضعيف أو الجبان ؛ فما كول ومهان . لذلك كان من أهم ما يشغل العربي في ذلك الوقت أن يسعى بكل جهده لتقوية نفسه .

وأن يبرهن لغيره أنه قوي ؛ لكي يهابه الجميع ، ويخشوا بأسه .
وقد أحسن التعبير عن ذلك النابغة الذبياني في قوله :

تعدو الذئابُ على مَنْ لا كلاب له وتتقي صولة المستأسدِ الضاري

وفي سبيل القوة الحربية كان العربي يبذل كل ما يستطيع لتقوية نفسه عدة وعدداً ؛ فجمع من الأسلحة والعتاد الحربي كل ما أمكنه الحصول عليه من خيرها وأحسنها ، وعمل على أن يكون أكثر عدداً ، لأن الكثرة العددية كان يخشى بأسها حينئذ ، فحافظ على أفراد قبيلته وبطونها وبقائهم جميعاً يداً واحدة بتعظيم شأن القرابة الدموية ، وتقديس العصبية ، ورفعها مقام الألوهية ، فكان من يخرج عليها ، يعد في نظرهم كمن كفر بمعبوده ، واستحق النفي والطرْد ، ويتبرأ منه الجميع ، ويبتز من كتلتهم كما يبتز العضو الفاسد المريض من الجسم القوي السليم .

كما أن العربي في سبيل الكثرة العددية من ناحية أخرى كان يعقد الأحلاف والعهود . فكان بعض القبائل يتعاهدون فيما بينهم على أن يكونوا جميعاً متحدين متساندين ، كالقبيلة الواحدة ، لا يتعدى أحد منهم على الآخر ، ويقفون كلهم صفاً واحداً في صدق وإخلاص وقت الخطر . ومع أن كثيراً من القبائل اتبعوا هذا النظام فإن بعض القبائل ممن بالغوا في فهم الأنفة والعزة والإباء رفضوا أن يتحالفوا مع أحد غيرهم ، معتقدين أنهم أقوى القبائل ، وأشدهم بأساً ، فهم وحدهم كافون لشن أية حرب على أعدائهم ، ورد أي هجوم يوجه إليهم . وأمثال هؤلاء القبائل كانوا يسمون « جمرات العرب » . وتظل القبيلة يطلق عليها أنها « جمرة » ما دامت تقف في حروبها بمفردها ، ولا تحالف أحداً من القبائل الأخرى فإذا تحالفت يقال : « طفئت الجمرة » . أما في سبيل البرهنة على القوة ، فقد اتخذ العربي لذلك طريقة الهجوم على غيره ، وإيقاع الظلم بهم وإن لم يبدعوه ، واعتقد أنه إن لم يفعل ذلك ظنه الناس ضعيفاً ، أو جباناً ، وليست له قدرة على حماية نفسه ، وأصبح أهلاً للهجوم عليه وافتراسه . وقد عبر زهير بن أبي سلمى عن ذلك بقوله :

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

فإظهار القوة ، والقدرة على مهاجمة الآخرين ، والقيام فعلاً بالهجوم عليهم كانت في نظر العربي الجاهلي ضرورة لحياته . وكان الشخص يمدح بها ، ويشنى عليه بسببها . وفي ذلك يقول زهير أيضاً ، في معرض المدح :

جَرِيءٌ ، مَتَى يُظْلَمُ يَعَاقِبُ بِظَالِمِهِ سَرِيعاً ، وَإِلَّا يُبَدَّ بِالظَّلْمِ يَظْلَمُ

ولهذا حاول الجاهلي بكل ما يستطيع أن يقوي نفسه ، وأن يظهر قوته لغيره ، وأن يكون الظالم لا المظلوم ، لكيلا يصبح هدفاً للأقوياء الطامعين . من هذا كله نستطيع أن نتصور كيف أن حياة العربي في الجاهلية كانت عرضة للمشاحنات والمنازعات ، محفوفة بالمصاعب والأخطار ، لكن من الخطأ أن يظن الإنسان أن حياة الجاهلي كانت كلها في الحروب ، ولم يكن له شغل إلا الاستعداد لها ؛ فلقد كان عليه أن يبحث عن رزق له ولأسرته ، ومرعى لحيواناته . ولا شك أنه قد كانت له ساعات من الفراغ ، يجد فيها وقتاً للمتعة والسرور ، مع الموسيقى والغناء ، والرقص ، وإنشاد الشعر ، وقص الحكايات عن البطولة والأبطال ، والشراب ، ولعب الميسر . فحياة العربي في الجاهلية لم تكن كلها منازعات ومشاحنات ، بل كانت مزيجاً من هذا ، مع أنواع مختلفة من المسرات ، غير أنه مما لا شك فيه أنه كان معرضاً للخطر على الدوام ، وأنه كان عليه - من باب الحكمة وبعد النظر - أن يستعد لدفع الخطر قبل وقوعه ، أو الصمود أمامه ، وملاقاته بشجاعة وثبات إذا أحرق به ، أو الدخول فيه إذا لم يكن منه بد .

فالظروف التي أحاطت بحياة العرب الجاهليين هيأت جواً مناسباً لحدوث الخصومات والمنازعات ، ونشوب الحرب والقتال . وقد حفظت لنا كتب التاريخ كثيراً من القصص التي تتحدث عن مشاحناتهم وحروبهم . وأعتقد أنه ينبغي أن نعرف شيئاً مما قيل عن هذه الحروب ، حتى يكون التمهيد لدراسة ما قالوه فيها من شعر كاملاً وافياً .

الفصل الثاني

أيام العرب

لقد اعتاد العرب والمؤرخون أن يسموا الحروب التي وقعت بين العرب « أيام العرب » . وهذا استعمال مجازي لكلمة « أيام » لأن « اليوم » وهو مفرد « الأيام » معروف معناه ، وهو الزمن المحدد الذي يشمل الليل والنهار . وقد وردت كلمة « الأيام » مستعملة هذا الاستعمال المجازي في ثلاث آيات من القرآن الكريم :

الآية الأولى : قوله تعالى : « فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ^(١) . » وقد قال الطبري في تفسيره لهذه الآية مما يروى عن قتادة أن المقصود بأيام الذين خلوا من قبلهم : وقائع الذين خلوا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ^(٢) .

وقال الزمخشري في الكشاف : « أيام الذين خلوا من قبلهم » وقائع الله فيهم ، كما يقال « أيام العرب » لوقائعها ^(٣) .

والآية الثانية : قوله تعالى : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج

(١) سورة يونس آية رقم ١٠٢ .

(٢) تفسير الطبري ج ١١ ص ١٢١ .

(٣) الكشاف (دار الكتاب العربي بيروت) ج ٢ ص ٣٧٣ .

قومك من الظلمات إلى النور ، وذكرهم بأيام الله . » ^(١) وهنا يذكر الطبري أن ابن زيد قال في « وذكرهم بأيام الله » أن معناها : « أيامه التي انتقم فيها من أهل معاصيه من الأمم ؛ أي خوفهم وحذرهم إياها ، وذكرهم أن يصيبهم ما أصاب الذين من قبلهم » ^(٢) .

وقال الزمخشري : « وذكرهم بأيام الله وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم » ^(٣) .

والآية الثالثة : قوله تعالى : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون . » ^(٤) وفي تفسير هذه الآية يقول الطبري : « قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون . » ^(٥)

وقال الزمخشري : « لا يرجون أيام الله » : لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه ^(٦) .

وربما كان استعمال كلمة « الأيام » في هذا المعنى المجازي للاحتتمالات الآتية أو بعضها :

(١) أن يكون قولهم : « أيام العرب » أصله « أيام وقائع العرب » ثم حذفت كلمة « وقائع » اختصاراً بسبب كثرة الاستعمال . ومثل هذا الحذف شائع في اللغة العربية وغيرها من اللغات ، بشرط ألا يحدث أي غموض أو إبهام كقوله تعالى : « واسأل القرية » فالمقصود « أهل القرية » .

(١) سورة إبراهيم : آية رقم ٥ .

(٢) تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) الكشف : ج ٢ ص ٥٤٠ .

(٤) سورة الجاثية : آية رقم ١٤ .

(٥) تفسير الطبري ج ٢٥ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٦) الكشف ج ٤ ص ٢٨٨ .

(ب) أن الموقعة كانت أظهر حدث في اليوم ، فسمي اليوم كله بها ،
كان لم يحدث شيء آخر سواها في هذا اليوم . وهذا الاستعمال شائع وكثير ؛
فنقول مثلاً : يوم النصر ، ويوم الامتحان ، ويوم اللقاء .

(ح) أن كلمة « يوم » في « أيام العرب » مستعملة لتدل على مجرد
الوقت كما في الحديث : « هذه أيام الفتنة » ^(١) أي أوقاتها وعلى هذا يكون
قولهم « يوم النصار » مثلاً معناه : « وقت النصار » وفيه حذف مضاف
كذلك ، أي « وقت موقعة النصار » .

(د) أن المقصود بكلمة « اليوم » في هذا الاستعمال « وقت الشدة
والاختبار » كما يقال : « اليوم يومك » أي وقت القوة والجهد الذي يتطلب
منك احتمالاً ، وشجاعة ، ومهارة ، وفطنة ، وفي زمن الشدة والحزن تكون
الدقيقة بمثابة الساعة ، واليوم بمثابة أيام وسنين كقول محرز بن المكعب الضبي
في يوم الكلاب الثاني الذي انتصر فيه قومه في معرض الحديث عن أعدائه
المنهزمين :

سَارُوا إِلَيْنَا وَهُمْ صَيْدُ رُؤُوسِهِمْ فَقَدْ جَعَلْنَا لَهُمْ يَوْمًا كَأَيَّامِ ^(٢)

وقوله تعالى : « تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين
ألف سنة ^(٣) » .

(هـ) أن القتال في كل موقعة ما كان يحدث إلا في يوم واحد فقط ،
فسميت كل موقعة يوماً . ويظهر من قصص الأيام أن كل موقعة لم تكن تحدث
في الغالب إلا في يوم واحد ، اللهم إلا بعض وقائع قليلة روى أنها استمرت
أكثر من يوم ، كموقعة الكلاب الثاني ، فقد ورد أنها استغرقت يومين ^(٤) ،

(١) لسان العرب ج ١٦ ص ١٣٧ .

(٢) نقائض جرير والفرزدق ص / ٢٥٥ .

(٣) سورة المعارج : الآية ٤ .

(٤) النقائض ص / ١٥١ .

ومعركة فيف الريح استغرقت ثلاثة أيام^(١) .

(و) أن الموقعة كانت تستعمل عند العرب كإشارة أو رمز تاريخي في ذلك الزمن . ففي هذه الصحراء المترامية الأطراف والتي تسير الحياة فيها على وتيرة واحدة ، لم يكن لديهم من الحوادث ما يستحق أن يبقى ويتخذ دليلاً يميزون به ما يقع بينهم سوى وقائعهم ، فكانت كل قبيلة - إذا صح هذا الاحتمال - تؤرخ حوادثها بمواقعها وحروبها . ونستطيع أن نتصور بسهولة كيف كان هؤلاء يمكنهم بذلك أن يعرفوا مثلاً أن فلاناً قد ولد في يوم موقعة كذا ، أو قبلها ، أو بعدها ، وأن فلاناً قد توفي يوم كذا أو قبلها أو بعدها بكذا من الأيام . وعلى هذا يكون العرب قد سمو الواقعة باليوم الذي حدثت فيه ، ثم استغلوا هذه التسمية للتاريخ .

وعلى كل حال ، فقد استعمل الجاهليون كلمة اليوم للموقعة ، وظاهر من قصص الأيام أنهم كانوا يقصدون من اليوم في هذا الاستعمال معنى^(٢) النهار فقط لا معناه الذي يشمل الليل والنهار .

وكان اليوم يسمى إما باسم المكان الذي حدثت فيه الموقعة كيوم طخفة^(٣) ويوم أواره^(٤) ؛ وإما باسم ماء قريب من مكان الموقعة كيوم الكلاب^(٥) ؛ وإما باسم شخص ظاهر ، أو له أثر عظيم في الموقعة كيوم حجر^(٦) الذي سميت به الموقعة التي كانت بين حجر ملك كندة وقبيلة أسد ، وفيها قتل حجر . وكيوم حليلة^(٧) الذي كان بين اللخمين والغسانيين ، وقد سميت

(١) النقائض ص ٤٧٠ .

(٢) وقد سار على هذا صاحب لسان العرب إذ يقول : « اليوم معروف ، مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها » (ج ١٦ ص ١٣٧) .

(٣) موضع في طريق البصرة إلى مكة : أيام العرب ص ٩٤ .

(٤) اسم جبل لتمام .

(٥) ماء بين الكوفة والبصرة : أيام العرب ص ٤٦ .

(٦) أيام العرب ص ١١٢ .

(٧) أيام العرب ص ٥٤ .

الموقعة بهذا الاسم لأن حليلة بنت الحارث الغساني كانت تضع عطراً على كل جندي من جيش أبيها ، وقد وعد أبوها أن يزوجه من الجندي الذي يقتل ملك اللخمين .

وإذا حدثت عدة مواقع لسبب واحد فإن هذه المواقع كلها كانت في العادة تسمى باسم السبب الأصلي لهذه الأحداث ويطلق عليها «حرب كذا» كحرب البسوس ، فقد تضمنت مواقع كثيرة في سنوات عدة منها يوم عنيزة ، ويوم واراادات ، ويوم تحلاق اللهم . وكان السبب الأصلي ناقة البسوس التي قتلها كليب ، فكانت سبب العداوة بين بكر وتغلب زمناً طويلاً حدثت فيه هذه الحرب ، فنسبت إلى السبب الأصلي وهو البسوس ؛ وكحرب داحس والغبراء وهما فرسان كان سباقهما السبب في العداوة بين عيس وذبيان فحدثت بينهما حرب تضمنت عدة مواقع منها : يوم المريقب ، ويوم ذي حسا ، ويوم اليعمرية ، ويوم الهباءة ، ويوم فروق .

وأحياناً يسمى اليوم بأكثر من اسم كيوم ذي قار فإنه يسمى بالأسماء الآتية : يوم ذي قار ؛ ويوم قراقر ؛ ويوم الحنو حنو ذي قار ؛ ويوم حنو قراقر ؛ ويوم الجبابات ؛ ويوم ذي العجرم ، ويوم الفذوان ؛ ويوم البطحاء بطحاء ذي قار . وذلك «لأن القتال بين بكر والعجم بدأ فيه أول الأمر في الحنو حنو قراقر . فجزعت العجم من العطش ، فهربت إلى الجبابات ، فتبعهم بكر وعجل ، فقاتلوهم بالجبابات يوماً ، ثم عطشت الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذي قار (١) » .

قد يسمى اليوم باسمي مكانين حدث فيها القتال في ذلك اليوم كيوم النجاج وثيتل ، وذلك لأن القوم المهاجمين وجدوا أن القوم الذين يقصدونهم للغزو متفرقين في مكانين ، فقسم الغازون أنفسهم قسمين يذهب كل منهما إلى فريق من القوم في المكان الذي به (٢) .

(١) النقائض طبعة أوربا ج ٢ ص ٦٨٣ .

(٢) النقائض طبعة أوربا ج ٢ ص ١٠٢٣ .

وقد كان الشعراء أحياناً يضطرون إلى تغيير في اسم اليوم بسبب الضرورة الشعرية ، وفي تلك الحالة كان الشاعر يختار اسماً يعرف به اليوم بسهولة ودون أدنى لبس ، من ذلك مثلاً ما يقوله الفرزدق في إحدى نقائضه :

وتقتيل الملوك وإن منهم فوارس يوم طخفة والنسار

فقد علق أبو عبيدة معمر بن المثنى على ذلك بقوله : « إن الفرزدق أراد بيوم « طخفة والنسار » يوم ضرية ، فلم يمكنه في الشعر ، فجعله يوم طخفة والنسار لقربيها من ضرية ^(١) » .

ومن كتب التاريخ والأدب يبدو أن هذه الأيام كانت مشار اهتمام الباحثين ، فكتب عنها كثير من العلماء والمؤرخين ، ويظهر مما كتبوه أنها كانت كثيرة جداً ؛ ففي كتاب كشف الظنون يقول حاجي خليفة إن أبا عبيدة معمر بن المثنى اللغوي المشهور (حوالي سنة ٢٠٨ هـ : سنة ٨٢٥ م) كتب كتابين عن الأيام : أحدهما يسمى كتاب الأيام الصغير وتحدث فيه عن خمسة وسبعين يوماً ؛ وثانيهما يسمى كتاب الأيام الكبير وتحدث فيه عن ألف ومائتي يوم . ويقال إن علي بن حسين ، أبا الفرج الأصبهاني (حوالي ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ ، وحوالي ٨٩٧ - ٩٦٧ م) صاحب كتاب الأغاني قد كتب عن أيام العرب كتاباً يحتوي على ألف وسبعمائة يوم . وفي كتاب معجم الأدباء ^(٢) يقول ياقوت إن أبا عبيدة ، بالإضافة إلى كتابيه السابقين عن أيام العرب ، قد كتب كذلك فيما يتصل بحروب العرب الكتب الآتية :

١ - كتاب أيام بني مازن وأخبارهم .

٢ - كتاب مقاتل الفرسان .

٣ - كتاب الغارات .

(١) النقائض ص ٢٣٧ .

(٢) ج ٧ ص ١٦٩ .

وفي كتاب الفهرست يقول ابن النديم^(١) أن هشاماً الكلبي (٥٢٠٤ - ٨١٩ م) قد ألف الكتب الآتية :

- ١ - كتاب داحس والغبراء .
- ٢ - كتب أيام فزارة ووقائع بني شيبان .
- ٣ - كتاب وقائع الضباب وفزارة .
- ٤ - كتاب أيام بني حنيفة .
- ٥ - كتاب أيام قيس بن ثعلبة .
- ٦ - كتاب الأيام .

وهذا دليل على العناية الفائقة التي كانت لدى هؤلاء الباحثين واهتمامهم العظيم بهذه الأيام من ناحية ، وعلى كثرة هذه الأيام من ناحية أخرى . وربما لا تكون هذه الكثرة عجيبة إذا لاحظنا أن ظروف العرب الجاهلية كانت تشجع على حدوثها . ومن المؤسف أن هذه الكتب التي جمعت عدداً كبيراً من الأيام لا نعلم عنها شيئاً الآن . وإذا قارنا عدد الأيام التي كتب عنها أبو عبيدة والأصبهاني بعدد ما بقي لدينا من قصص الأيام تبين أنه لم يبق لنا إلا شيء قليل منها . والقصص الباقية من تلك التي تتحدث عن الأيام منتثرة في كتب التاريخ والأدب ومن أهم هذه الكتب ما يأتي :

- ١ - شرح النقائض بين جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى (حوالي ٨٢٥ م) .
- ٢ - الكامل في اللغة والأدب للمبرد (٨٩٨ م) .
- ٣ - شرح المفضليات للأنباري (٩١٦ م) .
- ٤ - تاريخ الرسل والملوك للطبري (٨٣٨ - ٩٢٣ م) .
- ٥ - العقد الفريد - الجزء الثالث - لابن عبد ربه (٩٤٠ م) .
- ٦ - الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٨٩٧ - ٩٦٧ م) .

- ٧ - معجم البلدان لياقوت (١١٧٩ - ١٢٢٩ م) .
- ٨ - الكامل في التاريخ لابن الاثير (١٢٣٤ م) .
- ٩ - لسان العرب لجمال الدين بن مكرم (١٣١١ م) .
- ١٠ - نهاية الأرب للنويري (١٣٣٢ م) .
- ١١ - خزانة الأدب للبغدادى (١٦٨٢ م) .
- ١٢ - بلوغ الأرب للألوسي .
- ١٣ - مجمع الأمثال للميداني .
- ١٤ - شرح ديوان الحماسة للتبريزي .
- ١٥ - العرب قبل الإسلام لجورجي زيدان .

١٦ - « أيام العرب في الجاهلية » لمحمد أحمد جاد المولى وزميليه [وقد استقوا مادتهم من الكتب الخمسة عشر السالفة الذكر ، وغيرها من الكتب التي ورد فيها ذكر الأيام . وقد تحدث المؤلفون الثلاثة في كتابهم هذا عن خمسة وسبعين يوماً من أيام العرب الجاهلية] .

وهذه الكتب الخمسة عشر تختلف في عدد الأيام ، كل بحسب غرضه ومنهجه ، فابن عبد ربه مثلاً في الجزء الثالث من كتابه « العقد الفريد » تحدث عن اثنين وثمانين يوماً وقد فصلها بحسب القبائل فذكر حروب قيس ، ثم حروب قيس وكنانة ، ثم حروب قيس وتميم ، ثم أيام تميم على بكر ، ثم أيام بكر على تميم ، ثم حرب بكر وتغلب ، ثم أيام الفجار . وابن الأثير في بدء الفصل الذي عقده لأيام العرب يقول إنه سوف يقتصر على ذكر « الأيام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد » وأنه لن يعرج على ذكر « غارات تشتمل على النفر اليسير لأنه يكثر ويخرج عن الحصر » أما الطبري في كتابه فيذكر من أيام العرب : أيام ذي قار ، وجذيمة الأبرش ، والزباء ، وطسم وجديس .

وليس هناك من هذه الكتب الخمسة عشر إلا خمسة كتب فقط عقد كل

منها فصلاً خاصاً بأيام العرب ، هي :

١ - الكامل في التاريخ لابن الاثير - الجزء الاول .

٢ - العقد الفريد لابن عبد ربه - الجزء الثالث .

٣ - نهاية الأرب للنويري .

٤ - العرب قبل الإسلام لجورجي زيدان .

٥ - مجمع الأمثال للميداني .

أما الكتب العشرة الأخرى فلا يتحدث كل منها عن الأيام إلا عرضاً ، حيثما تحين الفرصة المناسبة : فمثلاً في شرح نقائض جرير والفرزدق يتحدث أبو عبيدة عن الموقعة إذا ذكرت في أحد أبيات النقيضة التي يشرحها ؛ وابن مكرم في لسان العرب يذكر قصة اليوم إذا كان موضوعها يتصل بمعنى الكلمة التي يشرحها ؛ وكذلك البغدادى في خزانة الأدب يتحدث عن اليوم إذا كان يتصل بالقصيدة التي يشرحها .

وقصص الأيام في هذه الكتب مروية نثراً . مع بعض اقتباسات شعرية قالها أصحابها في اليوم الذي تروى قصته ، أو فيما يتصل به . وهذه الكتب تختلف في رواية قصص الأيام طويلاً وقصراً ، فأحياناً تذكر قصة اليوم بالكامل وفي غاية الطول ، وأحياناً في منتهى القصر والاختصار . وأخصر رواية لقصص الأيام هي التي ذكرها الميداني في مجمع الأمثال ، كأنه كان يقصد مجرد التسجيل لهذه الأيام التي ضمنها كتابه ، وقد تحدث فيه عن مائة وثلاثين يوماً من أيام العرب في الجاهلية ، وهو في حديثه عن اليوم يقتصر على ذكر اسمه وبيانه [إن كان مكاناً ، أو جبلاً ، أو وادياً ، أو عيناً لماء] وأسماء القبائل التي اشتركت فيه ، والمنتصر في هذه الموقعة ، ثم أبيات قليلة مما قيل فيه من شعر . أما غيره من الكتب فكل منها يختلف في ذكر قصص هذه الأيام ، فأحياناً نجد المؤلف الواحد يذكر قصة ليوم في منتهى القصر ، في حين أنه يذكر قصة أخرى ليوم آخر في منتهى الطول ، فمثلاً أبو عبيدة في شرح

النقائض بينما يتحدث عن يوم سوقة ^(١) في سطرين ، ويوم الحداب ^(٢) في ثلاثة أسطر ، نجده يتحدث في عدة صفحات عن كل من يوم الحوفزان ^(٣) ، وداحس والغبراء ^(٤) ، والكلاب الأول ^(٥) ، ويوم شعب جبلة ^(٦) .

ويظهر من الكتب الخمسة عشر السابقة أن جميعها على العموم تحكي عن أبي عبيدة ، فيبدأ المؤلف قصة اليوم بقوله : « قال أبو عبيدة » أو « أبو عبيدة قال » . فإذا ما رجعنا إلى أبي عبيدة نفسه نجده في القصص الطويلة غالباً يذكر الراوي ، فمثلاً في حرب داحس والغبراء يقول : « ذكر الكلبي ، قال : كان من حديث داحس والغبراء ... الخ » وفي أثناء سرد القصة عند ذكر بعض المسائل التي اختلفت فيها قد يقول : « فزعم بعضهم » أو « يزعم بعضهم ^(٧) » أما في القصص القصيرة فلا يذكر راوياً قد أخذ عنه ، وإنما يروي القصة من نفسه . ومعنى هذا أن أبا عبيدة كان ثقة يعتمد عليه ، وقد شهد له بذلك العلماء والباحثون : فهذا جلال السيوطي يقول : « وكان في العصر ثلاثة ، هم أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب ، لم ير قبلهم ولا بعدهم مثلهم ، عنهم أخذ جل ما في أيدي الناس من هذا العلم ، بل كله ، وهم : أبو زيد ، وأبو عبيدة ، والأصمعي ^(٨) . » وفي حديثه عن أبي عبيدة يقول : « وأما ^(٩) أبو عبيدة فإنه كان أعلم الثلاثة بأيام العرب وأخبارهم ، وأجمعهم لعلومهم ، وكان أكمل القوم ، قال عمر بن شبة : وكان أبو عبيدة

(١) النقائض ص ١٣ .

(٢) ص ١٤ .

(٣) ص ٤٧ - ٥٩ .

(٤) ص ٨٣ - ١٠٨ .

(٥) ص ٤٥٢ - ٤٦١ .

(٦) ص ٦٥٤ - ٦٧٨ .

(٧) ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٨) الزهر ص ٤٠١ .

(٩) الزهر ص ٤٠٢ .

يقول : ما التقى فرسان في جاهلية ولا إسلام إلا عرفتها وعرفت فارسيتها .
ويقول عنه ياقوت في معجم الأدباء ^(١) : « أبو عبيدة البصري ، مولى بني
تميم ، تميم قريش ، لا تميم الرباب ، كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب
وأخبارها . » ثم يستمر في الحديث عنه إلى أن يقول ^(٢) : « وقال ابن
قتيبة : كان الغريب أغلب عليه ، وأيام العرب ، وأخبارها . »

وربما كان من الممكن ترتيب أيام القبيلة الواحدة ، لأنه غالباً ما يكون
اليوم منها مترتباً على سابقه لسبب من الأسباب كالانتقام أو الأخذ بالثأر ،
وبذلك يمكن معرفة اليوم السابق من اليوم اللاحق في قبيلة معينة ، ومن
الممكن بعد ذلك أن يعيننا هذا الترتيب الزمني على ترتيب أيام القبيلة أو القبائل التي
كان لها صلة بأيام هذه القبيلة المعنية . أما تحديد تواريخ معينة لأيام العرب ،
بحيث يقال إن يوم كذا حدث في سنة كذا بالضبط . فذلك يبدو غير ممكن
على العموم ؛ حتى إن أبا عبيدة نفسه وهو خير من يوثق به في الأيام ، كان
يخطئ أحياناً إذا حاول أن يحدد تاريخاً ليوم معين ؛ فمثلاً في حديثه عن
شعب جيلة قال ^(٣) : « وكان جيلة قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، قبل
مولد النبي ﷺ لسبع عشرة سنة ، وولد النبي ﷺ عام الفيل ، ثم أوحى
إليه بعد أربعين سنة ، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقدم عليه عامر
ابن الطفيل في السنة التي قبض فيها ﷺ ، وعامر يومئذ ابن ثمانين سنة . »
ولكنه عند الكلام على يوم النصار ويوم الجفار يقول ^(٤) : « وبينهما سنة ،
وكانا قبل مبعث النبي ﷺ بسبع وعشرين سنة ، وكان عام جيلة مولد النبي
ﷺ ، وأركضت كبشة بنت عمرو بن عتبة بعامر بن الطفيل يوم جيلة . »
ففي الرواية الأولى حكى أن جيلة كان قبل ميلاد النبي ﷺ بسبع عشرة سنة ،

(١) ج ٧ ص ١٦٤ .

(٢) ص ١٦٥ .

(٣) النقائض ج ٢ ص ٦٧٦ .

(٤) النقائض ج ٢ ص ٧٩٠ .

وأن النبي عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل ؛ وفي الثانية يقول إن جيلة كان عام مولد النبي ﷺ . والاختلاف بين الروایتين واضح فيما يخص تاريخ يوم شعب جيلة ويظهر أن الرواية الأولى هي الأصح لأن المحقق تاريخياً أن النبي ﷺ ولد عام الفيل ، ولم يكن عام الفيل عام جيلة ، هذا إلى أن عامر بن الطفيل إذا كان ولد يوم جيلة فإن سنه تكون ثمانين في العام الذي مات فيه الرسول ﷺ . وعامر بن الطفيل ولد قبل النبي ﷺ ، ولم يولدا في عام واحد . ولعل هذا حدث سهواً من أبي عبيدة ، ولكنه يرينا أنه من الصعب تحديد تاريخ معين لكل يوم من أيام العرب على العموم .

ومن قصص الأيام التي وردت في كتب الأدب والتاريخ نجد أن الحروب التي وقعت بين الجاهليين كانت نوعين : نوع كان يسبقه نزاع وخصومات ، ويتعذر تسوية الخلاف بين الطرفين بطرق سلمية ، فيعرف كل منها سريرة الطرف الآخر ، ونيتة . ويتوقع إعلان الحرب عليه في أية لحظة ، ومن ثم كان كل منها يستعد للقتال ؛ فتهيأ الأسلحة ، وتجمع الكتائب ، ويدعى المتحالفون ليفوا بعهودهم والتزاماتهم ، كما أن خصوم الأعداء كانوا يدعون للقتال ضد العدو المشترك ، وأحياناً كان بعض الناس ممن لا صلة لهم بالنزاع بين الطرفين يدخلون الحرب مع أحد الجانبين طمعاً في الغنيمة ؛ ونوع آخر يفاجأ فيه القوم بهجوم المعتدين ، فيؤخذون على غرة ، في حين أن المعتدين يكونون قد استعدوا للقتال بكل ما يستطيعون ، وهذا النوع هو المسمى بالغارة . فالفرق بين النوعين ينحصر في الحالة التي تسبق القتال ، وفي تنظيم الجيش ، وفي مدى علم كل من الطرفين مقدماً بالقدوم على القتال .

ففي الحالة الأولى عندما يدب النزاع بين الفريقين لسبب من الأسباب ، وتسوء الحالة بينهما ، ولا تجدي المفاوضات لتسوية الخلاف سلمياً ، يصبح كل منها عدواً لصاحبه ويستعد بكل الوسائل للقتال ساعة حدوثه ؛ أما في الحالة الثانية فإن الغارة كانت تشن على القوم المقصودين بالهجوم فجأة . ولذلك كانت السرية أهم أسس النجاح فيها .

ومنها يكن من شيء فإنه بمجرد أن يلتقي الطرفان في كلا النوعين تظهر مقدرة كل منها وكفاءته ، ومهارته في القتال ، وعلى هذا الأساس تتوقف النتيجة في النهاية .

وهذه القصص تحكي أنهم في الفترة التي تسبق القتال ، كانوا دائماً في شغل شاغل بالحرب والاستعداد لها يجمع الأسلحة ، وتهيئة الجيوش ، وعقد المجالس والمجتمعات لبحث شئونهم ، وأحسن الوسائل للمحافظة على شرف القبيلة ، والدفاع عن حماها ، وحماية الضعفاء ، وسلامة النساء ، والشيوخ ، والأطفال ، والأموال ، واتخاذ الأمكنة الملائمة ، والأوقات المناسبة ، وتدبير المكائد للأعداء والإيقاع بهم ، وغير ذلك مما كانوا يرون أنه كفيل بالنصر وهزيمة العدو .

لكن في الغارة ، كانوا يبذلون كل ما في جهم لإخفاء كل مقدماتها ، فلا يظهرون نواياهم ، ويحيطون كل شيء يتصل بها بالكتمان الشديد حتى لا تتسرب أنبأؤها إلى القوم المقصودين بالهجوم . لأن المقصود من الغارة ألا يلحق المعتدين أية خسارة ، وذلك كان يتوقف على الخطة الحكيمة الماكرة ، التي تقوم على الذكاء والمهارة في اختيار الوقت المناسب ، والمكان الملائم . وكان من المقدمات للغارة إرسال العيون والجواسيس ليعرفوا مكان العدو ، ومركزه ، ويتحسسوا أخباره ، ويتأكدوا من الغنيمة التي يتوقعون الحصول عليها ، ويقفوا على أحوال رجال القبيلة المقصودة بالغارة ، ومدى ما لديهم من قوة واستعداد وإذا أفلح القوم في المحافظة على السرية التامة للغارة ، فإن النتيجة كانت غالباً في صالح المغيرين . أما إذا أخفقوا في ذلك فإن النصر في معظم الأحيان كان يحرزه المقصودون بالغارة ، إذ أن أبطالهم حينئذ يفرعون إلى أسلحتهم ، ويسرعون إلى ملاقات الأعداء قبل أن يبدءوا بالهجوم ، فيؤخذ المعتدون على غرة . ويصدمون بما يقلب خططهم رأساً على عقب ؛ فمثلاً في أثناء العداوة بين الأوس والخزرج نرى أن أحيحة بن الحلاج الأوسي جمع لبني النجار (قبيلة من الخزرج) « وأراد أن يغترهم ، فواعدهم قومه لذلك - وكانت عند أحيحة سلمى بنت عمرو إحدى نساء بني النجار - وكان له منها ابنه

عمرو بن أحيحة ، وهو يومئذ فطيم أو دون الفطيم ، فلما رأت عزم أحيحة على غزو قومها ، عمدت إلى ابنها فربطته بخيط ، حتى إذا أوجعت الصبي تركته فبات يبكي وهي تحمله ، وبات أحيحة معها ساهراً يقول : « ويحك ! ما لابني ؟ » فتقول : « والله ما أدري ماله . » حتى إذا ذهب الليل أطلقت الخيط عن الصبي فنام ، ولما هدا الصبي قالت : « وا أسفاه ! » فقال أحيحة : « هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة ، » وبات يعصب لها رأسها ، ويقول : « ليس بك بأس . » حتى إذا لم يبق من الليل إلا أقله قالت له : « قم فإني أجدي صالحه ، وقد ذهب عني ما كنت أجده . » وإنما فعلت ذلك ليثقل رأسه ، وليشتد نومه على طول السهر . فلما نام قامت وأخذت حبلاً وأوثقته برأس الحصن ، ثم تدلت منه ، وانطلقت إلى قومها فأندرتهم ، وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه من ذلك ؛ فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا ؛ فأقبل أحيحة فوجد القوم على حذر قد استعدوا ، فلم يكن بينهم كبير قتال . ثم رجع أحيحة وقد فقد زوجته ، ففطن لحذر القوم ، وعلم أن سلمى قد خدعته ^(١) . وكذلك انتصر بنو يربوع في يوم ذي طلوح على بكر الذين كانوا ينوون الإغارة على بني يربوع وذلك بسبب وصول أنباء الغارة المزمعة إلى اليربوعيين ^(٢) .

وعلى كل حال ، عندما كان القوم يعلمون أن هناك آخرين مقبلين لحربهم أو الإغارة عليهم ، فإنهم كانوا يستعدون للقتال بكل الوسائل الممكنة ، فيتباحثون فيما بينهم في تنظيم شئونهم ، وتحصين أمكنتهم ، وتدبير خططهم . ومن أولى الخطوات التي كانوا يعملونها حينئذ إرسال النساء مع الأطفال والمرضى والحيوانات إلى مكان أمين ، واختيار قلعة حصينة ، أو مكان يجعلهم في موقف يتغلبون فيه على الجانب الآخر ، وإعداد خطة مكررة في دقة ودهاء للايقاع بالأعداء .

(١) أيام العرب ص ٧٠ - ٧١ .

(٢) النقائض ص ٤٧ - ٥٩ .

ففي حديث يوم طخفة ^(١) يروى أنه لما اشتد النزاع بين المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وبني يربوع ، ولم يصلوا إلى رضا متبادل ، توقع كل منهما الشر من صاحبه ، فذهب بنو يربوع ، ونزلوا شعباً بطخفة ، ودخلوا فيه هم وعيالهم ، فجعلوا العيال في أعلاه ، والمال في أسفل . وهو شعب حصين له مدخل حصين كالباب . فلما أتاهم جيش المنذر دخل في الشعب ، « حتى إذا كانوا في مضايقه حملت عليهم بنو يربوع النعم ، وخرجت الفرسان من شعابه ، فقعقعوا بالسلح للنعم ، فدعروها ذلك ، وحملوا على الجيش فردوا وجوههم . واتبعتهم خيل بني يربوع ، تقتل وتطعن . »

وفي يوم شعب جبلة ^(٢) لما اشتدت العداوة بين عامر وتميم ، أخذ كل من الطرفين يجمع حلفاءه ، ويستعد لإهلاك عدوه . فكان كل من الجانبين يجتمع ويتشاور . وكان مما أشار به عمرو بن عبد الله بن جعدة (من بني عامر) على قومه أن قال : « نرجع إلى شعب جبلة ، فنحرز النساء والضعفة والذراري والأموال في رأسه ونكون في وسطه ففيه ثل ^(٣) ، فإن أقام من جاء أسفل أقاموا على غير ماء ، ولا مقام لهم ، وإن صعدوا قاتلناهم من فوق رؤوسهم بالحجارة ، فكنا في حرز ، وكانوا في غير حرز ، وكننا على قتلهم أقوى منهم على قتالنا . » وأشار عليهم قيس بن زهير العبسي (من قبيلة عبس ، وكانوا حلفاء بني عامر) بقوله : « أدخلوا نعمكم شعب جبلة ثم اظمئوها هذه الأيام ولا توردوها الماء ، فإذا جاء القوم فإن لقيطاً (لقيط بن زرارة من رؤساء بني تميم) فيه طيش ، وسيقتحم الجبل ، وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل ، وأنخسوها بالسيوف والرماح ، فتخرج مذاعير عطاشا ، فتشغلهم وتفرق جمعهم ، وأخرجوا أنتم في آثارها ، واشفوا نفوسكم . » فأخذوا برأيه . ولما جاءت تميم وحلفاؤها ، وأخذوا في الصعود ، قالت بنو عامر للأحوص (وكان شيخاً

(١) النقائص ص ٦٦ .

(٢) النقائص ص ٦٥٤ ، وأيام العرب ٣٤٩ .

(٣) الثعل : الخصب والماء .

كبيراً مجرباً) : « قد أتوك » . فقال : « دعوهم » ، حتى إذا أنصفوا الجبل ، وانتشروا فيه قال الأحوص : « حلوا عقل الإبل ، ثم اتبعوا آثارها ، وليتبع كل رجل منكم بغيره حجريْن أو ثلاثة . » ففعلوا ، ثم صاحوا بها ، فخرجت تحطم كل شيء مرت به ، وخبطت تيمماً ومن معها ، وانخطوا منهزمين في الجبل حتى السهل . ولم يكن لأحد همة إلا أن يذهب على وجهه ، وجعلت بنو عامر يقتلونهم ، ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم ، وانهزموا شر هزيمة .

وفي حرب داحس والغبراء ، لما علم بنو عبس ^(١) أن بني ذبيان قد جمعوا الجموع لغزوهم ، تشاوروا فيما بينهم ، فقال قيس بن زهير العبسي لقومه : « أطيعوني فوالله لئن لم تفعلوا لأتكنن على سيفي حتى يخرج من ظهري . » قالوا : « فإننا نطيعك . » فأمرهم فسرخوا السوام والضعاف بليلاً . وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك . ثم ارتحلوا في الصباح ، وقد مضى سوامهم وضعافهم .

فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل . فقال قيس : « خذوا غير طريق المال (يقصد الإبل) فإنه لا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم ، ولا يريدون منكم في أنفسكم شراً من ذهاب أموالكم . » فساروا في طريق غير الطريق التي سارت فيها الإبل . فلما رأى حذيفة (رئيس بني ذبيان) الأثر قال : « أبعدهم الله ! وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم ؟ » ثم سار في طريق الإبل . وسارت ظعن بني عبس والمقاتلة من ورائهم . وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال . فلما أدركوه ردوا أوله على آخره ، ولم يفلت منه شيء ، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها ، ثم تفرقوا ، واشتد الحر . عند ذلك قال قيس بن زهير : « يا قوم ؛ إن القوم قد فرق بينهم المغنم ، فاعطفوا الخيل في آثارهم . » فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيل دوائس ^(٢) ، فلم يقف

(١) أيام العرب ص ٢٦٢ .

(٢) أي يتبع بعضها بعضاً .

لقتالهم أحد . إذ أن همه الرجل من ذبيان كانت أن يحرز غنيمة ويمضي بها .
ووضعت بنو عبس فيهم السلاح ، وانهمزت بنو ذبيان .

وفي بعض الأحيان كانوا يرسلون الطعائن والأموال إلى مكان حصين ،
وتنتظر المقاتلة لمنازلة الأعداء كما حدث من بني عبس بعد أن أوقعوا بذبيان
يوم الهباءة . وأحياناً كانوا يضللون العدو المهاجم ، بأن يرحلوا عن منازلهم
ليلاً ، ويتركوا النيران موقدة ؛ وأواني الماء معلقة في الشجر ، كما فعلت بنو
عبس يوم الفروق ، وكما حدث من بني أسد بعد قتلهم حجر بن الحارث ملك
كندة ووالد امرئ القيس .

وهكذا كان القوم يقومون في حروبهم بأنواع من الحيل والخطط الحربية
التي تناسب تفكيرهم وبيئتهم في ذلك الحين .

وحينما يتقارب الجيشان كان القواد والرؤساء يجتمعون بالأفراد ويلهبون
حماستهم ، ويشيرون حميتهم ، بما يقوي شجاعتهم ، ويشحذ عزيمتهم من الأفعال
والأقوال القوية المثيرة .

فمن ذلك مثلاً أنه لما جاءت مذحج لقتال تميم فزع التميميون إلى كبيرهم
أكثم بن صيفي ، فقال ^(١) : « احفظوا وصيتي ، أقلوا الخلاف على أمرائكم ،
واعلموا أن كثرة الصباح من الفشل ، والمرء يعجز لا محالة ، يا قوم تثبتوا ،
فإن أحزم الفريقين الركين ^(٢) ، ورب عجلة تهب ريثاً ، واتزروا للحرب ،
وادرعوا الليل ، فإنه أخفي للويل ، ولا جماعة لمن اختلف عليه ، وإذا عز
أخوك فهن ، البسوا جلود النمر ، والثبات أفضل من القوة ، واهنأمن الظفر
كثرة الأسرى ، وخير الغنيمة المال ، ولا ترهبوا الموت عند الحرب ، فإن
الموت من ورائكم ، وحب الحياة لدى الحرب زلل » .

(١) أيام العرب ص ١٢٦ .

(٢) الثابت الرزين .

ولما تقارب الزحفان في يوم ذي قار ^(١) قام حنظلة بن ثعلبة ، فقال :
« إن النشاب الذي مع الأعاجم يفرقكم ، فإذا أرسلوه لم يخطئكم ؛ فعاجلوهم
باللقاء ، وابدءوهم بالشدة » ، ثم قام إلى وضيع ^(٢) راحلة امرأته فقطعه ، ثم
تبع الظئمن يقطع وضيعن فسقطن على الأرض ، فقال : « ليقاقل كل رجل
منكم عن حليلته ، ثم ضرب قبة على نفسه ببطحاء ذي قار ، وآلى لا يفر
حتى تفر القبة ، وقام هاني بن مسعود فقال : « يا قوم مهلك مقدور خير من
نجاء معرور ^(٣) ، إن الحذر لا يدفع القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ،
المنية ولا الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، والطعن في الشجر ،
أكرم من الطعن في الدبر ، يا قوم جدوا فما من الموت بد ، فتح لو كانت له
رجال ، أسمع صوتاً ولا أرى قوماً ، يا آل بكر شدوا واستعدوا ، وإلا
تشيدوا تُردوا . »

وفي يوم ثيتل ^(٤) لما أصبح قيس بن عاصم المنقري ، سقى خيله ثم أطلق
أفواه الروايا وأراق ما بها من ماء ، ثم قال لأصحابه : « قاتلوا فالموت بين
أيديكم ، والفلاة من رائيكم . »

وفي يوم حليلة ^(٥) لما اشتبكوا في القتال قعد الحارث الغساني في قصره ،
ودعا ابنته حليلة ، وكانت أجمل النساء فأعطاها طيباً . وأمرها أن تطيب
من مر بها من جنده ، فجعلوا يملأونها وتطيبهم ، ثم نادى : « يا فتيات
غسان ، من قتل ملك الحيرة زوّجته ابنتي . »

وكانوا يستعملون ذكاهم وعقولهم في حروبهم . فقد روي أن النضر بن
عمرو قال « قيل لعنزة : أنت أشجع العرب وأشدّها ؟ » قال : لا . قيل :

(١) لبكر على العجم : أيام العرب ص ٦ .

(٢) الوضيع : بطن عريض منسوج من سيور وشعر .

(٣) معرور : معاب .

(٤) أيام العرب ص ١٧٥ .

(٥) للغسان على المناذرة : أيام العرب ص ٥٤ .

فيم شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماء ، وأحجم إذا رأيت الإحجام خزماً ، ولا أدخل موضعاً إلا أرى لي منه مخرجاً ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله « (١)

وفي بعض الأحيان كانوا يأخذون معهم النساء إلى ميدان المعركة إذ كان حضورهن من أعظم ما يشجع الرجال على القتال ، لأن الدفاع عن شرف النساء كان من أقدس الواجبات . وكان من مثيرات الشجاعة لدى المحاربين ترديد النساء بعض الأناشيد الحماسية التي تشيد بالقبيلة ، وتصور خطر الهزيمة ، وتعد الفائزين بخير الجزاء والمكافأة . وقد كان مجرد النظرة إلى المرأة في ساحة القتال ، أو قريباً منه كافياً لإلهاب حمية الرجل المحارب وإثارة الحماسة والغيرة في نفسه ، مما يجعله يبذل كل ما في جهده لهزيمة العدو حتى يحمي النساء من الأسر ، وينقذ شرف القبيلة .

هذا إلى أن النساء ، مع ما كان يثيره مجرد حضورهن في الموقعة من غيرة وحمية في نفوس المحاربين ، كن يساعدن الرجال أحياناً في القتال ففي يوم قضية (٢) .

نصح الحارث بن عباد قومه أن يقاتلوا الأعداء بالنساء ، فقال له الحارث بن همام : « وكيف قتال النساء ؟ » قال : « قلّد كل امرأة إداوة (٣) من ماء ، وأعطاها هراوة ، واجعل بجمعهن من ورائكم ، فإن ذلك يزيدكم اجتهداً ، وعلّموا قومكم بعلامات يعرفنها ، فإذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشّته ، وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأتت عليه » .

وكان العربي يطيع رئيسه ، وينفذ أوامره ، ولو كانت تخالف رأيه

(١) شعراء النصرانية ص ٧٩٨ .

(٢) أيام العرب ص ١٦٢ .

(٣) الإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء .

الشخصي وكانوا سرعان ما يغيرون خططهم إذا تبين لهم عدم جدواها ، أو قلة نفعها . فمثلاً إذا بدءوا غارة ، ثم تبينوا أن أعداءهم قد عرفوا أخبار الغارة ، واستعدوا للقاءهم واتخذوا لهم مركزاً أقوى مما للمغيرين ، فإنهم كانوا يغيرون وجهتهم بالغارة إلى قوم آخرين ، ويؤكدون للقوم الذين كانوا يقصدونهم أنهم ما كانوا متجهين بغارتهم نحوهم ، أو كانوا يرجعون إلى أوطانهم عملاً بالقول المشهور : « السلامة إحدى الغنيمتين . »

وكانت المعركة تبدأ بنداء أو صياح كأنه شارة البدء ، كأن ينادى على كل فريق باسمه فيقال : « يا آل فلان » وإذا كان الهجوم للأخذ بشار فإنهم كانوا يصيحون : « يا لكاراتِ فلان » ، وفي الغارة كان الصريخ : « واصباحاه » أو « ياصباحاه » فهذه كلمة كانت تقولها العرب إذا صاحوا للغارة ، لأنهم أكثر ما يُغيرون عند الصباح ^(١) . ولذلك كانوا يسمون الغارة يوم الصباح . وعندما يلتحم الجيشان ، وتدور المعركة ، يبدي كل فرد منهم ما عنده من الشجاعة والبطولة ، وكان كل من الطرفين يوجه همه إلى قتل الرؤساء والزعماء والقادة وذوي المكانة في جيش الأعداء ، أو أسرهم على الأقل ، لكي تضعف روح الأعداء المعنوية من ناحية ، وتقوي روح القاتلين أو الأسرى من ناحية أخرى ، كما أن أسر الشخصيات الممتازة كان وسيلة للغنم المادي إذ أن فدية العظيم أكثر من فدية الشخص العادي .

وفي أثناء القتال كان الرؤساء يقومون بأعمال من شأنها أن تثير همم المقاتلين وتضاعف جهودهم ، كما كان المقاتلون يقومون بكل ما يستطيعون من حيل ومكايد للأعداء ليقعوا بهم شر هزيمة : كالتخاذ الكمين ، بأن يجعلوا جماعة من الجيش في مكان خفي ، ليهجموا على جيش الأعداء من الخلف ، أو كتدبير هجوم على منازل الأعداء وقت انشغالهم بالقتال ، أو كأن يقاتلوا شيئاً من قتال ، ثم يتظاهروا بالهزيمة والفرار ، ليجعلوا الأعداء ينهمكون في السلب والنهب ، وحينئذ يكررون ثانية ويوقعون بهم أشد نكاية .

(١) لسان العرب : مادة صبح .

وعندما تنتهي المعركة ويتبين ظفر الغالب ، كان المنتصرون يتبعون المهزومين قاتلين وآسرين وجامعين الأسلاب والغنائم ، وكانوا يوجهونهم بطبيعة الحال إلى الرؤساء وذوي المكانة ، الراكبين منهم أولاً ، ثم المشاة ثانية إذ أن في المقدور الحصول عليهم بسهولة . ولذلك كان كل من يتبع فاراً يريد أن يأسره يسأله عن شخصيته ليعرف قيمته إذ وقع في يده ، ومن هنا كان بعض الفارين يدعون أنهم أفراد من المغمورين غير المشهورين . كما أن الأسير قبل أن يؤسر كان أحياناً يسأل من يتبعه ليأسره عن شخصيته حتى لا يقع في يد شخص من غير المشهورين ذوي المكانة والشرف .

ففي يوم السكلاب الثاني ^(١) تولى قيس بن عاصم المنقري إمرة بني تميم ، وحملوا على أهل اليمن حملة صادقة ، فانهزموا ، وكان أول من انهزم وعلة ابن عبدالله الجرمي صاحب اللواء ، ثم تتابعت عليهم الهزائم ، وقيس بن عاصم ينادي : « يا تميم ! لا تقتلوا إلا فارساً ، فإن الرجالة ^(٢) لكم » وكانت قيس في هذا اليوم يسأل كل أسير : « من أي القبائل أنت ؟ » فكان الأسير يقول : « أنا من بني رعبل » طمعاً في أن يطلق قيس سراحه ، لأن هذه القبيلة لم تكن مشهورة ، وما كان رجالها يستحقون أن يؤسروا .

وفي يوم الغبيط ^(٣) حينما أغار بسطام بن قيس الشيباني على بني يربوع ، طارده اليربوعيون وكان رئيسهم عتبة بن الحارث اليربوعي . وألح عتبة بن الحارث وأسيد بن حنائة ، والأحيمر بن عبدالله على بسطام بن قيس أن يستسلم للأسر وكان أسيد أدنى إلى بسطام من الرجلين ، ف وقعت يد فرسه في حفرة ، وتقدم بسطام ، وجعل يلتفت هل يرى عتبة . فلاحق عتبة بسطاماً ، فقال له : « استأسر يا أبا الصهباء » . فقال له : « ومن أنت ؟ » قال : أنا عتبة ، وأنا خير لك من الفلاة والعطش . فاستأسر .

(١) النقائص ج ١ ص ١٤٩ .

(٢) جمع راجل وهو ما ليس براكب .

(٣) النقائص ص ٧٥ .

وفي يوم شعب جبلة انهزمت تميم ، فحاول رئيسها حاجب بن زرارة أن يفر^(١) فتبعه زهدم وقيس ابنا حزن العبسيان ، وجعلا يطردانه ، ويقولان له : « استأسر » - وقد قدرا عليه . فقال : « من أنتم ؟ » فقالا : « نحن الزهدمان . » فقال : « لا استأسر اليوم لمولين . » وبينما هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرقيبة العامري : فقال لحاجب : « استأسر » ، قال : « ومن أنت ؟ » قال : « أنا مالك ذو الرقيبة » فقال أفعل لعمري ، ما أدركتني حتى كدت أن أكون عبداً وألقى إليه رمحه . فاعتنقه زهدم ، وألقاه عن فرسه فصاح حاجب : « يا غوثاه ! » وجعل زهدم يراوغ قائم السيف ، فتزل مالك ، واقتلع زهدمـا عن حاجب . فمشى زهدم وأخوه حتى أتيا قيس بن زهير . فقالا : « أخذ مالك أسيرنا من أيدينا . » فقال : « ومن أسيركما ؟ » قالوا : « حاجب بن زرارة . » فخرج قيس حتى وقف على بني عامر ، فقال : « إن صاحبكم أخذ أسيرنا . » قالوا : « من صاحبنا ؟ » قال : « مالك ذو الرقيبة أخذ حاجباً من الزهدمين . » فجاءهم مالك فقال : « لم أخذه منهم ، ولكنه استأسر لي وتركها » فلم يبرحوا حتى حكوا حاجباً نفسه في ذلك - وهو في بيت ذي الرقيبة - فقالوا : « من أسرك يا حاجب ؟ » فقال : « أما من ردني عن قصدي ، ومنعني أن أنجو ورأى مني عورة فتركها فالزهدمان ، وأما الذي استأسرت له فمالك . »

وفي بعض الأحيان تكون فرس المنتصر أبطأ من فرس من يفر من الأسر ، وعند ذلك يطعنه بالرمح إذا رفض الاستسلام ، كما حدث في يوم جدود^(٢) الذي كان لبني منقر على بكر ، فعندما انهزمت بكر بن وائل ، « لم يكن لرجل منهم همة إلا أن ينجو بنفسه ، وتبعتهم منقر ، فمن قتل وأسير » ، واتبع قيس بن عاصم المنقري الحارث بن شريك وكان الحارث على فرس يدعى الزبد ، وقيس على فرس يسمى الزعفران : وكانا إذا استوت بهما الأرض

(١) أيام العرب ص / ٣٥٧ .

(٢) أيام العرب ص ١٧٨ .

لحقه قيس ، وإذا وقعا في هبوط وصعود سبقه الحارث ، فلما خشي أن يفوته قال : « استأسر يا حارث خير أسير . » فقال الحارث : « لا بل شر أسير . » ثم زجر فرسه ، فسبق مَهْر قَيْس وتخوف قيس أن يفوته الحارث فحفزه بالرمح . وبهذه الحفزة سمي الحارث : « الحوفزان » .

وكانوا دائماً يحزون ناصية الأسير ويحفظونها ، وربما كان ذلك لالتخاذها دليلاً مادياً عند الفخر على قوم الأسير خصوصاً إذا كان من الرؤساء أو ذوي المكانة فيهم .

وكانت عاقبة الأسير تتوقف على الحال التي بين قومه وآسريه أو حلفائهم ؛ فإذا كان بينهما مثلاً دم فإن الأسير كان يقتل أخذاً بالثأر . ولذلك كان الأسير إذا تيقن من أنه مقتول لا محالة فإنه أحياناً كان يحاول أن يقتل نفسه بيده . من ذلك ما حدث يوم الرقم ^(١) الذي انتصرت فيه غطفان على بني عامر فيروى أن غطفان أسرت من بني عامر أربعة وثمانين رجلاً ، فدفعوهم إلى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم ، فقتلوهم أجمعين .

وفي هذا اليوم « انهزم الحكم بن الطفيل في نفر من أصحابه حتى قطع العطش أعناقهم فماتوا » ، أما الحكم بن الطفيل فإنه خاف أن يؤسر ، ويمثل به ، فجعل في عنقه حبلاً ، وصعد إلى شجرة ، وشده ، ودلى نفسه فاختنق . وفعل مثله رجل من بني غني ، فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب ، فأدركوه وخلصوه ، وعيروه وفي ذلك يقول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان أجدر

وإذا لم يكن بينهم ثأر فإنهم كانوا يحافظون على الأسير إلى أن يُفدى وكانت الفدية عادة تدفع من الإبل ، وتختلف تبعاً لحالة الأسير الاجتماعية : فكلما عظمت مكانته في قومه كالرئيس أو القائد ، كانت الفدية أعظم . وربما كان ذلك من الأسباب التي كانت تجعلهم يتسابقون على أسر ذوي الشخصيات الممتازة .

(١) المفضليات ص ٣٠ ، وأيام العرب ص ٢٧٨ .

وكان الأسر هو الذي يأخذ فدية الأسير ، فإذا اشترك أكثر من واحد في أسره ، أخذ كل من اشترك في الأسر جزءاً من الفدية . وكثيراً ما كانوا يرجعون إلى الأسير نفسه ليحكي الدور الذي قام به كل من اشترك في أسره ، ثم يحكمونه ، أو يطلب هو أن يحكم بين أسريه في نصيب كل منهم في فدائه . فمثلاً حينما اختلف الزهدمان ومالك ذو الرقيصة في أسر حاجب بن زرارة يوم شعب جبلة ، وشرح حاجب ما فعله كل من الثلاثة في كيفية أسره ، قال حاجب : « حكوني في نفسي » فقال له القوم : « قد جعلنا إليك الحكم في نفسك » ، فقال : « أما مالك ، فله ألف ناقة ، وللزهدمان مائة . »

وفي يوم ذي طلوح ^(١) أخذ الحارث بن شريك أسيراً ، أخذه حنظلة بن بشر فاختم عبد الله بن الحارث ، وعبد عمرو بن سنان في الحارث . فقال : « حكوني في نفسي ، والله لا أخيب ذا حق » ، فحكموه فأعطى عبد الله ابن الحارث مائة من الإبل ، وأعطى عبد عمرو مائة ، وجعل ناصيته لحنظلة ابن بشر .

وأحياناً كان الأسير يطلق سراحه لمجرد أن يعيد أسريه بدفع الفدية وكثيراً ما كان يطلق سراح الأسير ، متناً عليه ، أو فخراً بذلك ، أو وفاء لعهد ، أو إسداء لمعروف ، أو رداً لجميل ، أو إكراماً لعظيم .

ففي يوم الوقيط ^(٢) أسر بشر بن العوراء ضرار بن القعقاع ، فجزت بنو تيم اللات ناصيته ، وخلوا سبيله . وفي نفس اليوم أسر عمرو بن قيس عنجلاً ابن المأمون ، ثم من عليه .

وفي يوم شعب جبلة حكى أن قيس بن المنتفق العامري لحق عمرو بن عمر التميمي فأسره ، فأقبل الحارث بن الأبرص ، فرآه عمرو مقبلاً ، فقال لقيس : « إن أدركني الحارث قتلني ، وفاتك ما تلمس عندي ، فهل أنت 'محسن' »

(١) أيام العرب ص ١٨٤ .

(٢) أيام العرب ص ١٧٠ .

إليّ وإلى نفسك ؟ تجز ناصيتي ، فتجعلها في كنانتك ، ولك العهد لأفين لك .
ففعل ، وأدركها الحارث وهو ينادي قيساً ويقول : « اقتل ، اقتل ! »
ولكن قيساً أطلق عمرأ ، ولحق عمرو بقومه .

وفي الشهر الحرام خرج قيس بن المنتفق إلى عمرو بن عمرو يستثيبه ، وتبعه
الحارث بن الأبرص ، حتى قدما على عمرو بن عمرو ، فأمر عمرو ابنة أخيه
آمنة ، وقال لها : « اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القبة . » ثم
قال للحارث : « ما الذي جاء بك فوالله ما لك عندي نعمة ولقد كنت سيء
الرأي فيّ » ، وقتلت أخي ، وأمرت بقتلي . فقال الحارث : « بل كففت
عنك ، ولو شئت إذ أدركتك لقتلتك . » قال : « ما لك عندي من يد . »
ثم تدمم منه فأعطاه مائة من الإبل ، ثم انطلق وذهب . وأعطى عمرو قيساً
إبلاً كثيرة وفاء لعهدده ، وشكراً على فضله ^(١) .

ويروى أنه في حرب البسوس أسر الحارث بن عباد يوم التحالق مهلهلاً
وكان المهلهل متخفياً ، فلم يعرفه ، فقال الحارث له : « دلني على المهلهل . »
قال : « ولي دمي ؟ » فقال : « ولك دمك . » قال : « ولي ذمتك وذمة
أبيك ؟ » قال : « نعم ذلك لك . » قال المهلهل - وكان ذا رأي
ومكيذة - : « فأنا مهلهل ، خدعتك عن نفسي ، والحرب خدعة . » فجز
ناصيته وأطلقه .

ويرى في قصة طويلة أن ربيعة بن مكدم من رهط بني مالك بن كنانة
كان يسير في الوادي ومعه ظعينة ^(٢) ، وكان دريد بن الصمة قد خرج في
فوارس من بني جشم يريد الغارة فأرسل إلى ربيعة ثلاثة من فرسانه ؛
واحداً بعد الآخر ، يطلب إليه أن يتخلى عن الظعينة ، ولكن ربيعة كان
يقتل الفارس منهم بمجرد أن يجيئه ، مع أنه لم يكن معه رمح ، فجاءه دريد

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٣٣ .

(٢) الظعينة : المرأة ما دامت في الهودج .

وقال له : « أيها الفارس ؛ إن مثلك لا يقتل وإن الخيل نائرة بأصحابها ، ولا أرى معك رحماً ، وأراك حديث السن ؛ فدونك هذا الرمح ، فاني راجع إلى أصحابي فمضبطهم عنك . » وأتى دريد أصحابه فقال : إن فارس الظعينة قد حماها ، وقتل فرسانكم ، وانتزع رمحي ، ولا طمع لكم فيه . فانصرف القوم .

ومرت الأيام ، ثم أغار بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة على بني جشم رهط دريد وأسروا دريد بن الصمة ، فأخفى نسبه ^(١) . ولكن امرأة منهم عندما رآته صرخت وقالت : « هلكتم وأهلكتم ، ماذا جر علينا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة . » ثم ألقت عليه ثوبها ، وقالت : « يا آل فراس أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي . » فسألوه من هو فقال : « أنا دريد بن الصمة ، فمن صاحبي ؟ » قالوا : « ربيعة بن مكدم . » قال : « فما فعل ؟ » قالوا : « قتلته بنو سليم . » قال : « فمن الظعينة التي كانت معه ؟ » قالت المرأة : « ربطة بنت جندل ، وأنا هي . » فقالوا : « لا ينبغي أن تكفر نعمة دريد عندنا . » فأصبح القوم ، وتعاونوا بينهم وأطلقوه ، وكسته ربطة وجهزته . ولحق بقومه ولم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك .

ويقال إنه حينما أغار النعمان بن وائل قائد الحارث بن أبي شمر الغساني على بني ذبيان سبي سبياً من غطفان ، وأخذ عقرب بنت النابغة ، فسأها : من أنت ؟ فقالت . أنا بنت النابغة ؛ فقال لها : والله ما أحد أكرم علينا من أبيك ، وما أنفع لنا عند الملك ثم جهزها وخلها . ثم قال : والله ما أرى النابغة يرضى بهذا مناً . فأطلق له سبي غطفان وأسراهم ^(٢) .

وكان إهمال الأسير عاراً كبيراً ، وسبة لا يرضونها . يروى أنه يوم قشاوة ^(٣) أسر بسطام بن قيس الشيباني أبا مليل ، فلما صار في يدي بسطام قال له :

(١) أيام العرب ص ٣١٧ .

(٢) شعراء النصرانية ص ٦٦٨ .

(٣) أيام العرب ص ٢٠١ .

« يا أبا مليل ؛ إني لم آخذك لأقتلك » . قال : « قد قتلت ابني ، وودت أني مكانه ، أما إن طعامك عليّ حرام ما دمت في يدك ! » ، فكان أبو مليل يؤتي بالطعام ، فبييت يطرد عنه الكلاب مخافة أن تأكله ، فيظنوا أنه أكله هو ، حتى جهد ، فلما رأوا جهده ، قال بشر بن قيس لأخيه بسطام : إني لا آمن أن يموت أسيرك هذا في يديك هزلاً ^(١) ، فتسبك به العرب ، . وكان في النهاية أن خلاه بسطام بغير فداء .

أما في حالة النساء السبايا ، فإنهن كن يصبحن في العادة إماء للآسرين ، ولكنهن كن يعاملن بلطف وأدب حتى يفدين ، وأحياناً كانت بعض القبائل تطلق سراح السبايا دون أن يمسسن بسوء ، أو ينال من شرفهن ، ودون انتظار لدفع الفدية . فكانت تشعر أن من العار أن يقتل الأسير ، أو تساء معاملة السبايا ، وإنا لنجد في كتب التاريخ والأدب أمثلة تؤيد أنهم كانوا يعظمون المحافظة على الأسير ، ويكبرون حسن المعاملة للسبايا ، ويذمون ما يتنافى مع ذلك .

من هذا ما يقوله صاحب الأغاني ^(٢) : « كان بدء ما كان بين خفاف ابن ندبة والعباس بن مرداس : أن خفافاً كان في ملأ من بني سليم فقال لهم : إن عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس ، ويأبى ذلك عليه خصال قعدن به . فقال له فتى من رهط العباس : وما تلك الخصال يا خفاف ؟ قال : اتقاؤه بخيله عند الموت ، واستهانتة بسبايا العرب ، وقتله الأسرى ، ومكالبته الصعاليك على الأسلاب . ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته . فانطلق الفتى إلى العباس فأخبره . فقال العباس : يا ابن أخي ؛ إن لم أكن كالأصم في فضله فلست كخفاف في جهله . وقد مضى الأصم بما في أمس ، وخلفني بما في غد . ثم أصبح فأتى خفافاً وهو في ملأ من بني سليم ، فقال : لقد بلغتني مقاتلك يا خفاف ، والله لا أشتم عرضك ، ولا أسب أباك

(١) الهزل : الهزال .

(٢) ج ١٦ ص ١٣٤ .

وأملك ، ولكن رمى سوادك بما فيك . وإنك لتعلم أني أحمي المضاف ،
وأتكلم على السبي ، وأطلق الأسير ، وأصون السبية . وأما زعمك أني أتقي
بخيلى الموت فهات من قومك رجلاً اتقيت به ، وأما استهانتى بسببايا العرب فإني
أحذو القوم في نسائهم بفعمالهم في نسائنا ، وأما قتلى الأسرى فإني قتلت
الزبيدي بخالك إذ عجزت عن ثارك ، وأما مكالبتى الصعاليك على الأسلاب
فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لمت سالبه . وأما تمنيك موتي فإن مت
قبلك فاغن غنائى . وإن سليماً لتعلم أني أخف عليهم مئونة ، وأثقل على
عدوهم وطأة منك . وإنك لتعلم أني أبحت حمى بني زبيد ، وكسرت قوى
بني الحرث ، وأطفأت جمرة خثعم ، وقلدت بني كنانة قلائد العار .

وكان الاعتداء عادة يجر إلى اعتداء أخذاً بالثأر ، وربما أدى هذا إلى
طول مدة الخصومة ، وكثرة تجدد القتال ، واستمرار البغضاء زمناً طويلاً .
ولكن هذا كان يتسبب عنه شيء من الملل والضجر من هذه الحال ، ويجعل
النفوس في كلا الجانبين أميل إلى إنهاء النزاع ، وتسوية الخلاف . وهنا كان
المصلحون والوسطاء الساعون إلى الخير يجدون منفذاً يصلون منه إلى قلوب
الفريقين ، فيحسبونهم في الصلح ، وينفرونهم من الحرب التي عانوا منها الويلات
الكثيرة وألحقت بهم الأضرار الجسيمة . ويحاولون أن يصلوا إلى اتفاق سلمي ،
وصفاء متبادل بين الطرفين . فإذا ما أظهروا القبول والاستعداد للصلح ،
اجتمعوا واتفقوا فيما بينهم على ما ينهون به الخصام . وفي العادة كانت الضحايا
تُعَدُّ في كل جانب ، وتدفع الفدية لمن زاد عدد ضحاياه . ولكن أحياناً في
مثل هذه الأحوال كان أقرباء الضحايا الذين لم يؤخذ بثأرهم لا يحضرون أحياناً
تلك المجتمعات التي تعقد للصلح ودفع ديات ذويهم ، إظهاراً لعدم الموافقة على
ذلك ، وتأكيذاً للتصميم على الأخذ بالثأر .

ففي نهاية حرب الفجار التي كانت فيها أيام كثيرة بين كنانة وقيس ،
قداءوا إلى الصلح على أن يعُدّوا القتلى ، فأى الفريقين فضل له قتلى أخذ
دياتهم من الفريق الآخر ، فتعادوا القتلى ، فوجدوا قريشاً وبني كنانة قد

أفضلوا على قيس عشرين رجلاً . فرهن حربُ بن أمية ابنه أبا سفيان ،
ورهن الحارث بن كـلدَة العبدى ابنه النصر ، ورهن سفيان بن عوف ابنه
الحارث . ولما رأت قيس رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو ، فأطلقوهم ،
وانصرف الناس بعضهم عن بعض ، ووضعوا الحرب^(١) .

ولما طالت حرب داحس والغبراء ، وحدثت فيها أيام كثيرة ذهب ضحيتها
عدد كثير من عبس وذبيان ، كرهها الجانبان ، وجرى بينهما السفراء
فاجتمعوا للصلح ، إلا أن حصين بن ضمضم خرج بفرسه ، وذهب حتى قابل
بيجان العبسي ، فقتله بأبيه ضمضم الذي قتله عنزة العبسي . ولم يزل أهل
الخير يتوسطون بين الطرفين حتى اصطلحوا ، فتعاقدوا على أن يحتسبوا
القتلى ، فيؤخذ الفضل مما هو عليه ، وحملت عنهم الديات^(٢) .

* * *

ومن قصص الأيام نرى أن أيام القبيلة كانت أساس فخرها ، وقوام
مجدها ، وكان كل فرد يشعر أن نصر قبيلته في موقعة كان ريشة من ذهب على
هامته ، وعزاً لقبيلته خالداً أبد الدهر ، تفخر بنفسها ، وتقيه على أعدائها ،
وكان رجوع القبيلة من الموقعة ظافرة ، شرفاً عظيماً ، وفرصة طيبة لعرض
مفاخرها ، وتعاضمها على العدو المنهزم ، فأيام القبيلة ذخيرة تدخره ، دليل
قوتها ، وسجل شرفها وعزتها . ولهذا أولت كل قبيلة أيامها اهتماماً عظيماً ،
وعددت في زهو وتفصيل دقيق مقام به أبطالها من أعمال البطولة والشهامة ،
وكانت الأيام موضوع أحاديثهم في مجالسهم ومجتمعاتهم ، فكانوا يحفظون
قصص الأيام التي انتصروا فيها ، ويروونها في فخر وإعجاب ، يحافظون عليها
في رعاية واهتمام ، ويسلمها السلف إلى الخلف في أمانة وعناية وحرص تام
وكان الأبناء يتلقونها عن الآباء في شغف عظيم فتبعث في الأبناء إكبار الآباء

(١) أيام العرب ص ٣٣٧ .

(٢) أيام العرب ص ٢٧١ .

والدخريهم ، وتزرع في نفوسهم حب القبيلة ، وتثير فيهم الحمية والعصبية ، وتزيد فيهم العزيمة والتفاني في الدفاع عن شرف القبيلة وكيانها ، وكانت كل قبيلة تحب أن تنشر أخبار قوتها الحربية في طول شبه الجزيرة وعرضها لكي تعظم منزلتها في نظر الآخرين . وكلما كثرت أيام النصر للقبيلة زادت شهرتها في الشجاعة والشرف .

وكما كانت أيام النصر للقبيلة أحسن موضوع للفخر بالقوة والبطولة والأعمال الجيدة ، فإن خير موضوعات الذم والهجاء كانت الهزيمة والفرار وما لحق المغلوب من مصائب وخسائر في الحروب ، فكما كان النصر يكلل هامات القبيلة بالعز والشرف ، ويذيع شهرتها في جميع الأرجاء فإن الهزيمة كانت للقبيلة عاراً شنيعاً ، يوحى بالضعف ، ويشجع الآخرين على الطمع فيهم ، وإيقاع الظلم بهم . ولم يكن هناك من الهجاء ما يؤذي أشد من الهزيمة في الحرب . وفي ذلك يقول صاحب الأغاني ^(١) : «حدثنا عوف عن ابن سيرين في حديث طويل ، قال : كان يهجوهم (يعني قريشا) ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إلى الكفر ، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة » .

وكما كانت قصص البطولة في الماضي تحتل المكانة الأولى في أحاديثهم ، وموضوعات مجالسهم ، فكذلك اليوم ما زالت أحاديث البطولة وأعمال الشهامة موضوع مجالس الأعراب البدو . والحقيقة أن هذه الموضوعات من الأشياء التي يحلو الحديث فيها وتشتاق النفوس دائماً لسماعها ، حتى ولو بلغ الإنسان

(١) ج ١٥ ص ٢٨ .

أرقى درجات الحضارة والرقي ؛ فما زلنا نحن الآن نسمع من الأمم المتمدينة الحديثة بعد الحروب التي خاضت غمارها الحكايات الكثيرة عن أبطالها وشجعانها ، وما قاموا به من أعمال الشهامة والإقدام ؛ تحكيه هذه الأمم في فخر واعتزاز ، كأن ذلك مما يرفع شأن أمتهم ، ويرسي قواعد مجدهم ، ويدفع أبناءهم من بعدهم إلى ميادين العزة والشرف ، كي يحافظوا على ما أسسه آباؤهم ، وبنوه شائخاً من صروح المجد والشرف . فكانت قصص الأيام في الجاهلية ، تحكى بكل فخر ، ويستمع إليها المستمعون في إعجاب عميق ، ويحفظونها في شغف ، ويحكونها في إكبار جيلاً بعد جيل .

وكان الجاهلي حينما يفخر بأيامه ، يؤكد النصر الذي حازه ، ويشني على التوجيه الصحيح ، والقيادة الحكيمة ويعجب ببطولة قومه وقوتهم ، ويعظم الشرف الذي نالوه ؛ وعلى الضد من ذلك كان شأنه حينما يتصدى لهجاء الأعداء وذم المهزومين ، فكان يضحخ هزيمتهم ، ويرميهم بالضعف والجن ، وعدم الخبرة في الحرب .

وإذا تذكرنا ما كان الجاهلي يتصف به من سرعة الانفعال ، وشدة الحساسية عند الغضب ، والشعور بالغيرة الشديدة نحو شرفه وكرامته ، ومبالغته في فهم معنى العار والخجل ، وإذا تذكرنا كذلك أنه لم يكن هناك في ذلك الوقت تسجيل دقيق للأحداث التي كانت تقع بينهم ، إذا تذكرنا هذا ، فلن يكون عجباً حينئذ أن نجد في بعض قصص الأيام مبالغة ، أو تحويراً يتفق ووجهة نظر الراوي وميوله فقد كان همه أن يعظم من شأن قبيلته ، وأن ينسب إليها كل شيء مما كان عددها ، ومهما كان الدور الذي قامت به ، ومهما اشترك معها من الحلفاء . كأن يبالغ في عدد الجيش ، أو يدعي أن الرئاسة في ذلك اليوم كانت لقومه ، أو يصور ما قاموا به بصورة ضخمة هائلة ، ويكثر عدد القتلى ، والجرحى ، والأسرى من الأعداء . ولكن المؤرخين والنقاد والثقات قد بذلوا جهداً كبيراً في تمحيص ما في قصص الأيام من حقائق ، محاولين بذلك إظهار الحق ، واستخلاص الصحيح من الزائف . من

ذلك مثلاً ما حاوله أبو عبيدة في قصة يوم النصار (١)، إذ أن الأنباري صاحب شرح المفضليات حينما عرض لهذه القصة قال: « وفيها أقاويل كثيرة وادعاء من الرباب ، ومن قول بنى أسد ، وغطفان ، وغيرهما من قيس . ثم عقب على ذلك قائلاً : « قال أبو عبيدة : وهو عندي باطل مختلط ، أخذ عن جُهال ، وجاء الشعر الثابت الذي لا يُردّ بغير ذلك . ثم يذكر الأنباري رواية أبي عبيدة ، والروايات الأخرى ، ومناقشة أبي عبيدة لهذه الروايات ، وبيانه الحقائق بالأدلة الثابتة ؛ مما يدل على الدقة في البحث ، وتحري الحقيقة .

ومن ذلك أيضاً ما يرويّه ابن عبد ربه (٢) عند الكلام على يوم خزاز ، إذ يقول : « قال أبو عبيدة : تنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك ، وخالد بن جبلة وإبراهيم بن محمد بن نوح العطارى ، وغسان بن عبد الحميد ، وعبد الله بن سالم الباهلي ، ونفر من وجوه أهل البصرة ؛ كانوا يتجالسون يوم الجمعة ، ويتفاخرون ويتنازعون في الرئاسة يوم خزاز . فقال خالد بن جبلة : كان الأحوص بن جعفر الرئيس . وقال مسمع : كان الرئيس 'كليب بن وائل' ، وقال ابن نوح : كان الرئيس زرارة بن عدس ، وهذا مجلس أبي عمرو بن العلاء . فتحاكموا إلى أبي عمرو ، فقال : ما شهدته عامر بن صعصعة ، ولا دارم بن مالك ، ولا جشم بن بكر ؛ اليوم أقدم من ذلك ، ولقد سألت عنه منذ ستين سنة ، فما وجدت أحد القوم يعلم من رئيسهم ومن الملك ، غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يأتي ومعه كاتب وطنفسة يقعد عليها ، فيأخذ من أموال نزار ما شاء كعمال صدقاتهم اليوم ، وكان أول يوم امتنعت فيه معد عن الملوك ملوك حمير ، وكانت نزار لم تكثر بعد فأوقدوا ناراً على خزاز ثلاث ليال ، ودخنوا ثلاث أيام . فقليل له : وما خزاز ؟ قال : هو جبل قريب من امرأة على يسار الطريق ، خلفه صحراء منبج ، يناوحه كور وكوير إذا

(١) المفضليات ص ٣٦٤ .

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ١٠٦ .

قُطِعَتْ بَطْنُ عَاقِلٍ . ففِي ذَلِكَ الْيَوْمِ امْتَنَعَتْ نِزَارٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ أَنْ يَأْكُلُوهُمْ :
وَلَوْلَا قَوْلُ عَمْرِو بْنِ كَلْثُومٍ مَا عُرِفَ ذَلِكَ الْيَوْمُ ، حَيْثُ يَقُولُ :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْ قَدَفٌ فِي خَزَازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا

قال أبو عمرو بن العلاء : « ولو كان جده كليب بن وائل قائدهم ورئيسهم ما ادعى الوفاة وترك الرياسة ، وما رأيت أحداً عرف هذا اليوم ، ولا ذكره في شعره قبله ولا بعده » .

فمن ينظر في قصص الأيام يتضح له أن القبائل كانت تتسابق في ذكر أيامها ، ونسبة الفضل ، والنصر ، والعمل المجيد لأفرادها . وأن النقاد والعلماء الباحثين كانوا يدققون في كل ما يسمعون ، فيمحسون ، ويتحرون الحقيقة حتى يصلوا إليها بقدر ما يستطيعون ، وكان من أهم وسائلهم في تحري الحقيقة ، الشعر الصحيح الذي لم يداخلهم فيه ولا في قائله شك .

ونتيجة لما كان للأيام من تقدير كبير ، وأهمية عظيمة لدى العرب قبل الإسلام فإن الجاهليين كانوا يعدون من الأيام بعض المشاجرات ، أو المشاغبات ، مثل أيام الفجار ، وبعض أيام الأوس والخزرج وكذلك كان بعض الشعراء يبالغون في وصف أشياء ضئيلة حتى يصورها كأعظم موقعة . من ذلك مثلاً ما يرويه صاحب الأغاني ^(١) إذ يقول : « روى حماد الراوية عن أبي ليلى قال :

أنشدني ليلى بنت عروة بن زيد الخليل الطائي شعر أبيها في يوم محجن :

بَنِي عَامِرٍ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا أَبُو مَكْنِفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَانِرِ

بَجِيشٍ تَضَلُّ الْبَلَقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سَجْدًا لِلْحَوَافِرِ

وَجَمَعَ كَمَثَلِ اللَّيْلِ مُرْتَجِزَ الْوَعْغَى كَثِيرٍ حَوَاشِيهِ سَرِيعِ الْبَوَادِرِ

فَقَالَتْ لَيْلَى : فَقُلْتُ لِأَبِي : يَا أَبَتِ ؛ أَشْهَدْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَعَ أَبِيكَ ؟ قَالَ :
إِي وَاللَّهِ يَا بَنِيَّةُ لَقَدْ شَهِدْتَهُ . قُلْتُ : كَمْ كَانَتْ خَيْلُ أَبِيكَ هَذِهِ الَّتِي وَصَفْتَ ؟
قَالَ : ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ .

وَيُرَوِّي صَاحِبُ الْأَغَانِي أَيْضاً ^(١) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِساً
ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجْلِسٍ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا خُزْرَجِي ، فَسَأَلَهُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَنْشُدَهُ قَصِيدَةَ
قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَتَعْرِفُ رَشْماً كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لِعَمْرَةٍ وَحْشاً غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاكِبِ

فَشَرَعَ الْخُزْرَجِيُّ يَنْشُدُهَا ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَوْلِ قَيْسِ :

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِراً كَأَنْ يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقٌ ^(٢) لَا عِيبَ

فَالْتَفَتَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْآخَرِينَ وَقَالَ : هَلْ حَارِبَ حَقِيقَةَ
كَذَلِكَ ؟ فَتَصَدَّى ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَاسٍ وَقَالَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :
وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ خَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمَ سَابِعِ عَرَسِهِ ، وَعَلَيْهِ غَلَالَةٌ ، وَمَلْعَفَةٌ
مُورَسَةٌ ثُمَّ جَالِدُنَا كَمَا ذَكَرَ . وَيَسْتَمِرُّ صَاحِبُ الْأَغَانِي ، فَيَقُولُ : ذَلِكَ هُوَ مَا
حَكَى لَنَا ، وَلَكِنْ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخُزْرَجِ
حَرْبٌ إِلَّا فِي بَعَاثٍ الَّتِي كَانَتْ الْحَرْبُ فِيهِ عَنِيفَةً ، أَمَا قَتَالَهُمُ الْآخِرَ بِمَا فِيهِ
يَوْمَ الْحَدِيقَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا بِمَجْرَدِ رَمِيٍّ بِالْحِجَارَةِ أَوْ الضَّرْبِ بِالْعَصِيِّ . وَقَدْ قَالَ
زُهَيْرٌ : إِنَّهُ لَمَّا أَنْشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ فَضَالَةَ قَوْلَ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِراً كَأَنْ يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقٌ لَا عِيبَ

ضَحَكَ ، وَقَالَ : « فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَتَحَارَبُوا إِلَّا بِالرُّطَائِبِ وَالسَّعْفِ » .
وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، مَهْمَا يَكُنْ هُنَاكَ مِنْ تَحْوِيرٍ أَوْ تَغْيِيرٍ أَوْ مَبَالِغَةٍ فِي قِصَصِ
الْأَيَّامِ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَا يَعْنِينَا فِي هَذَا الْبَحْثِ ، إِنَّمَا الَّذِي يَهْمُنَا هُوَ الْقِيَمَةُ الْأَدَبِيَّةُ

(١) ج ٣ ص ٧ .

(٢) الْخَرَّاقُ : شَيْءٌ يَلْعَبُ بِهِ كَالطَّرَةِ .

للأيام وبخاصة الشعر الذي قال الجاهليون فيها . ويجب أن نذكر دائماً أن الشاعر شاعر أولاً وقبل كل شيء وليس مؤرخاً ، وأن ما يذكره في شعره من أمور تاريخية ، يجوز أن تكون حقيقية ، لكنه كشاعر فإن له الحرية الكاملة في أن يستعمل هذه الحقائق كما يشاء ، وبأية طريقة ترضي فنه . على أن المبالغة في الشعر غالباً ما تكون من وسائل جعل الشعر أكثر جاذبية وأعظم جمالاً ، وتساعد على إيراد صور رائعة تفيض حيوية وقوة . وإذا أردنا مثلاً لذلك ، فليكن بيت قيس بن الخطيم السابق :

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

ولنفرض أن تعليق صاحب الأغاني صادق ، وأنهم لم يتحاربوا حقيقة إلا بسعف النخل ، وأغصان الشجر . فإنه بالرغم من ذلك نرى أن التصوير الشعري في هذا البيت ساحر جذاب . فتخيل الشاعر الشغب البسيط ودوره فيه موقعة كبيرة يصل فيها البطل ويجول ، خيال واسع ممتاز ، وتشبيه السيف في يد المحارب بالخرق في يد اللاعب ، يوحي بأن القتال بالنسبة لهذا المحارب لم يكن إلا بمثابة لعبة رياضية محبوبة ، وأن ميدان الموقعة ك ملعب رياضي ، وأن السيف في يده كان خفيفاً ، سهل الحركة في غير مشقة ولا عسر .

وفوق هذا ، فإن الشعر - مع أنه يكون أساساً للاستمتاع به كتعبير عن عاطفة وشعور - قد يكون من وسائل الوصول إلى الحقيقة . فقد رأينا فيما سبق من أمثلة أن النقاد كانوا يعتمدون في كثير من الأحيان على الشعر في تمييز الحقائق التاريخية الصحيحة من الفاسدة .

وعلى أية حال ، فإن قصص الأيام - سواء نظر إليها من ناحية قيمتها الأدبية ، أو من ناحية ما تقدمه من مادة للمؤرخين - تمدنا على العموم ، بمعلومات قيّمة عن حروب العرب الجاهليين ، وتظهر لنا كثيراً من نواحي حياتهم الفردية والجماعية .

فهي ترينا أن كثيراً من أيام العرب لم يكن إلا مجرد نزاع بسيط ، وأن قليلاً منها هو الذي كان يرقى إلى درجة الحرب . وتبين لنا كيف كانت تحدث المنازعات بينهم ، وكيف كانوا يهيئون أنفسهم للقتال ، وكيف كانوا يعدون الأسلحة ، ويرسمون الخطط ، ويقومون بالخدع والمكايد للأعداء ، وكيف كان كل عضو في القبيلة ، يقوم بنصيبه في القتال . وتوضح ما كانوا يعدّون للنساء والأطفال والمرضى والشيوخ ، والإجراءات التي كانوا يتخذونها للدفاع عن هؤلاء ، والمحافظة على الأموال وحمايتها ساعة الخطر . وتظهر لنا كذلك أن إخلاص الفرد لقبيلته لم يكن فيه شك ، وفيها حرص القبيلة على أفرادها واضح جلي ، والعصبية ، ولحمة الدم ، والقربانة ، قوية لدرجة أن الشخص كان يستهين بالأخطار ، ويركب الصعب ، بل ويضحى بنفسه في سبيل إنقاذ قومه إذا علم أن شراً يتهددهم ، أو أمراً سيئاً يدبر ضدهم في الخفاء كما أن هذه القصص فيها نماذج كثيرة للسلوك الإنساني الرائع ، والشهامة الحقة ، لدرجة أننا قد نشعر أحياناً أنه من الصعب أن نقنع أنفسنا بأن هذا كان يحدث في زمن الجاهلية ، وأقل ما في هذه النماذج أنها تدل على أن العربي في ذلك العصر كان يقدر المثالية في السلوك والخلق ومعاملة الآخرين .

ولئن كان للأيام الفضل في إظهار الأبطال والشجعان ، وبناء مجد القبيلة ، فقد كان لها الفضل كذلك في إظهار الأدباء والشعراء ، وتخليد مآثر القوم ؛ فكانت قصصها مادة خصبة لأحاديث المجتمعات والمجالس ، كما أنها كانت منبعاً للإلهام الأدبي الرفيع ، إذ أمدت الشعراء بمادة لا تنضب لقول الشعراء ؛ فكانت الموقعة تهيج عاطفة الشاعر وتثير مشاعره ، فلا يلبث إلا أن ينطلق لسانه مصوراً هذه العواطف والمشاعر في مقاطع موسيقية عذبة . ولم تكن مشاعر الشعراء يلهمها دوران رحى القتال ، أو إراقة الدماء في ميدان الوغى فقط ، بل كانت عواطفهم الحساسة تثيرها الأعمال النبيلة التي قام بها أبطال القبيلة ، كما كانوا يذوبون أسى ولوعة إن ألم بهم أذى . وهكذا كان الشاعر يصور أحاسيسه المختلفة نحو الحرب وما يتصل بها ؛ فيصف لنا

في كلماته ما في الحروب من مأس وويلات ، أو يفتخر فيها بما ناله قومه من شرف ونصر ، أو يجعل من كلماته بلسماً شافياً لما لحقهم إن خانهم الحظ ، أو يرسلها شواظاً من حميم ، فيقض مضاجع الأعداء منذراً ومتوعداً .

وكانت كلمات الشاعر تحترق الصحراء أسرع من السهام ، وتستكن في أعماق القلوب ، ثم تنتقل من جيل إلى جيل في قوة وجدة على الدوام . فإذا كانت الأيام قد أثارت الشعراء ، وأظهرت مواهبهم ، فإن الشعراء قد وهبوا للأيام الحياة ، وضمنوا لها الخلود .

البَابُ الْأَوَّلُ

إِمْرَئِيلَ وَتَحْلِيلَ

سِرِّ الْحَرْبِ فِي الْأَرْضِ الْجَاهِلِيَّةِ

تمهيد

من المسلّم به أن الحرب من العوامل المثيرة للعواطف ؛ فهي تحرك الوجدان بمظاهرها ، وتلهب المشاعر بأحداثها ، وتذيب النفوس بآثارها ونتائجها ؛ ذلك لأن الحرب بما فيها ، وما يعقبها كلها مظاهر غير عادية ، مظاهر عنيفة مثيرة ، تؤثر في الأعصاب ، وتثير الانفعالات المختلفة ، وتجعل الشخص يحس إحساساً غريباً ، ويشعر شعوراً عميقاً يختلف كل الاختلاف عن شعوره نحو مظاهر الحياة العادية .

وإننا لنكاد نجزم بأن هذا الشعور الغريب الذي ينتاب الشخص كأثر من آثار الحرب ، لا بد أنه قد ظهر أول ما ظهر حينما وجد أول اثنين من البشر تعارضت مصالحهما ، وأبى كل منهما إلا أن يتمسك بوجهة نظره ، وآل أمرهما إلى اشتباك عنيف أو غير عنيف ، انتهى بهزيمة أحدهما وانتصار الآخر .

ومما لا شك فيه أن الشعور بالفوز قد حرك عواطف المنتصر ، وأثار وجدانه ، فتحركت مشاعره بالبهجة والسرور ، بعد أن كانت نفسه قلقة ، وإحساساته مضطربة ، وأحس نشوة الفرح ، فانطلق لسانه في زهو وعجب ، يتغنى بلذة النصر ، واصفاً ما قام به من مجهود ، وما لاقاه من متاعب ، وما انتهى إليه من فوز جعل الدنيا أمامه مملوءة بالآمال ؛ ولا شك كذلك أن المغلوب قد أثارت الهزيمة في نفسه لواعج الحزن ، ومشاعر الألم ، فثارت حفيظته ضد عدوه ، وتأججت إحساسات الحقد والنقمة نحوه ؛ فجعل يبكي

حظه ويستطيع لنفسه الأعذار علته يخفف ما يحس من آلام ، ويمني نفسه بالإيقاع بعدوته ، فيتوعدده بأشد أنواع العقاب .

وإذا كان هذا هو تأثير الحرب في الشخص العادي ، فما بال الشعراء ، وهم ذوو الإحساس المرهف ، والشعور الفياض ؟ لا بد أن يكونوا أكثر الناس تأثراً بها ، ولا بد أن يكون تأثيرها فيهم أشد وأعمق .

ويظهر أن الحرب من أقوى المظاهر التي تثير الشعراء ، وأدعائها لقول الشعر ، وفي ذلك يقول ابن سلام^(١) : « وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم . والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف » .

وقد رأينا فيما تقدم أن ظروف الحياة الجاهلية كانت ملائمة لحدوث كثير من المنازعات والحروب ، ورأينا كذلك أنه قد حدث بينهم ، فعلاً ، كثير من الحروب ، بدليل العدد الكبير من الأيام التي ورد أن العلماء السابقين تحدثوا عنها في كتبهم . ومعنى هذا أن الشعراء الجاهليين قد وجدت لديهم ، بسبب هذه الحروب العديدة ، دوافع كثيرة لقول الشعر في هذه الناحية . ولكي نعرف الصلة بين الشعراء والحروب في العصر الجاهلي يجب علينا أن نعرف مركز الشاعر الاجتماعي في ذلك العصر ، فبذلك تتضح هذه الصلة تمام الوضوح .

لقد كان النظام القبلي سائداً في ذلك العصر ، فكانت كل قبيلة قائمة بذاتها ، كل فرد منها يمثل لبنة في بناء العام ، وتعتمد القبيلة في بقائها وقوة كيانها على جميع أفرادها ، فهم في مجموعهم تتوقف حياتهم ، وهيبتهم واحترامهم ، على وحدتهم وتكاتفهم وترابطهم الوثيق ، فكان على كل منهم أن يعمل لصالح القبيلة كلها ، وعلى القبيلة في مجموعها أن تعمل لصالح كل فرد

(١) طبقات الشعراء ص ١٠٢ .

من أفرادها، وتدافع عنه، وتحميه ؛ فكان بين الفرد والقبيلة شعور بالمسئولية متبادل ، وحب وإخلاص ، وواجب مقدس ، أوجدته القرابة الدموية ، وحتمت ظروف الحياة ونسْطُها .

وقد رأينا فيما سبق أن الأخطار كانت تتهددهم في كل وقت ، وأن القوة كانت ضرورية لمن أراد أن يعيش في ذلك العصر ، حتى كان كل فرد يتمنى أن يكون الظالم لا المظلوم ، وكانت إذاعة أنباء هذه القوة من أهم العوامل لاحترام القبيلة ، وإرهاب الآخرين ، وبعث الخشية في نفوسهم ، فلا يفكرون في مهاجمتها أو الاقتراب منها .

والشاعر كان فرداً من أفراد القبيلة ، فكان عليه ما على غيره من أفراد قبيلته من الاشتراك معهم في الدفاع عنها ، والمحافظة على شرفها ، والعمل بكل ما يستطيع لرفع شأنها وإعلاء مكانتها .

ثم هو - مع ذلك - شاعر ؛ مرهف الإحساس ، سريع التأثر بما يجري حوله ، شديد الانفعال بما يحيط به ، بله الأخطار والأحداث الجسام ؛ وقد وُهب ملكة خاصة ، وحاسة خاصة ، ليست لدى الأشخاص العاديين ، يستطيع بها كذلك أن يترجم هذا الإحساس الخاص العميق إلى صور لفظية جميلة ، تستهوي الآذان ، وتبهر العقول . ومن ثم كان الشاعر أشد تأثراً بأيام قبيلته ، وأسرع انفعالاً بمظاهر قوتها وبأسها ، وخير من يصور مفاخرها تصويراً رائعاً يذيع شهرتها في أنحاء شبه الجزيرة طولاً وعرضاً .

فالشاعر كان له في الحقيقة شخصية مزدوجة : شخصية فردية جماعية ؛ فهو إنسان له شخصية فردية حساسة ، وهو إنسان في جماعة ، فله شخصية جماعية بحكم ما عليه من واجبات مادية ومعنوية نحو هذه الجماعة . فهو من الناحية الشاعرية يتصل بالحرب أشد اتصال :

أولاً : من حيث كونه فرداً قائماً بذاته ، له إحساسه الخاص ؛ فإن أحاسيسه الشخصية سوف تثيرها مظاهر الحرب بحكم كونه شخصاً شديد

التأثر سريع الانفعال .

وثانياً : من حيث كونه عضواً في القبيلة ، فإنه - بجانب ما يقوم به من الأعمال الحربية - سوف يتغنى ، في فخر وإعجاب ، بأعمال البطولة التي قام بها أهله وذووه ، ويسجل انتصارات قومه بشغف واهتمام ، لكي تكسب قبيلته شهرة دائمة في جميع الأرجاء ، وتبعد عنهم الأخطار . ولعل هذا كان من أهم الأسباب التي جعلت الشاعر الجاهلي يحتل مكانة سامية بين جميع أفرادها ، ويحظى باحترام الجميع وإعجابهم .

وقد قوى الشاعرية في الناحية الحربية ما أوجده الحسد والغيرة بين القبائل من منافسة بين الشعراء ، خصوصاً شعراء القبائل التي اشتركت في قتالٍ معاً ، أو اشتبكت في حروب بعضها ضد بعضها . فكل شاعر كان يحب أن يشيع أن قبيلته سيدة الموقف ، أو أنها المنتصرة المتفوقة ، وأنه هو خير من يجيد تصوير ذلك ، وأحسن من يتولى نشره وإذاعته وتخليده ، وطبيعي ألا يكون ذلك من شعراء الجانب المنتصر فقط ، فلئن افتخر هؤلاء ببطولتهم وشجاعتهم ، فلن يسكت شعراء الجانب المنهزم ، لأنهم لن يعدموا أن يكون لهم مفاخر كذلك ، ولن يعجزهم أن يعثروا على ما للأعداء من مآخذ ومثالب . ويمكن أن يُعتبر هذا المثير للشاعرية والدافع لقول الشعر مزيحاً من الناحيتين الفردية والقبلية في الشعر الجاهلي .

فهذه دوافع نفسية ، أوجدتها المعارك التي حدثت بين القبائل في العصر الجاهلي ، وأثارت الشعراء ، وألهبت مشاعرهم ، فنفسوا عما يحسون بترجمته إلى شعر حربي . وإذا تذكرنا ما كان يحيط بحياتهم من أخطار واقعة أو متوقعة ، وما كان لدى العربي من إكبار وتعظيم للشجاعة والبطولة والاستعداد للخطر ، فسوف لا نعجب إذا وجدنا أن معظم قصائد العصر الجاهلي ، أو كلها ، لم تخلُ واحدة منها من الحديث عن الحرب أو ما يتصل بها .

* * *

أما من ناحية الموضوعات الشعرية فإن الحروب الجاهلية قد أمدّت الشعراء بمعين لا ينضب ، وهيات لهم مجالاً واسعاً لإظهار مواهبهم الشعرية بشتى نواحيها ومختلف اتجاهاتها .

فاجتماع القبيلة أو القبائل ، وتكوين الجيش ، وتنظيم الكتائب ، ومنظر الجنود وقد لبسوا الدروع والمغافر ، وحملوا السلاح والذخائر ، وتحرك الجموع ، وتقديمهم لميدان القتال ، والطعن ، والضرب ، وسقوط القتلى ، وأذن الجرحى ، وهرب الفارين وتعقبهم ، والأسرى والسبايا ؛ كل هذه مناظر مثيرة ، تقدم للشعراء مادة لا تفنى يصوغون منها ما يشاءون من صور وألوان .

وما أظهره الشخص من بطولة وشجاعة ، وثبات وقت الشدة ، وما لاقاه من مقاومة العدو الشديد ، وما بذله من مجهود جبار للتغلب على الخصم القوي العنيد ، يعتبر أحسن موضوع للفخر الشخصي ، كما كانت أعمال القبيلة المجيدة ، وآثارها الخالدة ، وانتصاراتها في أيامها السابقة أحسن موضوع للفخر القبلي .

وإذا كانت مظاهر الانتصار ، والأعمال الحربية التي سبقته ، أحسن موضوعات الفخر ، فقد كانت كذلك خير موضوع للمدح ، فالبطولة والشجاعة والقوة وإهلاك الأعداء كانت جدرة بأن تشغل أهم جزء في المدح ، ولا عجب فما المدح إلا فخر على لسان الغير .

ولئن كان الفرد — بحكم النظام القبلي — مطالباً بمحاربة عدوّه وإضعافه ، فإن الشاعر ، فوق هذا ، كان يستطيع بشعره أن يفُت في عضده ، ويضعف روحه المعنوية بتضخيم هزيمته ، وتعظيم ما أوقعه به قومه ، وبعث الخور والضعف والاستسلام في نفسه ؛ ولا شك أن فخر الشاعر بقومه ، والإشادة بما قاموا به من بطولة ، وما حازوه من نصر ، كان يحره إلى ذكر الأعداء المنهزمين ، والمبالغة فيما لاقوه من إهانة وتعذيب ، ورميهم بكشف سيئاتهم ، وظهور ضعفهم ، مما يدمغهم بالخزي والعار . ومن الواضح أن ذلك ميدان فسيح للهجاء والذم .

وبطبيعة الحال لم يكن لشاعر القبيلة المنهزمة أن يقف مكتوف اليد ، معقود اللسان ، بل هنا كان يتجلى أهم دور له في الدفاع عن شرف القبيلة والمحافظة على كرامتها وهيبتها ؛ فكان عليه أن يثار لها بأشعار كلها قوة ترفع من شأن قومه ، وتحط من هيبة الشاخن المتطاولين ، وتكسر حدتهم ، وتطيح بغرورهم ، فيعظم مفاخر قومه ، ويعدّد انتصاراتهم السابقة ، ويحاول التخفيف من أثر الهزيمة ، ويتوعد أعداءه بالويل والثبور ، وغير ذلك مما يخيف الأعداء ويرهبهم ويرفع روح قومه ، ويشير فيهم العزة والقوة والأمل .

وإلى جانب هذه الموضوعات الكثيرة التي تقدمها الحرب لقول الشعر ، هناك موضوع آخر قوي ، يلهب حمية الشعراء ، ويشير شجونهم . ذلك هو ذكرى هؤلاء الأبطال الذين سقطوا في ميدان الشرف ، وضحوا بأنفسهم في سبيل العزة والكرامة . فكان الشاعر يحس أن هناك قوة خفية تلهمه ، ثم تدفعه إلى قول الشعر فينظم الأبيات يشيد فيها بهؤلاء الأبطال الذين وهبوا حياتهم في سبيل مجد القبيلة . وبهذه القصائد خلد هؤلاء الأبطال ، وظل دمهم المسفوح مصدر وحي وإلهام على مر الزمن .

وهكذا نستطيع أن نرى أن الحرب في الجاهلية ، قد هيأت للشاعر ميداناً فسيحاً لقول الشعر ، فأمدته بموضوعات شتى من وصف ، وفخر ، وذم ، وهجاء ، واعتذار ، وتهديد ، ورثاء .

من ذلك يتضح لنا أن أثر الحرب في الشعر والشعراء عميق واسع المدى ؛ فلقد رأينا كيف كان تأثيرها في الشاعر نفسياً ، وكيف كان الشاعر مدفوعاً تحت هذا التأثير النفسي إلى قول الشعر ، وكيف أنها هيأت للشاعر مجالاً واسعاً عريضاً فوجدت أمامه موضوعات كثيرة لقرض الشعر .

ولكن إذا كان للحرب أثر كبير في الشعر ، فلقد كان للشعر من ناحية

أخرى أثر كبير في الحرب كذلك : فحمية الشاعر ، وغيرته الشديدة وحماسه القوية ، في أبيات ولو قليلة ، كانت كفيلة بأن تثير القوم ، وتلهب غضب القبيلة ، وتجعلهم كالبركان لا يلبث أن يفور ، ويتطاير حممه ، وبقدر حرارة الأبيات وقوة المعاني تكون حماسة القوم وثورتهم .

كما كانت أبيات الشاعر من ناحية أخرى ذات أثر بالغ في تسكين القوم وتهديئة ثأرتهم ، فبعقله الكبير ، وعاطفته الصادقة الخالصة ، كانت كلماته الحكيمة الصائبة تنزل على القلوب برداً وسلاماً ، فيهدأ الغضب وتلاشى الثورة . فإذا كانت أبيات الشاعر في بعض الأحيان كشرارة تلقى في مستودع وقود ، فهي في أحيان أخرى قوة عجيبة ، تطفىء اللهب المتأجج ، وتثلج القلوب والصدور ، فيلتئم الصدع ، ويصبح الأعداء أصدقاء مخلصين .

هذا إلى أن الشاعر في ذلك الوقت كان يقوم مقام السفير بين أهله وغيرهم من القبائل الأخرى ، بحكم أنه المتحدث بلسان القبيلة ، وخير من يمثلها ، ويُفصح عن ميولها واتجاهاتها في مختلف الظروف وشتى المناسبات . فإذا علم أن شراً يُراد بهم ، أو مكيدة تُدبر ضدهم ، كان عليه ، من باب الحكمة والصواب ، أن ينذر مدبري الشر ومثيري الفتنة ، ويحذّرهم من المضي في ذلك تحاشياً لعواقبه الوخيمة ؛ فربما ردت أبياته القوم إلى صوابهم ، وحالت دون وقوع الحرب .

كما أنه من ناحية أخرى إذا علم أن العدو قد تهيأ للإغارة على قومه والإيقاع بهم ، ولا أمل في رجوعه عن السير في طريق العدوان ، فإنه في تلك الحالة كان ينبه قومه إلى الخطر المحدق بهم ، وينصحهم بالاستعداد لمقابلة الأعداء . وقد يكون لأبياته حينئذ أثر كبير في تغيير مجرى الحوادث ، فيفاجأ المغيرون بما لم يكن في حسابهم ، ويردّ كيدهم في نحورهم .

وبذلك نستطيع أن نقول إن أثر الشعر في الحرب يمكن تلخيصه فيما يلي :

١ - أن الشاعر كان في إمكانه أن يبعث الشرارة الأولى التي تشعل نيران الحرب .

٢ - كان يستطيع أن يهدي النفوس ، ويستل الغضب من القلوب فتصبح صافية متآخية .

٣ - كما كان وسيلة لإنذار مثيري الفتن ، ومدبري الشر ، وتخويفهم مما يعقب ذلك من أضرار جسيمة .

٤ - وكذلك كان وسيلة لتنبيه قومه إلى ما يببت ضدهم في الحفـاء ، واتخاذ كل ما يمكنهم من احتياطات وإجراءات .

ومن ثم تجد أن الحرب تفتح أمام الشاعر آفاقاً أخرى ، بجانب تلك الميادين الواسعة التي أشرنا إليها آنفاً . فكان للشاعر فيما يتصل بالحرب أغراض كثيرة هي : الوصف ، والفخر ، والمدح ، والرثاء ، والدم ، والاعتذار ، والتهديد ، والإثارة ، والإنذار ، والنصح ، والصلح .

والذي ينظر فيما قاله الجاهليون من شعر يتصل بالحرب يجد أن هذه الأغراض على العموم . لم يكن الشعراء يتحدثون في كل منها على حدة . بمعنى أن الشاعر إذا تحدث عن أحدها في قصيدة كان لا يتحدث عن غرض آخر معه في نفس القصيدة . بل إنها أغراض متداخلة متشابكة ؛ فكثيراً ما يكون الشاعر بصدد وصف معداته الحربية وقوته في القتال . ثم يتحدث مفتخراً بقومه . أو دائماً وهاجياً لعدوه ؛ أو يتحدث عن وصف الحرب في ثنايا النصح والإرشاد . والحقيقة أنه ليس في ذلك كبير مأخذ . فالحديث كله عن الحرب وما يتصل بها . غاية ما هنالك أنني رأيت أن أفصل هذه الأغراض تسهيلاً للبحث ، ووسيلة للاستقصاء ، لكي يمكن تحليل الشعر تحليلاً دقيقاً .

وإذا لاحظنا أن القصيدة الجاهلية تتكون من أغراض كثيرة غير الحرب ، وأن هذه الأغراض المختلفة الكثيرة في القصيدة الواحدة لا يذكر كل منها في قسم واحد خاص . بل هي مبعثرة منتشرة في كل أرجاء القصيدة . وقد يُذكر الواحد منها في أكثر من موضع . وتُفصل جزئيات الغرض الواحد

بالحديث عن جزئيات غرض آخر أو أكثر ؛ إذا لاحظنا ذلك تبين مدى الصعوبة في جميع ما قيل من شعر جاهلي يتصل بالحرب ، وإذا تذكرنا داخل الموضوعات الحربية والحديث عنها في القصيدة الواحدة ظهر لنا ما في تحليل هذه الموضوعات والأغراض من مشقة وعسر ، وخصوصاً إذا علمنا أن بعض الأبيات قد يصح أن تكون في غرض معين ، ولكنها في الوقت ذاته تصلح في غرض آخر وذلك مثلاً كأبيات الفخر التي يتحدث فيها الشاعر عن انتصارات قومه في أيامها الكثيرة ، ويذكر فيها أسماء القبائل الأخرى التي هزمها قومه ، ويسرد ما نالهم على يد أهله من خسارة وعار ، فمثل هذه الأبيات وإن كانت فخراً فإنها تصلح أن تُعَدَّ من أبيات الذم والهجاء .

لكن مهما قيل في شأن الحديث عن الحرب في القصيدة الجاهلية ، وطريقة عرض الشعراء لأفكارهم في قصائدهم ، فليس مجال بحثه الآن ، إنما المهم هو أن نعرف أن الحروب الجاهلية وما يتصل بها قد أمدت الشعراء بفيض غزير من الأفكار . وميدان فسيح مملوء بالأغراض الشعرية . كان لهم أن يصلوا فيه ويجولوا لإظهار مواهبهم الفنية وأداء وظيفتهم الشعرية .

وحديث الشعراء الجاهليين عن هذه الأغراض الحربية كلها هو ما نعنيه بشعر الحرب . ونحن في دراستنا هذه لشعر الحرب نقصد الشعر الذي له صلة بالحرب والقتال ، أي يشمل كل شعر قيل حول الحرب وما يتصل بها من قتال ، وشجاعة ، وجسارة ، وحماسة ، وقوة ، وضعف ، وجبن ، وخور ، وأسلحة ، واستعداد للخطر ، وما قيل في موقعة معينة ، حتى ولو كانت خيالية ، كهذا الذي يقال في المدح دون إشارة إلى حرب معينة بالذات ؛ ولن نقصره على ما قيل في معركة كبيرة ، بل يشمل كذلك ما قيل في المنازعات والمشاجرات ، حتى ولو كانت تافهة ، خصوصاً إذا تذكرنا ما لاحظناه في قصص الأيام من أن معظم أيام العرب في الجاهلية كان من قبيل المناوشات الفردية ، ولم يكن إلا مشاجرات بين أشخاص يعدون على أصابع اليد . ذلك لأننا لو نظرنا إلى شجار بين اثنين لوجدناه في الحقيقة صورة

مصغرة للنزاع في أكبر صورته في جميع الأزمنة والأمكنة ؛ فما المتحاربون
ولو كانت الحرب تشمل العالم بأجمعه إلا فريقان ، أحدهما ضد الآخر ،
ويمثلان شخصين كل منهما يريد أن يتغلب على زميله . غاية ما هنالك من فرق
بين الحرب العظيمة والمشاجرة البسيطة هو فرق في الدرجة فقط . وقد
يكون تأثير الإنسان على العموم . أو الشاعر على الخصوص بالمشاجرة البسيطة
أشد وأعمق من تأثيره بالحرب العظيمة . وذلك راجع إلى عوامل كثيرة أهمها
مدى صلته بالقتال .

والآن بعد أن وضع أمامنا سعة الميدان الذي كان أمام الشعراء . وتعدّد
الأغراض بسبب الحرب ، قد حان الوقت لبحث ما قاله الشعراء عن كل غرض
على حدة .

الفصل الأول

الوصف

يدخل في الوصف كل شعر حاول الشعراء فيه أن يعطوا صورة لأي شيء يتصل بالحرب. وذلك يشمل ما قاله الشعراء عن : الحرب ، والغارة ، والبطل ، والخيـل ، والإبل ، والأسلحة ، والعتاد ، والجيش ، والكتيبة ، والموقعة ، والضرب ، والطعن ، والرمي ، وما أصاب الأعداء ، والقتلى ، والجرحى ، والفارين ، والأسرى والسبـايا .

ومعظم ما قيل من شعر حول هذه الأشياء لم يكن الشعراء يقصدون به الوصف لمجرد الوصف ، بل قالوه في ثنايا أغراض أخرى كثيرة ، كالفخر ، والمدح ، والهجاء ، والتهديد ، والنصح ، والإنذار . فلم يكن الشعراء في الغالب ينشئون القصائد لتصوير هذه الأشياء كغرض أساسي ، وإنما كانوا يرمون بوصفهم لهذه الأشياء إلى أغراض أخرى أكثر أهمية في نظرهم ، كالإشادة بقوتهم ، أو تخويف أعدائهم ، أو ذكر أمجادهم أو تحقير منافسيهم .

وإنما جمعنا هذه الأوصاف المثيرة ، المبعثرة في أرجاء الأغراض الأخرى ، وأدخلناها كلها في باب الوصف ، لأنها في الحقيقة تعطي الصور التي أرادها الشعراء لهذه الأشياء في مختلف أحوالهم وظروفهم ، وليكون الحديث

عن كل منها لمجموعاً في فصل وأخذ معين يسهل الرجوع إليه ، ومعرفة جملة واحدة .

وفيا يلي سوف نحلل كل ما قاله الشعراء عن كل جزئية من هذه الجزئيات بالتفصيل ، 'مولين الصور الشعرية عناصر خاصة ، ثم نذكر بعد ذلك بعض نماذج من الأشعار التي وردت في الموضوع الذي نتحدث عنه .

١ — الحرب

لقد وصف الشعراء الحرب بأنها شرٌ كبيرٌ لا ينبغي به إلا طير الشؤم ، ساحتها خطيرة ، وهولها شديد ، طعمها مر ، وفزعها عظيم ، تغص الشيخ المجرب ، وتخلع الأفئدة ، وتطير العقول ، وتسقط الحامل ، وتشيب الولدان ، وتحبس من يصلها في أتعس الأحوال ؛ وأنها جناية عظيمة يصعب الفصل فيها ويلاتها عظيمة ، وآثارها جسيمة ، تهلك الرجال ، وتترك النساء أيامي ، والأطفال يتامى ، وتملأ القلوب حسرة ولوعة ، وتديم البكاء العويل ، ولا يقف خطرها عند حد ، ولا يقتصر ضررها على جانبيها ، بل يصلي بها كارهاها ، ويتطير شررها إلى الآمنين الوادعين : ويلقي فيها الناس من الشدة ما تنوء به القوي ، وتضعف دون حمله الجبال .

وصوروا كذلك بأنها عمل خطير ، لا يقوى عليه إلا الفقى القوي الصبور على الشدائد والمكاره ، ويلتهم الجبناء ومن ليس له أصل كريم ، ويُطيح بالمرح ذي الخيلاء الذي لا ثبات عنده ولا رزانة ؛ وأنها شيء لا يستطيعه إلا من يطلب المعالي والمجد ولا يخشاه إلا الحقير الضعيف .

وكان حديثهم عنها بهذه الأوصاف في أغراض شتى ؛ ففي مجال الإعجاب بالنفس تحدثوا عنها بأنهم أهلها ، ذوو الشجاعة والقوة ، وأنهم هم الذين يقابلون شدائدنا بقلب ثابت وصدر رحب ، ويخرجون منها ضاحكة ثغورهم ، وأنهم هم الذين يهيجون نارها ويوسعون خطرها ، ويرمون بشرها كل من عاداهم ،

وأُنهم هم الذين يضعون حدًّا لها . ويصدرون فيها القرار النهائي .
وفي مجال التعبير والذم رَمَوْا الأعداء بأنهم ليسوا من أهلها ، لا خبرة لهم
بها ، ولا يصبرون على شدائدِها وقوتها .

وفي معرض الوعيد والإنذار هَدَّوْا الأعداء بإنزال هذا الشر المستطير
الذي يستأصل شأفتهم .

كما تحدثوا عنها في أسلوب من اللوعة والحزن بسبب ما جرَّته عليهم من
الويلات وما أنزلته بهم من الحسائر . ونَسَبَ إليها الشعراء جريرة ما لحقهم
من الهزال والشحوب والشعث والضعف .

وفي مجال الصلح وصفوها على حقيقتها . وصوروها بأبشع الصور ، وأقبح
الأشكال . تنفيراً للطرفين من المضي فيها وحثاً لهم على تركها والانتفاء منها .

الصورة الشعرية للحرب (١ - ٨١) (١) .

لقد حاول الشعراء في صورهم الشعرية للحرب أن يصوروها بصور بشعة
مكروهة . مملوءة بالأخطار والمصائب . فاتخذوا من المحسوسات التي كانت في
بيئتهم ما يساعدهم على إبراز هذه الصور . وأهم ما أخذوا عنه صور الحرب
الشعرية ثلاثة أشياء : الرحى ، والنار ، وبعض أحوالهم وأحوال حيواناتهم
التي يكونون عليها ساعة الخطر ، أو الجدد ، أو الغضب ، أو العنف ، أو
القسوة والوحشية .

فالرحى يوضع فيها الحب فتطحنه طحناً ، وكذلك الحرب تجمع الناس ثم
تبيدهم وتهلكهم ، كأنها تجعلهم كالطحين في التكسير والتفتيت .

والنار تلتهم الخطب وتأتي عليه حتى يصير رماداً ، وهكذا الحرب تهلك
المتحاربين وتؤذي كل من يصيبه شررها .

(١) هذه الأرقام هي أرقام الصور الشعرية التي ذكرت نصوصها مع أسماء أصحابها
ومراجعتها في ملحق خاص بنصوص الصور الشعرية في آخر الكتاب .

والشخص يشمر غن ساقه عند الخطر علامة للجِد واستعداداً للهجوم ؛ وكذلك الحرب عندما تكون على وشك الشروع في القتال ؛ والحيوان يكشر عن أنيابه حين يشتد غضبه ويقصد إهلاك فريسته ، وهكذا الحرب عندما يراد منها إبادة العدو ؛ والناقة تُلَقِّح ثم تلد فالحرب تشبهها عندما تمتلئ بالأخطار ثم تنفرج عن آلام وويلات ؛ وعندما تبرك الناقة وتلقي بجسمها وثقلها على الأرض تفتت التراب وتقتل ما قد يكون تحتها من الحشرات ، ومثيلتها في ذلك الحرب تقع على القوم فتقتلهم بعنفها وشدة وطأتها .

أما أحوال الحرب المختلفة فقد قارنوها بأحوال مختلفة تتناسب معها فإثارة الحرب كمحاولة إشعال النار (١٩ - ٢٢) واستدراار لبن الناقة (٧٣ - ٧٤) ؛ وإعلانها وجدِّيَّتُها كتجرد الإنسان من ملابسه (٤٥) ؛ ونشوبها بين القوم كشبوب النار في الخطب (١٨ - ٢٠) ؛ والحرب الأولى كالناقة البكر (٦٩) ؛ وتكرارها وقوتها كالناقة المسنة (٧٠) ؛ واشتدادها كالنار المستعرة (٢٣ - ٢٧) ؛ وقوتها كإيقاد النار بالخير المجرب (٢٩) ؛ وكإضرار النار (٢٧) ؛ وإحراق الخطب الجزل (٢٣ ، ٣٦ ، ٦٥ ، ٦٦) ؛ وانتشارها وامتداد خطرها كسطوع النار (٣٣ - ٣٤) ؛ وإصابتها الأبرياء كعدوى الأجرِبِ الصحيح (٣٩) .

وُسِّبَ عُنْفُهَا بإظهار الأنياب (٤٦ - ٥٢) ؛ وامتلاؤها بالأخطار سُبِّهَ باللاقح (٥٣ - ٥٥) ؛ وقسوة هذه الأخطار باللاقح عن حيال ، إذ يكون الولد أشد (٥٦ - ٥٧) .

كما شَبِّهت إثارَتها بعد انتهائها بإثارة الناقة بعد شد عقالها (٧١) ؛ وإعادتها بعد خمودها بحرارة النار بعد برودتها (٣٢) ؛ وتكرارها سُبِّهَ بالعوان التي نتجت بعد بطنها الأول (٦٠ - ٦٧) ؛ واستمرارها بتجديد توهج النار كلما قاربت أن تخمد كنيران الفصح (٣٥) .

ونتائجها حيث تنجلي عن أشد المصائب والنكبات ، وازدياد ويلاتها بمرور

الزمن صُوّر كل ذلك بإنتاج أشأم الغلمان وإرضاعهم وإفطامهم (٨١) . وقد قورن إهلاكها الجميع بالعقم (٥٩) حيث إنهم يسمون الأبطال بأبناء الحرب ، فكأنها بإهلاكهم تصبح عقيماً لا ولد لها . كما قورن ما يحسه الناس منها بالألم الشديد (٣٨) وبالحمل الثقيل (٩) .

وبجانب هذه الصور الكثيرة التي دار استعمالها على ألسنة الشعراء تجد صوراً أخرى لها لم يستعملها الشعراء كثيراً : كتشبيهها بالطعم المر (١) ، والطعام الوبيل (٢) ، والكلاً المستوخم (٣) ، ومورد الماء (٥) ، والسوق (٦-٨) .

وشبهوا من يملك زمامها ويدير شؤونها في دقة وحزم بمن يمسك سجل البئر يتحكم فيه ويصرفه كيف يشاء (٤) ؛ وشبه من يتغلب عليها وينتصر فيها مع شدتها وفضاعتها بمن يُلقح الناقة المبسورة^(١) الضرزنية^(٢) حتى يُذل إباءها (٧٥) .

كما أنهم بجانب تشبيهها بالأشياء المحسوسة ، شبهوها ببعض التخيلات التي لا وجود لها . ولكنها بشعة مخيفة كالغول (٣٧) ، وببعض خيالات وتصورات مفزعة (٧٨) ؛ وشبهوا أثر وقعها الشديد على الناس وما يصيرون إليه من حيرة وارتباك حتى إنهم لا يستطيعون التفكير الصحيح بمن يُضلل الناس (٧٩) في تمويه الحق بالباطل والخلط بين الأمور .

بعض ما قاله الجاهليون في الحرب :

١ - قال زهير في معلقته :

وما الحربُ إلا ما عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجُمِ^(٣)

(١) يقال بسر الفحل الناقة : إذا ضربها وتغلب عليها .

(٢) الضرزنية : العاصية ،

(٣) الحديث المرجم : الذي يرجم فيه بالظنون .

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضُرُّ إِذَا ضُرَّ يَتَمُوها فَتَضُرُّمُ ^(١)
فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكُ الرِّحَى بِثِقَالِهَا وَتَلْقَحُ كَشَافاً تُنْتِجُ فَتُتِّمُّ ^(٢)
فَتَنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلِّهِمْ كَأَحْمَرِ عَادِ ثُمَّ تَرْضَعُ فَتُفْطِمُ ^(٣)
فَتُغْلِلَ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهِمِ

٢ - وقال عمرو بن كلثوم في معلقته : -

مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُونُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا ^(٤)
يَكُونُ ثِقَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُحُوتُهَا قَضَاعَةٌ أَجْمَعِينَا ^(٥)
نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَأَعْجَلْنَا الْقِرَى أَنْ تَشْتَمُونَا
قَرِينَا كَمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قَبِيلَ الصَّبْحِ مِرْدَاةَ طَحُونَا ^(٦)

٣ - وقال أبو قيس بن الأسلت ^(٧) : -

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدِ لِقِيلَ الْخَنَانَا مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي

(١) الضرى : شدة الاشتعال . والضرم : الالتهاب .

(٢) الثقال : خرقعة أو جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الطحين ، واللقح واللاقح : حمل الولد . والكشاف : أن تلقح في السنة مرتين . والإتآم : أن تلد الأنثى توأمين .

(٣) الشؤم : ضد اليمن . أحمر عاد : أراد أحمر ثود وهو عاقر الناقة واسمه قدار بن سالف .

(٤) أراد بالرحى : رحى الحرب .

(٥) اللهوة : القبض من الحب تلقى في فم الرحى .

(٦) المرداة : الصخرة التي يكسر بها الصخور ، والمراد حرب تهلكهم .

(٧) المفضليات ص ٥٦٤ .

أُنْكِرْتَهُ حِينَ تَوَسَّمتَهُ والحربُ غول ذات أوجاع^(١)
من يذوق الحرب يَجِدُ طَعْمَهَا مُرّاً وَتَحْبِيسُهُ بِجَعَجَاع^(٢)
قَدْ حَصَّتْ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ غُمُضاً غَيْرَ تَهْجَاع^(٣)

٤ - وقال آخر^(٤) :

الشرُّ يبدؤه في الأصل أصغرُهُ وليسَ يَصِلُ بنارِ الحربِ جانِبُهَا
الحربُ يَلْحَقُ فيها الكارهُونَ كما تَدنو الصَّحاحُ إلى الجَرَبِ فتُعْديها

٢ - الغارة

المقصود بالغارة ذلك النوع من الهجوم الذي يشنه قوم على آخرين بغتة ، ويعملون كل ما في جهمهم لإخفاء أخباره خشية أن تتسرب إلى القوم المقصودين بالغارة .

وقد كانت الغارات ميداناً فسيحاً لقول الشعر . فقال فيها الشعراء الكثير . ومن بين ثنايا أشعارهم نستطيع أن نعرف أشياء كثيرة عن غارات العرب في العصر الجاهلي .

فتدل أشعارهم على أن الباعث على الغارة كان الرغبة في سلب الأموال ونهبها ، وسبي النساء وأسر الرجال طمعاً في الفدية ، وكانوا يرغبون في ذلك إما للثروة ، وإما للمتعة ، وإما لإظهار الشجاعة والبأس والقوة وإضعاف الآخرين والنيل من شرفهم ، حتى يرهبهم الناس ، ولا يفكر أحد في غزوهم .

(١) الغول : ما يغتال الأشياء ويذهب بها .

(٢) الجعجاع : الحبس في المكان الغليظ .

(٣) حصته : أذهبت شعره ونشرته لطول مكثها على رأسه .

(٤) الحماسة ص ١٩٩ .

قال المثقب العبدى (١) :

وَنَحْمِي عَلَى الشَّعْرِ الْمَخُوفِ وَيُتَقَى بَغَارَتَنَا كَيْدُ الْعِدَا وَضِيُومُهَا
صَبَرْنَا لَهَا حَتَّى تَفَرَّجَ بَأْسُنَا وَفِئْنَا لَنَا أَسْلَابُهَا وَعَظِيمُهَا

وفي كثير من الأحيان كانوا يقومون بالغارة انتقاماً من المعتدي ، وأخذاً
بالتأثر منه جزاء إساءته . قال طفيل الغنوي (٢) :

أَغْرَنَّا إِذْ أَغَارَ الْمَلِكُ فِينَا مَنَالاً وَالْقِيَابَ مَعَ الْقِيَابِ
عِقَاباً بَابِنَ عَائِدَةَ بْنِ عَبْدِ وَكُنَّا فِي الْعَدُوِّ ذَوِي عِقَابِ

ويخبرنا الشعراء في أشعارهم أن نزول الغيث بعد القحط والجذب كان
مثيراً لمخيتهم ، وأن زمن المراعي والخصب كان موسماً لغاراتهم . فهناك أقوال
كثيرة في الأدب العربي القديم تدل على أن وفرة الماء والمراعي التي توجد بسبب
المطر الذي يحدث في الخريف والشتاء كانت تشجع القيام بالغارات ، ومهاجمة
القبائل بعضها بعضاً . قال الشاعر :

إِنَّ الذَّنَابَ قَدْ اخْضَرَّتْ بِرَائِثِهَا وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَكَرٌ إِذَا شَبِعُوا

وقال طفيل الغنوي (٣) :

وَكُنَّا إِذَا مَا اغْتَفَّتِ الْخَيْلُ غَفَّةً^(٤) تَجَرَّدَ طَلَّابُ التَّرَاتِ مُطَلَّبَ

(١) شعراء النصرانية ص ٤١٥ .

(٢) ديوانه ص ٥٥ .

(٣) ديوانه ص ٢٦ بيت ٤٠ .

(٤) الغفة : البلغة من العيش ، واغتفت الدابة أصابت غفة من الربيع ، أو إذا سمعت
بعض الشيء .

وقال آخر :

قَوْمٌ إِذَا نَبَتَ الرَّبِيعُ لَهُمْ نَبَتَتْ عَدَاوَتُهُمْ مَعَ الْبَقْلِ

وقال خراشة بن عمرو العبسي (١) :

فَلَا قَوْمَ إِلَّا نَحْنُ خَيْرُ سِيَاسَةٍ وَخَيْرُ بَقِيَّاتٍ بَقِيْنِ وَأَوَّلَا
وَأَطْوَلُ فِي دَارِ الْحِفَاظِ إِقَامَةً وَأَرْبَطُ أَحْلَامَا إِذَا الْبَقْلُ أَجْهَلَا

فالشاعر يريد بالبیت الأخير هنا أنهم أثبت القوم وأرزنهم عقلاً، وأكثرهم روية واتزاناً إذا حمل البقل الناس على أن يجهلوا. وقد عقب شارح المفضليات على ذلك بقوله : « إذا كان الربيع وأمكنك المياه والبقل تذكروا الذحول وطلبوا الأوتار لإمكان البقل والماء » .

وربما كان الخصب ووفرة الماء والمراعي من دواعي القيام بالغارات :

١ - لتذكر الترات والرغبة في الأخذ بالثأر من المعتدين كما يقول شارح المفضليات ولعل السبب في تذكر الإحن والعداوات في ذلك الوقت بالخصوص أن الخصب والرعي مما يساعد المرء على الهدوء النفسي والاستقرار الداخلي ، وذلك بطبيعة الحال له تأثير كبير في العقل وتفكيره ، إذ يعطيه فرصة طيبة للتفكير في أشياء كثيرة كطلب الغنى ، وزيادة الثروة ، والانتقام من المسيء .

٢ - أو لأنهم كانوا في ذلك الوقت يتسابقون إلى امتلاك أكبر مساحة من المراعي ، فيضطروهم ذلك إلى الاشتباك مع الآخرين ، أو أخذهم على غرة لكي يتخلوا لهم عن المكان الذي سبقوهم إليه .

٣ - أو لأنهم كانوا في ذلك الوقت لا يتكبدون مشاق السفر وآلام الغزو التي يعانونها في زمن آخر كزمن الصيف والقحط إذ يكون الحر شديداً ، والمثونة قليلة ، ففي زمن الخصب عقب المطر تكون المياه متوفرة لم تتشربها

(١) المفضليات ص ٨٢٣ .

مسام الأرض ولم تتبخر كلها بعد ، والمناخ معتدل ، والجو منعش ، فلا تنتقل بين الأماكن محبوب ، وبخاصة للغارة ، لأنها كانت مصدر الراحة النفسية إذا كانت للأخذ بالثأر أو الغنى والثروة ، أو الرهبة وإظهار القوة .

٤ - أو لأن القبائل في ذلك الحين ربما تكون مقسمة إلى عدة جماعات كل منها تنتجع مكاناً ما حيث ترعى ماشيتها ، فليسوا مجتمعين في ديارهم ومنازلهم ومن السهل حينئذ التغلب على كل منها بمفرده وسلب أمواله .

٥ - وإما لأن تأثير القحط كان عليهم شديداً ، يعانون من الجوع وهلاك الماشية بسببه ، فينتهزون فرصة الخصب للإغارة كي يعوضوا ما فقدوه .

٦ - وإما لأنهم كانوا يرغبون في الغنى واستكثار الأموال بنهب أنعام الآخرين في ذلك الوقت الذي لن يصعب عليهم فيه أن يطعموها الوفرة المراعي .

وكان الهجوم في الغارة يحدث عادة أول النهار في الصباح المبكر ، حتى إنهم سمو الغارة « الصباح » وأطلقوا على كل فتى شجاع « فتى الصباح » ، وقالوا : « صبحنا » في معنى « أغرنا » . ومعنى هذا أنهم كانوا يبدؤون السير للغارة ليلاً لكي يصلوا إلى القوم المقصودين بالغارة صباحاً . قال زيد الخيل في معرض حديثه عن إغارته على بني الصيداء (١) :

بِتْنَا نَزَجِي نَحْوَهُمْ ضَمْرَا مَعْرِوْفَةَ الْأَنْسَابِ مِنْ مَنَسِرِ
حَتَّى صَبَحْنَاهُمْ بِهَا غَدْوَةً نَقْتُلُهُمْ قَسْرًا عَلَى ضَمَرِ

وقال زهير في مدح هرم بن سنان (٢) .

إِذَا أَدْلَجُوا (٣) لِحَوَالِ الْغَوَا رِ لَمْ تُؤْلَفِ فِي الْقَوْمِ نَكْسَا ضَيْلَا

(١) الأغاني ج ١٦ ص ٤٧ .

(٢) العقد الثمين ص ٨٧ .

(٣) الإدلاج : السير من أول الليل .

وربما كان اختيارهم الصباح المبكر وقتاً للغارة ؛ لأن القوم في ذلك الوقت يكونون مستغرقين في النوم ، لأن النوم عادة يلد حينئذ ؛ هذا إلى أن الصباح يكون قد بدأ بنشر أشعة النور على الأرض ، وأخذ ظلام الليل يتبدد فتسهل رؤية الأنعام ؛ وهذه عادة تكون قد استوفت حظها من الراحة طول الليل ، فتكون في ذلك الوقت أنشط وأقوى على الجري ، خصوصاً أنها ربما تكون جائعة لعدم تناولها طعاماً في الليل مما يجعلها تزيد في السرعة كأنها ذاهبة إلى المرعى ؛ وإلى جانب ذلك فإن الجو في هذا الوقت يكون هادئاً والسكون شاملاً مما يساعد المغيرين على سماع أية حركة من جانب القوم المقصودين بالغارة ؛ وفوق هذا فإن الهجوم عليهم لو تيقظوا حينئذ فلن يكونوا في حالة عادية من النشاط ، بل يكونون كسالى خاملين لم ينفضوا غبار النوم ، فما زالت أجسامهم هامدة ، وأعينهم فيها آثار النوم ، هذا إلى أن مفاجأة المغيرين للقوم وهم على تلك الحالة ربما تسبب لهم صدمة قوية تملأ قلوبهم فزعاً ورعباً ، وتجعل الدهشة تستولي عليهم ، فيقعون في حيرة وارتباك لا يدرون ماذا يفعلون ، وقد يتخيرون ، وهم على تلك الحال ، وسيلة تؤدي عكس المقصود ، خاصة إذا قارنا حالهم هذه بحال القوم المغيرين الذين وضعوا الخطط المحكمة ، واتخذوا الاحتياطات اللازمة لتنفيذ أغراضهم ، فهم على العموم أحسن حالاً من أولئك القوم المقصودين بالغارة في ذلك الوقت . ولذلك كان الثبات حينئذ ورباطة الجأش ، والوقوف في وجه المغيرين بشجاعة من أعظم مجالات المدح والفخر .

وكان نجاح الغارة يتوقف على عنصر السريّة والمفاجأة ، وعادة كان الهجوم في الغارة يسبقه عيون يتقدمون المغيرين ليستطلعوا أخبار القوم .

فإذا سارت الغارة وفق الخطة الموضوعة ونجح أصحابها في المحافظة على سريتها فإن القوم المهاجم عليهم يفاجئون بوجود المغيرين بينهم ، قال المرقش الأكبر (١) :

(١) الفضليات ص ٤٨٢ .

فَمَا شَعَرَ الْقَوْمُ حَتَّى رَأَوْا بَيَاضَ الْقَوَانِسِ فَوْقَ الْغُرَرِ^(١)
وقال عنتره^(٢) :

وَمَا نَذَرُوا حَتَّى غَشِينَا بُيُوتَهُمْ بَغِيْبَةً مَوْتٍ مُسْبِلٍ الْوَدْقِ مُزْعِفٍ^(٣)

وفي هذه الحالة كان النصر عادة في جانب المغيرين. ولكن في بعض الأحيان كانت الأخبار تتسرب إلى القوم المقصودين بالغارة، وحينئذ كان هؤلاء بطبيعة الحال يستعدون استعداداً كاملاً للإيقاع بمن يريد الإيقاع بهم. وعند ذلك تكون النتيجة للجانب الأقوى، وكثيراً ما كان السوء يحقق بمدبري الغارة، وتحل بهم الهزيمة المنكرة وهنا نرى شاعر القوم الذين قاموا بالغارة ثم فشلوا، يتحدث، في لوحة وأسى، عن الأذى الذي لحقهم، والألم الذي حاق بهم، ويحاول أن يلمس لقومه العذر عن فشلهم، كما نرى المهجوم عليهم المنتصرين يتيهون عجباً وزهواً، وتنطلق ألسنة شعرائهم 'يحيون' أبطالهم، ويفخرون بما قاموا به من ألوان الشجاعة والبطولة.

وقد كانت الغارات على العموم مجالاً للفخر والمدح لأنها في نظرهم كانت تدل على القوة والبطولة والمهارة. وكانت كثرة الغارات، وتطويل مدتها حتى تنهك الخيل، وشنها في الأوقات الصعبة كالقيظ الشديد ووقت المجاعة والقحط من أحسن مواضع المدح في الشعر الجاهلي، لأنها كانت توحى بعظمة المدوح، وشدة بأسه، وقوته.

وكذلك تحدث الشعراء عن الغارات في معرض إنذار قومهم بمجيء العدو إليهم، ناصحين لهم باتخاذ الحيطة والاستعداد بكل الوسائل حتى يردوا كيدهم في نحورهم.

(١) القوانس : أعلى البيض.

(٢) العقد الثمين ص ٤٠.

(٣) نذروا : علموا. غيبة موت : موت كان غائباً عنهم. مسبل الودق : ممطر، وهذا كناية عن انصباب الموت فوق رؤوسهم. مزعف : قاتل من السم.

الصور الشعرية للغارة (٨٢ - ٩٢) :

وهنا نجد هذه الصور مشابهة لتلك التي استعملت لوصف الحرب ؛ وفي الحقيقة - كما سبق أن قلنا - لا فرق هناك بين الحرب والغارة إلا في سرية الغارة ومفاجأتها القوم المقصودين بالهجوم . فالغارة تصبح حرباً بمجرد أن يشتبك الطرفان في القتال . ولهذا فإن الصور التي استعملت في الحرب قد استعمل معظمها في الحديث عن الغارة ، فقالوا : لقت الغارة (٩٠) ، وبركت عليهم (٩١) ، وهي نار (٩٢) .

ولأن الغارة كانت تحدث ، عادة ، في الصباح ، 'شبهت على سبيل التهمك « بالصبح » وهو شرب الخمر في الصباح ، ولزيادة التهمك شبهت بالصهباء الصّرف من الخمر (٨٢) كأن المهجوم عليهم تمتعوا بما أوقعته بهم الغارة تتشعّمهم بصبح مثل هذه الخمر .

والغارة تهلك القوم فشبهت بالسام (٨٣) والكأس المملوءة بالسّم الثميل (٨٤) في شدة القضاء على من ينال جرعة منها ، وقد شبهت آثارها السيئة بالمرارة التي تعقب كأس السم (٨٥) .

وشبهت جماعات المغيرين بجماعات الجرّاد (٨٦) ، وجراد الريح (٨٧) في الهجوم بشدة وعلى فجأة .

كما أن رغبة المغيرين في الحصول على الغنائم وحركتهم السريعة وقوة هجومهم وشدة قتالهم قد شبهت بحال الجرّاد السارح في الضحى أو الصيف يلتهم أوراق الأشجار (٨٨ - ٨٩) .

نماذج شعرية للغارة :

١ - قال عامر بن الطفيل ، في غارة لهم على همدان (١) :

(١) ديوانه ص ١٥٠ .

لِلَّهِ غَارُتُنَا وَالْمَحَلُّ قَدْ شُجِّيتُ مِنْهُ الْبِلَادُ فَصَارَ الْأَفْقُ عُرْيَانًا^(١)
 حَتَّى صَبَبْنَا عَلَى هَمْدَانٍ صَيِّقَةً سُورَ الْكِلَابِ وَمَا كَانُوا لَنَا شَانًا^(٢)
 فَظَلَّ بِالْقَاعِ يَوْمَ لَمْ نَدْعُ كَنْدًا إِلَّا ضَرْبَنَا، وَلَا وَجْهًا وَلَا شَانًا^(٣)
 ثُمَّ نَزَعْنَا وَمَا انْفَكَّتْ شَقَاوَتُهُمْ حَتَّى سَقَيْنَا أَنَا يَدِيَا وَخَرَصَانَا^(٤)
 وَمَا أَرَدْنَا هُمْ عَنْ غَيْرِ مَعْذِرَةٍ مِنَّا وَلَكِنَّهُ قَدْ كَانَ مَا كَانَا^(٥)
 سِرُّنَا نُرِيدُ بَنِي نَهْدٍ وَإِخْوَتَهُمْ جَرْمًا، وَلَكِنْ أَرَادَ اللَّهُ هَمْدَانَا

٢ - وقال طفيل الغنوي في غارة لهم على طيء^(٦) :

أَلَا هَلْ أَتَى أَهْلَ الْحِجَازِ مُغَارُنَا وَمِنْ دُونِهِمْ أَهْلُ الْجَنَابِ فَأَيَّابُ
 شَامِيَةٌ إِنْ الشَّامِيَّ دَارُهُ تَشَقُّ عَلَى دَارِ الْيَمَانِيِّ وَتَشْغَبُ^(٧)
 فَتَأْتِيهِمُ الْأَنْبَاءُ عَنَا وَحَمْلُهَا خَفِيفٌ مَعَ الرُّكْبِ الْمَخْفِيِّ يَلْحَبُ^(٨)
 وَفَرُّنَا لِأَقْوَامِ بَنِيهِمْ وَمَالِهِمْ وَلَوْلَا الْقِيَادُ الْمُسْتَتَبُ لَأُعْزَبُوا^(٩)

(١) المحل : القحط . شجيت : امتلأت . عريان : أي من الغيم والنباتات . ويقصد بالأفق
 فواحي الأرض والسماء .
 (٢) صيقة : ذات صيق وهو الغبار .
 (٣) القاع : الأرض الحرة الطين المستوية تمسك الماء . والشان هنا : مجرى الدموع .
 والكتد : العنق .

(٤) الخرصان : الرماح ، مفردة خرص ويطلق على السنان أيضاً .

(٥) معذرة : عذر .

(٦) ديوانه ص ٢٠ .

(٧) تشغب : تهيج الشر عليهم .

(٨) يلحب : يسرع .

(٩) المستتب : المهلك . أعزبوا : بعدوا وذهبوا .

بجي إذا قيل اركبوا لم يقل لهم
 ولكن يجاب المستغيث وخيلهم
 فباتوا يسنون الزجاج كأنهم
 وخيل كأمثال السراح مصونة
 إذا خرجت يوماً أعيدت كأنها
 فرحنا بأسراهم مع النهب بعدما
 ونلنا بقتلانا من القوم مثلهم
 وبالمردفات بعد أنعم عيشة
 عذاري يسجن الذبول كأنها
 إلى كل فرع من ذؤابة طيء
 وبالبيضة الموقوع وسط عقارنا
 عوا وير يخنشون الردى: أين يركب (١)
 عليها حماة بالمنية تضرب
 إذا ما تنادوا خشرم متحدب (٢)
 ذخائر ما أبقى الغراب ومذهب (٣)
 عوا كف طير في السماء تقلب
 صبحناهم مملومة لا تكذب
 وبالموثق المكلوب منامكلب (٤)
 على عدواء والعيون تصبب (٥)
 مع القوم ينصفن العضاريط ربرب (٦)
 إذا نسبت أو قيل من يتنسب
 نهاب تداعى وسطه الخيل منهب (٧)

(١) العواير : جمع عوار وهو الضعيف الجبان .

(٢) الزجاج جمع زج وهو الحديد في أسفل الرمح ، ونصل السهم . والخشرم : جماعة من النحل والزناير . متحدب : مكب على العمل كثير الحركة والنشاط .

(٣) السراح : جمع سرحان وهو الذئب .

(٤) المكلب : المقيد .

(٥) العدواء : المركب غير المطمئن .

(٦) ينصفن : يخدمن . والعضاريط : جمع عضرط وعضروط وهو الخادم على طعام بطنه والأجير . والربرب : القطيع من بقر الوحش .

(٧) البيضة : الأرض البيضاء الملساء . والعقار : المنزل .

٣ - وقال الأعشى في مدائحه (١) :

هُوَ دَانَ الرَّبَّابَ إِذْ كَرُّهُوَ الدَّيْنِ دِرَاكَ بِغَزْوَةٍ وَصِيَالٍ^(٢)
ثُمَّ أَسْقَاهُمْ عَلَى نَفْدِ الْعَيْشِ فَأَرْوَى ذَنْوبَ رِفْدٍ مُحَالٍ^(٣)
فَخِمَةٌ يَلْجَأُ الْمُضَافُ إِلَيْهَا وَرَعَالًا مَوْصُولَةٌ بِرَعَالٍ^(٤)
تُخْرِجُ الشَّيْخَ مِنْ بَنِيهِ وَتُلَوِّي بَلْبُونِ الْمِعْزَابَةِ الْمِعْزَالِ^(٥)
ثُمَّ دَانَتْ بَعْدُ الرَّبَّابُ وَكَانَتْ كَعَذَابٍ عُقُوبَةُ الْأَقْوَالِ^(٦)
عَنْ تَمَنٍّ وَطُولِ حَبْسٍ وَتَجْمِيعِ شَتَاتٍ وَرِحْلَةٍ وَاحْتِمَالِ^(٧)
مِنْ نَوَاصِي دُودَانَ إِذْ كَرُّهُوَ الْبَأْسُ سَ وَذُبْيَانٍ وَالْهَجَانِ الْغَوَالِي^(٨)
ثُمَّ وَصَلَتْ صِرَّةٌ بِرَبِيعٍ حِينَ صَرُفَتْ حَالَةً عَنْ حَالٍ^(٩)

(١) ديوانه : القصيدة رقم ١ من البيت رقم ٦٣ .

(٢) دان الرباب : حملهم على الطاعة حين كرهوا الطاعة بغزوه إياهم وهجومه عليهم وقتالهم .

(٣) نفد العيش : بقصد نفدت الآجال . ذنوب رfid : ملء قدح القرى . محال : مصبوب . والمراد سقاهاهم كأس الموت مسفوحاً .

(٤) فخمة : كتيبة ضخمة . المضاف : اللاجئ والمستجير . الرعال : جمع رعلة وهي القطعة من الخيل .

(٥) تلوي : تذهب . اللبون : الذقة ذات اللبن . المعزابة : الذي يعزب بإبله ويبعد بها في المرعى . المعزال : الذي لا يخالط الناس .

(٦) الأقوال : الملوك كالأقيال .

(٧) الاحتمال : الارتحال .

(٨) دودان : قبيلة من أسد . النواصي : جمع ناصية وهي الرأس . البأس : القتال . الهجان : الخيار من كل شيء .

(٩) الصرة : شدة البرد في الشتاء . صرفت : بدلت .

رَبِّ رَفَدٍ هُرْقَتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأُشْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالٍ ^(١)
 وَشُيُوخَ حَرْبِي بِشَطْطِي أُرِيكَ وَنِسَاءً كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِي ^(٢)
 وَشَرِيكِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَا لَ وَكَانَا مُحَالِفِي إِقْلَالٍ
 قَسَمَا الطَّارِفَ التَّلِيدَ مِنَ الْغَنِّ مَ فَأَبَا كَلَاهَا ذُو مَالٍ ^(٣)
 لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكَ ثُمَّ لَا زَا تَ لَهُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ

٢ - وقال عامر بن الطفيل معبراً عن الألم العميق الذي نزل به بسبب فشله في إغاراته على خثعم الذين علموا بأخبار الغارة من قبيلة سلول ^(٤) .

أَيَا لَهْفِي عَلَى مَا ضَلَّ سَعْيِي وَسَيَّرِي فِي الْهَوَا جَرِ مَا أَقِيلُ
 فَإِنْ الْحَيَّ خَثْعَمَ أَحْرَزْتَهُمْ رَمَاحُهُمْ وَتُنْذِرُهُمْ سَلُولُ
 بِمَخْرَجِنَا فَلَا نَخْفَى عَلَيْهِمْ وَيَأْتِيهِمْ بِعَوْرَتِنَا الدَّلِيلُ ^(٥)
 وَلَوْ أَنِّي أَطَعْتُ لَكَانَ مِنِّي مُدْرِكُ أَكْلَبَ يَوْمٌ طَوِيلٌ ^(٦)

(١) الرفد : القدح الضخم ويكنى باراقته عن الموت . أقتال : أصحاب تراث ، جمع قتل وهو العدو .

(٢) حربى : جمع حريب وهو من حرب ماله أي سلبه . السعالي : الغيلان وشبه النساء بها من أثر الذلة .

(٣) الطارف : الجديد . والتلید : القديم ، أي كان قديماً موروثاً عند أصحابه فأصبح جديداً مستحدثاً عندهما .

(٤) ديوانه ص ١٤٠ .

(٥) العورة : موضع الوصول إلى القوم وهو الشفر .

(٦) مدرك أكلب : هو أبو أنس بن مدرك فارس خثعم . يوم طويل أي من الشر فهو أطول ما يكون عندهم .

ولكني عصيتُ وكانَ جَهْلًا بِهِمْ ألا يُبالوا ما أقول
يلومني الذين تركتُ خلفي ويعصيني الذين بهم أصول

٣ - البطل

مما ذكره الشعراء الجاهليون عن صفات البطل وهو ذلك الشخص الذي كانوا يعدونه ذخيرة لوقت الخطر وأهلاً للاعتماد عليه في القتال ، نجد أنهم كانوا يتصورون فيه « الرجل الكامل » بمعنى الكلمة ، أو بعبارة أخرى « الشخص المثالي » الحقيقي . ومع أن المقصود من البطل الناحية التي تتصل بالحرب وهي القوة والشجاعة ، فقد وصفوه فوق ذلك بصفات أخرى لو اجتمعت كلها لكان شخصاً كاملاً في الخلق والخلق والصفات والعادات . ويظهر أنهم كانوا لا يعنون بالقوة القوة الجسمية فحسب ، بل ما يشمل أيضاً القوة في العقل ، والقوة في الخلق ، والقوة في الشرف والكرامة .

فالصفات المذكورة هنا كلها مأخوذة من أقوال الشعراء حينما يتحدثون عن البطل الذي تعز به القبيلة وتتخذهُ «عدة» لها في الشدائد ، وعماداً تبني عليه صرح مجدها وعظمتها . وقد نجد من بين هذه الصفات ما لا يتصل مباشرة بمهمة البطل الحربية، ولكنها على أية حال تضم كل ما نسبته الشعراء الجاهليون إلى أبطالهم فكأنهم كانوا يريدون من الأبطال الكمال - لا من الناحية الحربية فحسب ، بل في جميع النواحي .

وسنحاول هنا أن نذكر بالتفصيل ما وصف به الشعراء أبطالهم المثاليين؛ واستيعاباً للموضوع جعلناه أنواعاً هي : -

(أ) ما يتصل بالأصل والناحية الجسمية .

(ب) ما يتصل بالناحية الخلقية العامة .

(ح) ما يتصل بالشجاعة ورباطة الجأش .

(د) ما يتصل بالمقدرة الحربية .

أولاً : الأصل والناحية الجسميّة :

لقد اهتم الشعراء في حديثهم عن الأبطال بالأصل والنسب : فوصفوهم بكرم المحتد وطيب العنصر ؛ فالبطل الحقيقي من كان نبيل النسب من آباء كرماء ومن أصل عربي عريق ، لم يختلط نسبه ، وإلا كان ناقصاً ، ولذلك أنفوا أن يلحقوا أولادَ الإمام بنسبهم ، ويروي التاريخ أنه لولا ما أظهره عنتر بن شداد من البطولة والشهامة لما استلحقه أبوه بنسبه. وقد ورد أن عدم إلحاق عنتره بقومه في النسب كان له أثر كبير في نفسه جعله يفخر ببطولته ، مؤكداً أن شجاعته وبأسه خير مما فاته من النسب العريق ؛ من ذلك قوله :

إني امرؤ من خير عبس منصبا شطري وأحمي سائري بالمنصل
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيراً من معمّ مخول^(١)

فكان شرف الأصل من أهمّ خصائص الشخص الكامل ؛ أما من كان خسيس النسب فلا يصل إلى مرتبة الكمال ، ولا يعتبر على أية حال مثل الأصل ، فذو النسب العريق هو المحترم المبجل ، وهو أهل لأن يخاصم ويقارع ويقتص منه . والأدب الجاهلي مملوء بالحديث عن شرف الدم وأنه هو الذي له كل تقدير ، صاحبه كفاء لكل شيء ؛ صداقته غنم عظيم ، وخصامه شرف كبير ، ومحاربته زهو وعجب ، وقتله في الثأر شفاء ورضى للموتورين . فمن المدح بذلك قول زهير بن أبي سلمى^(٢) :

وإن يُقتلوا فيُشتفى بدمائهم وكانوا قديماً من منايهم القتل
ومن الفخر قول دريد بن الصمة^(٣) :

يغار علينا واترين فيُشتفى بنا إن أصبنا ، أو نُغیر علی وتر

(١) شعراء النصرانية ص ٧٩٥ .

(٢) العقد الثمين ص ٩٠ .

(٣) شعراء النصرانية ص ٧٥٤ .

أما الناحية الجسمية للبطل فكل ما ذكروه فيها يدور حول المنظر العام له بحيث يبعث الهيبة والروعة في قلب من تقع عليه عينه لأول وهلة ؛ فهو الشخص ذو الجسم الممتلئ ، التام الخلق ، الكامل النمو ، ولد كاملاً ، ونشأ نشأة حسنة ، فلم يكن توأماً ^(١) ، ورُبِّي على أحسن الغذاء ^(٢) ، طويل الجسم ، قوي العضلات متين البنية ، ضخيم كأسد غليظ الرقبة عبل المناكب ^(٣) ، وصحته حسنة ؛ لا يبدو عليه ضعف ، ونموه طبيعي ، غير نكس ولا ضئيل ^(٤) .

وقد أكثر الشعراء من الاعتذار عن ظهورهم أحياناً عاري الأشاجع ، أو شاحبي الألوان ، أو شعث المفارق ، لم يدهنوا ، ولم يترجلوا ، ناسبين ذلك إلى ما يشغلهم من مهام الأمور ، وما خاضوه من أهوال وأخطار ^(٥) . مما يدل على أنهم كانوا يحبون في البطل - بجانب قوة الجسم ، وصحة البدن - أن يكون حسن المنظر جميل الهندام .

وقد ذكروا بعض الصفات التي تبدو جسمية ، ولكنها في الحقيقة تشير إلى أمور معنوية سامية مثل شُمّ الأنوف ^(٦) ، وبيض الوجوه ^(٧) ، وغير مقلمي الأظفار ^(٨) . فشُمّ الأنف إباء وعزة ، وبيض الوجه شرف وكرامة ، وعدم تقليم الأظفار كمال التسلح والاستعداد .

(١) بطل كأن ثيابه في سرحة
لعنثة : ديوان طفيل الغنوي ص ٤ .

(٢) لم يجرموا حسن الغذاء وأهمهم
للنابغة : شعراء النصرانية ص ٦٧٥ .

(٣) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ١٥ . بيت ١٧ .

(٤) النكس : الضعيف . والضئيل : المهزول .

(٥) عنثة : العقد الثمين ص ٤٣ .

(٦) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٤ .

(٧) الأعشى : ديوانه ص ٢٤٩ .

(٨) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ١٣ .

ثانياً : الناحية الخلقية العامة :

أما من ناحية الأخلاق فقد توسع الشعراء في القول فيها حتى أُلوا بكل صفة حسنة ونسبوها إلى البطل .

فهو عزيز النفس ، أصيد ، أبيّ ، لا يرضى خطة خسف ، ولا يخضع للظلم ، الحرية مبدؤه ، والموت خير له من حياة الذل ^(١) ؛ وهو الغالب لا المغلوب ، والظالم لا المظلوم . طموح ، كبير لا صغير ^(٢) ؛ لا يقر لهوان ، ولا يتحمل إساءة غيره ، فلا تهدأ ثائركه حتى يثار لنفسه وكرامته ؛ حازم في أمره ، لا يتردد ، وليس للشك عنده مجال ؛ لا أمره عليه بغمة ، ولا ليله بسرمد ، وإذا صمم على شيء نفذه دون أن يردده أي عائق ^(٣) .

وقور متزن ، لا تثيره أعظم الأشياء ، ولا تخرجه شدة الأمور عن وقاره ^(٤) ؛ ولا يفرح للخير ، ولا يحزن للضر ^(٥) ، وليس أهوج هذراً ، ولا مرحاً طائشاً ، ولا صاحب عجب أو خيلاء ^(٦) . ولكن وجهه باش ، وأساريه مستبشرة .

صريح في كل شيء ، يكره النفاق ، ولا يحب المراءاة ^(٧) ؛ صديق مخلص ، من صالحه فهو آمن مطمئن ، وهو خصم ألد ؛ من حاربه أوقع به المكروه ^(٨) ؛ ولكنه لا يرضى العذاب والتنكيل ^(٩) ؛ وهو حذر يتوقع الشر في أي وقت ،

(١) عنزة : شعراء النصرانية ص ٨٦٢ .

(٢) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ص ٥٦٤ .

(٣) عوف بن عطية التيمي : المفضليات ص ٨٣٧ .

(٤) النابغة : العقد الثمين ص ١٣ .

(٥) طرفة : العقد الثمين ص ٦٢ .

(٦) سعد بن مالك : شعراء النصرانية ص ٢٦٤ .

(٧) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ص ٥٦٤ .

(٨) ضمرة بن ضمرة النهشلي : المفضليات ص ٦٣٣ ، وقيس بن الخطيم : شعراء النصرانية

ص ٩٣١ .

(٩) زهير بن أبي سلمى : شعراء النصرانية ص ٥٥٥ .

فهو دائماً على استعداد : أدرعه 'مُحَقَّبَةً' ، وثيابه مشمرة ، وليس أكشف ولا أعزل ، ويحافظ على سلاحه ويعتز به فهو ما له وثروته .

وهو مطيع للرأي العام ولو خالف نظره الشخصي ^(١)؛ ويحافظ على شرفه وكرامته ، يسرع إلى 'الجلّى' ، ولا يتقدم نحو 'الخنّا' ^(٢) ؛ وقوله صائب ، وفعله محمود ، وهو في حياته ماهر حاذق ، ثقف اليدين ، ليس عاجزاً ولا أخرق ، ضرب ، خَشَّاش ^(٣) ، جواد كريم .

ومن أهم صفات البطل ليكون رئيساً أن يكون لديه النزوع التام للاهتمام بشئون القوم قبل شئونه الخاصة ، وأن يكون بعيد النظر ، ثاقب الفكر قد أحكمته التجارب ، خبيراً بطبائع النفوس وحسن قيادتها ^(٤) .

ثالثاً : الشجاعة

تلك هي أهم صفات البطل ، لأنها العماد الذي عليه تقوم شخصيته ، وتتوقف شهرته ، وعدّه بطلاً حقيقياً . ومعناها شدة القلب ورباطة الجأش ، وقوة العزيمة والثبات عند اليأس . وهذه أمور معنوية لا تعرف بطبيعة الحال إلا بآثارها . وقد ذكر لنا الجاهليون في أشعارهم كثيراً من الصفات التي بها يعرف الشخص بأنه شجاع .

فقالوا عنه إنه هو الذي لا تروعه الأهوال ، ولا يتردد في خوض معامع الأخطار ، ولا يتزحزح عن مكانه مهما أهدقت به ، بل يستقبل الموت بصدر رحب ، ويضحى بنفسه في سبيل مبادئه التي يعتقدها ، وتُقوّى شخصيته كثرة تردده على اقتحام المعارك ، فتورثه التجارب حنكة ودراية وخبرة

(١) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٥٧ .

(٢) طرفة بن العبد : العقد الثمين ص ٦٠ .

(٣) طرفة : العقد الثمين ص ٥٩ ، والخشاش . الماضي في الأمور ، الذكي .

(٤) لقيط الإيادي : مختارات ابن الشجري .

يستطيع بها أن يحل المشكلات ، ويخرج من الأزمات ، وتمكنه من السيطرة على الحروب ، ومقابلة ويلاتها بصدر رحب حتى إنه ليُسَمَّى ابن الحرب وفيصلها .

وهو فتى صادق حقيقي ، موضع للثقة وأهل للاعتماد عليه إذا دهمت الخطوب ، شاب ممتليء قوة وعزيمة ، أو شيخ قد أحكمته التجارب ^(١) ، يرى القتل شرفاً ومجداً ، والفرار خزياً وعاراً ، يتلقى الطعنات في صدره ووجهه ، ويأنف أن تصيبه في ظهره ^(٢) ، جلد ، صبور ؛ خبير بركوب الخيل ليس أميل ولا أعزل ^(٣) ؛ لا يعرف الخوف ، وليس للرعب لديه سبيل ؛ يتأجج قوة ، ويفيض حماسة وغيرة ، ويشور لشرفه وكرامته .

وهو راعي الحمى ، وحامي الضعيف ، وولي الجار ، والمدافع عن اللاجئ ، يسرع إلى إجابة الملهوف ، ويفزع إلى المستصرخ ^(٤) ، ويحيب الداعي على عجل دون أن يلوي على شيء ، أو يستفسر عن السبب ^(٥) ، ولا يتوانى ولا يتكل على غيره ، ولا يتلكأ بكثرة الأسئلة ^(٦) .

بأسه شديد ، وقوته معروفة مشهورة ، يطيل الحرب ^(٧) ، ويشن الغارات ؛ وفي وقت الشدة ، يحمي الثغور والأماكن الخفية ، ويخرج إلى الحرب وقد وسم نفسه إظهاراً لشخصه ، وتحدياً لغيره ^(٨) ، يهرع إلى منازلة

(١) قال عمر بن كلثوم :

بشبان يرون القتل مجداً وشيب في الحروب مجربينا «المعلقة»

(٢) الحصين بن الحمام : الحماسة ج ١ ص ٩٣ .

(٣) زهير بن أبي سلمى . شعراء النصرانية ص ٥٥٥ .

(٤) زهير . شعراء النصرانية ص ٥٧٠ .

(٥) قريط بن أنيف . الحماسة ج ١ ص ٣ .

(٦) وداك بن ثميل . الحماسة ج ١ ص ٥٧ .

(٧) عامر بن الطفيل . ديوانه ص ١٢٣ .

(٨) طفيل الغنوي . ديوانه ص ٦٤ بيت ٢٩ .

الأبطال ، ويبحث عن الرؤساء والقواد لمصارعتهم ، ولقاؤه غير محبوب ^(١) ، ولا يتمتع عليه مكان مهماً بعد ، واشتهرت قوته حتى خافه جميع الناس .

ويقول قدامة بن جعفر عن أهمية الشجاعة ^(٢) : « فضائل الناس من حيث أنهم ناس إنما هي : العقل والشجاعة والعدل والعفة » . ويقول : « ومن أقسام الشجاعة : الحماية والدفاع ، والأخذ بالثأر ، والنكاية في العدو ، والمهابة ، وقتل الأقران ، والسير في المهامه الموحشة ، وما أشبه ذلك » . ثم يقول : « وأما ما يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة : فالصبر على الملمات ، ونوازل الخطوب ، والوفاء ويحدث عن تركيب الشجاعة مع السخاء : الإتلاف والإخلاف وما أشبه ذلك . وعن تركيب الشجاعة مع العفة : إنكار الفواحش والغيرة على الحرم » .

رابعاً : المقدرة الحربية :

ونعني بذلك حركاته وسلوكه عند الحرب . وأهم ما قيل في هذه الناحية أنه قبل خوض المعركة يستعمل العقل والحكمة ، ولا يكون أهوج هذراً . ولا يخطو خطوة إلا بعد أن يعرف عواقبها ، وعنده المعدات الحربية الكاملة ^(٣) ، ولديه الخبرة بالحرب ، يعرف كيف يعالج شئونها ، وكيف يوجه الضربة القاصمة ، ويسدد الطعنة القاتلة ، ويوطد نفسه على الهلاك ، ولا ينظر إلى الحياة ، فحبها في الحرب فشل ^(٤) ، يعرف كيف يسوس الخيل في الموقعة ، ويمسكها على مكروها عندما تشتد الحال ويصعب قيادها ، ويبدى في المعركة من المهارة الحربية ما يظهره بمظهر المستولي على الحرب

(١) النابغة الذبياني . شعراء النصرانية ص ١٩٠ .

(٢) نقد الشعر ، ص : ٤٧ وما بعدها .

(٣) زهير . شعراء النصرانية ص ٥٣٣ .

(٤) قال الاعشى :

أتيج لهم حب الحياة فأدبروا ومرجاة نفس المرء ما في غد غد
(ديوانه ص ١٣٢) .

والذي بيده زمامها ، حتى يبدو كأنه ليس في ميدان حرب ومن حوله
السيوف والرماح ، بل كأنه في ساحة رياضية ، يزاول لعبة من ألعابها ^(١) ،
لا يهاب العدو بل يتقدم إليه حتى يصله بسيفه ^(٢) ، ويقبل عليه وقد وضع
الشر في عينيه ، عابس الوجه ، بادية نواجذه ، متمشلا في أبشع صورة ،
ويلهب المعركة ، ويزيد لهيبها بأعماله ^(٣) ، وينقض على خصمه بقوة وعنف ^(٤)
وعند اشتداد الأمر وضيق الحال ، لا يحجم عن أشد القتال ، ويقابل الموت
بصدر رحب ونفس مطمئنة ، فلا ينكص على عقبيه ، ولا يعرف للفرار سبيلا .

* * *

وعلى العكس من صفات البطل تكون صفات الجبان ، وبها صوروا
الشخص الحقيير الممقوت .

* * *

وقد تحدث الشعراء عن الأبطال في معرض الحديث عن الفخر بالنفس أو
بأبطال القبيلة ، وفي مجال المدح حينما يتعرض الشاعر لذكر محاسن ممدوحه ،
فيتطرق بطبيعة الحال إلى ذكر بطولته وأعماله ومآثره الحربية ، وكذلك
تحدثوا عنهم في معرض الرثاء حينما يعدد الشاعر مآثر الفقيد ، وهنا تشغل
الصفات الحربية - كما في المدح - أهم جزء في المراثية ، وكان البطل كذلك
موضوعاً للشعر في مجال التهديد والإنذار .

وفي حديثهم عن الأعداء ، وذمهم ، صوروهم بصورٍ تنافى صور الأبطال .

الصور الشعرية للبطل (٩٣ - ٢٠٩)

أما الصور التي استعملها الشعراء هنا فيقصد منها تصوير مركز البطل

(١) قيس بن الخطيم . ديوانه ص ١١ .

(٢) الأحنس بن شهاب . الشعر والشعراء ص ٢٧٩ .

(٣) زهير ، شعراء النصرانية ص ٥٧١ .

(٤) عنتره ، العقد الثمين ص ٤٣ .

ووظيفته في ذلك الوقت ، فهي تصوّر موقفه من قبيلته ، وواجبه العسكري ، واستعداده الحربي ، وخبرته الحربية ، ونشاطه في القتال ، وأثره في الأفراد الآخرين الذين ليسوا من قبيلته .

فأهميته في قبيلته ، واعتمادهم عليه وعلى قوته 'شبهها بالمعقل والحصن (٩٣ - ٩٤) كأنهم يتخذون منه ملجأ في وقت الخطر ، وهو يُبعد عنهم الأعداء فلا ينالونهم أو يقتربون منهم ، وحماية الأبطال لقومهم شبهت بالدرع والترس (٩٥ - ٩٦) لأنهم يحمونهم ويَقُونهم شر المهاجمين . أما قوته وحزمه ومقدرته على التحكم في الأمور فقد شبهت بالرمح والسيف (٩٧ - ١٠١) ، وصوّر إعجابه بنفسه وعدم مماثلة أحد له وثقته بنفسه ووقوفه وحده بالسيف فريداً في غمده (١٠٢) ، وحميته وشعوره الداخلي الذي يثور بسرعة إذا ظن أن كرامته قد مست أو شرفه لم يحفظ بالنار التي تشتعل بسهولة ثم تلتهب وتأتاجج وتضرم فتهلك كل ما تمس (١٢٨ - ١٣١) .

وسلوكة النبيل وأفعاله الكريمة وأعمال البطولة والفروسية التي يقوم بها تجعله بطلاً نبيلاً كريماً بعيداً عن الذم والعار حتى إن وجهه ليمتلاً بشراً جعل الشعراء يشبهونه بالسيوف المصقولة اللامعة (١٠٣ - ١٠٦) .

ولاعتمادهم على أبطالهم كانت القبيلة أشد كماً كان عدد أبطالها أكثر ، ومن ثم شبهوا كثرتهم بالظلام الحالك (١١٢) كما لو كانت كثرتهم تحول بينهم وبين الشمس فتسد شعاعها وتجعلهم كأنهم في ظلام دامس ، أو أن كثرتهم كانت عظيمة لدرجة أنه لا فراغ بين كل منهم والآخر فيظهرون من بُعد كأنهم قطعة حالكة من الظلام .

وكال استعدادهم الحربي أشير إليه بالصدأ الذي يعلو أجسادهم كما لو كانت وجوههم مطلية بالقار (١٠٩) لأن الصلب يترك صدأه عليهم بسبب طول لبسهم إياه . وشبهت كثرة أسلحتهم ووفرتها وثقلها عليهم بالأحمال الثقيلة على الجمال حتى إنها لتجعلهم تمشي بخطوات بطيئة (١٥٢) . وشبه تغير هيئتهم

ومنظرهم حينما يلبسون عدهم الحربية بالجن (١٣٢ - ١٣٩) في المنظر الغريب الخيف .

أما نشاطهم في المعركة وتقدمهم إلى الميدان بسرعة دون إحجام مع عدم المبالاة بالموت فقد جعلت الشعراء يشبهونهم بالجمال المصاعب (١٤٩ - ١٥١) في الإسراع وصعوبة الوقوف في وجوههم . وقد شبههم الشعراء كذلك وهم في الميدان منهمكين في القتال باللاعبين في ساحة رياضية بالخاريق (١١٤ - ١١٦) في عدم المبالاة بأي خطر ، كأن القتال مجرد لعبة رياضية ، وميدان القتال ساحة للألعاب ، والأسلحة كالخاريق .

وقد قورن نشاطهم وشدة هجومهم بنشاط الصقر وشدة هجومه (١١٧ - ١١٩) ، وبفضاعة الأسد وقوة انقضاضه (١٥٥ - ٢٠٦) . كما شبهوا بالنمر (١٥٣ - ١٥٥) في القوة والإيقاع بالعدو في حيلة ودهاء ، وبالثعبان (١٤٠ - ١٤٧) في سرعة القضاء على من ينالونه بأذى . وفي تصوير البطل بالأسد أشكال كثيرة كل منها يشير إلى حالة معينة : فمثلاً يُصور بصورة أسد الغاب (١٦٧) لأنه يملأ القلوب فزعاً ورهبة ؛ وأسد مقذف له لبد أظفاره لم تقلم (١٩١) لأن مظهره نحيف مرعب ، وهو نشيط الحركة ، تام التسلح ؛ وأسد حانٍ على أشباله يدافع عنها (١٩٥) وذلك لقوة الدفاع وحرارته ؛ وأسدٍ وردٍ عريض الساعدين حديد الناب ، بين ضراغم غبر ، وله جراء ، يصطاد الرجال ، فما تزال جراؤه على كفاية من الذخيرة والمثونة (٣٠٣) للشدة وروعة المنظر وإدامة الهجوم والغارة ، وشدة الافتراس ووفرة المغنم .

أما تكرار هجوم الأبطال على أعدائهم في الحرب فقد جعل الشعراء يشبهونهم بالقيدح المشتهر المعروف في لعب الميسر (١٢١) في معاودة الكر ، وبالراجم الذي يكرر الرجم (١٢٠) وبالدورات حول الصنم المدور المشهور (١٢٢) .

وقد شبه البشر الذي يعلو وجوههم عقب فوزهم في المعركة حتى إن

وجوهم لتتلاً ضياءً بسبب ما قاموا به من أعمال البطولة بانبلاج الشروق (١٢٣) وبضياء الهلال الذي انجلي عنه الغمام (١٢٤) .

أما نحافتهم ونحوهم بسبب ما يعانون من أهوال الحرب وملاقاة أخطارها، فقد كانتا سبباً في تشبيههم بأشلاء اللجام (١٢٥ - ١٢٦) .

وأما شعور الناس نحوهم ، ومهابة الجميع لهم ، وخوف غيرهم منهم . فقد قارن الشعراء ذلك كله بشعور الناس وخوفهم ومهابتهم للشعابين (١٤٠ - ١٤٧) ، والنمر (١٥٣ - ١٥٤) والأسد (١٥٥ - ٢٠٦) ، وبالطعم المر (١٠٧) .

وثباتهم ورباطة جأشهم وعدم ميالاتهم بالأخطار شبت بحال الجبال والصخور (١١٠ - ١١١) إذ لا تززعها الحوادث ، ولا قتال منها الأيام .

* * *

أما الجبان فقد شبه بقطعة من الشحم التي تهفو النفوس لأكلها ويسهل ابتلاعها (٢٠٧) لأنه تسهل هزيمته في الحرب وأكله ، وبالكلاب التي تطرد عن الماء (٢٠٨) في المهانة والاحتقار ، وبالقصب (٢٠٩) في فراغ الجوف ، لخلو أفئدتهم من الشجاعة والقوة .

نماذج شعرية للبطل :

١ - قال عوف بن عطية التيمي (١) :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأُخَوِّحِ حِفَازٍ وَفِي يَوْمِ الْكَرِيهَةِ غَيْرُ غُمَرٍ^(٢)

أَجُودُ عَلَى الْأَبَاعِدِ بِاجْتِدَاءٍ وَلَمْ أُحْرِمِ ذَوِي قُرْبَى وَإِصْرٍ^(٣)

(١) المفضليات ص ٦٣٩ .

(٢) الغمر والمغمر : الذي لم يجرب الأمور ، وكأنها تعلوه وتغمره . أما الغمر بفتح الغين فهو الكثير العطاء كأنه مأخوذ من غمرة الماء وهي كثرتة .

(٣) الإصر : العهد .

وَمَا يـ فاعلموه — مِنْ خُشُوعِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّنَا مِرْدَى حُرُوبِ
وَنَلْبَسُ لِلْعَدُوِّ جُلُودَ أُسَدِ
وَنَرَعَى مَا رَعَيْنَا بَيْنَ عَبَسِ
وَكُلِّهِمْ عَدُوٌّ غَيْرُ مُبْقِي
إِلَى أَحَدٍ وَمَا أَزْهَى بِكِبَرِ
نَسِيلِ كَأَنَّا دُفَاعُ بَحْرِ^(١)
إِذَا نَلَقَاهُمْ وَجُلُودَ نَمْرِ
وَطَيْئَهَا وَبَيْنَ الْحَيِّ بَكْرِ
حَدِيثُ قُرْحِهِ يَسْعَى بِوَتْرِ^(٢)

٢ - وقال أبو قيس بن الأسلت^(٣) :

بَزْ أَمْرِيءِ مُسْتَبْسِلِ حَازِرِ
الْحَزْمُ وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنْ أَلِ
لَيْسَ قَطًّا مِثْلَ قُطَيٍّ وَلَا أَلِ
لَا نَأْلُ الْقَتْلَ وَنَجْزِي بِهِ أَلِ
نَذُودَهُمْ عَنَا بِمُسْتَنَّةٍ
لِلدَّهْرِ تَجْلِدِ غَيْرَ مِجْزَاعِ^(٤)
إِدْمَانٍ وَالْفَكَّةَ وَالْهَاعَ^(٥)
مَرْعِيٍّ فِي الْأَقْوَامِ كَالرَّاعِيِ^(٦)
أَعْدَاءَ كَيْلِ الصَّاعِ بِالصَّاعِ
ذَاتِ عِرَانِينَ وَدُفَاعِ^(٧)

(١) مردى حروب : أي نقوم بها . وقوله نسيل ... الخ يقصد كثرتهم .

(٢) حديث قرحه : أي أصبناه بجراح حديثة فهو يطلبنا ولا نخفل به ونحن على ذلك نرعى بلاده .

(٣) المفضليات ص ٥٦٤ .

(٤) البز : السلاح . المستبسِل : الموطن نفسه على الهلاك . والمجزاع : الشديد الجزع .

(٥) الإدمان : من المداينة وهي مثل النفاق والخذاعة . الفكّة : الضعف . الهاع : شدة الحرص .

(٦) يقصد ليس الصغير كالكبير ولا المسوس كالسائس ؛ يحض على طلب المعالي أي كن سائساً لا مسوساً وميداً لا مسوداً .

(٧) المستنة : الكتيبة ، وأصل الاستنان : النشاط ، أي هم جلداء أقوياء . عراني : رؤساء ومتقدمون في الفضل والشجاعة . دفاع : أبطال يدفعون الأعداء عنهم .

كَأَنَّهُمْ أَسَدٌ لَدَى أَشْبُلٍ يَنْهَتَنَ فِي غِيلٍ وَأُجْزَاعٍ^(١)
 حَتَّى تَجَلَّتْ وَلَنَا غَايَةٌ مِنْ بَيْنِ جَمْعٍ غَيْرِ جُمَاعٍ^(٢)
 هَلَا سَأَلْتُ إِذْ قَلَّصْتُ مَا كَانَتْ إِبْطَانِي وَإِسْرَاعِي
 هَلْ أَبْذُلُ الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ فِيهِمْ وَآتِي دَعْوَةَ الدَّاعِي
 وَأَضْرِبُ الْقَوْنَسَ يَوْمَ الْوَعَى بِالسَّيْفِ لَمْ يَقْصُرْ بِهِ بَاعِي^(٣)

٣ - وقال عبيد بن الأبرص (٤) :

وَفْتِيَةٌ كَلِيوْثِ الْغَابِ مِنْ أَسَدٍ مَا لِلنَّدَى عَنْهُمْ نَزْحٌ وَلَا شَحْطٌ
 بِيضٌ بِهَالِيلٍ يَنْفِي الْجَهْلَ حِلْمُهُمْ وَتَفْزَعُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ إِذْ هُمْ سَخِطُوا^(٥)
 إِذَا تَحَمَّطَ جِبَارٌ ثَنَوُهُ إِلَى مَا يَشْتَهُونَ وَلَا يُشْنَوْنَ إِنْ خَمَصُوا^(٦)
 وَالْفَارُجُ وَالْكَرْبُ وَالْغُمَى بِرَأْيِهِمْ إِذَا تَشَابَهَتْ الْأَهْوَاءُ وَالصَّرَطُ
 وَالْقَانِلُ الْفَصْلُ لَا تَنَادُ طِينَتُهُ وَمَا لِقَوْلِهِمْ خَلْفٌ وَلَا مَيْطٌ^(٧)

(١) ينهتن : يزأرن . غيل : أجمة . أجزاء : جوائب .

(٢) تجلت : انكشفت . غاية : راية . غير جماع : أي هذا الجمع كله . منا لم نستعن بأحد غيرنا .

(٣) القونس : عظيم تحت ناصية الفرس ، وهو من الإنسان في ذلك الموضع . لم يقصر به باعي : أي لم يقطعه عني خوف ولا جبن .

(٤) ديوانه ص ٦٤ أبيات ١٨ - ٢٧ .

(٥) بهاليل : جمع بهلول وهو الضحاك ، والسيد الجامع لكل خير .

(٦) تحمط : تكبر وغضب . وخمط : غضب .

(٧) لا تناد : لا تنعطف ولا تلين . الطينة هنا : الخلقة والجملة . ميط : تنحية وإبعاد .

وَالْحَالِطُو مُعْسِرُ مِنْهُمْ بِمُوسِرِهِمْ وَأَكْرَمُ النَّاسِ مَطْرُوقَةٌ إِذَا اخْتَبَطُوا^(١)
 مَرُّو اللَّقَاءِ وَمَبْقُو الْعَقْدِ إِنْ عَقَدُوا إِذَا أَضَاعَ مِنَ الْمِيثَاقِ مُشْتَرَطٌ^(٢)
 رُجِحُ إِذَا حَضَرَ النَّادِي حُلُومُهُمْ وَفِيهِمُ الزَّغْفُ وَالْخَطِّي وَالرُّبُطُ^(٣)
 وَالْمُشْرِفِيَّةُ مَفْلُولٌ ضَوَارِبُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ وَأَيْدٍ بِالْغَدَى سَبْطٌ^(٤)
 لَا يَحْسَبُونَ غَنَى يَبْقَى وَلَا عَدَمًا إِذَا رَأَى ذَاكَ مِنْهُمْ مَعْشَرَ فُرُطٍ
 ٤ - وَقَالَ الْمَرْقَشُ الْأَكْبَرُ^(٥) :

إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا بِيِضُ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَا جِلُنَا
 إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِثْلُ مَا أَحَدٌ قَدَعُوا
 إِذَا الْكِمَاءُ تَنَحَّوْا أَنْ يَصِيبَهُمْ وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مَصِيبَتُهُمْ
 وَلَوْ نَسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِينَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
 قِيلُ الْكِمَاءِ : أَلَا أَيْنَ الْمَحَامُونَا مَنْ فَارَسٌ ؟ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَغْنُونَا
 حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا مَعَ الْبِكَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا
 وَنَرَكِبُ الْكُرَّةَ أَحْيَانًا فَيَفْرُجُهُ عَنَّا الْحِفَازُ وَأَسْيَافُ تَوَاتِينَا^(٦)

(١) اخْتَبَطُوا : سَتَّوَا الْخَيْرَ وَالْعَطَاءَ .

(٢) مُشْتَرَطٌ : مُلْتَزِمٌ .

(٣) الزَّغْفَةُ : الدَّرْعُ اللَّيِّنَةُ الْوَاسِعَةُ الْحَكْمَةُ ، أَوْ الرَّقِيقَةُ الْحَسَنَةُ السَّلَاسِلُ . وَيُقَالُ كَذَلِكَ دَرْعٌ زَغْفٌ وَدَرُوعٌ زَغْفٌ . الرُّبُطُ جَمْعُ رِبَاطٍ : وَهِيَ الْخَيْلُ .

(٤) سَبْطُ الْيَدِ : سَخِي .

(٥) شِعْرَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ ص ٢٨٧ .

(٦) الْحِفَازُ : الدِّفَاعُ عَنِ الْمَهَارِمِ وَالشَّرَفِ .

٤ - الخيل

لقد كان للخيل شأن عظيم عند العرب ، وما تزال الخيول العربية حافظة لشهرتها منذ القدم إلى اليوم ، فكلنا يعلم مدى قيمة الحصان العربي الأصيل في عصرنا الحديث ؛ لا في البلاد العربية فحسب ، بل في جميع بلاد العالم ، شرقاً وغرباً .

وليست هذه الدراسة بالطبع مجالاً لدراسة الخيل وشأنها عند العرب في العصر الجاهلي ، لأن ذلك يستدعي دراسة مفصلة تجمع كل ما قيل عن الخيل وما يتصل بها ؛ ولكننا هنا سنتعرض لما قاله الشعراء الجاهليون فيها حينما يكونون في معرض الحديث عن الحرب .

ومع هذا فإن الشاعر الجاهلي حينما يتحدث عن الخيل ودورها في الحرب ، قد تحدث عنها من عدة نواح ، إن لم تكن شملت كل ما يمكن أن يقال في الخيل فعلى الأقل شملت معظم ما يمكن أن يقال عنها .

ولئن كان المقصود في الحديث عن الخيل في مجال الحروب إنما هو قوتها ونشاطها ، فإن الشاعر - فوق ذلك - كان يتطرق في شعره إلى الحديث عن مبلغ اهتمام العربي بخيله ومدى قيمتها عنده ، وكيف يقوم برعايتها والعناية بها مما يجعلها أكثر قوة ونشاطاً . ولهذا نجد الشعراء بالنسبة للخيل في شعر الحرب تحدثوا عن :

(أ) مدى اهتمامهم بالخيل وعنايتهم بها لتكون أهلاً للاعتماد عليها في الحرب .

(ب) صفاتها الجسمية بما يظهرها مصدراً للإرهاب والإعجاب .

(ج) نشاطها وقوتها ومدى احتمالها في الحرب .

(أ) أما عن الناحية الأولى فقد ذكر الشعراء ما يبين أن اهتمام العربي بخيله

كان عظيمًا . فمن شعرهم نرى أنهم كانوا يعتزون بالخيـل (١) ويحفظونها قريباً من منازلهم ، ولا يرسلونها مع بقية أنعامهم ترعى بعيداً عنهم ، حباً فيها ومبالغة في المحافظة عليها ؛ قال عامر بن الطفيل (٢) :

مَقَرَّبَاتٍ كَالْهَيْمِ شُعْثُ النَّوَاصِي قَدْ رَفَعْنَا مِنْ حُضْرِهَا فَاسْتَدَرَّتْ (٣)
وَأَنَّهَا كَانَتْ تُسْقَى اللَّبَنَ ، قَالَ عَوْفُ بْنُ عَطِيَّةِ التَّيْمِيِّ (٤) :

وَأَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ مَلْبُونَةً تَرُدُّ عَلَى سَائِسِيهَا الْحِمَارَ (٥)

وُتِيئاً لَهَا أَحْسَنُ الْأَطْعَمَةِ صَيْفًا وَشِتَاءً حَتَّى فِي زَمَنِ الْقَحْطِ ، قَالَ عَنَتْرَةُ (٦) :

مُقَرَّبَةٌ الشِّتَاءِ وَلَا تَرَاهَا وَرَاءَ الْحَيِّ يَتْبَعُهَا الْمِهَارُ
لَهَا بِالصَّيْفِ أَصْبِرَةٌ وَجُلٌّ وَنَيْبٌ مِنْ كِرَائِمِهَا غِزَارُ (٧)
وَكَانُوا يَعْنُونَ بِهَا عَنَايَةً تَفُوقُ عَنَايَتَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ . قَالَ رَجُلٌ
مِنْ تَمِيمٍ :

مَفْدَاةٌ مَكْرَمَةٌ عَلَيْنَا يَجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تَجَاعُ

(١) الحماسة ص ١٥١ .

(٢) ديوانه ص ١٠٥ بيت ٤ .

(٣) المقربة من الخيل : التي تشد عند بيوتهم لا تترك تسرح . الهيم : العطاش . الحضر والإحضار : الإسراع . استدرت : جادت بدرتها في السير .

(٤) المفضليات ص ٨٣٧ .

(٥) الملبونة : الفرس التي تسقى اللبن . ترد على سائسها الحمار : لا يفوتها حمار الوحش أي تسبقه ثم ترده .

(٦) العقد الثمين ص ٣٩ .

(٧) مقربة الشتاء : تعدو عدواً دون الإسراع في الشتاء . الأصبرة من الغنم والإبل : التي تروح وتعدو على أهلها لا تغرب عنهم . الجل : الذي تلبسه الفرس لتصان به .

وَقَالَ رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ (١) :

وَجُرَدَا يُقَرَّبْنَ دُونَ الْعِيَالِ خِلَالَ الْبُيُوتِ يُلْكُنُ الشُّكْمَا (٢)

وكانت تصنع لها النعال لتقي حوافرها ضد الصخور والأرض الصلبة
عندما تعدو في الصحراء ، قال زهير بن أبي سلمى (٣) :

تَخْطُو عَلَى رِبَذَاتٍ غَيْرِ فَائِرَةٍ تَحْذَى وَتُعْقَدُ فِي أَرْسَائِهَا الْخَدَمَ

وكانوا دائمي العناية بها وملاحظتها حتى إنهم كانوا يفخرون بأن شدة
العناية بخيلهم جعلتها في حالة حسنة ، وخالية من أي عيب : قال عوف بن
عطية (٤) :

كُمَيْتًا كَحَاشِيَةِ الْأَتْحَمِيِّ لَمْ يَدَعِ الصَّنْعُ فِيهَا عَوَارَا (٥)

ولشدة المحافظة على نشاطها وقوتها كان العربي يحريها صباحاً ومساءً في
اليوم الذي ليس فيه عمل للخيل .

وللمبالغة في شدة الحرص على أن تكون الخيل أصيلة كريمة ، اهتم العربي
اهتماماً كبيراً بنسبها ، فحافظ على كرم أصلها ، ونقاء عنصرها ، لكي تكون
جودتها موضع اليقين ، وكان الشاعر يفخر بخيله وأنها من أصل عريق في
الكرم والعنق . قال علقمة (٦) :

(١) المفضليات ص ٣٥٥ .

(٢) يقرَّبْنَ دُونَ الْعِيَالِ : يؤثرن . الشُّكْمَا : فأس اللجام .

(٣) شعراء النصرانية ص ٥٣٧ .

(٤) المفضليات ص ٨٣٧ .

(٥) الْأَتْحَمِيُّ : البرود ، وخص الحاشية لأنها أصنع الثوب وأحكمه . وَالْأَتْحَمِيُّ : نوع من
البرود منسوب إلى أتحم باليمن . الصَّنْعُ : الدواء الذي تصنع به ضمها . الْعَوَارَا : العيب .

(٦) العقد الثمين ص ١١٣ .

وَقَدْ أَقْوَدُ أَمَامَ الْحَيِّ سَلْهَبَةٌ يَهْدِي بِهَا نَسَبٌ فِي الْحَيِّ مَعْلُومٌ ^(١)

ولهذا كانوا يطلقون على الخيل المشهورة بالكرم والجود أسماء ، زيادة في التحقق منها ، وحتى تشرف ذريتها بحمل اسمها ، وكان الشاعر يفتخر بأن خيله من نسل أحد هذه الخيول المشهورة بالنجابة . قال النابغة الذبياني ^(٢) :

فِيهِمْ بَنَاتُ الْعَسْجَدِيِّ وَلَا حَقٍّ وَرُقًا مَرَاكِهًا مِنَ الْمَضْمَارِ ^(٣)

وقال طفيل الغنوي ^(٤) :

بَنَاتُ الْغُرَابِ وَالْوَجِيهَ وَلَا حَقٍّ وَأَعْوَجَ تَنْمِي نِسْبَةً الْمُتَنَسِّبِ

وقال أيضاً ^(٥) :

وَخَيْلٌ كَأَمْثَالِ السَّرَّاحِ مَصُونَةٌ ذَخَائِرُ مَا أَبْقَى الْغُرَابُ وَمَذْهَبٌ

وكان الأبطال يطلقون على خيولهم أسماء خاصة تعرف بها ، فروي أن حصان عامر بن الطفيل كان يسمى « المزنوق » ^(٦) ، وفرس والده الطفيل تسمى « قُرْزُل » ^(٧) ، وفرس مالك بن نويرة « ذو الخمار » ^(٨) ، وفرس طفيل الغنوي « الحذواء » ^(٩) ، وفرسا قيس بن زهير العبسي « داحس والغبراء » ،

(١) سلهبة : طويلة . يهدي بها نسب : أي يتبين فيها أن نسبها كريم معلوم بالنجابة .

(٢) شعراء النصرانية ص ٦٧٧ .

(٣) العسجدي ولاحق : فرسان كانوا في الجاهلية من الفحول النجيبة . ورق جمع أوراق وهو الذي لونه لون الرماد ويقصد أن موضع عقب الفارس قد تحات فاسود .

(٤) ديوانه ص ٧ بيت ٢٢ .

(٥) ديوانه ص ٢١ بيت ٨ .

(٦) الشعر والشعراء ص ٢٩٣ .

(٧) المفضليات ص ٣٩ .

(٨) الشعر والشعراء ص ٢٩٦ .

(٩) ديوانه ص ٢٦ بيت ٣٧ .

وفرساً حذيفة بن بدر الفزاري « الخطار والحنفاء »^(١) ، وفرس عنثرة العباسي « جروة »^(٢) .

فهذا كله يرينا أن العربي كان يعنى بخيله عناية كبيرة ، وليس ذلك بمعجيب منه لأن الفرس كانت عدته في الحياة وذخيرته لوقت الشدة ، فعليها يعتمد في الحرب ، ويستطيع ، إن ساعده الحظ ، بوساطة خيله أن يجلب لنفسه ثروة طائلة بفضل ما يشنه من غارات ، وما تدره عليه من غنائم وأسلاب ، وفي وقت السلم يمكنه بفروسه — إن لم يكن قوته متيسراً — أن يحصل على طعام شهى لذيذ عن طريق الصيد والقنص ، لذلك لم يكن عجباً من العربي حينئذ أن يعنى عناية فائقة بها ، حتى أنه عدّها ذخيرته وعدّته في الحياة ، ومعقله وحصنه الحصين . قال أمية بن أبي الصلت^(٣) :

وَأَرْضُنَا لَرِيبِ الدَّهْرِ جُرْدًا تَكُونُ مَتُونُهَا حِصْنًا حَصِينًا

وقال مزرد^(٤) :

خَرُوجُ أَضَامِيمٍ وَأُحْصَنَ مَعْقِلٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْجِيَادَ مَعَاقِلٌ^(٥)

ولشدة أهمية الخيل عند العربي نراها قد شغلت جزءاً كبيراً في الأدب العربي ، ولشدة اتصال العربي بخيله وقربها منه كل حياته تقريباً نرى الشاعر قد تحدث عن كل ما يمكن أن يقال عنها . ولخطورة الدور الذي لعبته الخيل في الحرب نجدها أخذت نصيباً عظيماً في شعر الحرب .

(١) النقائص ص ٨٦ .

(٢) العقد الثمين ص ٣٩ .

(٣) شعراء النصرانية ص ٢٣٣ .

(٤) المنذليات ص ١٦٤ .

(٥) الأضاميم : الجماعة من الخيل ، الواحدة إضمامة . خروج : خارج منها . المعقل : الحُرْز والمُلْجَأ والموضع الذي يمتنع فيه .

(ب) صفاتها الجسمية :

عندما يتكلم الشاعر عن وصف الفرس التي أُعِدَّت للحرب ، إنما يقصد ، بطبيعة الحال ، أن يعطي صورة مثالية للخيل التي يخوض بها المعركة وهو راضٍ مطمئن ، يتوقع بسببها الفوز والنصر .

وكان من أثر عناية العربي الشديدة بخيله ، ومصاحبته لها في الحرب ، وقربها منه على الدوام في السلم ، أن أصبح خبيراً بها ، عالماً بدقائقها . لذلك نجده في وصفه لها يتحدث عن أجزاء جسمها واحداً واحداً ، حتى ليصف أجزاء من جسمها ليست ظاهرة أمام عينيه مثل الشظا^(١) والنسا^(٢) .

وفي الصفات الجسمية للخيل نجد أن الشعراء تحدثوا عن وصف الأعضاء ، والمنظر العام للجسم ، واللون المحبوب فيها .

أما من ناحية الأعضاء ، فذكروا الصفة المحبوبة لديهم في كل عضو من أعضائها الخارجية .

فالعين ، شاخصة^(٣) ، قبلاء^(٤) ، طامحة^(٥) ، شديدة^(٦) النظر ، كثيرة الاشتراف . والأنف ليس أقنى^(٧) .

والخد : أسيل ، والشدق : واسع ، والناصية : ليست خفيفة^(٨) .

والعنق : طويل مشرف . والكتف : ناتئة فيها شمم^(٩) .

(١) الشظا : عظيم مستدق ملازق بالذراع . [كتاب الخيل للأصمعي ص ٦] .
(٢) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر [كتاب الخيل ص ٩ - ١٠] .

(٣) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٣٩ .

(٤) عنقرة : شعراء النصرانية ص ٨٠٨ .

(٥) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٥ .

(٦) ثعلبة بن صعير : المفضليات ص ٢٦١ .

(٧) سلامة بن جندل : المفضليات ص ٢٢٦ .

(٨) نفس المرجع السابق .

(٩) زهير بن أبي سلمى : شعراء النصرانية ، ص ٥٣٦ .

والكاهل : أقعس ، عريض .
والظهر : قصير ، خالص ، قوي .
والبطن : لاحق ، أملس .
والأضلاع : عوج .
والحجبات : مشرفات .
والذيل : ذو خصل ، سابع العسيب ، كثير الشعر .
والقوائم : خفيفة ، غير فائرة ، طويلة .
والذراع : عارية من اللحم ، ممحصنة ، عبة .
والخوافر : صم ، صلاب ، موثقة ، رجيلة ، شديدة .
والسنابك : غير مقلمة ، تسنّ عليها القرون ^(١) .
والوظيف : سليم ^(٢) .
والنسور : صم ^(٣) .
والمراكل : أدم ، جون ، ورق ^(٤) .
والشظا : سليم .
والنسا : شنج ، منشق ^(٥) .
واللحم : زيم ، قليل على الوجه والمتن .
والأديم : صاف .

(١) السنابك : مقاديرم الخوافر . والدواير : مآخير الخوافر .
(٢) الوظيف : ما تحت العرقوب من الحافر من اليد والرجل .
(٣) النسور : باطن الخوافر مما يلي الأرض .
(٤) المراكل : موضع رجل الفارس .
(٥) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ، ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر .
فإذا سمعت الدابة انفلقت فخذها بلحمتين عظيمتين ، وجري النسا بينهما واستبان ؛ وإذا هزلت
الدابة اضطربت الفخذان ، وخفي النسا ، فإنما يقال : منشق النسا : يريد موضع النسا (راجع
في هذا كله كتاب الخيل للأصمعي) .

والشعر : قصير .
أما من ناحية المنظر العام للفرس ، فأحبها ما كانت :
ضامرة : شرب ، أقب ، طار .
شديدة : عجالة .
موثقة : مدبجة الخلق ، مضبرة ، فعم ، ململة ، محبوكة .
ضخمة : هيكل ، هضبة ، نهد .
طويلة : شقاء ، خيفانة ، سلهبة ، شطبة ، شيزم .
قويات : ذكورة ، فحول .
والألوان التي ذكروها هي :
كميت : وهو لون بين الشقرة والكمته .
أغر : والغرة بياض في الجبهة .
وراد : أحمر ليس بشديد الحمرة .
أحوى : وهو الذي تشدد حمرة حتى يميل إلى السواد
مدماة : وهي التي تضرب كمته إلى الحمرة .
أشقر : والأشقر من الدواب : الأحمر .
أدهم : أي أسود .
أحم : وهو ما يضرب إلى السواد .

(ح) نشاطها وقوتها

وهذه الناحية هي نتيجة الناحيتين السابقتين ، لأنها أثر القوة الجسمية ،
ووليدة العناية بالخيال والاهتمام بها . وقد أكثر الشعراء من الحديث عن نشاط
الخيال وحركتها في الحرب ، وبالغوا في تصوير هذه الناحية ، كما سنرى في
الصور الشعرية . فتحدثوا عن قوة الخيل ، وسرعتها في العدو ، وحركتها
في الميدان ، وحالتها بعد انتهاء القتال .

فهي طمرة خفيفة ، وعندما تسير مجنوبة تباري الإبل ، وينافس بعضها

بعضاً ، وتجهّد نفسها في الجري ، حتى تشعث وتغبر وتميل سروجها ، وتغرق ، ويسيل العرق على جسمها ويتصبّب على أرجلها ، وتشق على نفسها لدرجة أنها ترمي أفلاءها في الطريق . وهي لكثرة خروجها في الغارات أصبحت معتادة السّرى ، والسير في الأماكن الصعبة الصلبة ، حتى إنها أصبحت كسّاء ، ولحبتها الشديد للجري تهوى الأماكن الواسعة .

أما في الموقعة فهي قوية ، تتلقى الطعنات في صدرها ، ولكنها لا تنحرف عن الأعداء ، عابسة ، لا تبرح الميدان ، ولا تشتكي الكلوم .

ومع أن بعض الشعراء قد قالوا عن خيلهم — بعد العمل الشديد المضني — إنها مازالت قوية قادرة على السير بسرعة^(١) مبالغة في وصف قوتها وسرعتها . فإن بعضاً آخر منهم قد اعترف بالحقيقة في مثل هذه الحالة ؛ فذكر نحول أجسامها وغور عيونها^(٢) . ولكننا نجد الشعراء المداحين في هذه النقطة يبالغون في وصف إجهاد الخيل مبالغة شديدة حتى أنهم يجعلونها غير قادرة على المشي ولو ضربت بالسياط ، وذلك ليبرهنوا على شدة المدح وقدرته على الغزو وإطالة مدة الحرب إلى أن صارت خيله بهذه الحالة^(٣) .

الصور الشعرية للخيل (٢١٠ - ٤٠٢) :

والصور الشعرية هنا تبين لنا كذلك أهمية الفرس لدى العربي ؛ وتوضح صفات الخيل الجسمية ، وأعضائها ، وتصور نشاط ، الخيل ، وسرعتها ، وبجودها في الحرب ، وأثر الحرب فيها .

فأهمية الخيل في الحرب وعظم قيمتها عند العرب واعتمادهم عليها لدفع الأخطار والتجأؤهم إليها وقت الشدة جعلت الشعراء يشبهونها بالحصن (٢١٠ - ٢١١) .

(١) مزرد . المفضليات ص ١٦٤ ، الأبيات ٢٣ - ٢٥ .

(٢) عبيد بن الأبرص . ديوانه ص ٢٨ ، البيتان ٨ - ٩ ؛ وعامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٢١ البيت ٨ .

(٣) راجع شعر زهير بن أبي سلمى في المدح .

وشبه منظرها العام بالخباء (٢٦٥) ، وبالسعالى (٣٠٣ - ٣٠٥) فى الهيئة وإثارة الخوف فى نفوس الأعداء. وقورن طول جسمها بالنخل (٢٨٩) ، ولونها فى الكتلة بلون الصّرف (٢٨٤) ، وخضرة السندس (٢٦٤) ، وبريق متنها وصفائوه بلون الذهب (٢٨٨) ، وبياض الغيرة ببياض الخمار (٢٦٢) .

أما الأعضاء : فقد شبه عنقها بالجدع (٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨) ، وشبهت حدة نظرها بحدة نظر الراعى الذى هجم الذئب على غنمه ، وهو نائم ، فقام مذعوراً (٣٢٣) ، وشبه صدرها بالمداك (٣٢٧ - ٣٢٩) فى الملاسة ؛ والمتنّ بالحبل (٢٧٨ - ٢٨٠) فى القوة والمتانة . وشبهت الأضلاع فى الصلابة بالقِداح (٢٣١) ، وبالقِسيّ (٢٢٠) فى الصلابة والالتواء ، وشبه بريق جوانبها ببريق الدهان (٢٨٧) ، أما الكفّل فقد شبه بمنّ الطيراف (٢٦٦) فى الاكتناز ، والأوراكُ بقارورة الزعفران (٢٨٥ - ٢٨٦) فى اللون والاستدارة مع الملاسة والصلابة ، والأرجلُ بإياد الغبيط (٣٦٥) فى النحافة والضمور ، والحوافرُ بالحجر (٢٤٠ - ٢٤١) فى الصلابة ، وبالمعاول (٢٧٠ - ٢٧١) فى شدتها على الأماكن الصلبة . وشبه تأثير الحجارة فيها بتأثير المبرد فى الحديد (٢٧٢) ، وشبهت الحوافر بالركية (٢٤٣ - ٢٤٤) . وبالعقب (٢٦٨) فى الاستدارة ، وشبهت النسور بالنوى (٣٠١) فى الصلابة والقوة ومتانة التركيب . أما الذيل فقد قورن بسباطة نخلة مرطبة (٢٩٠) فى كثرة الشعر والأسوداد .

وقد صورت قوة أجسامها ومتانة تركيبها وصلابة بنيتها وضمورها بأشياء كثيرة فشبهت بالصخرة فى الصلابة والقوة والمتانة (٢٣٦) ، وبالقوس (٢٢١ - ٢٢٢) ، وبالقِداح (٢٣٠) فى الضمور ، وبجاشية الثوب (٢٦٣) ، وبالحبل (٢٧٧ - ٢٨٠) فى متانة التركيب ، وبالرمح (٢١٢ - ٢١٩) فى الطول والدقة والضمور ، وبالعنان (٢٧٥ - ٢٧٦) ، وبالنوى (٢٩٩ - ٣٠٠) فى الصلابة والضمور ، وبالجذع المشذب (٢٩٢ - ٢٩٤) فى الطول والملاسة والنعومة ؛ وبالسُّلّامة وهى شوكة النخل (٢٩٨) فى دقة الصدر وعظم

العجز ، وبالعصا [٢٨١ - ٢٨٣] في الصلابة والملاسة والضمور .

أما حركتها ونشاطها : فهي تقلب خديها كما يقلب الخصم الألد كفتيه (٤٠٠) ومشيتها كمشية الشارب المستعجل (٣٢١) ، وعند المشي ترفع ذنبها كما ترفع النوق الحوامل أذناها عندما يراد حلب لبنها (٣٦٢) ، وصهيلها كمزامير الشاربين (٣٢٢) .

وصور جدها ونشاطها بأشياء كثيرة : فهي في جدها واستعدادها للعمل كالإنسان المشر عن ساقيه (٣٠٦) ، وشبهت في جريها بالسابح (٣٠٧-٣٢٠) في الحقة والسهولة والتتابع ، وبانصباب الماء من الدلو (٢٥٤-٢٥٥) في السهولة واليسر .

أما في شدة سرعتها وقوتها وخفتها فقد شبهت بالسهم (٢٢٥ - ٢٢٩) ، وبالصخرة الساقطة من أعلى الجبل (٢٣٧) ، وبالريح (٢٤٥) ، وبالحمام (٣٣٤) ، والحدأة (٣٣٥ - ٣٣٦) ، والصقر (٣٢٧ - ٣٤١) ، والعقاب (٣٤٢ - ٣٤٧) ، والنحل (٣٤٨) ، والقطا (٣٥١ - ٣٥٤) ، والحراد (٣٥٦ - ٣٦١) ، والنعام (٣٦٦ - ٣٦٧) ، والظبي (٣٧١ - ٣٧٢) ، والتيس (٣٧٦ - ٣٧٩) ، والسباع (٣٨٠) ، والكلاب (٣٨١ - ٣٨٤) ، والذئب (٣٨٥ - ٣٩٨) . وشبه الغبار الذي تثيره الخيل بالدخان (٢٤٨) ، وبالقطن المندوف (٣٠٢) . أما حفيف جريها فقد شبه بصوت الخذروف (٢٣٤ - ٣٣٥) والنار الملتبهة في السعف والعرفج (٢٤٦ - ٢٤٧) ، وشبه صوت المنخرين عند الشد بصوت الكير (٢٧٣) .

وشبه عرقها بنضج المزداد الوفر (٢٥٨) ، وثوب الماتح (٢٥٩) . أما بعد جفافه واختلاطه بالتراب فقد شبه منظره بمنظر حصير الملح في بيت صاحب الإبل الجربى (٣٦٤) .

وملازمتها الجري صور كأنه نذر (٤٠١) . وشبه وقع حوافرها على الحجارة بالصواعق (٢٥٠) ، وشبه الصخر المتفتت بسبب جريها بالبرد (٢٥١) .

أما شدتها عند الكر ، وعنفها وقت الهجوم ، وقوتها في المعركة فتد
شبهت حالتها عند ذلك بحالتها وهي تطلب فلولها بين الأعداء (٢٩٩) . وشبهت
جماعات الخيل بأسراب الطير (٣٣٠ - ٣٣٢) ، وبأسراب القطا (٣٤٩ -
٣٥٥) وشبهت كثرة ورودها الموقعة بالمطر المزمهر (٢٥٢ - ٢٥٣) .
والخيل التي يطول مكثها في الغارات المتواصلة كالطير العواكف الثوابت في
السماء (٣٣١) .

أما بعد الموقعة وظهور الحرب فيها فقد شبهت الخيل بكبير الجوهرى
(٢٧٤) في غبرة اللون . وشبهت أعناقها المخضبة بالدماء بالأنصاب التي يذبح
عليها (٢٤٢) ، وشبهت عيونها الحواجل بالقلات (٢٦٠) ، وأضلأعها
بسفيف الحصير (٣٦٧) ، وخدودها بالشنان (٢٦٩) ، ورؤوسها الشعث
برؤوس النساء اللاتي لا يجدن الفوالي (٣٢٥) . وشبهت آثار أولادها التي
تضعها قبل تمام وقتها بأطلاء الطحلب (٢٦١) .

وقد تحدث الشعراء عن الخيل في معرض الحديث عن أدوات الحرب .
وكانوا يذكرونها دائماً في مقدمتها ، وفي معرض الفخر والمدح والنصح والتهديد
وتعرضوا للحديث عن سرعتها الفائقة في الهجاء عندما تحدثوا عن هرب العدو .
فكانوا يرمونه بأنها هي التي نجتته من القتل أو الأسر . وتحدثوا عنها كذلك
عندما كانوا يصفون الغنائم التي استولوا عليها ، فكانوا يبالغون في وصفها ،
وذلك بطبيعة الحال يُوحى بأن خيل المنتصرين أقوى وأحسن من تلك ، وهذا
يشبه حديثهم عن بطولة أعدائهم وقوتهم العظيمة فمعناه أن بطولتهم كانت
أقوى وأعظم .

نماذج شعرية للخيل :

١ - قال مزرد أخو الشماخ ، وقيل أنها لجزء بن ضرار أخي الشماخ (١)

(١) المفضليات ص ١٦٤ .

وعندي إذا الحرب العوان تَلَقَّحَتْ

- (١) وأبدت هوائها الخطوبُ الزلازلُ
طوال القرا قد كاد يذهبُ كاهلاً
- (٢) جوادُ المدى والعقبِ ، والخلقُ كاملُ
أجشُّ صريحيُّ كأنَّ صهيله
- (٣) مزامير شربِ جاوبتها جلاجل
متى يُرَ مركوباً يُقلُّ بازُ قانصرِ
- (٤) وفي مشيه عند القياد تساتلُ
تقول إذا أبصرته وهو صائم
- (٥) خبائه على نشز أو السيد مائل
خروج أضاميم وأحصنُ معقل
- (٦) إذا لم تكن إلا الجياد معاقل
مبرزُ غابات وإنَّ يتلُّ عانة
- (٧) يذرُّها كذودِ عاث فيها مخايل

(١) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، وهو أشد لها لتذكرهم الأوتار التي تقدمت فيها . تَلَقَّحَتْ : أي تَلَقَّحَتْ بالقتال أي حملته واستقلت به ، وهذا مثل . هوائي كل شيء : أوائله . الزلازل : يقصد الأمور الجسيمة التي تفعل بالناس فعل الزلازل الشديدة .

(٢) القرا : الظهر . وقال الأصمعي : يستحب من الفرس قصر ظهره وطول بطنه ، ولهذا روى هذا البيت : قصير القرا ... الخ . الطوال : فوق الطويل . كاد يذهب كاهلاً : يريد أنه عرض من قبل كاهله وهو مغرز العنق في الصلب . المدى : الغاية . العقب : جري بعد الجري الأول .

(٣) أجش : في صوته جشة أي خشن الصوت ، وذلك يستحب في الخيل . صريحي : محض النسب ، أو منسوب إلى فعل يدعى الصريح . الشرب : القوم الذين يشربون ، والمفرد : شارب . (٤) خص باز القانص لأنه أضرى من غيره من البيزان . التساتل : التتابع .

(٥) الصائم : القائم الساكت . نشز : مرتفع . السيد : الذئب . مائل : قائم منتصب . (٦) خروج : خارج منها ، أي يسبقها . الأضاميم : جمع إضمامة ، وهي الجماعة من الخيل . (٧) الغاية : مدى السباق . العانة : القطعة من إناث الحمير . يتبعها : عاث : أفسد . المخايل : الرجل الذي يخايل صاحبه أي يباريه . الذود : ما بين الثلاث من الإبل إلى العشر .

يُرَى طَامَحُ الْعَيْنِينَ يَرْنُو كَأَنَّهُ مُؤَانِسٌ ذُعْرٌ ، فَهُوَ بِالْأُذُنِ خَاتِلٌ ^(١)
 إِذَا الْخَيْلُ مِنْ غَبٍّ الْوَجِيفِ رَأَيْتَهَا وَأَعْيُنُهَا مِثْلُ الْقِلَاتِ حَوَاجِلٌ ^(٢)
 وَقَلَقَاتُهُ حَتَّى كَانَ ضُلُوعُهُ سَفِيفٌ حَصِيرٌ فَرَجَّتْهُ الرِّوَامِلُ ^(٣)
 يَرَى الشَّدَّ وَالتَّقْرِيبَ نَذْرًا إِذَا عَدَا

وَقَدْ لَحَقْتُ بِالصَّلْبِ مِنْهُ الشَّوَاكِلُ ^(٤)
 لَهُ طَحْرٌ عَوْجٌ كَانَ مَضِيغَهَا قِدَاحٌ بَرَاهَا صَانِعُ الْكَفِّ نَابِلٌ ^(٥)
 وَصُمُّ الْحَوَامِي مَا يَبَالِي إِذَا جَرَى أَوْعَتْ نَقًّا عَنَّتْ لَهُ أُمُّ جَنَادِلٍ ^(٦)
 وَسَلْهَبَةٌ جَرْدَاءُ بَاقٍ مَرِيْسُهَا مَوْثِقَةٌ مِثْلُ الْهَرَاوَةِ حَائِلٌ ^(٧)

(١) الطامح : الذي يرمي ببصره إلى أعلى . الرنو : أدامة النظر وسكون الطرف . المؤانس : الذي يستأنس يستمع شيئاً يحذره . الذعر : الفرع . بالأذن خاتل : أي كأنه يختل ما يستمع لشدة استماعه ، وأصل الختل : الخداع .

(٢) الوجيف : سير شديد دون العدو . وغبه : بعده بيوم أو أكثر . القلات : جمع قللت ، وهي نقرة تكون في الجبل يجتمع فيها الماء . الحواجل : جمع حاجلة والصفة هنا راجعة للعيون ، وحجلت عينه : غارت .

(٣) قلقته : أذهبت لحمه من كثرة السير . الروامل : اللاتي ينسجن الحصر . سفيف حصير : ما سَفَّ منه أي نسج . فرجته : جعلت فيه الفرج .

(٤) الشد : العدو . التقريب : نوع من الجري . الشواكل : جمع شاكلة وهي الخاصرة .

(٥) الطحور : الضلوع . مضيغها ، لحمها . صانع الكف : حاذق الكف لطيف . النابل : الحاذق في النبل ، القداح : السهام .

(٦) الحوامي : ما أحاط بالنسور . الوعث : المكان الذي يشتد فيه المشي . عنت : عرضت ، يصف شدة حوافره وصلابتها . النقا : مثل الكثيب من الرمل . جنادل : صخور .

(٧) السلهبة : الطويلة من الخيل . الجرداء : القصيرة الشعر . مريسها : شدتها وصبرها في السير . موثقة : محكمة الخلق . الهراوة : العصا . الحائل : التي لم تحمل ، لأنها أصلب وأشد .

كَمِيتٌ عَيْنَانِ السَّرَقَةِ نَمَى بِهِمَا إِلَى نَسَبِ الْخَيْلِ الصَّرِيحُ وَجَافِلٌ ^(١)
 مِنَ الْمَسْبُطَرَّاتِ الْجِيَادِ طِمْرَةٌ ^(٢) لَجُوجٌ هَوَاهَا السَّبَسَبُ الْمَتَاحِلُ ^(٣)
 صَفُوحٌ بَخْدَتِهَا وَقَدْ طَالَ جَرُّهَا كَمَا قَلَبَ الْكَفَّ الْأَلَدُ الْمُجَادِلُ ^(٤)
 يَفْرُطُهَا عَنْ كَبَّةِ الْخَيْلِ مَصْدَقٌ ^(٥) كَرِيمٌ وَشَدُّ لَيْسَ فِيهِ تَخَاذُلٌ ^(٦)
 وَإِنْ رُدَّ مِنْ فَضْلِ الْعَنَانِ تَوَرَّدَتْ ^(٧) هَبِّي قَطَاةٍ أَتْبَعَتَهَا الْأَجَادِلُ ^(٨)
 مَقْرَبَةٌ لَمْ تُقْتَعِدْ غَيْرَ غَارَةٍ ^(٩) وَلَمْ تَمُتِرِ الْأَطْبَاءَ مِنْهَا السَّلَائِلُ ^(١٠)
 إِذَا ضَمُرَتْ كَانَتْ جَدَايَةَ حُلْبٍ ^(١١) أَمِرَّتْ أَعَالِيهَا وَشَدَّ الْأَسَافِلُ ^(١٢)

(١) يقال كميته للذكور والإناث ، والكمة لون بين الشقرة والدمية ، وكميت مصغر لا تكبير له . العبناء : الموثقة الخلق الشديدة . والذكر : عبنى . الصريح وجافل : فحلان ينسب إليهما الخيل .

(٢) المسبطرة : المنقادة في السير ، السريعة . الحيات : فعال من الجودة وهي السرعة . الطمرة : القفوز الوثوب . السبسب : المتسع من الأرض . والمتاحل : المنقاد إلى مثله . اللجوج التي تنرامى في العنان . وهواها ... الخ أي هواها أن تجد سبباً متاحلاً وهو البعيد ما بين الطرفين .

(٣) الألد : الشديد الخصومة . صفوح بخديها : أي تنظر يمينا ويساراً من النشاط ؛ أي تمدل بخديها يمنة ويسرة كما يقلب الخصم يده يمنة ويسرة ، وإنما يصف نشاطها في وقت تعبها .

(٤) يفرطها : يقدمها . كبة الخيل : دفعتها في الجري . المصدق : الصدق في كل ما كان من عمل أو قول . وقيل أن كبة الخيل معناها : جماعة الخيل . ليس فيه تخاذل : شداً واحداً ليس فيه خال ولا فتور .

(٥) يقول إن حبس من عنانها فهي في ذلك كقطاة تبتعتها الصقور فهو أشد لطيرانها . توردت : أسرع . هوي : إسراع . الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .

(٦) المقربة : المؤثرة المكرومة التي لا تترك أن تروى . لم تقتعد : لم تتركب . غير غارة : أي لم تتركب إلا في غارة . المري : مسح الضرع لتدر الداقة فجعله هنا رضاعاً . الأطباء : جمع طبَّي ، وهو من الفرس بمنزلة الثدي من المرأة . السلائل : الأولاد ، يريد أنها لم تحمل فهو أصلب لها .

(٧) الحلب : نبت ينبت في الصيف ويخضر . الجداية : الظبي أتى عليه ستة أشهر أو نحوها . أمرت : قتلت ، أي قتل لحمها وعصبها .

وقد أصبحت عندي تلاداً عقيمة^(١) ومن كل مالٍ مُتَلَدَاتٌ عَقَائِلُ^(٢)
وأنحبسها ما دام للزيت عاصر وماطاف فوق الأرض حافٍ وناعل^(٣)

٣ - وقال سلامة بن جندل السعدي^(٤) :

يو مان يومٌ مُقاماتٍ وأندية^(٥) ويومٌ سَيرٍ إلى الأعداء تأويب^(٦)
وكرثنا خيلنا أدراجها رُجْعاً^(٧) كُسَّ السَّنابك من بدءٍ وتعقيب^(٨)
والعادياتُ أسابيُّ الدماء بها^(٩) كأن أعناقها أنصابٌ ترجيب^(١٠)
من كل حِتٍّ إذا ما ابتلَّ مُلبِّدُهُ^(١١) صافي الأديم أسيل الخدِّ يعبوب^(١٢)

(١) العقيمة : الكريمة . التلاد : القديم ، يقال للذكر والأنثى والمفرد والجمع ، وتاؤه في الأصل مبدلة من واو .

(٢) أحبسها : أحفظها عندي لا أبيعها ، ولا أهبها بسبب حيي الشديد لها .

(٣) المفضليات ص ٢٢٤ .

(٤) التأويب : سير يوم إلى الليل . أي له يومان : يوم في المقامة خطيباً ، ويوم يسير إلى الأعداء . المقامات : جمع مقامة ؛ بفتح الميم وهي المجلس ، أو بضمها وهي الإقامة .

(٥) السنابك : مقادير الخوافر . الأكس : المتشلم ، مأخوذ من قولهم : رجل أكس وامرأة كساء ، وهما اللذان تحاقت أسنانها وقصرت . رجع أدراجها : أي في الطريق التي بدأ فيها . رجما . هزيمة . البدء : الغارة الأولى . التعقيب : الغارة الثانية .

(٦) العاديات : الخيل . أسابي : طرائق ، واحدها إسبابة . أنصاب ترجيب : جمع نصب ، ينصب للذبح في رجب ؛ فشبه أعناقها لما عليها من الدم بالحجارة التي يذبح عليها .

(٧) الحت : السريع . ابتل ملبد : أي من العرق ، والملبد : موضع اللبد من ظهره . صافي الأديم : أي صفا جلده لحسن القيام عليه وقصر شعره . اليعبوب : الطويل ، ويقال الواسع الخطوة وهو الكثير الأخذ من الأرض بين الخطا .

ليس بأُسْفَى ولا أَقْنَى ولا سَغِل

(١) يُعْطَى دَوَاءٌ قَفِيٌّ السَّكَنِ مَرْبُوبٌ

(٢) فِي كُلِّ قَائِمَةٍ مِنْهُ إِذَا انْدَفَعَتْ مِنْهُ أَسَاوٍ كَفَرُغَ الدَّلُو أَثْعُوبٌ

(٣) كَأَنَّهُ يَرْقِي نَامٍ عَنْ غَنَمٍ مُسْتَنْفِرٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مَذْعُوبٌ

(٤) يَرْقَى الدَّسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ بِتَعٍ فِي جَوْجُوٍّ كَمَا كَالِ الطَّيْرِ مَخْضُوبٌ

تَظَاهَرَ النَّيُّ فِيهِ فَهُوَ مُخْتَفِلٌ

(٥) يُعْطَى أَسَاهِيٌّ مِنْ جَوْرِيٍّ وَتَقْرِيْبٌ

يُحَاضِرُ الْجَوْنَ مَخْضَرًا جَحَافِلَهَا

(٦) وَيَسْبِقُ الْأَلْفَ عَفْوًا غَيْرَ مَضْرُوبٍ

(١) الأسْفَى : الخفيف الناصية . الأقْنَى : الذي في أنفه أحديداب . السَّغِل : المضطرب الأعضاء . القُفْيَةُ : الأثرة . القَفِي : الضيف الكريم أو ما يخبأ له من طعام يختص به . ومراده بالدواء ما يداوى به الفرس في ضمره أو اللبن تغذى به الخيل وتؤثر . السَّكَنِ : جماعة بيوت الحي ، أي يؤثر بما عندهم . المَرْبُوب : الذي يغذى في البيوت لا يترك يرود لكرامته على أهله .
(٢) الأساوي : الدفعات من الجري ، شبهها في كثرتها بانصباب الدلو بالماء في السهولة . أثعوب : سائل . فرغ الدلو : مخرج الماء منها .

(٣) اليرْقِي : هنا الراعي الجاني نام عن غنمه حتى وقعت فيها الذئاب فقام من نومه مذعوراً لذلك ، فشبه الفرس به لحدته وطموح بصره ؛ وإذا روي مذعوب بالجر كان صفة للغنم .
(٤) الدسيع : مغرز العنق في الكاهل . المداك : الصلاة . الجَّوْجُو : الصدر ، يريد أن جَّوْجُوهُ مَخْضُوبٌ بالدم . الهادي : العنق . بتع : طويل .

(٥) النِّي : الشحم ، محتفل : كثير . أساهي : ضروب وفنون ، ولا واحد للأساهي .
تظاهر : تتابع . التقريب : دون الجري .

(٦) الجون : الحمير . يحاضرها : يطاولها الجري حتى يبلغها فيصيدها . والإحضار والحضر : شدة الجري . الجحافل للحمير : بمنزلة الشفاه من الناس ، والمشافر من الإبل ، والمقمة والمرمة من الغنم والبقر ، والفقم من الحية . واخضرارها من أكل الخضرة ، وذلك أشد لها وأسرع .

كم فقير ياذ الله قد جبرت
مما تقدم في الهيجا إذا كرهت
وذي غنى بوأته دار محروب^(١)
عند الطعان وتنجي كل مكروب

وقال طفيل الغنوي :

وفينا رباط الخيل كل مطم
يذيق الذي على ظهر متنه
وجرداء مراح نبيل حزامها
تنيف إذا اقورت من القود وانطوت
طروح كعود النبعة المتنخب
بهاد رفيع يقهر الخيل صلب
مطاردتهم أسيها أسنة قعظ
ترامت كخذروف الوليد المثقب
إذا قيل نهنيها وقد جد حدها

. . .

بنات الغراب والوجيه ولاحق
وراداً وحواً مشرفاً حجباًتها
وأعوج تنمي نسبة المتنسب
بنات حصان قد تعولم منجب
وكمثاً مدممة كأن متونها

جری فوقها واستشعرت لون مذهب
نزائغ مقذوفاً على سرواتها
بما لم تخاليسها الغزاة وتسهب
تباري مراخيها الزجاج كأنها
ضرائع أحست نبأة من مكلب

(١) جبرت : أغنت وملت شعته . بوأته : أنزلته . المحروب : الذي حرب ماله .

كَأَنَّ يَبِيسَ الْمَاءِ فَوْقَ مُتُونِهَا
مِنَ الْغَزْوِ وَاقْوَرَّتْ كَأَنَّ مُتُونَهَا
وَأَذْنَابُهَا وَحَفُّ كَأَنَّ ذِيُولَهَا
وَتَمَّتْ إِلَى أَجْوَاذِهَا وَتَقَلَّقَتْ
كَأَنَّ سُدَا قُطْنِ النُّوَادِفِ خَلْفَهَا
إِذَا هَبَّتْ سَهْلًا كَأَنَّ غُبَارَهُ
كَأَنَّ رِعَالَ الْخَيْلِ لَمَّا تَبَدَّدَتْ
وَهَضْنِ الْحَصَى حَتَّى كَأَنَّ رَضَاضَهُ
يُبَادِرُنَ بِالْفَرَسَانِ كُلِّ ثَنِيَّةٍ
وَعَارِضَتِهَا رَهْوًا عَلَى مُتَتَابِعٍ
كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثَوْبٌ مَاتِحٍ
كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَجِلَامُهُ
إِذَا انْصَرَفَتْ مِنْ عَنَّةٍ بَعْدَ عَنَّةٍ
تَصَانِعُ أَيْدِيهَا السَّرِيحُ كَأَنَّهَا
إِذَا انْقَلَبَتْ أَدَتْ وَجُوهًا كَرِيمَةً
حَذَتْ حَوْلَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ وَسَوَّفَتْ

أَشَارِيرُ مِلْحٍ فِي مِبَاءَةٍ مُجْرَبٍ
زَحَالِيفُ وَلَدَانٍ عَفَتْ بَعْدَ مَلْعَبٍ
مَجْرُ إِشَاءٍ مِنْ سَمِيحَةٍ مُرْطَبٍ
قَلَائِدُ فِي أَعْنَاقِهَا لَمْ تُقَضَّبْ
إِذَا اسْتَوْدَعَتْهُ كُلُّ قَاعٍ وَمُذْنَبٍ
بِجَانِبِهِ الْأَقْصَى دَوَاخِنُ تَنْضُبْ
بُؤَادِي جِرَادِ الْهَبْوَةِ الْمُتَصَوَّبِ
ذُرَا بَرْدٍ مِنْ وَابِلٍ مُتَحَلِّبِ
بَحْنُوحَا كَفَرَّاطِ الْقَطَا الْمُنْسَرِّبِ
شَدِيدِ الْقُصَيْرَى خَارِجِيٍّ مُحَنَّبِ
وَإِنْ يُلْقَ كَلْبٌ بَيْنَ لَحْيَيْهِ يَذْهَبُ
سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرْفَجٍ مُتَلَهَّبِ
وَجُورُورٌ عَلَى آثَارِهَا كَلْمُؤَابِ
كَلَابُ جَمِيعِ غُرَّةِ الصَّيْفِ مُهْرَبِ
مُحِبَّةٌ أَدَّيْنِ كُلِّ مُحِبِّ

مَرَادًا وَإِنْ تُقَرَّعَ عَصَا الْحَرْبِ تُرَكَّبُ

فُرحن يُبارين النهابَ عَشِيَّةَ مقلدةً أرسانها غير خيب
مُعَرَّةَ الألقى تلوح متونها تُشير القطا في منقل بعد مقرب
لأيامها قيدت وأيامها جرت لغنم ولم تؤخذ بأرض وتغصب
كأن خيال السحل في كل منزل يضعن به الأسلاء أظلاء طحلب
طوامح بالطرف الظراب إذا بدت محجلة الأيدي دماً بالمنضب
ولللخيل أيامٌ فمر يصطبر لها ويدرف لها أيامها الخير تعقب

٤ - وقال زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان (١) :

القائدُ الخيل منكوباً دوابِرها منها الشُّنُون ومنها الزاهق الزِّهْمُ (٢)
قد عوليتُ فهي مرفوع جواشِنها على قوائم عوج لحمها زِيمُ (٣)
تَنِيذُ أفلاها في كُلِّ منزلة تُنبِخ أعينها العقبانُ والرُّخْمُ (٤)
فهي تتلَّع بالأعناق يُتبعُها خَلَجُ الأجرَّة في أشداقها ضِجَمُ (٥)

(١) العقد الثمين : القصيدة رقم ١٧ ابتداء من البيت ١٥ ، ص ٩٨ .

(٢) الشنون : بين السمين والمهزول . الزاهق : السمين ، والزهم : أسمن منه .

(٣) عوليت : خلقت مرتفعة ، لا يدنو صدرها من الأرض . الجواشن : الصدور . عوج : ليست مستقيمة . وإذا كان في رجلي الفرس قوس (انحناء) ، وفي يديه قنا (اعوجاج) كان أسرع ما يكون . زيم : متفرق عن رؤوس العظام ، أي ليس يجتمع في مكان واحد .

(٤) أفلاها : أولادها .

(٥) تتلَّع بالأعناق : أي تمد أعناقها ، لأنها مقرونة بالإبل . ضجَم : ميل . خَلَج : جذب . الأجرة : جمع جرير وهو حبل من جلد ، يقول الخيل مقطورة بالإبل فإذا استعجلتها الإبل لم تدركها الخيل حتى تمد جحافلها فتبلغ أعجاز الإبل لأن الخيل أبطأ إذا كانت مع الإبل .

تخطو على ربذات غير فائرة ^(١) تحذى وتعد في أرساغها الخدم
قد أبدأت قطفاً في المشي منشرة الـ

أكتاف تنكبها الحزان والأكم ^(٢)
يهوي بها ما جد سمح خلاثقه حتى إذا ما أناخ القوم فاحتزموا ^(٣)
صدت صدوداً عن الأشوال واشترفت
قبلاً تقلقل في أعناقها الجذم ^(٤)

٥ - الإبل

أما الإبل فلم تحظ من شعر الحرب بمثل ما حظيت به الخيل منه ، فبينما نرى الخيل ذكرت ، إن كثيراً وإن قليلاً ، في كل قصيدة هامة ، نجد الإبل لم تذكر إلاّ لماماً . ولكن مع أن ما قيل من شعر الحرب في الإبل قليل بالنسبة لما قيل في الخيل ، فإن هذا القليل قد استوعب كل ما يتصل بالإبل من حيث دورها في حروب الجاهليين .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن الإبل كانت تعتبر مال القوم وعماد حياتهم في ذلك الوقت ، ولذلك إذا توقعوا شراً أو توجسوا خطراً ، أو أحسوا تهديداً أو وعيداً ، كان من السهل عليهم - محافظة على إبلهم واعتماداً عليها - أن يرحلوا عن مكان حلهم ، وينزلوا في ديار أكثر أمناً ؛ دون أن يلحقهم ضيم

(١) ربذات : سريعات الرفع والوضع . فائرة : ينتشر عصبها ، ويقال للمرق إذا ورم وانتفخ فائر . تحذى : أي تنعل دائماً . الخدم : سيور تشد بها النعال .

(٢) أبدأت : سارت في أول الأمر . القطوف : الذي ينفذ يديه في سيره ويقارب خطوه . منشرة : مرتفعة . تنكبها : تؤثر فيها . الحزان : الأماكن الغلاظ .

(٣) احتزموا : استعدوا للقتال .

(٤) الأشوال : بقايا ما في الأوعية ، أي عرضوها على الماء فصدت عنه .

أو تنزل بهم خسارة ، وكان ذلك سهلاً يسيراً لهم ، بعكس هؤلاء الذين يعيشون في القرى والبلاد ذات الزروع والدُّور والأبواب ، قال الأعشى ^(١) :

لسنا كمن جعلت إيدُ دارها

تكرّيتَ تنظُرُ حبّها أن يُحصداً ^(٢)

قوماً يعالج قملًا أبناؤهم وسلاسلًا أجداً وباباً مؤصداً ^(٣)

جعل الإلهُ طعامنا في مالنا رزقاً تضمّنه لنا لن ينفداً ^(٤)

مثل الهضابِ جزارة لسيوفنا فإذا تُراع فإنها لن تُطردا ^(٥)

ضمّنت لنا أعجازهن قدورنا

وضروعن لنا الصريح الأجرداً ^(٦)

ولعظم قيمة الإبل وأهميتها في ذلك الوقت ، كان الناس يعتزون بها ، ويستكثرون منها بكل ما يستطيعون ، ومن ثم كانت من أسباب الغارات طمعاً في أخذها غنائم . ولهذا كانت الإبل تحاط بدفاع قوي متين ، وتصدى أصحابها لصد المغيرين ودفعهم بالسلاح ، محافظة على مالهم وقوام حياتهم ، قال المسيب بن علس ^(٧) :

رأوا نعمة سوداً فهموا بأخذه إذا التفّ من دون الجميع المزمّم

(١) ديوانه : القصيدة رقم ٣٤ .

(٢) يريد الشاعر : لسنا كإباد حرائث ، قد اتخذوا تكرّيت داراً ، فهم لاصقون بأرضهم ينتظرون الحصاد .

(٣) أي قوماً خاملين يقضون الوقت في معالجة القمل المنتشر في أبدانهم ، وقد أوثقوا بالسلاسل ، وغلقت دونهم الأبواب .

(٤) أي جعل الله طعامنا في الإبل ، نرحلها حيث نشاء . رزقاً لا ينفد .

(٥) ضخمة كالهضاب . جزارة : أي نعقرها بسيوفنا للضيغان . لا يطردها مروع أو مغير .

(٦) ضمنت أعجازها قدورنا أن تفرغ . وضمنت ضروعها لنا اللبن خالصاً صافياً .

(٧) ديوان الأعشى ص ٣٢٨ .

وَمِنْ دُونِهِ طَعْنٌ كَأَنْ رَشَاشَةً عَزَّالِي مَزَادٍ وَالْأَسْنَةُ نَزْدَمُ

وقال طفيل الغنوي (١) :

غَنَمْنَا أَبَاهَا ثُمَّ أَحْرَزَ نَسْلَهَا ضَرَابَ الْعِدَا بِالْمَشْرِ فِي الْمَصَمِّمِ

ولأهمية الإبل في حياة العربي نجدها لعبت دوراً خطيراً في الحرب من نواع عدة ، وكانت مجالاً لقول الشعر في مناسبات كثيرة .

فإذا ما أحس شاعر القبيلة أن قوماً يدبرون غارة للهجوم على قبيلته ، كان ينذر قومه ، ويحذرهم من أن تلهيهم الإبل عن الاستعداد للعدو واتخاذ الحيلة ضد هجومهم ، وينبهم إلى أن الاشتغال بتشميرها قد يكون من صالح الأعداء ، فمن ذلك ما قاله لقيط. الإيادي يحذر قومه ضد غارة كسرى (٢) :

لَا تُلْهِكُمْ إِبِلٌ لَيْسَتْ لَكُمْ إِبِلٌ إِنْ الْعَدُوَّ بَعْظَمَ مِنْكُمْ قَرَعَا
لَا تُشْمِرُوا الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا يَحْتَوُوكُمْ وَالتَّلَادَ مَعَا
هِيَهَاتَ لِمَالٍ مِنْ زَرْعٍ وَلَا إِبِلٍ يَرْجَى لِفَا بَرَكَمِ إِنْ أَنْفُكُمْ جُدِعَا
وَاللَّهِ مَا أَنْفَكْتَ الْأَمْوَالَ مُذْ أَبَدٍ لِأَهْلِهَا إِنْ أُصِيبُوا مَرَّةً تَبَعَا

وكان الرجل يتخذ ناقته راحلة تحمله للذهاب إلى قومه إذا كان بعيداً عنهم ليخبرهم بما ينوي الأعداء القيام به من الإغارة عليهم . وفي تلك الحالة — إذا كان شاعراً — كانت هذه الرحلة تثير شاعريته ، فينطلق لسانه مترجماً إحساساته في ذلك الوقت . فكان يصف لنا الناقة والرحلة والمشاق التي تكبدها في سبيل ذلك . من هذا مثلاً ما قاله عميرة بن طارق (٣) :

(١) ديوانه ص ٤٦ بيت ٢٨ .

(٢) مختارات ابن الشجري .

(٣) النقائض ص ٥٠ .

ولما رأيت القومَ جدَّ نفيهِم دعوتُ نَجِيي مُحْرِزا والمثلما
وأعرضَ عني قَعْنَبُ وَكَأَنَّمَا يرى أهلَ أودٍ من صُداء وسُلْمَا
فكَلَّفْتُ ما عندي من الهمِّ ناقتي مخافةَ يومٍ أن الأَمَ وأندما
فمرَّت بِجَنبِ الزَّورِ ثَمَّةً أَصْبَحْتُ وقد جاوزت بالأقحوانات مخرما
كَأن يديها إِذ أَجَدَّ نَجَاؤُهَا يَدَا مُغُولٍ خَرَقَاءَ تُسْعِدُ مَاتَمَا
تُرَائِي الذِّينَ حَوْلَهَا وَهِيَ لِبُهَا رُخِيٌّ وَلَا تَبْكِي لَشَجْوٍ فَتِثْلِمَا
وَمَرَّتْ عَلَيَّ وَحْشِيَّهَا وَتَذَكَّرْتُ نَصِيًّا دِمَاءٍ مِنْ عُيْبَةٍ أُسْحَمَا
فَقَامَتْ عَلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ قُرُورُهَا من الأَيْنِ وَالنَّكَرَاءِ فِي آلِ أَزْنَمَا
سَأَجْشِمُهَا مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَعَزَّيْهُمْ عَدُوٌّ مِنْ الْمَذْمَاةِ وَالْأَمْرِ مُعْظَمَا

وكان القوم المغيرون يتخذون من الإبل رواحل يركبونها ، ويحملون عليها الأمتعة والسلاح والزاد والذخيرة ويجنبون الخيل ادخارا لنشاطها وحفظاً لقوتها حتى يحين وقت القتال ، وإذا ما قاربوا القوم المقصودين بالغارة نزلوا عن الإبل ولبسوا السلاح ، وركبوا الخيل . قال علقمة الفحل (١) :

تتبعُ جُونًا إِذَا مَا هِيَّجَتْ زَجَلَتْ كَأَنَّ دَفًّا عَلَيَّاءَ مَهْزُومٌ (٢)

(١) المفضليات ص ٨٢٠ .

(٢) تتبع جونا : أي تتبع هذه الفرس سود الإبل ، أي تقاد وراء الإبل فتتبعها . هيجت : أي للحلب . زجلت : ارتفعت أصواتها وحن بعضها إلى بعض فكأن حنينها دف مهزوم أي غرور فهو أبح للصوت . علياء : مكان مشرف فذلك أبين لصوته وأرفع له .

يَهْدِي بِهَا أَكْلَفُ الْخَدَّينِ مَخْتَبَرٌ^(١) مِنْ الْجَهَامِ كَثِيرُ اللَّحْمِ عَيْثُومٌ^(٢)
 إِذَا تَزَغَمُ مِنْ حَافَاتِهَا رُبْعٌ^(٣) حَنَّتْ شَغَامِيمٌ فِي حَافَاتِهَا كُومٌ^(٤)

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ^(٥) :

تَمْشِي بِهِمْ أَذْمٌ تَيْطٌ نَسُوْعُهَا خَوْصٌ كَمَا يَمْشِي الْهَجَانُ الرَّبْرَبُ^(٦)

وَقَالَ الْأَعَشَى^(٧) :

وَدُرُوعٌ مِنْ نَسِجِ دَاوَدَ فِي الْحَرِّ بِ وَسُوقٌ يُحْمَلْنَ فَوْقَ الْجِهَامِ

وَقَدْ تَحْدُثُ الشَّعْرَاءُ كَذَلِكَ عَنْ أَخَذِهَا غَنَائِمٌ فِي الْحَرْبِ . قَالَ طَفِيلُ
 الْغَنَوِيِّ^(٨) :

أَخَذْنَا بِالْمَخْطَمِ مَنْ عَلِمْتُمْ مِنَ الدُّهُمِ الْمَزْنَمَةِ الرَّغَابِ

(١) يَهْدِي بِهَا : أَيِ يَتَقَدَّمُ هَذِهِ الْإِبِلُ وَيَهْدِيهَا جَمَلَ أَكْلَفِ الْخَدَّيْنِ ، وَالْكَلْفَةُ : سَوَادٌ فِي اللَّوْنِ وَغَبْرَةٌ . مَخْتَبَرٌ : أَيِ جَرَّبِ الْأَسْفَارَ وَاسْتَعْمَلَ فِيهَا كَثِيرًا . كَثِيرُ اللَّحْمِ : عَظِيمُ الْخَلْقِ غَلِيظٌ . الْعَيْثُومُ : الْعَظِيمُ الْخَفِّ ، وَقِيلَ هُوَ الْفِيلُ ، شَبَّهَ بِهِ الْجَمَلَ فِي الْعَظَمِ .

(٢) تَزَغَمُ : صَوْتُ ، وَيُقَالُ تَزَغَمَ الْفَصِيلُ إِذَا حَنَّ حَنِينًا خَفِيفًا أَوْ خَفِيًّا ، الرَّبْعُ : الْفَصِيلُ الْمَوْلُودُ أَوَّلَ الرَّبِيعِ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّتَاجِ . الشَّغَامِيمُ : الطَّوَالُ . السَّكُومُ : الْعِظَامُ الْأَسْنَمَةُ . حَنَّتْ : صَوَّتَتْ ، أَيِ تَجَاوَبَ أَوْلَادُهَا وَحَنَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ .

(٣) دِيْوَانُهُ ص ١٤ بَيْت ١٤ .

(٤) أَذْمٌ : إِبِلٌ بَيْضٌ . تَيْطٌ : تَصِيحٌ ، وَلَا يَكُونُ الْأُطْيَيطُ إِلَّا لِلرَّحْلِ إِذَا كَانَ جَدِيدًا . خَوْصٌ : غَائِرَةُ الْعَيُونِ . الْهَجَانُ : الْإِبِلُ الْبَيْضُ . الرَّبْرَبُ : جَمَاعَةُ الْبَقَرِ ، شَبَّهَهَا بِالْبَقَرِ لِبَيَاضِهَا .

(٥) الْأَعَشَى : دِيْوَانُهُ ص ١١ ب ٥٨ .

(٦) دِيْوَانُهُ ص ٥٥ ب ١٢ .

وقال زهير بن أبي سلمى (١) .

إِذَا نَهَبُوا نَهْباً يَكُونُ عَطَاءُهُ صَفَايَا الْمَخَاضِ وَالْعِشَارُ الْعَوَاطِلُ

وقال ساعدة بن جثوية (٢) :

وَاسْتَدْبَرُوهُمْ يَكْفِثُونَ عُرُوجَهُمْ مَوْرُ الْجَهَامِ إِذَا زَفَقَتْهُ الْأَزْيَبُ

وقال ايضاً (٣) :

فَجَلَّزُوا بِأَسَارِي فِي زِمَامِهِمْ وَجَامِلٍ كَحَزِيمِ الطُّودِ مُقْتَسِمِ

وهنا يحاول الشعراء أن يصفوا الإبل بالكثرة والعظم والسمن ، Lieظموا مقدار ما أخذوه من العدو ، ومبلغ جهدهم في تخليصه من أصحابه ، إذ أن ذلك لا يكون عادة إلا في مواطن الفخر أو الهجاء .

وكانت الإبل تدفع ديات للقتلى حسباً للنزاع ، ومنعاً لحدوث معارك أخرى . وكان يدفعها القاتلون ، أو قوم آخرون بدافع حب السلم والإصلاح بين المتنازعين . وكان دفعها دية يثير الشعراء ، فقالوا فيه من الشعر الكثير . من ذلك :

فَلَوْ أَنَّ حَيًّا يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً لَسَقْنَا لَهُمْ سَيْلاً مِنَ الْمَالِ مُفْعَمًا

وَلَكِنْ أَبَى قَوْمٌ أَصِيبَ أَخُوهُمْ

رَضَا الْعَارَ فَاخْتَارُوا عَلَى اللَّبَنِ الدَّمَ (٤)

وقول زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان وزميله الحارث حين تحملا

(١) ديوانه « طبعة دار الكتب » ص ٢٩٨ .

(٢) أشعار الهذليين ص ٦٤ ب ٦٣ .

(٣) أشعار الهذليين ص ٢١ ب ٤٦ .

(٤) الحماسة ج ١ ص ٧٠ .

ديات القتلى من الفريقين المتقاتلين في حرب داحس والغبراء ^(١) :

تَعْفَى الْكُلُومَ بِالْمُتَيْنِ فَأَصْبَحَتْ بِنَجْمِهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ
يَنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً وَلَمْ يُهْرَيْقُوا بَيْنَهُمْ مِلَّةً مِخْجَمٍ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمِ

الصور الشعرية للإبل (٤٠٣ - ٤١٠) .

لقد شبه الجمل بالفيل (٤٠٧) في الضخامة ؛ وبالبقر الوحشي (٤٠٨) في حسن المنظر وجمال الجسم ، وبالطود (٤٠٩) في العِظَم ، وبالسندان (٤٠٤) في متانة الجسم وقوة التركيب واكتناز البنية ، وشبهت الإبل المسوقة بالسحاب الذي تدفعه الريح (٤١٠) في الكثرة والتحرك .

وشبهت الناقة بالقطا (٤٠٣) في سرعة الجري ، وشبهت خفة يديها وتتابعها في سرعة بحركة امرأة نائحة في مأتم (٤٠٥) . أما الصوت الذي تحدثه الإبل عندما تهيج فشبه بصوت دف مخروق في مكان عال في وضوح النغمات وارتفاعها (٤٠٦) .

٦- الأسلحة والمعدات الحربية

لقد ظهر لنا أن البيئة الجاهلية كانت تساعد على وجود المنازعات والمشاحنات ، وانتشار الخوف والفرع ، وتوقع الخطر في كل لحظة ، مما نشأ عنه كثرة الحروب في أيامهم التي سبق الحديث عنها . فكان من الطبيعي أن تصبح الأسلحة والمعدات الحربية ضرورية للحياة في ذلك الوقت . لذلك اهتم العربي بها اهتماماً كبيراً ، وبذل كل ما يستطيع للحصول على أكبر كمية من خيرها وأجودها ، وقد شرح لنا الشعراء في أشعارهم وجهة نظر العربي نحو الأسلحة حينئذ ، ومنها

(١) المعلقة .

يتبين أنها كانت عدته التي يعتمد عليها لمواجهة الخطر ، قال أمية بن أبي الصلت (١) :

وأرصدنا لريب الدهر جرداً تكون متونها حصناً حصينا
وخطياً كأشطان الركيا وأسيافاً يُقْمَنَ وينحنينا

وما كان للبدوي لينزل الأماكن الخيفة لولا اعتماده على سلاحه . قال
ربيع بن مروم (٢) :

وثغري مخوف أقمنا به يهابُ به غيرنا أن يُقيا
جعلنا السيوفَ به والرماح معاقلنا والحديدَ النظيا
وجرداً يُقرَّبُ دوت العيال خلال البيوتِ يَلْكُنُ الشكيا

وبُعَد الحرب كانت له الجرأة على خوض غمار الحرب ، وبها كان يُخيف
مُوعِدِيه ، ويصدُّ من ينبغي ضيمه ، قال صخر الغي ، بعد أن وصف معداته
الحربية (٣) :

ذلك بزي ولن أفرطه أخاف أن يُنجِزوا الذي وعدوا
فلستُ عبداً لموعدِي ولا أقبل ضيماً يأتي به احد
وعلى درجة تلك الممدات من الوفرة والجودة تتوقف درجة الحرب
ونتيجتها ، فما أُعِدَّ خير إعداد كان أحسن ما يصلح للقتال .

والحربُ لا يَبْقَى لِحما حما التخيل والمراح

(١) شعراء النصرانية ص ٢٣٣ .

(٢) الفضليات ص ٣٦٣ .

(٣) شعر الهذليين ج ٢ ص ٦١ .

إلا الفتى الصَّبَّار في النَّـ جَدَّات والفرسُ الوَقَّاح
والنثرة الحصداء والـ بيض المكلَّل والرمَّاح^(١)

وما كان العربي يتمنى شيئاً يوم الشدة سوى رمح قوي حاد ، وسيف
حسام صقيل ، وفرس جرداء سلمية ، ودرع سابغة متينة ، ذلك هو كل ما
كان يبغيه من مال ، استمع إلى عامر بن الطفيل إذ يقول^(٢) :

يوم لا مال للمحارب في الحر ب سِوَى نَصْلِ أَسْمَر عَسَّال
ولجام في رأس أجرد كالجد ع طـوال وأبيض قَصَّال
ودِلاصٍ كالنَّهي ذات فُضُول ذاك في حلبة الحوادث مالي

وقد بلغ من اعتزاز العربي بمعدات الحرب وعظم تقديره لها أن كان لو
ملكها وحدها دون أن يكون في حيازته أي مال آخر لعدّ نفسه غنياً ، ولو
مات عنها لكان في توريثها ورثته من بعد خير غناء .

وهكذا بين الشعراء لنا سبب اهتمام العرب بمعدات الحرب : فبها كانوا
يحافظون على حياتهم ، ويصونون شرفهم ، ويدافعون عن عزتهم ، ويرضون
رغبتهم ، ويحققون أمانيتهم . قال عامر بن الطفيل^(٣) :

فما أدرك الأوتار مثلُ محقِّ بأجرد طاوٍ كالعسيبِ المُشدَّب
وأسمَرَ خطيٍّ وأبيضَ باترٍ وزَغفٍ دلاصٍ كالغدير المشوَّب
سلاح امرئٍ قد يعلم الناسُ أنه طلوبٌ لثاراتِ الرجالِ مطْلَب

(١) سعد بن مالك البكري : شعراء النصرانية ص ٢٦٤ .

(٢) ديوانه ص ١٥٧ .

(٣) ديوانه ص ١٥٢ الأبيات ٥ - ٧ .

ومن الشعر الذي بين أيدينا نجد أن الأسلحة والمعدات التي استعملها
الجاهليون في حربهم كانت : القوس ، والسهم ، والرمح ، والسيف ، والدرع ،
والبيضة ، والترس .

وفيما يلي الحديث عن كل منها حسب الترتيب السابق :

أولاً : القوس

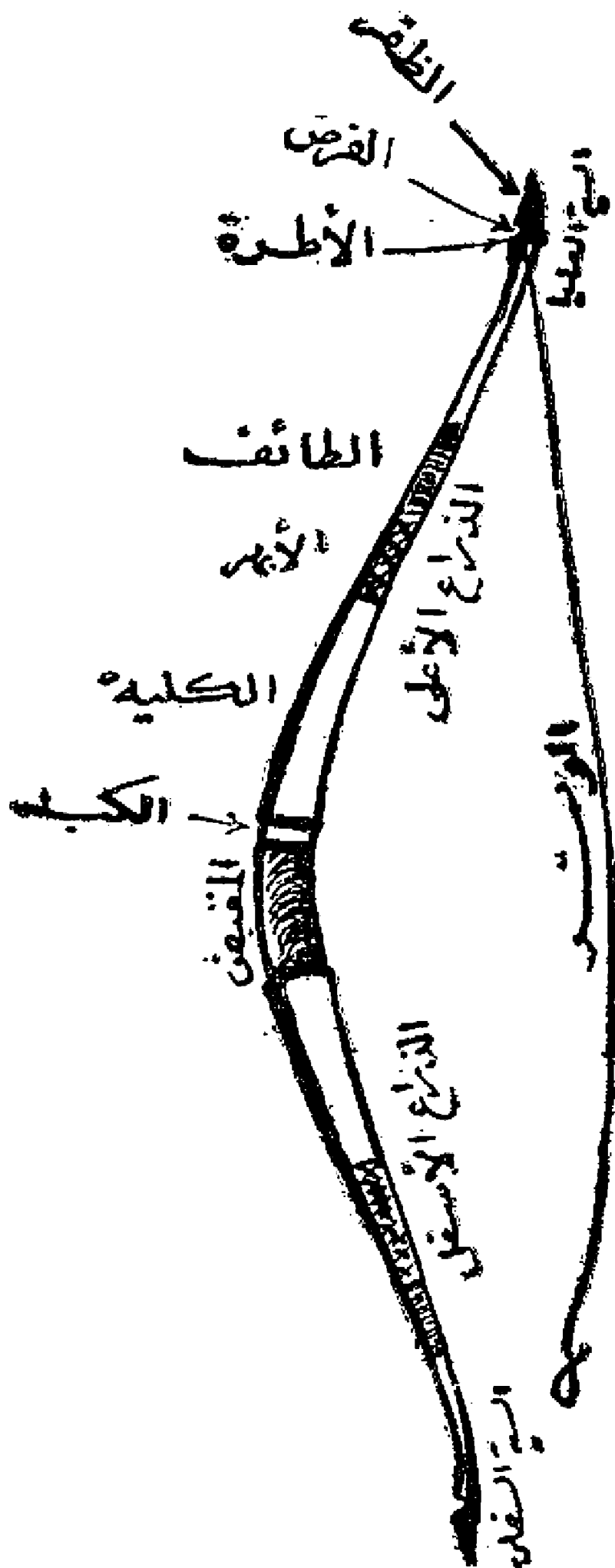
أجزاء القوس :

تتكون القوس من خمسة أجزاء
عدا الوتر ، وهي السيتان ، والذراعان
والمقبض .

وللقوس نصفان : أعلى ، وهو ما
يكون في جهة السماء عند الرمي ؛
وأسفل وهو الذي يتجه نحو الأرض .

والأعلى عبارة عن الجزء الذي
يبتدىء من نهاية السيتة العليا إلى
مقدار عرض أصبع من المقبض . وما
بقي فهو عبارة عن الجزء الأسفل وهو
السيتة السفلى والذراع السفلي . والمقبض
ناقصاً مقدار عرض أصبع .

وعرض الأصبع من المقبض مما يلي
الذراع العليا وهو وسط القوس ،
يسمى كبد القوس ، وهو الموضع
الذي يمر منه السهم عند الرمي .



ويقع في منتصف القوس ، ليوجد التوازن المطلوب لدقة الرمي وضبطه .
وها هي ذي تفصيلات كل جزء من الأجزاء الخمسة السابقة :

السية :

السية هي الجزء المنحني عند طرفي القوس ، وفيها :

١ - الفِـرْضُ : وهو الموضع الذي يربط فيه الوتر .

٢ - الظفر : وهو الجزء من الفرض إلى نهاية السية ، ويسميه المحترفون :
العصفور ..

٣ - الأطيرة : وهي الجزء البارز من الحرف الأسفل للفرض ويسميه
المحترفون : العقبية .

الذراع :

الذراع هي الجزء الذي بين السية والمقبض : ويسمى : البيت . وفيه :

١ - الركبة : وهي موضع اتصال السية بالذراع ، وهي الجزء الذي يرى
بارزاً ومنحنياً .

٢ - العنق أو الطائف وهو الجزء الذي يلي السية نحو المقبض .

٣ - الكليلة : وهي الجزء الذي يلي الكبد ، وهي أغلظ نوعاً ما ،
وأعلى من المقبض .

٤ - الدقة : وهي نهاية كل ذراع عند المقبض ، وعندها تبتدىء المرونة .

٥ - الأبر : وهو الجزء الذي يلي الكليلة من الذراع .

المقبض :

المقبض هو الجزء الذي يقبض عليه الإنسان عند الرمي ، وفيه :

١ - الكُبيد : وهو الجزء الذي يمر فيه السهم عند الرمي ، وهو بمقدار عرض الأصبع من المقبض ، ويقع في وسط القوس .

٢ - العُرْف : وهو شيء كالجلد على ظهر المقبض ، ويسميه المحترفون الفرس .

٣ - الخدرود : عظم يغطي المقبض .

٤ - الإبرنجاق : قطعة من الخشب توضع على المقبض عند نهاية قرن كل من الذراعين .

وللقوس ظهر وبطن .

فالظهر : هو الجهة التي لا تقابل وجه الإنسان عند الرمي ، ويغطي بنوع من الجلد .

والبطن : هو الذي يكون مقابل وجه الإنسان عند الرمي ، ويغطي بالقرن .

خشب القوس :

ذكر الشعراء أن القسي كانت تصنع من خشب النّبع ، أو الشوحط ، أو الشريان . والواقع أن هذه الأسماء الثلاثة لنوع واحد من الشجر ، ولكن تختلف أسماؤه باختلاف أماكنه .

فالنبع : ما كان في قلة الجبل .

والشريان : » » » سفح الجبل .

والشوحط : » » » الحضيض .

أما الوتر فيصنع عادة من الجلد ، وأحسنها ما كان من جلد الإبل غير السمينة ^(١) .

(١) راجع تفصيلات هذا في كتاب : Arab Archery

وقد ذُكرت قليلاً أسماء أنواع أخرى من الخشب تعمل منها القسي : وهي :
السندرة^(١) : وهي شجرة للقسي والنبيل ؛ والشِّراء : واسم الشجرة منه :
سَرَاة^(٢) ؛ وشجر الحرم^(٣) نسبة إلى الحرم .

حديث الشعراء عن القوس :

تحدث الشعراء عنها في معرض النصيح ، والتهديد ، والفخر ، والوصف .
وكان حديثهم عنها يدور حول الخشب الذي صنعت منه ، وصنعها ،
وأهم صفاتها المستحسنة . أما الخشب الذي صنعت منه ، فقد أكثر الشعراء
من ذكر شجر النبع ، وذلك - على ما يظهر - لأنه ينبت في قمم الجبال .
ولذلك افتخر بعضهم بأن الشجر الذي صنعت منه قوسه لم يشرب من ماء
الأنهار^(٤) ، وليس شجراً خواراً ؛ ولشدة إعجابهم بشجر المرتفعات نجد بعض
الشعراء حاول أن يذكر لنا قصة طويلة يصف فيها ما ناله من الجهد والإعياء
حتى توصل إلى الشجرة التي أخذ منها فرعاً ليصنع منها قوسه ، حيث كانت
في قمة جبل عال تحيط به صخور ملساء صلبة ، أدمت يديه ورجليه وأظفاره ،
وبلغ منه الإعياء درجة همّ عندها أن يصرف نظره عن الحصول على هذا
الفرع . وفضل الشعراء ما كان خشبها من أعلى الغصن^(٥) ، ولم ينبت قضيبتها
أعوج^(٦) .

وأما صنعها : فخبرها ما تتبعها باريها حتى جعلها مطروقة متتابعة ، ولم
يهمل فيها ، بل قام عليها قياماً حسناً ، حتى تمت ، ليس فيها عيب من العيوب .

(١) أبو جندب : أشعار الهذليين طبعة دار الكتب ج ٣ ص ٩٣ .

(٢) عنتره : العقد الثمين ، قصيدة رقم ١٥ .

(٣) حسيل بن سجيح : الحماسة ج ١ ص ٢٢٢ .

(٤) راشد بن شهاب : المفضليات ص ٦١٢ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٦ .

وأهم صفاتها المحمودة ، أن تكون متوسطة ؛ لا يشينها طول ، ولا يعيبها قصر^(١) ؛ مضلوعة أي شديدة^(٢) ؛ سمحة أي سهلة ، وليست بكزة ، تعطي ما عندها عفوا^(٣) ؛ كثرة ، أي ليس فيها صدع^(٤) ؛ وليس بها وقر أي ثلم^(٥) ؛ حاشكة أي تحشك بدرتها ، إذا رمي عنها أسرع سهمها^(٦) ؛ هتوف ، أي مصوّنة ، صوتها عَرِد ، بعيد ؛ مَصوّنة ، تحفظ في عناية ليوم الحاجة إليها^(٧) . وقد أكثر الشعراء من ترديد اصفرارها ، وإن كان يوصف ليظها^(٨) بالاحمرار^(٩) . وورد في أشعارهم .

١ - قِسيّ زاررة : وهم حي من أزد السراة^(١٠) .

٢ - الماسخية : وهي الأقواس التي نسبت إلى ماسخة ، وهو قواس أزدي^(١١) . ويقال إنه أول من عمل القسي من العرب . والقواسون والنبالون من أهل السراة كثير لكثرة الشجر بالسراة^(١٢) .

٣ - قوس رَضَوِيّة : نسبة إلى رضوي ، وهي امرأة^(١٣) .

(١) أوس بن حجر ؛ شعراء النصرانية ص ٩٥ .

(٢) المتنخل : ديوان الهذليين ج ٢ ص ١١ .

(٣) أبو المثلّم : ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المتنخل : ديوان الهذليين ج ٢ ص ١١ .

(٦) ساعدة بن جؤبة : ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢١٦ .

(٧) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٢٢ ب ٣٣ .

(٨) الليط : القشر الأعلى .

(٩) ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٢ .

(١٠) الهذليين : ص ٦٠ .

(١١) القاموس . ج ١ ص ٢٦٩ .

(١٢) لسان العرب ج ٤ ص ٢٣ .

(١٣) عنبرة . العقد الثمين قصيدة ١٥ .

صور القوس الشعرية (٤١١ - ٤١٧) .

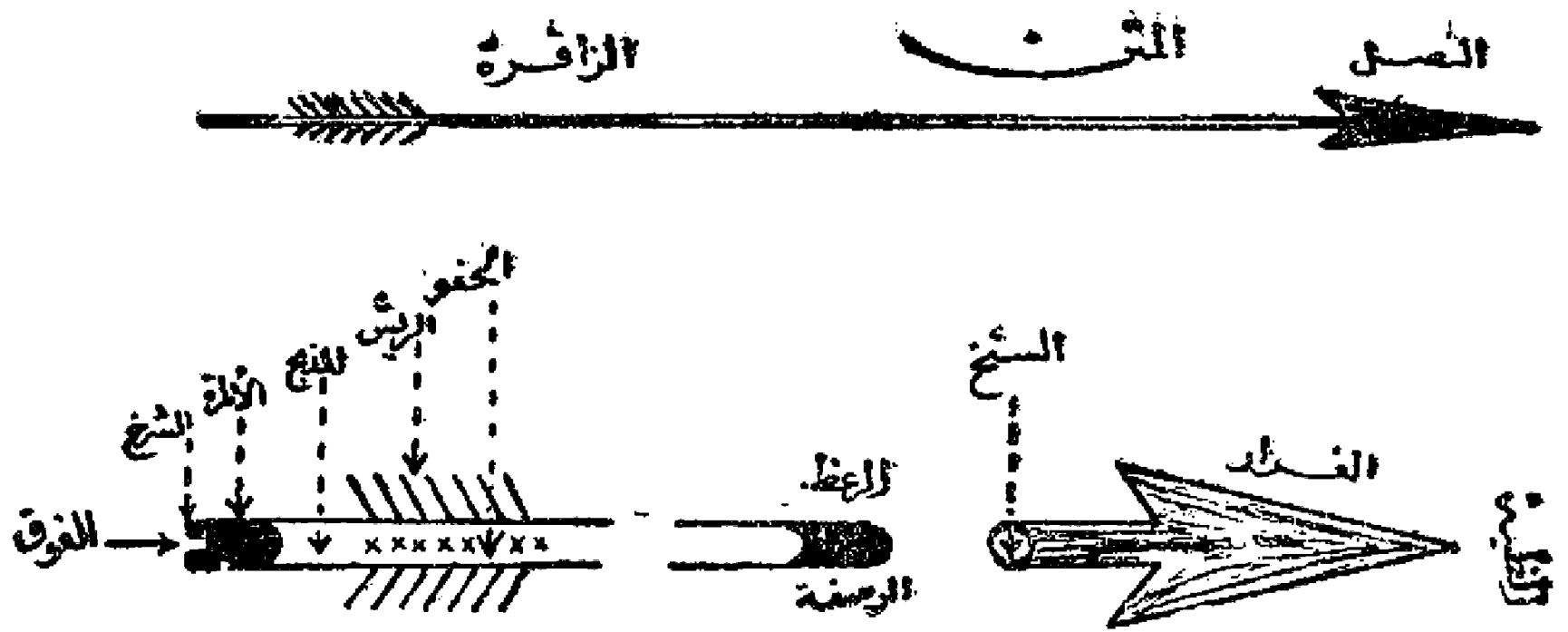
شبهت بالأضلاع (٤١٢) في الصلابة والانحناء ؛ وبجاشية الإزار (٤١٧) في المتانة والقوة ؛ والسبيكة (٤١٣ - ٤١٤) في الاصفرار والحسن وجمال الصنعة ، وشبهت براية عودها بسفم البهمى (٤١١) ، وشبه هزمها في الوتر بصوت النحل (٤١٥) ؛ وشبه حفيفها بحفيف ريح شديدة تحطم كل ما مرت به (٤١٦) .

ثانياً : السهم

السهم : ما يُرمى في الهدف ، وهو قبل أن يُرْبَش يسمى : القِدْح فإذا ما وضع عليه الريش سمي : المَرِيش ، وإذا ما وضع فيه النصل فهو السَّهْم ، وهذه أجزاؤه :

- ١ - الفُوق أو الكَزّ : وهو الحز الذي في السهم حيث يوضع الوتر .
- ٢ - الشَّرْخَان : مُشَنَّى شَرخ ، وهما فلقتا الفوق
- ٣ - الأُطْرَة : قطعة من الجلد تُتَلَف حول قاعدة الفُوق .
- ٤ - الحَفْو : وهو الجزء الذي يوضع فيه الريش .
- ٥ - المذبح أو الخصر : وهو ما بين أصول الفوق والريش .
- ٦ - الزافرة : وهو الجزء الذي يلي الحفو .
- ٧ - المتن : وهو الجزء الذي يلي الزافرة حتى النصل .
- ٨ - الرَصْفَة : وهي قطعة من الجلد تلف حول نهاية السهم لتثبيت النصل فيه .

- ٩ - الرُعْظ : وهو الجزء الذي يدخل فيه النصل .
- ١٠ - النصل أو الحديد : وهو نهاية السهم المعدنية .
- ١١ - الظُّبَة : وهي نهاية النصل المدببة .
- ١٢ - الفراران : شفرتا النصل .
- ١٣ - الكُلّية : ما عرض من النصل مما يلي الرّصاف .
- ١٤ - السِّنخ : الحديد التي تدخل من النصل في رأس السهم .



حديث الشعراء عن السهام :

تحدث عنها الشعراء في ثنايا حديثهم عن الأدوات التي أعدوها لحروبهم، وفي مجال النصيح والتهديد لمن تحدثه نفسه بالاعتداء ، وفي مقام الإثارة ، إذ ينصحون القوم باتخاذ أحسنها ؛ وافتخروا بجودتها ، وحسن صنعها ، وشدة إحكامها ، وجمال هيئتها بحيث تسر الخبير بها ، وبسرعتها ، وقوتها ، بما يجعلها شديدة الوقع عظيمة الأثر .

وخيرها عندهم ما أخذ من أجود شجر السهام بحيث يكون عديم العُقد أو قليلها ، وعيدانه متخيرة منتقاة قليل أمثالها ، وقد يراها صانع حاذق ، وتأنى فيها وتأمل ، حتى جاءت متقنة البري محكمة الصنع ، متينة صلبة ، كتوم ليس فيها صدع ولا شق ، قوية الأطر .

أما من حيث هيئتها ، فأحسنها ما كانت متشابهة الطول ، معتدلة ، وليس بها اعوجاج ، مصفرة اللون .

وورد في شعرهم ذكر أنواع من النصال منها :

المعابل : وهي النصال العريضة الطوال ^(١) .

والرهاب : وهي النصال المرهفة الرقيقة ^(٢) .

(١) ذو الأصبع : شعراء النصرانية ص ٦٣١ .

(٢) ديوان الهذليين ج ٢ ص ٥٩ .

والمبايعج : وهي النصال العريضة .

والشجر : وهي عرائض الأوساط ^(١) .

والسلاجم : وهي الطوال ^(٢) .

واستحسن الشعراء من النصال ، ما كانت خفيفة ، فيها لمعان وبريق ، وكانت مصقولة مسنونة ، حادة الغرارين ، وليست شديدة الرقة لئلا تتكسر ، وقد لطف حدها حتى غمض ، وهي صلبة .

وخير ريشها عندهم ما كان من أقوى الطيور ، وكان أحمر ، أسحم ، ناعماً ، لين الملمس ، بطن كلٍّ إلى ظهر الأخرى ^(٣) .

وقد تحدث الشعراء عن سرعة السهام ، وشدة طيرانها ، وقوة وقعها . وورد في أشعارهم ذكر نبل يثرب ^(٤) ؛ والسهام الحرمية أي ما صنعت من شجر الحرم ^(٥) .

الصور الشعرية للسهم (٤١٨ - ٤٣٨) :

شبهت السهام بالسيور في النعومة ، واستواء القطع والقدر (٤١٨-٤١٩) وشبهت بأعناق الأطباء (٤٣١) في الحسن والجمال ، وشبهت أطرها بعراقيب القطا (٤٣٥) في الصلابة ؛ وقورن لونها بلون الزعفران (٤٢١) في الصفرة . وشبهت أثناء الرمي بمطر الخريف (٤٢٣) ، وبالبرَد (٤٢٤ - ٤٢٨) في الكثرة والتتابع والسرعة ، وقورنت بالنحل (٤٣٢ - ٤٣٤) في السرعة والإيذاء بمجرد اللمس . أما حركتها عند الإنطلاق ، وقوة اندفاعها ، وشدة وقعها على الهدف ، فقد شبهت بحركة الغضبان الثائر (٤٣٦) .

(١) ساعدة بن جؤبة ؛ ديوان الهذليين ج ١ ص ٢٢٥ .

(٢) حسيل بن سجيح : الحماسة ج ١ ص ٢٢٢ . والأعشى قصيدة ٢ ب ٧٢ .

(٣) ذر الإصبع : شعراء النصرانية ص ٦٣٢ ، وساعدة بن جؤبة : ديوان الهذليين

ج ١ ص ٢٢٥ .

(٤) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٣ ب ٥٧ .

(٥) حسيل بن سجيح : الحماسة ج ١ ص ٢٢٢ .

وشبهت النصال بالنار (٤٢٩ - ٤٣٠) في التوهج والقضاء على كل ما تلمسه وقورنت آثارها بآثار السم (٤٢٢) في الأذى والإهلاك. وشبه منظرها في

أجسام المصابين بالكراث (٤٣٨) لأن الكراث بها ثلاث ورقات تشبه قذذ السهم .

وقد شبه الشعراء السهام بالحصن (٤٣٧) في اعتماد أصحابها عليها والتجاءهم إليها وقت الشدة والخطر .

ثالثاً : الرمح

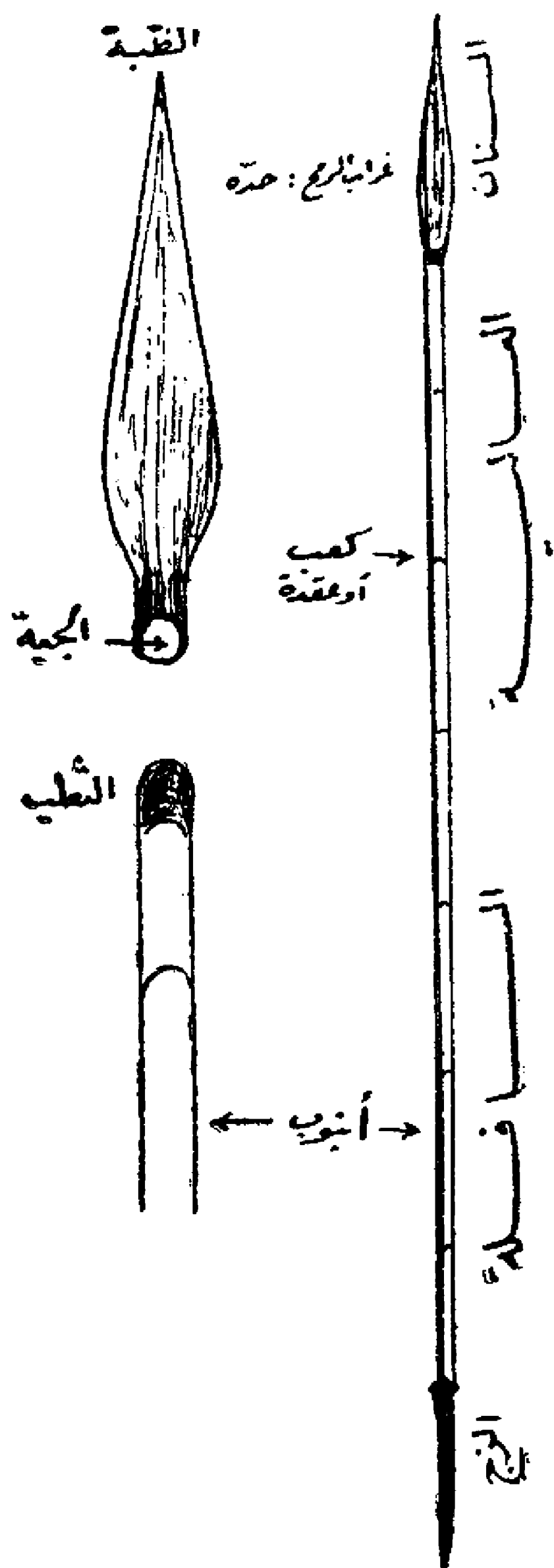
يتكون الرمح من ثلاثة أجزاء هي :

١ - الزوج : وهو حديدة تكون في أسفل الرمح .

٢ - القناة : وهي القائم الذي يثبت في أسفله الزجاج ، ويدخل في أعلاه السنان وهي ذات جزأين رئيسيين هما :

(أ) السافلة : وهي النصف الذي يلي الزجاج :

(ب) والعالية : وهي النصف الذي يلي السنان .



وقد تطلق كلمة «العوالي» ويراد بها الرماح أنفسها أما الجزء الذي على قدر ذراع من السنان فيسمى «عاملاً» . وذلك لأنه الجزء الذي يعمل . وقيل إن العامل هو كل الرمح، لأنه لا يعمل ببعض دون بعض؛ وقيل بل هو السنان لأنه الجزء الذي يعمل به ^(١) . والجزء الذي يدخل من القناة في السنان يسمى «الثعلب» . أما الكعب فهو كل عقدة بين أنبوبين . والليط : قشر القناة .

٣- السنان : وهو النصل ، يصنع من حديد .

ونهاية السنان المدببة تسمى «الظبة» .

أما الجزء الذي تدخل فيه القناة من السنان فيسمى «الجبة» والمسار الذي يكون في جبة السنان حيث يركب في عاليه الرمح يسمى «الظنبوب» .
المادة التي تصنع منها الرماح :

تقدم أن كلا من الزجاج والسنان مصنوع من الحديد . أما قناة الرمح فقد قال أبو منصور الثعالبي في كتابه «فقه اللغة» إنها تصنع من نبات الوشيج والمران . وقال تشارلز لايل Lyall في ترجمة المفضليات : « إن الرماح العربية كانت تصنع من Bamboos القصب الهندي . » ^(١)

حديث الشعراء عن الرمح :

قد تحدث الشعراء في أشعارهم عن الصفات المحبوبة في كل جزء من أجزاء الرمح ، وأعطوا عناية خاصة للسنان وقائم الرمح ، أما الزجاج فلم يجرى في الشعر إلا مجرد ذكر اسمه فقط .

فاستحسن الشعراء من أسنة الرماح ما كان صافياً ، لامعاً ، حاداً، ماضياً، مصقولاً .

أما قائم الرمح فأجوده عندهم ما كان أصم غير أجوف، مطرداً، معتدلاً

(١) Mufaddaliyyat Translation, p. 82. footnote 17.

ليس به أعوجاج ، أملس لا لحاء عليه ولا نتوء ، صلبا ، غير يابس ، مارنا ، يضطرب عند اهتزازه ، لدنا ، ليننا ، يرضي صاحبه ، ويلذ به الكف كلما هز ، مثقفا ، مقووما ، وعقدُه صلبة ليست خوارة ، وكعوبه مطردة صحيحة . وفضلوا من ألوانه : الأحمر ، والأسمر لأن كلاً منهما يدل على الصلابة وتام النضج . وخير الأسنة ما كان أزرق لأنه يدل على صفاء معدنه .

أما طول الرمح فخير ما كان متوسطا ، لا هو بالغ الطول ، ولا شديد القصر . وقد قال بعض الشعراء إن رمح كان إحدى عشرة ذراعا :

وأسمر خطيا كأن كعوبه نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر^(١)

ولكن عبيد بن الأبرص اختار رمح خمس أذرع :

هاتيك تحملي وأبيض صارما ومحربا في مارت مخوس^(٢)

طريقة وضعها عند الذهاب للحرب :

ورد في الشعر أنها كانت أحيانا توضع متجهة إلى أعلى ، فتنتصب قائمة ، قال الأعشى :

على جُرد مسومة عوابسَ تعلك اللجما
تخال ذوابل الخطي في حافاتها أجما

(١) نسب هذا البيت في شعراء النصرانية إلى حاتم الطائي . ولكن صاحب سبط اللآلي - ص ٢٨٦ - نسبه إلى عتيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ، وقال هناك معقبا على طول الرمح المذكور بأن هذا أوسط القنا عندهم ، وهو المحمود ، وروى قول البحتري :

كالرمح أذرع عشر وواحدة فما استبد به طول ولا قصر

(٢) ديوانه ص ٤٣ ب ١٩ .

أو توضع مائلة بحيث تكون موازية لحدود الخيل قال لبيد^(١) :
يطرد الرمح يباري ظلّه
بأسيل كالسنان المتنخل

وقالت الخنساء^(٢) :

ولما أن رأيتُ الخيلَ قُبُلا
تباري بالحدود شَبَا العوالي

وأحيانا كانت تعرض فوق الخيل ، قال النابغة الذبياني^(٣) :

لهن عليهم عادة قد عرفنها إذا عرض الخطي فوق الكواثب

ويظهر أن كل قبيلة كانت لها طريقة في وضع رماحها على الخيل ، بدليل هذه القصة التي يرويها أبو عبيدة في شرح النقائض عن يوم المروت ، إذ يقول فيها^(٤) :

« ... فكان أول من لحق بنو عمرو بن تميم ، فقال يجير لأصحابه : انظروا ! ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلا عارضة الرماح . قال : أولئك بنو عمرو بن تميم . فلحقوا يجيرا وهو بالمروت ، فاقتتلوا شيئا من قتال . ثم لحق بنو حنظلة ، فقال لأصحابه : انظروا ! ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلا ناصبة الرماح . قال : أولئك بنو مالك بن حنظلة ، فقاتلوا شيئا من قتال ، ثم لحقت خيل شماطيط ، فقال يجير : ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلا شماطيط ليس معها رماح . قال : أولئك بنو يربوع ، رماحهم عند آذان خيلهم . »

(١) سمط اللآلىء ص ٨٨١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) العقد الثمين ص ٢ ، قصيدة ١ بيت ١٤ .

(٤) النقائض (طبعة أوربا) ص ٧٠ .

أسماء الرماح :

ورد في الشعر الجاهلي الأسماء الآتية للرماح : -

(١) خَطِيَّة (٢) ردينية (٣) سمهرية (٤) يزنية (٥) هندية .

ونسبت كذلك إلى أبزى وشرعب وقعضب .

أما الخَطِيَّة ، فمنسوبة إلى الخط . وقد اختلف في المقصود بالخط هذه :

فقال شارح ديوان عامر بن الطفيل : « هي قرية في البحرين ، وكانت سفن البحر ترفأ إليها في القديم ^(١) » ، وقال في موضوع آخر ^(٢) : « هي جزيرة البحرين ، يقال إنها تنبت عصا الرماح » ، ثم أتبع ذلك بقوله : « قال الأصمعي : ليست بها رماح ، ولكن سفينة كانت وقعت إليها فيها رماح ، وأرقت بها في بعض السنين المتقدمة ، ف قيل لتلك الرماح : الخطية ، ثم عمّ كل رمح هذا النسب إلى اليوم » .

وقال صاحب القاموس المحيط : « هي مرفأ السفن بالبحرين ، وإليه نسبت الرماح لأنها تباع به ، لا أنه منبتها » .

وقال صاحب لسان العرب : « الخط أرض تنسب إليها الرماح الخطية . قيل وهو خط عمان . قال أبو منصور : وذلك السيف كله يسمى الخط ؛ ومن قرى الخط : القَطِيف والعُقَيْر وقَطَر . قال ابن سيده : والخط سيف البحرين وعمان . وقيل بل كل سيف خط . وقيل : الخط مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح ، وليست الخط بمنبت للرماح ، ولكنها مرفأ السفن التي تحمل المسك من الهند . قال أبو حنيفة : الخط خط البحرين ، وإليه ترفأ السفن إذا جاءت من أرض الهند ، وليس الخطي الذي هو الرماح من نبات أرض العرب . وقال الجوهري : إن الخط موضع باليامة ، وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به » .

(١) ص ١٣٧ ، بيت ٦ .

(٢) ص ١٦٣ ، بيت ٦ .

وقال شارح ديوان حسان بن ثابت : ^(١) « والخطي : الرماح منسوبة إلى الخط نسبة جرت مجرى الاسم العلم » .

ومن كل هذا يمكن أن نستنتج : أن الخط كان مكاناً على الشاطئ العربي للخليج الفارسي أو كل هذا الشاطئ ، وأن نسبة الرماح إليه لا تشير إلى المكان الذي تنبت فيه أشجار الرماح ، لكن للمكان الذي ترد إليه من الخارج ، أو 'تَقَوِّمُ' به ، وأن هذه النسبة في الأصل كانت صفة لنوع مخصوص من الرماح ، ثم أصبحت تطلق على كل رمح فصارت اسماً للرمح أيّاً كان .

أما الرماح الردينية ، فنسبة إلى ردينة ، وهي امرأة كانت تقوِّم الرماح بالخط في البحرين ^(٢) .

وأما السمهرية ؛ فنسبة إلى سمهر زوج ردينة ، وكنا مثقفين للرماح ، وقيل إنها نسبة إلى قرية بالحبيشة ^(٣) .

واليزنية : نسبة إلى ذي يزن أحد ملوك حمير .

والهندية : نسبة إلى الهند .

أما أبزى وشرعب ، فقد ذكر الأعشى في أحد أبياته ^(٤) ما يفهم منه أنها كانا رجلين يقومان بسنّ الرماح .

وأما قعضب ، فهو رجل قيل إنه كان يعمل الأسنة في الجاهلية ^(٥) .

وأكثر هذه الأسماء وروداً في الشعر : الخطية ، وقل عنها ذكر الردينية ، ثم السمهرية ، ثم اليزنية .

(١) ص ١٣١ ملاحظة رقم ٣ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٣٧ بيت ٦ . والمفضليات ص ١٠٩ بيت ١٦ .

(٣) القاموس المحيط .

(٤) ديوانه قصيدة رقم ٣٠ بيت رقم ٢٦ .

(٥) ديوان طفيل الغنوي ص ٦٠٥ .

الصور الشعرية للرمح (٤٣٩ - ٤٨٨) :

قد صورّ الرمح بصورة الشطن (٤٣٩ - ٤٤٧) في الطول مع الاستقامة والاطراد وبصورة الخيزران (٤٥٣) في الليونة والمرونة ، وأشير إلى ملاسته ولمعانه بأنه كأنما تغشاه زيت سائل (٤٤٩).

وشبّهت حركة اضطرابه عندما يهتز بحركة الثعلب الذي يعسل في الطريق (٤٥٣) ، والشعبان الذي يبحث عن مأوى في الرمل (٤٥٤) ، وذلك في الروغان والاضطراب في الحركة ، كما شبه بالمسد (٤٤٨) في القوة والمتانة ، وشبّهت كعوبه بالنوى (٤٥٥ - ٤٥٨) في الصلابة .

أما السنان فقد شبه بالشهاب (٤٥٨ - ٤٦١) في التلألؤ والبريق ؛ وبالنار (٤٦٢ - ٤٦٧) في التوهج وإهلاك من تصيبه ؛ وبالمصباح (٤٦٨ - ٤٧٠) في الضياء والتوهج ؛ وبالهلال (٤٧١) في الضياء مع الاستدارة والنحافة . وعند الطعن به شبه سنانته بخرطوم النسر (٤٧٤) في التقوُّس وشدة الفتك ؛ وبالحيوان المحرب اللحم (٤٧٥) في حبه للاقتراس والتهام لحوم الفريسة ؛ وبالعطشان الذي يبحث عما يروي ظمأه (٤٧٧ - ٤٨٤) وذلك في قوة الحركة وشدة الاندفاع في سبيل الحصول على ما يشفي غلته .

وشبه الصوت الذي يحدث وقت الطعن به بصوت الرماح عندما توضع في الثقاف لتقويمها (٤٨٥) ، أما أثر الرماح في المطعون بها فكالسم (٤٨٦) ، وشبّهت قطعها المكسرة في الموقعة بقطع الحصير التي تقطعها الشواطب على قدر ذراع لعمل الحصر (٤٨٧) . وشبّهت كثرة الطعن بها وتتابعه وتساقط الدم منها بالسيل الكثير المطر (٤٨٨) .

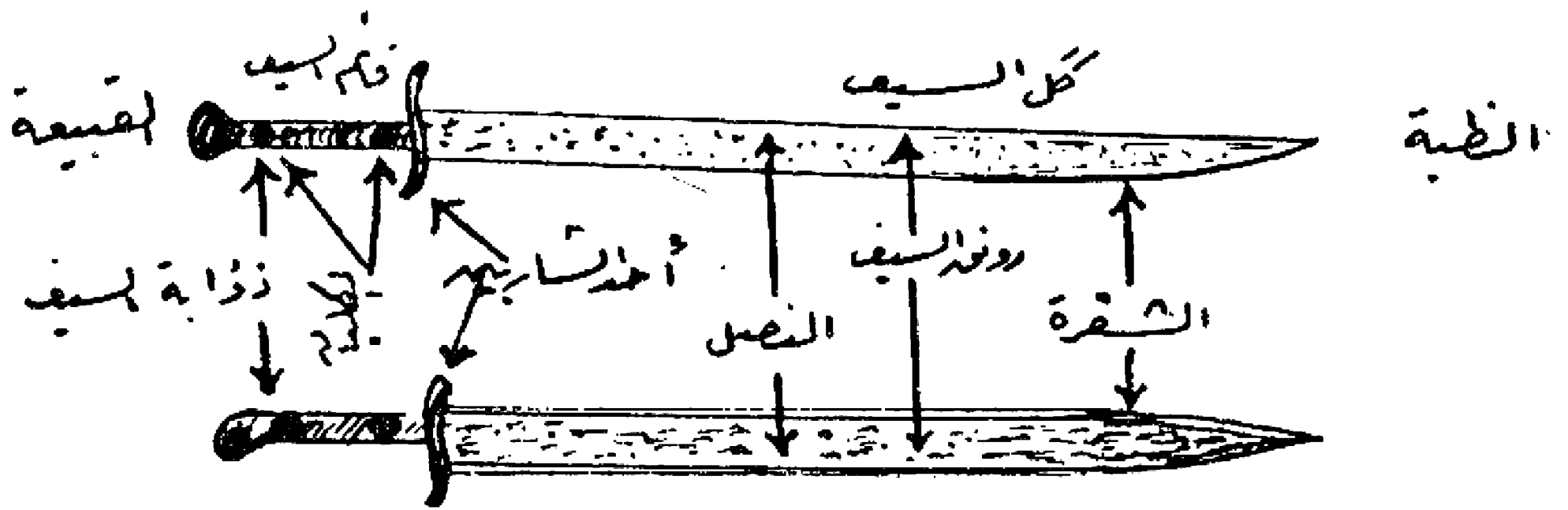
وقد شبّهت الرماح بالأجم (٤٥٠ - ٤٥١) في الطول مع الكثرة والكثافة كما شبّهت على سبيل السخرية والتهكم بالأعداء - بمكان القيل (٤٧٢) وهو المكان الذي يلجأ اليه الإنسان ليستريح في الظهيرة . وكذلك شبّهت باللاعب (٤٧٦) كأنها تتخذ القوم المطعونين بها لعبة لها .

رابعاً : السيف

يتكون السيف من الأجزاء الآتية :

١ - قائم السيف : وهو مقبضه . والسفّفن : الجلدة المحببة التي يلبسها القائم .

٢ - الكلبان : وهما المسماران المعترضان في القائم . والأعلى منها يسمى ذؤابة السيف . ورأس الكلب تسمى الشعيرة .



٣ - الشاربان : وهما الحديدتان المعترضتان في أسفل القائم على فم الجفن، ولها طرفان ينظران عن يمين وشمال .

٤ - القبيعة : وهي الحديدة العريضة التي تلبس أعلى القائم وتسمى القلّة .

٥ - المنصل : وهو حديدة السيف .

٦ - السيّلان : (في المنصل) ، وهو سنخه الذي يدخل في القائم .

٧ - المضروب ، وهو الموضع الذي يضرب به .

٨ - الشفرتان : وهما حد السيف .

٩ - الظبة : وهي نهايته .

١٠ - رونق السيف ، أو مأؤه ، أو فرنده ، أو أثره ؛ وهو الوشي الذي

يكون في متن السيف ، وقيل : الأثر : ما استبنته من فرنده .

١١ - الرُّبْد : لمْعَ تكون في متنه تخالف لون الأثر .

١٢ - كل السيف : قفاه الذي ليس بجاد .

حديث الشعراء عن السيف :

تحدث الشعراء الجاهليون في شعرهم الحربي عن السيف من عدة نواح ،
هي : -

مادته ، وصفاته المحبوبة ، وعناية صاحبه به ، وحدته وأسمائه ، ثم الصور
التي رسموها له ولأجزائه .

أما مادة السيف ، فخيرها عندهم ما كان مصنوعاً من خالص الحديد ،
وأخلصته الصياقل حتى صار نقياً ^(١) ، وأصبح خالياً من العيوب ^(٢) ، صافي
الجوهر بحيث يخفى جرسه عند استلاله ^(٣) .

وأحبوا من السيوف ما كان خفيف النصل ^(٤) ، ورقيق الشفرتين ^(٥) ، أملس ،
لينا ، صقيلاً أبيض ، يتلأأ حده ، وتبرق صفحته .

أما اهتمام صاحبه به فيتجلى في محافظته عليه ، وإدامة جلائه وصقله ،
وإغماده في قرابه ، وتحليته بحلى جميلة كالتمويه بالذهب ^(٦) أو نقوش مختلفة
كرسم حية أو سمكة . ومن ثم كان بعضهم يسمي سيفه تبعاً للرسم الذي عليه ؛
فذو الحيات كان سيف الحارث بن ظالم ، وذلك لرسم حيتين عليه ^(٧) ؛ وذو النون
كان سيف مالك بن زهير لنقش صورة سمكة عليه ^(٨) ؛ وذو الفقار سيف

(١) مزرد : المفضليات ص ١٧٥ الأبيات ٤٥ - ٤٩ .

(٢) الحصين بن الحمام : المفضليات ص ١٠٨ ب ١٥ .

(٣) مزرد : المفضليات ص ١٧٦ ب ٤٩ .

(٤) ديوان الهذليين (طبعة دار الكتب) ج ٣ ص ١٦ ب ٤ .

(٥) المفضليات ص ٦٢٣ ب ٧ .

(٦) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٥٦ ب ١ .

(٧) المفضليات ص ٦١٦ ب ٥ .

(٨) النقائض ص ٨٩ .

مرثد بن سعد عم عمرو بن قميئة، وذلك لوجود حروز فيه مطمئنة عن متنه^(١).
وأما عن حدة السيف ومضائه فقد أكثر الشعراء من الحديث عن هذه الناحية،
وربما كان ذلك، لأنها أهم ناحية في السيف فعبروا عنها بتعبيرات كثيرة جداً،
مختلفة في اللفظ، لكنها تتحد في المعنى، فقالوا عن السيف: حسام، مرهف،
عضب، صارم، باتر، قصال، مقصل، مخضّل، نخدم، مجراز، قاضب،
هذّام. وقد خصصوا بعض الصفات لحالات معينة؛ فمثلاً: «رسوب» إذا
كان يمضي في الضريبة؛ و«صمصامة» إذا كان صارماً لا ينثني؛
و«إصليت» إذا كان ماضياً نافذاً؛ و«مصمّم» إذا كان يمر في العظام.

وقد بالغ بعض الشعراء أحياناً في حدة السيوف التي يصفونها؛ فمنهم من
وصف السيف بأنه يقطع العظم إذا مسه؛ قال ذو الأصابع العدواني^(٢):

إما ترى سيفه فأبيض قصّـال إذا مَسَّ مُعْظَماً قطعاً

في حين يصف المزرد^(٣) سيفه بأنه يقطع البيضة، ويتعدها حتى يقطع
الكاهل.

وأملس هندي متى يعلّ حده ذرا البيض لا تسلم عليه الكواهل
والنابغة يذكر أن السيوف تقد الدروع المضاعف نسجها، وتوقد بالصفّاح
ناراً، فيقول^(٤):

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفّاح نار الحبّاحب

(١) أبو منصور الثعالبي. فقه اللغة ص ٣٦٦.

(٢) شعراء النصرانية ص ٦٣١.

(٣) المفضليات ص ١٧٥ ب ٤٦.

(٤) العقد الثمين: القصيدة رقم ١ السلوقي: أحد الدروع منسوب إلى «سلوق»: مدينة. المضاعف: الذي نسج حلقتين. الصفّاح: البيض والساعد من الحديد، وهو ما يوضع على الذراع، وقيل: إنه الصخر. الحبّاحب: ذباب له شعاع بالليل.

وقد افتخر الشعراء بقيدهم سيوفهم ، معتقدين أن ذلك يشهد بجودتها لأن معناه أنها مجربة في الحروب فهي أهل للاعتاد عليها والثقة بها. كما أنهم وصفوا سيوفهم بأنها صارت كهاماً ، ثلت مضاربها ، وبها فلول ؛ يشيرون بذلك إلى كثرة حروبهم ، وضربهم الأعداء بها ضرباً متواصلاً حتى أثر في سيوفهم .

وقد ورد في الشعر أسماء السيوف الآتية :

(١) هندية (٢) مشرفية (٣) يمنية (٤) رومية (٥) سريجية (٦) أريجية .

أما الهندية ، فنسبة إلى الهند . قال أبو منصور الثعالبي^(١) : « فإذا كان السيف قد سوي وطبع بالهند ، فهو مُهند وهندي وهندواني . وهذا يفيد أن مثل هذه السيوف كانت تستورد من الهند وقد أثبت التاريخ أنه كانت هناك منذ القدم صلات تجارية بين جزيرة العرب والهند^(٢) .

وأما المشرفية ، فنسبة إلى مشرف ، وهو رجل من ثقيف^(٣) ، أو نسبة إلى المشارف ، وهي أدنى الريف من البدو^(٤) ، أو مشارف قرى بالشام^(٥) ، أو مشارف قرى من أرض اليمن وقيل إن المشارف كل قرية بين بلاد الريف وجزيرة العرب ، يقال لها ذلك لأنها أشرفت على السواد^(٦) .

فمن ذلك يتضح أن المشارف هي القرى التي تدنو من الريف ، سواء أكانت في الشمال (الشام) ، أو في الجنوب (اليمن) .

وأما اليمنية ، فنسبة إلى اليمن . والرومية نسبة إلى الروم . أما السريجية فهي نسبة إلى سريج ، وهو قين مشهور .

(١) فقه اللغة ص ٣٦٨ .

(٢) Nicholson, Literary History of the Arabs, 4.

(٣) الفضليات ص ١٠٦ بيت ٩ .

(٤) ديوان طفيل ص ١٤ بيت ١٦ .

(٥) ديوان عبيد ص ٢٨ بيت ١١ .

(٦) لسان العرب ج ١١ ص ٧٥ .

وأما الأريحية ، فيجوز أن تكون نسبة إلى أن أريح كأحمد ، وهي قرية بالشام أو أريحا ^(١) . ويجوز أن تكون وصفاً للسيف لأنه يهتز فكأنه يرتاح للضرب .

وكان أكثر هذه الاسماء ذكراً في الشعر الهندية ، ويقل عنها المشرفية ، ثم اليمنية .

الصور الشعرية للسيف (٤٨٩ - ٥١٩) :

لقد شبهت المادة التي صنع منها السيف بسلاف الشراب أي خيره (٤٨٩) ، وذلك مأخوذ من السلف وهو المتقدم من الشيء لفضله ، يراد بذلك أنه صنع من سلاف الحديد وهو جيده . وشبه السيف بالورق الخفيف (٥٠٨) في الخفة ، أو بمخاريق اللاعبين (٥١٥ - ٥١٦) في الخفة وعدم تهيب صاحبه له وقت استعماله ؛ وبالعصا (٥١٧ - ٥١٩) في الخفة ، وعدم التهيب ، وقلة الاكتراث بحمله واستعماله ؛ وفي ملازمة صاحبه لحمله كأنه يتخذ بدل العصا .

أما منظر السيف فقد شبه بالملح (٤٩٠ - ٤٩٣) في البياض ، وبالغدير (٤٩٤ - ٤٩٦) في الصفاء واللمعان . وبالفضة (٤٩٧) في البياض والبريق ، وبالبرق (٤٩٦ - ٥٠٤) في الضياء وشدة البريق (ويظهر أن ذلك التصوير كان يستعمل عادة حين يوصف السيف في وقت المعركة فيقارن السيف بالبرق في الغمام أو الليل) ، وكذلك شبه بالصباح الأبلج (٥٠٩) في الضياء . وشبه منظر بريقه وشدة لمعانه واهتزاز ذلك اللمعان عند النظر اليه بمَدَب النمل الصاعد إلى أعلى الجبل ، وبمَدَرَج الذر الذي خاف البرد فهبط نازلاً ، وبمنظر الشبثان (٥١٠ - ٥١١) وذلك لاهتزاز الأشعة المنبعثة من البريق وشدة اللمعان في نظر الرائي بحيث تبدو كأنها متحركة كحركة هذه الحيوانات الصغيرة التي بعضها صاعد وبعضها هابط ويختلط بعضها ببعض .

وشبه بريقه مع شدة أثره عند الضرب بالشهاب (٥٠٥) في الضياء ، وبالنار

(١) شرح ديوان الحماسة ص ٣١٩ . والقاموس المحيط .

(٥٠٦ - ٥٠٧) في التوهج وإهلاك من يصيبه . وشبه أثره الشديد بأثر الناقة الضروس (٥١٢) في عنف الهجوم وفضاعة المنظر وهول الأثر ، والشخص المجنون حينما يهاجم غيره (٥١٤) في العنف والقسوة وعدم القدرة على ضبط النفس .

وهنا كذلك نجد الشعراء يستعملون صوراً للسيف فيها تهكم وسخرية ، فيشبهونه بإنسان بليغ ينطق بأعذب الألفاظ . كأن في صوته نغمات الموسيقى ، وهو فصيح يعرف مواقع الكلم فيتخير أنسبها وأوقعها أثراً وأشدّها تأثيراً (٥١٣) ، وذلك في شدة الأثر وكسب الموقف وإرضاء صاحبه لدرجة المتعة والسرور .

خامساً: الدرع

الدرع : لبوس الحديد، وتذكر وتؤنث، وهي تشمل السابغة والقصيرة . والغلالة التي تلبس تحت الدرع من ثوب أو غيره تسمى «الشليل» وقيل : هي درع قصيرة^(١) .

أسماء ما في الدرع :

- ١ - الزرد : حلق الدرع . والزّرّاد : صانعها .
 - ٢ - المِغْفَر : زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة .
 - ٣ - رَفَرَفُ الدرع: زرد يشد بالبيضة فيطرحه الرجل على ظهره .
 - ٤ - رَيْنَع الدرع : فضول كُمِّيَّها على أطراف الأنامل .
 - ٥ - الغلائل : مسامير الدروع التي تجعل بين رأسي الحلقة .
- : وقيل هي بطائن الدرع .

(١) المخصص ج ٦ ص ٧٠ .

٦ - القتير : مسامير الدروع ، وقيل : هي رؤوس المسامير في الحلقة .

٧ - الدخاريص : ما يوصل به البدن ليوسعه ، واحدها : دخريصة .

٨ - مطاوي الدروع : غضونها .

حديث الشعراء الجاهليين عن الدرع :

ذكرت الدرع في الشعر بأنها عُدّة ضرورية من أدوات الحرب ، وتحدث الشعراء عنها في مجال الفخر بامتلاك خير الأسلحة وأجود الأدوات الحربية ؛ وفي مجال النصيح والتهديد لمن تحدثه نفسه بمهاجمة أصحابها ؛ وفي معرض الحث على اتخاذ العدة وإعداد كل ما يستطيع من قوة ، احتياطاً للطوارئ ؛ كما مدح الشعراء عظماء القوم وشجعانهم بامتلاك أحسن الدروع وأجودها .

وقد تحدث الشعراء عن جودة مادتها ، وإحكام صنعتها ، وصلابتها وقوتها ، ومدى اهتمام القوم بها .

فاكثر الشعراء من وصفها بجودة مادتها وأنها صنعت من صافي الحديد^(١) ، بيد ماهر حاذق ، فجاءت بحكمة الصنع ، مطردة ، يزينها تتابع النسيج^(٢) ، ولا ثلم فيها ولا خرق^(٣) ، وفي مساميرها استواء ، فلا شذوذ ولا عيب^(٤) ، وحلّقها موثقة ، ونسجها بحكم^(٥) ، لها غضون فوق النطاق وطرائقها دانية^(٦) .

وقد ردّد الشعراء ذكر : الدروع المضاعفة النسيج التي نسجت حلقتين

(١) بشامة بن عمرو : المفضليات ص ٨٩ ب ٣٥ .

(٢) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٠١ ب ٤ .

(٣) الحصين بن الحمام : المفضليات ص ١٠٨ ب ١٤ .

(٤) راشد بن شهاب : المفضليات ص ٦١٢ ب ٧ - ٩ .

(٥) المتلمس : شعراء النصرانية ص ١٦ .

(٦) مزرد : المفضليات ص ١٧٣ ب ٣٨ .

حلقتين ؛ والسهلة اللينة ؛ والواسعة ؛ والسابغة التي تفيض على الأنامل ؛
وتغشى البنان والكف والقدم ^(١) وذيلها يجر على الأرض ^(٢) ، والرقيقة النسج
التي تتضاءل في الطي ؛ والخفيفة ؛ والملساء ، والجديدة التي تكون في بدء
الأمر خشنة ، والصموت التي لا يسمع لها صوت ، والتي لها أصوات خفيفة
فتخشخش على أبدانهم .

وأحبوا منها ما كانت صلبة متينة ، تردّ النبال ، ولا تنفذ فيها السهام ،
ولا تؤثر فيها النصال ، ولا تعمل فيها السيوف ، بل تصلّ فيها إذا ضربتها ،
وتؤثر هي في السيوف فتفلسها .

ومن شعر الجاهليين نرى أنهم كانوا يحافظون على صفاء الدروع وجلالها
وعدم صدئها باستعمال دقاق التراب المخلوط بدردي الزيت والبعر العفن .
قال الأعشى :

ملبسات مثل الرماد من الكرّة ة من خشية الندى والطلال ^(٣)
وقال النابغة الذبياني ^(٤) :

عَلَيْنَ بِكَدْيُونٍ وَأَبْطَنَ كُرّةً فهن وضاء صافيات الغلائل

وكانوا يضعونها في صناديق محافظة عليها ، فإذا ما أزمعوا القيام بغارة أو
حرب وضعوها في حقائب ثم حملتها الإبل ضمن المتاع والذخيرة إلى أن يقتربوا
من مكان العدو أو القتال ، وعند ذلك كانوا ينزلون عن راحلهم ويلبسون
الدروع ثم يحملون الأسلحة ويركبون الخيل .

(١) راشد بن شهاب : المفضليات ص ٦١٢ ب ٧ - ٩ .

(٢) قيس بن خفاف : الحماسة ج ١ ص ٣١٢ .

(٣) ديوان الأعشى : قصيدة رقم ١ بيت ٥٩ . الكرة : البعر يفتت ثم يحلى به الدرع ؛
الطلال : جمع طل وهو المطر الخفيف .

(٤) العقد الثمين ص ٢١ ، قصيدة رقم ٢٠ بيت ٢٦ . والكديون : دقاق التراب عليه دردي
الزيت ، تجلى به الدروع .

وقد مدح الشعراء أبطالهم بلبس الشليل تحت الدروع ؛ قال زهير ^(١) في
مدح هرم بن سنان :

فلَمَّا تَبَلَّجَ مَا فَوْقَهُ أَنَاخَ فَشَنَّ عَلَيْهِ التَّلِيلَا
وَضَاعَفَ مِنْ فَوْقِهَا نَثْرَةً تَرُدُّ الْقَوَاضِبَ عَنْهَا فُلُولَا ^(٢)

وأكثر الشعراء من ذكر «اليلب» ؛ وقد اختلف في مدلوله ، فقال أبو
منصور الثعالبي ^(٣) : أنه «الدَّرَق» ، ويقال له : اليلب أو الحِجَف . أما
ابن سيدة ^(٤) فقال : اليلب : الدرق ، ويقال : هي جلود تلبس بمنزلة الدروع ،
الواحدة «يَلْبَة» . وقيل : اليلب جلود يُخَرَزُ بعضها إلى بعض تلبس على
الرؤوس خاصة وقيل : هي جلود تعمل منها دروع فتلبس ، وليست بتُرْس .
وورد في الشعر أن القوم كانوا يتخذون الحزام فوق الدروع ، قال
الأعشى :

سوابغ محكم الماذي شدوا فوقها الحزما

وجاء كذلك أن العرب كانت تعمل في أغصان سيوفها شيئا يشبه الكلاب ،
فإذا ثقلت الدروع على لابسها رفعها من أسفلها ، فجعلها بالكلاب لتخف عليه ،
قال أبو قيس بن الأسلت ^(٥) .

أَحْفِزُهَا عَنِي بِذِي رَوْنَقٍ مُهَنْدٍ كَالْمَلَحِ قَطَّاعٍ

(١) العقد الثمين ص ٨٨ قصيدة رقم ١١ ، البيت ١٠ - ١١ .
(٢) تبليج : أضاء ، والمراد الصبح . الشليل : الغلالة التي تلبس تحت الدرع ، وقيل هي
الدرع القصيرة وتكون تحت الكبيرة . النثرة : الدرع . ضاعف : لبس من فوقها درعا أخرى .
القواضب : السيوف القواطع . فلولا : مثمة مكسرة .
(٣) فقه اللغة ص ٧٣٦ .
(٤) النخص ج ٦ ص ٧٥ .
(٥) المفضليات ص ٦٧ بيت رقم ٧ . وأحفزها : أدفعها . والرونق : ماء السيف .

وقد ذكروا في أشعارهم الدروع الآتية : -

١ - الدروع التي من صنع داود: ويقصدون بذلك النبي داود عليه السلام، لأن الله قد ألان له الحديد . وقد عتّب شارح المفضليات على ذكر هذه الدروع في بيت أحد الشعراء ، فقال : « سمع الشاعر أن الحديد سخر لداود عليه السلام ، ففهم أنه عملها بيده^(١) » . وقال شارح ديوان زهير : « إن داود أول من عمل الدروع » . وكذلك قال ابن سيدة^(٢) .

٢ - العادية : نسبة إلى عاد ، وهم قوم هود الذين كثر ذكرهم في القرآن الكريم . وربما كانوا يقصدون بذلك القِدَم ، إذ جرت العادة أن ينسب العرب كل قديم إلى عاد فيقال : « عادي » .

٣ - التَّبَعِيَّة : نسبة إلى 'تبع' ، وهو اسم كل من ملك اليمن وكانت له حمير وحضر موت^(٣) . وقال شارح المفضليات^(٤) : « كان تبع أعظم شأنًا من أن يصنع شيئًا وإنما 'عملت بأمره' ، وفي ملكه . وفي نفس المعنى قالوا : « الدروع الحميرية » نسبة إلى حمير ، وهم الذين كان ملوكهم يعرفون بالتبابعة وقد خلفوا الدولة السبئية .

٤ - السلوقية : نسبة إلى «سلوق» ، وهي قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب ؛ أو بـلـد بطرف أرمينية ، أو إنما 'نسبتا' إلى «سَلَقِيَّة» محرّكة : بـلـد بالروم ، فغيّر النسب^(٥) .

(١) المفضليات ص ٨٨١ بيت ٥٩ .

(٢) التخصّص ج ٦ ص ٧١ .

(٣) القاموس المحيط ج ٣ ص ٨ .

(٤) المفضليات ص ٨٨١ بيت ٥٩ .

(٥) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٤٦ .

٥ - الفارسية : نسبة إلى فارس ^(١) .

٦ - الحُطَمِيَّة : نسبة إلى حُطَمَة بن محارب العبدي ، وكان صانع دروع ؛ وهو من قبيلة عبدالقيس ^(٢) .

٧ - من كساء 'مُحَرَّق' : نسبة إلى محرق ، وهو أحد ملوك اللخمين ، وهو لقب لعمر بن هند (٥٥٤ - ٥٦٩ م) . وقيل إنه سمي بذلك « لأنه حرق مائة من بني تميم ^(٣) »

٨ - من نسج بني سليم ^(٤) .

الصور الشعرية للدرع (٥٢٠ - ٥٤٥) :

شبّهت الدرع بالسّمكة (٥٢٠) في الملاسة واللين واستدارة القطع التي في السطح الخارجي ؛ وشبّهت طرائقها بخطوط المبرد (٥٢١) في دقتها وحسن توالفها وترتيبها . وقورنت مساميرها بعيون الجنادب (٥٢٢ - ٥٢٣) في الاستدارة والصغر . وشبه سكّتها وهو حلقها الضيقة بحب الأبلم المتفلق (٥٢٤) في الاستدارة وصغر الحجم . وشبّهت الدرع في إسباغها على لابستها بفيضان المطر المنهمر على الأرض (٥٢٥) .

وشبّهت الدرع بالماء والنهش والغدير عند هبوب الريح على سطحها (٥٢٦ - ٥٤٣) في الصفاء ، وفي التدرج والاطراد ، وذلك لأنه عندما تضرب الرياح سطح الماء يتدرج رقطرده أمواجه فتري له طرائق وصفاء شبّه بها طرائق الدرع وصفاءؤه .

وشبه صوت الدرع عند الحركة واهتزازها بخفيف الريح في الحصاد (٥٤٤ - ٥٤٥) في خفة الصوت وتواتره .

(١) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٥٦ .

(٢) المفضليات ص ٦١٣ بيت ٨ .

(٣) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٤) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٢١ البيتان : ٢٦ - ٢٧ .

سادساً : البيضة

البيضة : غطاء الرأس . وفيها « القونس » : وهو مقدم البيضة^(١) . فإذا لم يكن في البيضة قونس سميت « تركة »^(٢) ، وقال ابن دريد « سُميت تركة تشبيهاً بتركة النعامة وهي بيضتها إذا خرج منها الفرخ^(٣) » . وفي البيضة « الطرائق » ، ويقال لها « الحبك » : وهي خطوطها .

حديث الشعراء عنها :

تحدث الشعراء الجاهليون عن البيضة في مجال حديثهم عن أدوات الحرب : افتخاراً بملكيتها وأنهم ذو بأس شديد ، يصمدون للحرب ، ولا يتهيبون بأسها لما لديهم من العدد الكاملة والأسلحة الجيدة ، أو تهديداً لمن عساه يفكر في مهاجمة مالكيها .

وكان حديثهم عنها يدور حول المادة التي صنعت منها ، وعن جودتها ، ومنظرها . فخيرها ما كان من أجود الحديد ؛ دلامصة أي سهلة ليننة ، قوية صلبة بحيث تتكسر عنها الحجارة وتفتت لو ضربت بها^(٤) .

وامتدحوا بريقها ولمعانها ، وأكثروا من ذكر التشبيهات التي تصور هذا اللمعان كما سنرى فيما بعد .

وقد ورد في شعرهم أنها كانت تحلى بخطوط مختلفة تسمى الطرائق أو الحبك ، وبعضهم ذكر أن بيضهم كان 'يحمل' بالذهب^(٥) .

الصور الشعرية للبيضة (٥٤٦ - ٥٥١) :

قارن الشعراء فائدة البيضة لصاحبها بفائدة الحصن (٥٥١) في الالتجاء

(١) ابن سيدة: التخصص ج ٦ ص ٧٣ .

(٢) المفضليات ص ١٧٤ بيت ٤٢ .

(٣) التخصص ج ٦ ص ٧٣ .

(٤) مزرد : المفضليات ص ١٧٤ بيت ٤٢ .

(٥) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١١ بيت ١٧ .

إليها والاعتماد عليها للوقاية وتجنب الخطر .

وشبهوا لمعانها وبريقها عندما تسقط عليها أشعة الشمس بمصابيح الرهبان
الموضوعة على مكان عال (٥٤٦) في انتشار الأشعة في جميع النواحي ، مع
شدة البريق ؛ وبالنار التي تتوهج على شرف مرتفع (٥٤٧) ، كما شبهت البيضة
بالنجوم والكواكب (٥٤٨ - ٥٥٠) في التلألؤ والضياء .

سابعاً : الترس

الترس : ويقال له الجَوْب ، من أدوات الحرب التي تتخذ للوقاية . وقد
ذكره الشعراء مفتخرين بصلابته ، وجودة مادته ، وإحكام صنعته .

وورد في شعرهم أنه كان يصنع من جلود الإبل الجيدة ، قال طفيل
الغنوي^(١) :

فَلَمَّا فَنَى مَا فِي الْكِنَائِنِ ضَارِبُوا عَلَى الْقُرْعِ مِنْ جِلْدِ الْهَجَانِ الْمَجُوبِ

ومن جلود البقر كذلك . ومن ثم كان أسمر اللون ، ولكن الأجود ما كان
مع هذه السمر ، لامعاً برّاقاً .

وذكروا في أشعارهم بعض أوصاف الترس : فهو محدودب ؛ وأجد أي
شديد وقُرْع أي صلب^(٢) ، ومُتْرَص^(٣) أي صنعه محكم .

الصور الشعرية للترس : (٥٥٢)

قورن الترس بالشمس في طخية الدجى (٥٥٢) في القتام واللون الباهت بين
اللامع والداكن .

(١) ديوانه ص ١٣ بيت ٦٠ .

(٢) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ص ٦٧ بيت ٨ .

(٣) الأعشى : ديوانه قصيدة رقم ١٨ بيت ٥٣ .

نماذج شعرية للأسلحة والمعدات الحربية :

١ - قال أوس بن حجر (١) :

وإني امرؤ أعددت للحرب بعدما رأيت لها ناباً من الشر أعصلاً
أصمّ ردّينياً كأن كعوبه نوى القسب عراً صامزجاً منصلاً (٢)
عليه كمصباح العزيز يشبهه لفصح ويحشوه الذبال المفتلاً (٣)
وأملس حوئياً كنهى قرارة أحس بقاع نفح ريح فأجفلاً (٤)
كان قرون الشمس عند ارتفاعها

وقد صادفت طلعا من النجم أعزلاً (٥)
تردد فيه ضوءها وشعاعها فأحصن وأزين لا مريء إن تسربلا
وأبيض هندياً كأن غراره تلاءؤ برق في حبي تكلاً (٦)
إذا سل من غمدٍ تأكل أثره على مثل مصحاة اللجين تأكلاً (٧)

(١) شعراء النصرانية ص ٤٩٤ .

(٢) القسب : التمر اليابس . والقسب : الصلب الشديد . عراساً : لدناً .

(٣) الفصح : عيد النصراري . الذبال : جمع ذبالة وهي الفتيلة . يشبه : يشعله .

(٤) الحولي : ما أتى عليه حول . وفي رواية « صولي » : نسبة إلى موضع معروف .

النهى : الغدير ، القرارة . المطمئن من الأرض . القاع : الموضع المطمئن الجيد الطين تكون فيه حصى صفار . نفح الريح : هبوبها . أجفل : تحرك واطرد .

(٥) قرن الشمس : أعلاها أو أول شعاعها . الطلع : المكان المشرف الذي يطلع منه ،

والناحية ، وكل مطمئن من الأرض . النجم : ما لا ساق له من النبات .

(٦) الحبي : السحاب الذي يشرق من الأفق على الأرض ، أو الذي بعضه فوق بعض .

تكلكل السحاب عن البرق : تبسم وتكلكل البرق ، لمع خفيفاً .

(٧) أثر السيف . فرنده . تأكل : اشتد بريقه . مصحاة : إناء . اللجين : الفضة .

كَأَنَّ مَدَبَ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَا
 عَلَى صَفْحَتَيْهِ بَعْدَ حِينَ جِلَاثِهِ
 وَمَبْضُوعَةً مِنْ رَأْسِ فَرْعٍ شُظْيَةٍ
 عَلَى ظَهْرِ صَفْوَانٍ كَأَنَّهُ مُتُونُهُ
 يُطِيفُ بِهَا رَاعٍ يُجَشِّمُ نَفْسَهُ
 فَلَا قِيَامَ مِنْ مِيدَعَانَ وَأَسْمَحَتْ
 فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَذَكَّرْنَ مَخْبِرًا
 عَلَى خَيْرِ مَا أَبْصَرْتَهَا مِنْ بَضَاعَةٍ
 فَوْقَ جُبَيْلِ شَامَخِ الرَّأْسِ لَمْ تَكُنْ
 فَأَبْصَرَ أَهَابًا مِنَ الطُّودِ دُونَهُ
 فَأَشْرَطَ فِيهَا رَأْسَهُ وَهُوَ مُعْصِمٌ
 وَقَدْ أَكَلَتْ أَظْفَارَهُ الصَّخْرُ كَمَا
 فَمَا زَالَ حَتَّى نَالَهَا وَهِيَ مُشْفَقٌ

وَمَدْرَجُ ذُرٍّ خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلَ^(١)
 كَفَى بِالذِّي أَبْلَى وَأَنْعَتَ مَنْصُلًا
 بَطَوْدٍ تَرَاهُ بِالسَّحَابِ مُجَلَّلًا
 عُلِّلَنَ بِسَدِّهِنَ يُزْلِقُ الْمَتَنَزِّلًا
 لِيَكْلَأَ فِيهَا طَرَفَهُ مُتَأَمِّلًا
 قَرُونَتُهُ بِالْيَأْسِ مِنْهَا وَعَجَلًا^(٢)
 يَدُلُّ عَلَى غَنَمٍ وَيَقْصُرُ مُغْمِلًا
 لِمُلْتَمِسٍ يَبِيعُ لَهَا أَوْ تَبْكُلًا^(٣)
 لِيَتَبَلَّغَهُ حَتَّى تَكِلَ وَتَغْمَلَا
 يَرَى بَيْنَ رَأْسَيْ كُلِّ نَيْقَيْنِ مَهْبِلًا^(٤)
 وَأَلْقَى بِأَسْبَاتٍ لَهُ وَتَوَكَّلًا^(٥)
 تَعْيًا عَلَيْهِ طَوْلُ مُرْقَى تَسْهَلَا
 عَلَى مَوْطِنٍ لَوْ زَلَّ عَنْهُ تَفْصَلَا^(٦)

(١) مدب النمل : مجراه . المدرج : المسلك . الذر : هوام صغيرة .

(٢) ميدعان : موضع أو قبيلة . القرونة : النفس .

(٣) التبكل : الغنيمة .

(٤) اللهب بالكسر : مهواة ما بين كل جبلين ، أو الصدع في الجبل ، أو الشعب الصغير فيه ، أو وجه كالحائط فيه لا يرتقى . والجمع : أهاب ، ولهاب ، ولهُوب ، ولهابة . النيق : أرفع موضع في الجبل . المهيل : المهوى من رأس الجبل إلى الشعب .

(٥) أشرط نفسه لكذا : أعلمها وأعدها . معصم : ممسك . الأسبات : جمع سبت وهي الحيرة . وفي رواية « بأسباب » جمع سبب .

(٦) تفصل : انفصلت أجزاءه بعضها عن بعض أي تقطع .

فَأَقْبَلَ لَا يَرْجُو الَّذِي صَعِدَتْ بِهِ
فَلَمَّا قَضَىٰ مِمَّا يَرِيدُ قَضَاءَهُ
أَمَرَ عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ غُرَائِمًا
عَلَىٰ فَخْذَيْهِ مِنْ بَرَايَةِ عُوْدِهِمَا
فَجَرَّدَهَا صَفْرَاءَ لَا الطَّوْلُ عَابَهَا
إِذَا مَا تَعَاطَوْهَا سَمِعَتْ لَصَوْتَهَا
وَإِنْ شُدَّ فِيهَا النَّزْعُ أَدْبَرَ سَهْمُهَا
وَحَشَوْ جَفِيرٍ مِنْ فُرُوعٍ غُرَائِبٍ
تُخَيِّرُنَ أَنْضَاءَ وَرُكْبَنَ أَنْصُلًا
فَلَمَّا قَضَىٰ فِي الصَّنْعِ مِنْهُنَّ فَهْمَهُ
كَسَاهُنَّ مِنْ رِيَشٍ يَمَانٍ ظَوَاهِرًا
وَلَا نَفْسَهُ إِلَّا رَجَاءَ مُؤْمَلًا
وَحَلَّ بِهَا حِرْصًا عَلَيْهَا فَأَطْوَلَا
رَقِيقٌ بِأَخْذٍ بِالْمَدَاوِسِ صَيْقَلًا
شَبِيهَ سَفَا الْبُهْمَىٰ إِذَا مَا تَفْتَلَا^(١)
وَلَا قِصْرُ أَزْرَىٰ بِهَا فَتَعَطَّلَا
إِذَا أَنْبَضُوا عَنْهَا نَثِيمًا وَأَزْمَلَا^(٢)
إِلَىٰ مَنْتَهَىٰ مِنْ عَجْسِهَا ثُمَّ أَقْبَلَا^(٣)
تَنْطَعٌ فِيهَا صَانَعٌ وَتَنْبَلَا^(٤)
كَجَمْرِ الْغَضَا فِي يَوْمٍ رِيحٍ تَزِيلَا^(٥)
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُسَنَّ وَتُصْقَلَا
سِخَامًا لَوْأَمًا لَيْنَ الْمَسِّ أَطْحَلَا^(٦)

- (١) البهيمى : نبات معروف ، له شوك ، تكلف به الحمير وتصلح عليه . وأسفت البهيمى : سقط سفاها . (راجع ديوان امرئ القيس : دار الكتب ، ص ٨٠ ب ٩) .
(٢) النثيم : الأنين ، وهو صوت القوس والأسد والظبي . الأزمل : كل صوت مختلط ، ورنين القوس . نبض في قوسه وأنبض : أصاتها ، أو حرك وترها لترن .
(٣) العجس : مقبض القوس كالمعجس .
(٤) تنطع في عمله : تأتق وبالغ في صنعه . الفروع : جمع فرع ، وفرع كل شيء : أعلاه ، والقوس الفرع : التي عملت من طرف القضيب ، وهي خير القسي ، ويقال : قوس فرع وفرعة . واستنبل المال : أخذ خياره . الجفير : الكنانة وهي جعبة السهام .
(٥) النضي : السهم بلا ريش ولا نصل . تزيل : تفرق وتطير .
(٦) السخام : الريش اللين تحت ريش الطير . لأم السهم : جعل عليه ريشاً لؤاماً ، وسهم لؤام عليه ريش لؤام ، أي بعضه يلائم بعضاً ، بأن تكون بطن كل ريشة إلى ظهر الأخرى . الطحلة : لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل .

فَذَكَ عَتَادِي فِي الْحُرُوبِ إِذَا التَّظْتُ وَأَرْدَفَ بَأْسٌ مِنْ خُطُوبٍ وَأَعْجَلَا
فِيَّ نِي رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ خَفَافَ الْعَهْوِ يُكْثِرُونَ التَّنَقُّلًا

٢ - وقال مُزَرَّدُ بْنُ ضَرَّارٍ الذَّبْيَانِي (١) بَعْدَ أَنْ وَصَفَ خَيْلَ الْحَرْبِ :

وَمَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تُبْعِيَةٌ وَأَآهَا الْقَتِيرُ تَجْتَوِيهَا الْمَعَابِلُ (٢)
دِلَاصٌ كَظْهِرِ النَّوْنِ لَا يَسْتَطِيعُهَا سِنَانٌ وَلَا تِلْكَ الْحِظَاءُ الدَّوَاخِلُ (٣)
مَوْشَعَةٌ بَيْضَاءُ دَانٍ حَبِيكُهَا لَهَا حَلَقٌ بَعْدَ الْأَنَامِلِ فَاضِلٌ (٤)
مَشْهَرَةٌ تُخْنِي الْأَصَابِعُ نَحْوَهَا إِذَا جُمِعَتْ يَوْمَ الْحِفَاطِ الْقِبَائِلُ (٥)
وَتَسْبِغَةٌ فِي تَرْكَةِ حَمِيرِيَةٍ دَلَامِصَةٌ تَرْفُضُ عَنْهَا الْجَنَادِلُ (٦)
كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ فِي حَجَرَاتِهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ زَهَتْهَا الْقَنَادِلُ (٧)

(١) المفضليات ص ١٦٤ .

(٢) المسفوحة : الدرع المصبوبة . الفضفاضة : الواسعة . تبعية : منسوبة إلى تبع . القتير : المسامير . وآها : شددتها . المعابل : سهام طوال عراض النصال . تجتويها : تكثرها .

(٣) الدلاص : الدرع اللينة السهلة . النون : السمكة ، شبهها بها في ملاستها ولينها وصغر حلقاتها . لا يستطيعها سنان : لا ينفذ فيها . الحظاء : جمع حظوة (بتثنية الحاء) ، وهي سهم يلعب بها الصبيان ؛ يريد أنها لا يذ فيهما سهم ولا درنه .

(٤) حبكها : طرائقها . الأنامل : الأصابع . فاضل : يريد أنها ساذغة .

(٥) يريد أنها يشار إليها بالأصابع لشهرتها .

(٦) التسبغة : نسيج من حلق يكون تحت البيضة . التركة : البيضة بلا قونس . الحميرية : منسوبة إلى حمير . دلامصة : سهلة لينة ، وإذا لان الحديد كان أجود لها . ترفض : تكسر . الجنادل : الحجارة .

(٧) حجراتها . نواحيها . زهتها : رفعتها وأشعلتها .

وَجَوْبٌ يُرَى كَالشَّمْسِ فِي طَخِيَةِ الدُّجَى

وَأَبْيَضٌ مَاضٍ فِي الضَّرِيبَةِ قَاصِلٌ^(١)

سَلَفٌ حَدِيدٌ مَا يَزَالُ حَسَامُهُ ذَلِيقًا وَقَدَّتُهُ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ^(٢)

وَأُمْلَسُ هِنْدِيٌّ مَتَى يَعْلُ حُدُّهُ ذُرًّا الْبَيْضِ لَا تَسْلَمُ عَلَيْهِ الْكُوَاهِلُ^(٣)

إِذَا مَا عَدَا الْعَادِي بِهِ نَحْوُ قِرْنِهِ

وَقَدْ سَامَهُ قَوْلَا : فَدَتِكَ الْمَنَاصِلُ

أَلَسْتَ نَقِيًّا مَا تَلِيقُ بِكَ الذُّرَا

وَلَا أَنْتَ إِنْ طَالَتْ بِكَ الْكَفُّ نَاكِلٌ^(٤)

حُسَامٌ خَفِيٌّ الْجَرَسِ عِنْدَ اسْتِلَالِهِ صَفِيحَتُهُ مِمَّا تَنْفَى الصِّيَاقِلُ^(٥)

(١) الجوب : الترس . الطخية : القتام يحول دون السماء من دون الشمس . الدجى : ظلمة الغيم . الأبيض هنا : السيف . القاصل : القاطع .

(٢) سلاف حديد : خيره ، شبهه بسلاف الشراب . وهو مأخوذ من السلف ، وهو المتقدم من الشيء لفضله . الذليق : الحاد ، يقال : سيف ذليق ولسان ذليق والمصدر الذلاقة . قدته : طبيعته . القرون الأوائل : أراد عتق السيف ، وكلما قدم السيف كان أجود له .

(٣) الكواهل : جمع كاهل ، أراد أنه يتعدى البيضة أي يقطعها ويجوزها حتى يصل إلى الكاهل .

(٤) القرن : الموازي في القوة والشجاعة والعمل ، وإن اختلفت السن . المناصل : جمع منصل وهو السيف . سامه : كلفه ، ويقال : سامه قولاً : أي قال له . فدتك المناصل : أي إنك أفضلمها .

(٥) الجرس : الحركة والصوت الخفي ، وخفي جرسه لجودته وسهولته ، وإنه سهل لصفاء حديدته وخلوصه .

ومطرّد لدُن الكعوب كأنما تغشاه مُنباعٌ من الزيت سائل^(١)
أصمٌ إذا ما هزّ مارت سَراته كما مارَ ثعبانُ الرمالِ الموائل^(٢)
له فارط ماضي الغرار كأنه هلال بدا في ظلمة الليل ناحل^(٣)

٣ - وقال أبو قيس بن الأسلت^(٤) :

أعددتُ للأعداءِ مَرُضونَةً فضفّاضة كالنهي بالقاع^(٥)
أحفزها عني بذِي رَوْنَق مهند كالملح قَطّاع^(٦)
صَدَقِ حِسامٍ وَاذِقِ حَدَّهُ ومُجَنّأ أسمرَ قَرّاع^(٧)
بَزُّ امرئٍ مستبسلٍ حاذِرٍ للدهرِ جلدٍ غير مجزاع^(٨)

(١) يعني رمحا . المطرد : المضطرب وذلك للينه . واللدن : اللين . والمنباع : السائل المتتابع السيلان . وقبل المطرد : المتابع الذي لا اختلاف فيه . انباع : سال .
(٢) أصم : ليس بأجوف . مارت : جاءت به وذهبت . سراته : أعلاه ، وشبه اضطرابه إذا هز باضطراب حية في عدوها ، والثعبان في الرمل أسرع في الجري للينه . والموائل : المحاذر الذي يلتمس الملجأ .

(٣) فارط : سنان : الغرار : الحد .

(٤) المفضليات ص ٥٦٤ .

(٥) الموضونة : التي نسجت حلقتين حلقتين ، وقيل الموضونة : التي لصق بعض نسجها ببعض . الفضفّاضة : الواسعة من الدروع ، وكل واسع فضفاض . القاع : الموضع المظلم الجيد الطين تكون فيه حصى صغار . شبه صفاء الدرع بصفاء الماء في الغدير .

(٦) أحفزها : أرفعها ، قال الأصمعي : كانت العرب تعمل في أغهاد سيوفها شبيهاً بالكلاب فإذا ثقلت الدرع على أحدهم رفعها من أسفلها فجعلها بالكلاب لتخف عليه . الرونق : ماء السيف .

(٧) الصدق : الصلب من كل شيء . الحسام : القاطع . الوداق : الماضي الحاد . المجنأ : الترس . وجعله أسمر لأنهم كانوا يتخذون التروس من جلود الإبل .

(٨) البز : السلاح . المستبسل : الموطن نفسه على الهلاك . مجزاع : شديد الجزع .

٤ - سيف طرفة بن العبد (١) :

وَأَلَيْتُ لَا يَنْفَكُ كَشْحِي بِطَانَةٍ
أَخِي ثَقَةٍ لَا يَنْشِي عَنْ ضَرْبَةٍ
حَسَامٍ إِذَا مَا قَمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ
إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمَ السِّلَاحَ وَجَدْتَنِي
لِعَضْبٍ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنْدٍ (٢)
إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ قَدِي (٣)
كَفَى الْعَوْدَ مِنْهُ الْبَدْءُ لَيْسَ بِمُعْضَدٍ (٤)
مَنْعًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي (٥)

٥ - سيف ممدوح النابغة الذبياني (٦) :

فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ
يَطِيرُ فُضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنَسٍ
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفُهُمْ
تُورِثُنِ مِنْ أَرْزَامٍ يَوْمَ حَلِيمَةٍ
بِأَيْدِيهِمْ بِيضٌ رِقَاقٌ الْمَضَارِبِ (٧)
وَيَتْبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَّاشُ الْحَوَاجِبِ (٨)
بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ (٩)
إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبَتْ كُلُّ التَّجَارِبِ (١٠)

(١) المعلقة .

(٢) الكشح : الخاصرة . العضب : السيف القاطع . يقول : أقسمت لا يزال السيف متصلاً بكشحي ملازماً لي .

(٣) أخى ثقة : أي السيف . يعنى يوثق بمضائه وحده . الضربة : المضروبة . قدي : يقول : إذا أمر حاجزه بالتأني والرفق أعجله السيف لمضائه أن يمهل ، فقال : قدي ، أي قد فرغ ومضى . حاجزه : الذي يحجز أي يقطع .

(٤) حسام : قاطع . منتصراً به : أي إذا انتصرت من ظلم فضربت به كفتني الضربة الأولى التي بدأت بها أن أعيد ضربة ثانية . المعضد : الرديء من السيوف .

(٥) ابتدر القوم السلاح : عجلوا إليها وتبادروا نحوها لأمر دهمهم . بلت بقائمة يدي : علقت بقائمه وظفرت به . قائم السيف : مقبضه .

(٦) العقد الثمين : القصيدة رقم ١ ص ٢ .

(٧) رقاق المضارب : يقصد سيوفاً حادة .

(٨) الفضاض : ما انفض وتفرق . القونس : أعلى الرأس . الفراش : عظام رقاق على الخياشيم من الداخل .

(٩) القراع : المجالدة . وهذا البيت تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(١٠) يوم حليلة : الموقعة المشهورة بين اللخمين والغسانيين .

تَقْدُ السُّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ بِالْصُّفَّاحِ نَارَ الْحِبَّاحِبِ^(١)

٦ - رمح ساعدة بن جؤية الهذلي^(٢) :

فَتَعَاوَرُوا ضَرْباً وَأُشْرِعَ بَيْنَهُمْ أَسْلَاتُ مَا صَاغَ الْقُيُوزُورُ كَبُوراً^(٣)
مِنْ كُلِّ أَظْمَى عَاتِرٍ لَا شَأْنَهُ

قِصَرٌ وَلَا رَاشُ الْكَعُوبِ مُعَلَّبٌ^(٤)

خَرِقَ مِنَ الْخَطِيئِ أَغْمَضَ حَدَّهُ مِثْلَ الشَّهَابِ رَفَعَتْهُ يَتَلَهَّبُ^(٥)

مَا يُتَرَّصُ فِي الثَّقَافِ يَزِينُهُ أَخَذَى كَخَافِيَةِ الْعُقَابِ مُحَرَّبٌ^(٦)

لَذٌ بِهِزُ الْكَفِّ يَغْسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ^(٧)

٧ - الكتيبة والجيش

قال أبو منصور الثعالبي^(٨) : الكتيبة : من أربعمائة إلى الألف . والجيش

(١) المضاعف نسجه : الذي نسج حلقتين . الصفاح : الصفا الذي لا يثبت . وقيل ان المراد هنا : البيض والساعد من الحديد وهو يجعل على الذراع . الحباحب : ذباب له شعاع بالليل .

(٢) ديوان الهذليين ، ج ١ ص ١٨٨ (طبعة دار الكتب) .

(٣) تعاوروا ضرباً : أي يضرب بعضهم بعضاً . الأسلات : جمع أسلة وهي الرمح .

(٤) الراش : الخوار . المعلب : المشدود بالعلباء ، وعلباء . البعير : عصب عنقه ؛ يصف

الرمح بأنه صحيح لم يكسر ولم يشد بعلباء ، أظمى : أسمر . عائر : مضطرب المهتز .

(٥) الخرق في الرجال : الذي يتخرق في المال والخير يقصد أنه إذا هز تخرق . فلم يكن

كزا صلباً . أغمض حده : ألطف .

(٦) يترص في الثقاف : أي يحكم . الاخذى : الذي كسر حرفاه ، أي ليس بمنتشر الرأس

يعني كسرت فاحيته حتى دق ، يقصد السنان . محرب : أي قد حرب حتى غضب شهوة إلى الدم .

(٧) لذ : أي تلد الكف بهزه . يعسل متنه فيه : أي في الكف ، أو في الهز . يعسل :

يضطرب . عسل الطريق : أي في الطريق .

(٨) فقه اللغة ص ٣٢٩ .

من ألف إلى أربعة آلاف . والخميس ^(١) : من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً .
والعسكر يجمعها .

وقد تحدث الشعراء الجاهليون عن الكتيبة والجيش في الوصف والفخر
والمدح والذم والنصح والتهديد وإثارة القوم والاعتذار واللوم والعتاب .

وكان حديثهم يدور حول صفات الجيوش وشجاعة أفرادها وكثرة عددهم
وعُددهم ، وعن نظام جيوشهم : من استعدادهم عندما ينوون القيام بعمل
حربي ، وسير الجيوش ، وألويتهم وراياتهم ، والربيئة والعيون ، وترتيبهم
عندما يقتربون من الأعداء ، وتقديمهم نحوهم ، ومقابلتهم .

فأما الصفات التي امتدحوا بها أفراد جيوشهم ، فهي في الحقيقة ما سبق
أن ذكرناه في الحديث عن البطل . والواقع أن ما ذكرهنا وما ذكر هناك
من الصفات ، إنما هو حديث عن موضوع واحد يكمل بعضه بعضاً ، لأن
البطل هو الذي منه ومن أمثاله يتكوّن مجموع الجيش . وأهم الصفات التي
أكثر الشعراء من ترديدها في هذا المقام : عزة النفس ، والإباء ، وعدم
الاستكانة ، والدفاع عن الحمى والشرف ، والمحافظة على مجد القبيلة وحسن
سمعتها وكرامتها ، والحزم ، والصبر على المكاره ، وأشادوا بالشجاعة والجلد
والقوة والبطش وشدة البأس ، وأنهم يسرعون إلى ملاقات الموت ولا يرهّبونه :

رجال متى يُدْعَو إلى الموت يُرْقِلُوا إليه كإرقال الجمال المصاعب ^(٢)

ولا يألمون القتل ، ولكن يَجْزُونَ به ^(٣) ؛ ويعيدون الكرّ . دون أن
يلينوا ^(٤) ، ويلتهمون كل ما تصل إليه أيديهم ، ويقصدون الثغور التي يخافها

(١) وقال ابن سيدة في المخصص ج ٦ ص ١٩٩ : وإنما سمي الخميس بذلك لأنه يخمس ما
وجده أي يأخذه .

(٢) قيس بن الخطيم ، ديوانه ص ١١ .

(٣) أبو قيس بن الأسلت ، المفضليات ص ٦٩ هـ بيت ١٢ .

(٤) الأعشى ، ص ١٦٤ بيت ٨ .

سواهم ^(١) ؛ ويخشى الكماة نزالهم ^(٢) ؛ ويملئون قلوب غيرهم خوفاً ورعباً ؛

وكان مُعاديننا تهرُّ كلابه مخافة جيشٍ ذي زُهاءٍ عرمرم ^(٣)

وقد افتخر الشعراء بأن قومهم لا يختلئون ، ولا يتسترون في عداوتهم ،
ولا عند هجومهم ، بل يجاهرون الأعداء بالشر ، قال بشر بن أبي خازم ^(٤) :

عطفنا لهم عطف الضروسِ من المَلَا بشهباء لا يمشي الضراء رقيبها

ومدحوا الجيوش بإشهار أنفسهم ، فلا يخفضون أصواتهم ، ولا يخفون
نيرانهم . وقد أكثروا من وصف جيوشهم بأنهم غير أشائب ، أي ليس فيهم
خليط ، أو أجنبي غريب . قال طفيل الغنوي :

قبائل من فرعي غنيٍّ تواهقت بها الخيل لا عزلٌ ولا أشب ^(٥)

وقال النابغة الذبياني ^(٦) :

وثقت له بالنصر إذ قيلَ قد غزت كئائبٌ من غسانٍ غيرُ أشائب

بنو عمه دنيا وعمرؤ بن عامر أولئك قومٌ بأسهم غيرُ كاذب

ومما افتخروا به كثيراً ضخامة الجيوش وكثرة عددها . وصوروا ذلك

(١) سلامة بن جندل . النقائض ص ١٤٨ .

(٢) الاعشى ، ديوانه ص ٢٧ بيت ٥٢ .

(٣) جابر بن حني : المفضليات ص ٤٤١ بيت ٢٥ . هرير الكلب : صوت دون النباح .

زُهاء : عدد كبير . عرمرم : كثير .

(٤) المفضليات ص ٦٤٣ ب ١٠ . الضروس : الناقة السيئة الخلق . الملا : الصحراء .

الضراء : ما وارك من شجر ، وفلان يمشي الضراء : إذا مشى مستخفياً فيه . الرقيب : المراقب
والناظر . أي لا تختل ولكننا نجاهر . وشهباء : كتيبة عليها بياض الحديد .

(٥) ديوان طفيل الغنوي : ص ٦ ب ١٩ .

(٦) العقد الثمين : ق ١ البيتان ٨ - ٩ .

في أشعارهم بصور مختلفة : فهذا يذكر أن جيش قومه لا يتبين سيره من كثرتهم ويملاً الفضاء :

مَجْرٍ يَغْصُ بِهِ الْفُضَاءُ لَهُ سَلَفٌ يَمُورُ عَجَاجُهُ فَخْمٌ^(١)
وآخر يقول إن جيشهم كان يزحم المكان لدرجة أن الحنظل لو ألقى على رؤوسهم لتدحرج ، ولم يصل الأرض لشدة التحامهم :

لَوْ أَنَّكَ تُلْقِي حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا تَدَحْرَجُ عَنْ ذِي سَامِهِ الْمُتْقَارِبِ^(٢)
وهذا لقيط الإيادي يصوّر الجيش بأن في استطاعته أن يهد الجبال^(٣) ، ويصوّره النابغة الذبياني بأن المكان يضيق به ، ويؤثر فيه حتى إنه يجعل الأكام وهي ما ارتفع من الأرض وغلظ ، أرضاً رملية منخفضة :

جَمْعاً يَظَلُّ بِهِ الْفُضَاءُ مَعْضَلًا يَدَعُ الْإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَارٍ^(٤)
وكانت كثرة الجيش داعية لتصوّر أشياء أخرى مترتبة عليها ، فهذا مثلاً أوس بن غلفاء يقول إن الجيش ، بسبب كثرتهم كانت يخرج الجرذان من أحجارها .

بِكُلِّ مُنْفَقِ الْجُرْذَانِ مَجْرٍ شَدِيدِ الْأَسْرِ لِلْأَعْدَاءِ حَامٍ^(٥)

(١) الجميع الاسدي : المفضليات ص ٧١٩ ب ٨ . المجر : الثقيل الذي لا يتبين سيره من كثرتهم . يغص به : يضيق . السلف : الخيل المتقدمة . يمور : يذهب ويجيء . العجاج : الغبار . الفخم : الضخم .

(٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٦ . السام : عروق الذهب .

(٣) مختارات ابن الشجري .

(٤) العقد الثمين : القصيدة رقم ١٠ .

(٥) المفضليات ص ٧٥٦ .

وعلاقة يقول إنه كان ينفي الطير من أوكارها :

فإن أبا قابوسَ يَبْني وَيُنْهِيها بأرْعَنَ يَنْفِي الطيرَ حُمْرُ مَنَاقِلُهُ^(١)

ويصفه النابغة بأنه يذعر الوحوش في مواطنها حتى ينفيها عنها :

حتى استَقَلَّ بِجَمْعٍ لا كِفَاءَ له يَنْفِي الوحوشَ عن الصَّحراءِ جَرَّار

ويقول الأعشى إنه كان ضخماً تضيق به الصحراء . وكان أوله يستنفذ الموارد الغزيرة الماء قبل أن يبلغها آخره :

عريضٌ تَعْجِزُ الصَّحراءُ عَنْهُ وَيَشْرَبُ قَبْلَ آخِرِهِ الْجَمَامَا^(٢)

ويدعي سلامة بن جندل أن الأرض كانت ترجف بسببه :

تَكَادَ له الأرضُ من رِزِّهِ إذا سَارَ تَرْجُفُ أركانُها

أما حديثهم عن تسليح الجيش ، فقد أكثروا فيه من وصف جيوشهم بأنهم كاملوا السلاح ، وعلى أتم استعداد من الأسلحة والذخيرة ، قال عبيد بن الأبرص^(٣) :

سَلَفًا لَأرْعَنَ ما يَخْفُ ضِبابُهُ مَتَقَنَّسٌ بِأَدِي الحديدِ لُهامِ

(١) العقد الثمين : ق ١٢ . أبو قابوس : هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهو الذي كان يمدحه النابغة . أرعن : يقصد جيش كثير العدد ، المناقل : جمع منقل ، وهو الثنية والطريق . أي احمرت من كثرة الدم .

(٢) الأعشى : قصيدة رقم ٢٩ بيت رقم ٢٧ . الجمام : جمع جم وهو الكثير من كل شيء .

(٣) سلفا : متقدمة ، يريد الخيل . أرعن : جيش . ضبابه : صحابه . متقنس : لابس القونس وهو العمود القائم في وسط البيضة . بادي الحديد : ظاهر الحديد ، أي السلاح . لهام : كثير العدد . كل مصونة : محفوظة ، يريد القوس أي ودعت ليوم الحاجة إليها . المثقف : الرمح المصلح . الحسام : السيف الذي يقطع كل شيء .

فيه الحديد وفيه كل مصونة نبيع وكل مثقف وحسام

ومن ثم ورد في أشعارهم كثير من أوصاف الكتائب والجيوش التي تشير إلى كثرة السلاح ؛ فقالوا :

كتيبة شهباء : أي عليها بياض الحديد .

وكتيبة خضراء : عليها سواد الحديد .

وكتيبة بيضاء : صافية الحديد .

وكتيبة خرساء صامته : من كثرة الدروع ليس لها قعاقع .

وكتيبة جأواء : عليها صدأ الحديد .

وسمّـهـمـ كـيـون من صدأ الحديد : وذلك لاستدامة لبسه .

ونفوا عن البطل في الجيش أن يكون أعزل ، أي لا سلاح معه ؛ أو أجـمـ : أي ليس معه رمح ؛ أو أنكب ^(١) : أي لا قوس معه ؛ أو أكشف : أي ليس له ترس ؛ أو حاسراً : أي ليس عليه درع . وهذا يدل على شدة اهتمامهم بالأسلحة ، وعدم خروجهم للحرب إلا وهم ^(٢) على أتم استعداد وأكمل تسليح ^(٣) .

وأما حركات جيوشهم العسكرية ، فقد تحدث الشعراء عن كثير من مظاهرها ، فجاء في الشعر أنهم كانوا عندما ينوون القيام بحرب يأخذون في

(١) راجع الثعالبي : فقه اللغة ص ١١٠ .

(٢) راجع قصيدة زهير في مدح هرم بن سنان . العقد الثمين : القصيدة ١١ .

(٣) قد يكون من الطريف أن نذكر القصة الآتية : روي أن كثير عزة لما مدح عبد الملك ابن مروان بقوله :

علي ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي سردها فأذاها

أنكره عليه عبد الملك ، وقال له : إن الأعشى أشعر منك حيث يقول :

وإذا تكون كتيبة مملومة خرساء يخشى الواردون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال : إن الأعشى وصف صاحبه بالتغريز ، ووصفتك أنا بالحزم .

الاستعداد ، فيسنون الأسلحة ويصقلونها للقتال ، ويقضون أوقاتهم في شغل تام بشئون الحرب .

قال طفيل الغنوي ^(١) :

تَبَيَّتْ كَعَقْبَانِ الشُّرَيْفِ رَجَالُهُ إِذَا مَا نَوَّاهُ إِحْدَاثَ أَمْرِ مَعْطَبٍ

وقال أيضاً ^(٢) :

فَبَاتُوا يَسُنُّونَ الزَّجَاجَ كَأَنَّهُمْ إِذَا مَا تَنَادَوْا خَشْرَمَ مُتَحَدِّبٍ

وقال لقيط الإيادي ^(٣) :

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسُنُّونَ الْحِرَابَ لَكُمْ لَا يَهْجَعُونَ إِذَا مَا غَافِلٌ هَجَعَا

فإذا ما بدأ الجيش في السير نحو الأعداء تولى الرئيس قيادتهم ، وفوق كل كتيبة لواؤها ، وكان اللواء يعقد في رأس رمح ^(٤) ، ويحمله بطل عظيم ، قال عنتره :

كَتَائِبُ تُزَجَّى فَوْقَ كُلِّ كَتِيبَةٍ لَوَائِ كَظَلِ الطَّائِرِ الْمُتَقَلِّبِ ^(٥)

وقال عبيد بن الأبرص ^(٦) :

بِمَعْضَلٍ لَجِبَ كَأَنَّ عُقَابَهُ فِي رَأْسِ خُرْصٍ طَائِرٌ يَتَقَلَّبُ ^(٧)

(١) ديوانه ، ص ٤ بيت ١٢ .

(٢) ديوانه ، ص ٢١ بيت ٧ .

(٣) مختارات ابن الشجري .

(٤) يقال إن اللواء كان يثبت في أعلى الرمح على قدر ذراع أو شبر من السنان (راجع شرح

ديوان عبيد بن الأبرص ص ٧١ بيت ١٢) .

(٥) العقد الثمين قصيدة رقم ٤ ص ٣٥ .

(٦) ديوانه ص ١٥ بيت ٢١ .

(٧) معضل : كثير يضيق بهم موضعهم من كثرتهم . العقاب : الراية . الخرص : سنان الرمح .

وقال النابغة الذبياني :

لَهُمْ لَوَاءٌ بِكَفِّيْ مَا جَدِ بَطْلٌ لَا يَقْطَعُ الْخَرْقَ إِلَّا طَرْفَهُ سَامٌ^(١)

وكانوا يرسلون أمام الجيش ربيعة يتقدمهم ، ليعرف أخبار العدو سرّاً ، ويخبرهم بها . وكان يُختار من أذكى الناس وأشدّهم جرأة وأحدّهم نظراً ، حتى كان ذلك مجالاً للفخر ، قال ربيعة بن مقروم^(٢) :

وَمَرْبَاةٍ أَوْفَيْتُ جَنْحَ أَصِيلَةٍ عَلَيْهَا كَمَا أَوْفَى الْقَطَامِيُّ مَرْقَبَا

وكان من مهمته أن يتبين الفرصة الملائمة لقومه كي يشنوا الهجوم على العدو ؛ وعند ذلك يعطهم إشارة البدء المتفق عليها^(٣) .

وفي سيرهم إلى ميدان المعركة كانوا يركبون الإبل ، ويضعون عليها حقائب الذخيرة والمثونة ، ويجنبون الخيل استبقاءً لنشاطها وقوتها في الميدان ، قال عبيد بن الأبرص^(٤) :

تَمْشِي بِهِمْ أَدَمُ تَتَّطُّ نُسُوعُهَا خُوصٌ كَمَا يَمْشِي الْهَجَانُ الرَّبْرَبُ^(٥)
وَهُمْ قَدْ اتَّخَذُوا الْحَدِيدَ حَقَائِبَا وَخِلَالَهُمْ أَدَمُ الْمَرَا كُلِّ تُجْنِبُ^(٦)

فإذا أعطاهم الدليل الإشارة بالتقدم ، وكانوا على مقربة من العدو ، أخذوا في الاستعداد للهجوم ، فأناخوا الإبل ، وأعدوا الخيل بعد عرضها على الماء ، وبعد ذلك كانوا يلبسون السلاح ، ويركبون الخيل ، ويتركون

(١) العقد الثمين ص ٢٨ .

(٢) المفضليات ص ٧٣٦ بيت ١٥ .

(٣) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٣٣ بيت ٥ .

(٤) ديوانه ص ١٤ البيتان ١٤ - ١٥ .

(٥) أدم : إبل بيض . تتط نُسوعها : تصيح ، ولا يكون الأطيظ للرحل إلا إذا كان

جديداً . خوص : غائرة العيون . الهجان : البيض . الربرب : جماعة البقر .

(٦) أدم المراكل : أي أبيض موقع عقب الفارس من الفرس مما يركله برجله .

الإبل في رعاية حراس مخصوصين . قال الأعشى (١) :

حتى إذا لمع الدليل بثوبه سقيت وصب رواتها أشوالها (٢)

فكفى العضاريط الركاب فبددت منه لأمر مؤمل فأجالها (٣)

ثم يقسمون أنفسهم كتائب ، فإذا ما أعطاهم الرئيس الأمر بالبدا انطلقوا نحو الأعداء مسرعين ، قال مالك بن نويرة (٤) :

فقال الرئيس الحوفزان تكتبوا بنى الحزن ، قد شارفتهم ، ثم جردوا

وقال زهير بن أبي سلمى (٥) :

ينظر فرسانهم أمر الرئيس وقد شد السروج على أثباجها الحزم

يمرونها ساعة مرّياً بأسواقهم حتى إذا ما بدا للغارة النعم

شدوا جميعاً وكانت كلها نهزاً تحشك درّاتها الأرسان والجذم (٦)

الصور الشعرية المكتيبة والجيش (٥٥٣ - ٦٦٥) :

وهنا نجد الشعراء قد أشاروا في صورهم الشعرية إلى كثرة الجيش

(١) ديوانه : قصيدة رقم ٣ البيتان ٤٤ - ٤٥ .

(٢) لمع الدليل بثوبه : أشار به . والدليل هو الربيثة الذي يرشد الجيش . الأشوال والأوشال : القليل من الماء . يقصد أن ما بقي من الماء بعد سقي الخيل يراق ليقاقل المقاتلون على ماء العدو .

(٣) العضاريط : جمع عضروط ، وهو التابع أو الخادم والمراد : أمسك الخدم بالركاب فركب الفرسان ، حتى إذا أشار المدوح بالهجوم ، أجيلت بأمره الخيل .

(٤) العقد الفريد ج ٣ ص ٨٧ .

(٥) ديوانه ، طبعة دار الكتب ص ١٥٩ .

(٦) يصفهم بطاعة رئيسهم ، وذلك أحزم . الأثباج : الأوساط ، والمراد تأهبوا وأسرجوا خيلهم فلم يبق إلا أن يأمرهم رئيسهم بالقتال أو الغارة فينفذوا أوامره . نهزاً : غنيمة . تحشك : تستخرج . الدرات : دفعات الجري .

وضخامته وعظمه ، وإمداداته ، وكثرة السلاح وثقله ولمعانه ، وشجاعتهم وجراعتهم ، ومكرهم ودهائهم ، وشدة هجومهم ، وهول آثارهم ؛ وإلى الراية ، والربيثة ، والغبار الذي يثيرونه : فشبهوا الجيش في الكثرة بأهمية الكتيب (٥٨٠) ، وبالليل (٥٥٩ - ٥٦٣) في الكثرة ، والانتشار على وجه الأرض ، وحجب كل شيء ؛ وبالليل في سماء بروق (٥٦٤) في الانتشار في جميع البقاع مع اللعان والبريق ، وبالسحاب (٥٩٣ - ٥٩٥) في الاعتراض في الأفق وتغطية المكان ، وبالجبل (٥٦٥ - ٥٧٩) في الطول والرفعة والضخامة مع الثبات وعدم التأثر بحوادث الزمن ، وبالغابات (٥٨١) في الكثرة والكثافة وبالإيوان (٦٢٤) في الضخامة والعظم ، وبالجراد (٦٢٨ - ٦٣٠) ، والقطا (٦٣١) في الكثرة والانتشار مع السرعة والنشاط . وقورنت آثارهم في الأرض الصلبة لكثرتهم بتشقيق الهاجري أرضه للزراعة (٥٨٢) .

وصورت كتائب الجيش بعصائب الطير (٦٣٣ - ٦٣٤) ، وشبهت إمدادات الجيش بالأمطار التي تمد السيل من وقت لآخر (٦١٩) ، وبخوالف الضرع التي توجد في نواحيه (٦٢٠) في المجيء من كل صوب .

وشبهوا في مشيهم وقد لبسوا أسلحتهم ومعداتهم بالجمال الدوالح (٦٤٦ - ٦٤٧) في ثقل الحمل عليهم ، وشبهوا بالنجوم (٥٥٣ - ٥٥٧) في اللعان والبريق ، وبالسراب (٥٨٩) في اللعان والامتداد في الأفق ، وبالسحاب مع البرق (٥٩٩ - ٦٠٤) في الامتداد والبريق ، وبالرعد والبرق (٦٠٥) في هول ضوضائهم وزئيرهم والبريق ، وبالسحاب ذي البرد (٦٠٦ - ٦٠٩) في الانتشار في الأفق مع شدة الرمي وتتابعه ، وبالمطر المنهمر (٦١٠ - ٦١٤) في الكثرة والتتابع مع توالي الحركة وتدفقها ، وبالسيل (٦١٥ - ٦١٩) ، وبالبحر (٥٩٠ - ٥٩١) في التدفق والسير بسرعة مع الاندفاع الشديد والإتيان على كل ما في طريقه ، وبالريح تسوق السحاب (٥٩٦ - ٥٩٨) في الكثرة والسرعة وتوالي الإمدادات ، وبالريح

الحاصب (٥٩٢) في السرعة والشدة والأذى .

وُصُورًا بصور النار (٥٨٣ - ٥٨٧) في التأجج بسرعة مع العنف والقسوة
والتهام كل ما تصل إليه وإهلاكه ، والرحى (٦٢٢ - ٦٢٣) في اللف والدوران
مع الإهلاك والتدمير ، والسنان (٩٢٦) في الإهلاك والحزم وسرعة المضاء
وشدته مع الإشراق الذي يعلو وجوههم فيلمع لمعان الأسنان ، والأشطان (٦٢١)
في الاستقامة والسير مباشرة للغرض المقصود والتوجه للوجهة المطلوبة وشبهت
مهمتهم وقت القتال بغياغم الثيران (٦٤٥) في اختلاطها وعدم وضوحها
ومجيشها من الأعماق . وشبهوا بالصقور (٦٤٣) والإبل الضروس ، والواردة
لخنس (٦٤٨ - ٦٥١) في شدة الهجوم وسرعة الاندفاع ، وبالنمر (٦٥٣ -
٦٥٤) في شدة الهجوم مع المكر والدهاء وتحين الفرص ، وبالأسد (٦٥٥ -
٦٦٥) في شدة الهجوم مع الشجاعة والجرأة والقوة .

وشبهت الراية بالطائر المتقلب (٦٣٥ - ٦٣٩) في الخفقان والتقلب وشبه
الريضة بالصقر (٦٤٤) في حدة النظر وشدة الانتباه .

بعض ما قيل في الكتيبة والجيش :

١ - قال أبو قيس بن الأسلت (١) :

نَذُودُهُمْ عَنَا بِمُسْتَنَّةٍ ذَاتِ عَرَانِينَ وَدُفَاعٍ (٢)
كَأَنَّهُمْ أَسَدٌ لَدَى أَشْبُلٍ يَنْهَتُنْ فِي غِيلٍ وَأَنْجَزَاعٍ (٣)
حَتَّى تَجَلَّتْ وَلَنَا غَايَةٌ مِنْ بَيْنِ جَمْعٍ غَيْرِ جُمَاعٍ (٤)

(١) المفضليات ص ٥٦٤ .

(٢) تذود : تدفع . المستنة : الكتيبة . وأصل الاستنان : النشاط ، أي هم جلداء أقوياء .
عرانين : رؤساء ومتقدمون في الفضل والشجاعة . دفاع : أبطال يدفعون الأعداء عنهم .

(٣) ينهتن : يزرأن . الغيل : الأجمة . الأجزاء : الجوانب .

(٤) تجلت : انكشفت . غاية : راية . غير جماع : أي كله منا لم نستعن بأحد غيرنا .

٢ - وقال عبد الشارق بن عبد العزّي (١) :

فأرسلنا أبا عمرو ربيثاً فقال ألا أنعموا بالقوم عينا
ودسّوا فارساً منهم عشاء فلم نغدر بفارسهم لدينا
فجاءوا عارضاً برداً، وجئنا كمثل السيل نركب وازعينا

٣ - وقال النابغة الذبياني (٢) :

أو تزجروا مكفهرآ لا كفاء له كالليل يخلط أضراماً بأصرام
مستحقّي حلق الماذي يقدمهم شمّ العرائن ضرابون للهام
لهم لوائك بكفى ماجد بطل لا يعطع الخرق إلا طرفه سام
يهدى كتائب خضراً ليس يعصمها إلا ابتدارٌ إلى موتٍ بالجمام

٤ - وقال الجهم الأسدي (٣) :

لا تسقني إن لم أزر سمرأ غطفان موكب جحفل دهم^(٤)
لجب إذا ابتدوا قنابله كنشاص يوم المرزم السجم^(٥)

(١) الحماسة ص ١٧٠ .

(٢) العقد الثمين ، قصيدة رقم ٢٧ .

(٣) المفضليات ص ٧١٨ .

(٤) سمرأ : ليلاً . الجحفل : الجيش العظيم . دهم : كثير .

(٥) اللجب : ذو الأصوات لكثرتة . ابتدوا : أخذوا يجانبية . القنابل : الجماعات .
النشاص : ما ارتفع من السحاب . المرزم : نجم له نوء . السجم : السائل .

مَجْرٍ يُغَصُّ بِهِ الْفَضَاءُ لَهُ سَلَفٌ يَمُورُ عَجَاجُهُ ، فَخْمٌ ^(١)

٨ — الموقعة

يشمل حديثنا عن الموقعة تحليل ما قاله الشعراء الجاهليون عن وصف الموقعة وما كان يحدث فيها من أنواع القتال ، وما تحدثوا به عن يوم الموقعة وما صوروا به شعور القوم منذ اللحظة التي يحدث فيها النزاع إلى انتهاء الموقعة .

أولاً : وصفها :

ونقصد بذلك ما قاله الشعراء عما كان يحدث منذ التقاء الجيشين إلى أن ينتهي القتال ، وهنا نجدهم يتحدثون عن الحال وقت المفاجأة بالغارة ، ومقابلة الفريقين ، وحال القوم في القتال ، ومنظر الميدان على العموم .

ومن حديث الشعراء نجد أنه حينما يفاجأ القوم بالغارة ، ويؤخذون على غيرة كانت تحدث فوضى واضطراب ، وبخاصة بين النساء ؛ إذ يستولي عليهن الذعر والرعب ، فيولين هاربات ، وهن كاشفات حاسرات ، أو مختمرات على غير النظام المألوف .

مِنْ بَيْنِ وَاضِعَةِ الْخَمَارِ وَأَخْتِهَا تَسْعَى وَمِنْطَقُهَا مَكَانَ الْمِئْزَرِ ^(٢)

وفي تلك اللحظة ، كان الهياج يزداد ، ويكثر الصراخ ، ويعلو النداء من كل ناحية .

(١) مجر : ثقیل لا يتبين سيره من كثرتة . يغص به الفضاء : يضيق به لكثرتة . سلف : خيل متقدمة . يمور : يذهب ويحيى . العجاج : الغبار . فخم : ضخم .

(٢) عوف بن عطية ، المفضليات ص ٦٣٨ .

فِيَا لَكَ مِنْ صُرَاخٍ وَافْتِضَاحٍ وَنَقْعٍ ثَائِرٍ وَسَطِ الدِّيارِ^(١)

وإذا ما تقابل الجيشان نادى كل فريق باسم قبيلته ؛ افتخاراً بها ،
وتشجيعاً لرجالها ، وإثارةً لهممهم ، وكان ذلك يتخذ عادةً كإشارة لبدء
القتال ، وحينئذ تدور المعركة^(٢) . قال أنيف بن زيان النبهاني^(٣) :

فلما أتينا السفحَ من بطن حائلٍ بحيثُ تلاقى طلحُها وسيالُها
دعوا لنزارٍ وانتمينا إطيءً كأسد الشرى إقدامها ونزالها

وقد بين الشعراء درجات القتال عندهم ؛ فمن أقوالهم يظهر أن أول
درجة كانت الرمي بالسهم ، حيث يكونون بعيدين بعضهم عن بعض ، حتى
تفنى سهامهم ؛ وبعد ذلك يتقاربون ويتطاعنون بالرماح ، ثم يتضاربون
بالسيوف : قال طفيل الغنوي^(٤) :

فلما فنى ما في الكنائس ضاربوا على القرع من حلد الهجان المجوب

وقال عمرو بن كلثوم :

نُصَاعِنَ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَا وَنَضْرِبُ بِالسَّيُوفِ إِذَا غُشِينَا

(١) البراق : شعراء النصرانية ص ١٤٣ .

(٢) روي أنهم كانوا عندما يتقابل الجيشان يعرضون الزجاج أولاً إشارة إلى تحكيم العقل
والمنطق ، ودعوة إلى السلم ، فإن أبوا أداروا الرماح واستعملوا الأسلحة بالظعن ، واستدلوا على
ذلك بقول زهير :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل هدم
ولكن يبدو أن الشاعر لم يكن يشير إلى عادة خاصة ، وإنما يقصد بذلك : أن من لم يرض
بالحل اليسير ويقنع به فإنه قد يعاني الصعب العنيف من الشرور والويلات .

(٣) ديوان الحماسة ج ١ ص ٤٩ . السفح : أسفل الجبل . بطن حائل : موضع الطلح والسيال ؛
نوعان من الشجر . انتمينا : انتسبنا ، أي قالوا يالنزار ، وقلنا بإطيء .

(٤) ديوانه ص ١٣ بيت ٦٠ .

وقال عنتره العبسي (١) :

فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند صافي الحديدِ مخذم

وبعد ذلك يكون النزول والاعتناق .

ويفهم من هذا أن كل درجة كانت أشد من سابقتها وأخطر ، فالطعن بالرمح أشد من الرمي بالسهم ، والضرب بالسيف أخطر من الطعن . ولهذا مدح زهير بن أبي سلمى بالأفضلية في القتال حيث يقول :

يطعنهم ما ارتموا ، حتى إذا اطعنوا

ضارب ، حتى إذا صاربوا اعتنقا (٢)

وكانت المنازلة أشد أنواع المقاتلة وأخطرها ، ولذا افتخر الشعراء ومدحوا بها ؛ قال عنتره :

إن يلحقوا أكرز وإن يستلحموا أشدد وإن يلفوا بضنك أنزل
حين النزول يكون غاية مثلنا ويفر كل مضلل مستوهل

وقال زهير :

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دُعيت نزال ولج في الذعر

وافتخر الشعراء بنجبتهم في حالي الركوب والنزول ؛ قال الأعشى :

قالوا: الركوب، فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون فإننا معشر نزل

(١) المعلقة . مخذم : قاطع .

(٢) العقد الثمين : شعر زهير ، قصيدة رقم ٩ بيت ٣١ .

أما شعرهم عن الحال وقت القتال ، فقد كان يدور حول تراشق السهام ، واشتجار القنا ، وصليل السيوف ، وخشخشة الدروع ، ولمعان البيض ، وأزم الخيل وحممتها وظهورها ساهمة الرؤوس ، عابسة الوجوه ، وارتفاع الغبار وكثرته ، وحركات الأسلحة ، وتكسر الرماح ، وانحناء السيوف وانثلامها ، والكر والفر ، وثوران النفوس ، والتهاب الصدور ، وشدة ضربات القلوب ، واحمرار العيون ، وسرعة الأنفاس ، وخفة الأيدي ، واشتداد الطعنات ، وتوالي الضربات ، وتساقط القتلى ، وأنين الجرحى ، وسيلان الدم على صدور الخيل ، وفيضانه على أرض الميدان .

وأكثر ما استرعى أنظار الشعراء من أفعال المتقاتلين كان الطعن بالرماح ، والضرب بالسيوف ، ولذلك سنتحدث عنهما بالتفصيل .

(أ) الطعن :

تحدث الشعراء عن الطعنة من عدة نواح ، ولكن أحاديثهم كلها على العموم تدور حول وصف الطعنة بالشناعة والروعة ، وأنها كانت قاضية لا أمل في شفاء المطعون منها .

فتحدثوا عنها من حيث الحالة النفسية للطاعن ، ومكان الطعن ، وهيئة الطعنة ووصف الدم الذي يخرج منها ، وروعتها ، وأثرها في النفس .

أما وصفها بما يصور حال الطاعن فقالوا فيه إنها كانت طعنة ثائر^(١) أي اخذ بالثار ، أو طعنة عاجلة مسرعة^(٢) ؛ أو مختلصة لم يدنم لها النصل^(٣) ، أو طعنة على دهش وذعر^(٤) .

(١) قيس بن الخطيم : ديوان الحماسة ج ١ ص ٥٤ .

(٢) عنتره العبسي : المعلقة .

(٣) المسيب بن علس : ديوان الأعشى . قصيدة المسيب رقم ١٨ .

(٤) يزيد بن سنان : المفضليات ص ١٢٢ بيت ٦ .

وأما أماكن الطعن ، فقد ذكروا المواضع القاتلة ؛ وهي :

بجامع الأوصال (١) - الأثباج والنحور (٢) - الجوف (٣) - الكلي (٤) -
المتن (٥) (عند الفرار) .

وتردد في أشعارهم وصف الطعنة والدم الذي يخرج منها بالأوصاف الآتية :

١ - نافذة ، وقد بدا عامل الرمح من الخلف .

٢ - واسعة ، لا يمكن التئامها ، يصعب علاجها لتقطيعها من كل
الجهات .

٣ - يخرج الدم منها بشدة ، وأكثروا من وصف الدم بأنه من نجيع
الجوف ، يخرج بغزارة ، فيلطح صاحبه ، ويملاً فراشه وينزف المطعون حتى
تصفر أقالمه ، ويندفع بشدة فيفور يحيشان ونشيج بحيث يكون له جرس
شديد ، واندفاعه بقوة كاندفاع بول الإبل ، أو الماء من فم الزق الملائن ،
حتى إنه لينفي التراب ويبعده (٦) .

أما روعتها وأثرها في النفس ، فهي تبعث الهلع ، وتذهل البطل ، وتهول
عيون الأواسي ، وتضرب منها النساء نحورهن ، وتسوء العدو ، ولكنهم -
تبلغ إرادة الطاعن ، وترضي قلبه . وتقر عين الشامت ، وتفصل بين الحق
والباطل ، وتصعد الأعداء ، وتحمي الديار .

(١) يزيد بن سنان : المفضليات ص ١٢٢ - بيت ٦ .

(٢) المهلهل : شعراء النصرانية ص ١٧٠ .

(٣) ساعدة بن جؤبة : ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٩ بيت ٨ .

(٤) الأعشى : ديوانه قصيدة ٥٣ بيت ١٥ .

(٥) ثعلبة بن عمرو : المفضليات ص ١٤٥ بيت ١٢ ، ومقاس العائذي : المفضليات

ص ٦١ بيت ٥ .

(٦) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٣٩ .

الصور الشعرية للطعن (٦٦٦ - ٦٨٩) :

شبهت الطعنة بحبيب المرأة الحمقاء الهاربة من شدة الخوف والذعر على فجأة (٦٧٢ - ٦٧٣) في الاتساع ، وشبهت بالجلد المشقق (٦٧٠ - ٦٧١) في التقطيع والتشقيق من كل ناحية بحيث لا يمكن التثامه وشبهت حركة الطاعن طعنة مستديرة ومعوجة بحركة من ينارل نابلا سهمين سهمين (٦٧٤) وذلك في خفة اليدين وحركتهما وانشغالهما ، مع النشاط وسرعة الحركة وتواليها .

وشبه فوران الدم بالنار (٦٧٥ - ٦٧٧) في الاضطرام ، وشبه اندفاعه برمح الشول من يريد حلبها (٦٧٩) ، وإليزاغ الخاض (٦٨٠ - ٦٨١) ، واندفاع الماء من المزايدة المملوءة ماء أو لبنا (٦٨٢ - ٦٨٨) في شدة الاندفاع وقوته .

وأما صوت توالي الرماح وتكاثرها ، فقد شبه بصوت وقع الصياصي على النسيج الممدد (٦٨٩) ، وشبه موضع الطعنة بمشافر الإبل الخيسة المذلة (٦٧٨) في استرخاء اللحم وتدليه

وعلى سبيل التهمك والسخرية بالمطعونين شبهت الطعنة بالحباء والهدية (٦٦٦ - ٦٦٩) في الإعطاء دون رد شيء نظيره .

(ب) الضرب :

أما الضرب فقد جاء الحديث عنه مقرونا في كل الأحيان تقريبا بالطعن . ووصف كذلك بالشدة والقوة والروعة ، فقالوا فيه إنه ضرب شديد ، يهز اللحم ، ويتر العظم أي يطيره ، ويزيل الهام عن سكناته ، ويقعد الهام والبيض والدروع ، ويكب الدارعين على وجوههم ويملا قلوب الأعداء رعبا ورهبة ويشيب المرء وافتخروا بأن ضربهم لم يكن مخالسة ، ولم يتعجل فيه صاحبه جبيناً أو فرقاً .

الصور الشعرية للضرب (٦٩٠ - ٩٩٩) :

شبهت الضربة بتشقيق الجلد (٦٩٢) في التقطيع من كل النواحي ؛

وبتشقيق الحصير (٦٩٣ - ٦٩٤) في التقطيع ، وبتشقيق ثوب المرأة الحمقاء التي ريعت فجأة ، فولات هاربة ، وقد ضلت السبيل ، فكانت تتخبط وسط الأشجار والأشواك حتى تقطعت ثيابها (٦٩٥) وذلك في التقطيع من كل ناحية وكثرة التقطيع وعدم انتظامه بحيث لا يرجى إصلاحه وشبه الضرب بتقطيع المنجل السبيل (٦٩٦) في التقطيع قطعاً قطعاً . وبالنار (٦٩٧) في الاضطراب وشدة الألم .

أما وقع السيوف على الرؤوس ، فقد شبه بوقع المطر على الطّراف (٦٩٨) وذلك في تشابه الصوت الذي يحدث من كليهما مع التتابع والتوالي والكثرة وشبه تطاير الرؤوس عند الضرب بتطاير الحصاد المحرق عند هبوب الريح عليه (٦٩٩) وذلك في سرعة التطاير مع الخفة والتتابع .

وهنا على سبيل التهمك والسخرية بالمضروبين ، كذلك ، شبه الضرب بإكرام الضيف (٦٩٠) في الإسراع به والمبالغة فيه وبذل كل ما يمكن بذله عن رغبة وسرور . كما شبه بالكسوة (٦٩١) في الإسباغ والكمال والشمول ، مع ستر العورات والتخلص من المنظر غير المقبول .

ثانياً : يوم الموقعة :

جاء تصوير يوم الموقعة في الشعر بما يظهره في شكل يوم شديد ، مكروه ، مملوء بالرعب والخوف والمصائب والويلات ؛ إذ قالوا عنه أنه يوم يكثر فيه الهياج والاضطراب ، ويعلو الصراخ ، ويكثر العويل ، يوم تكرهه النفوس ، وترجو عدم رؤيته ، وتتمنى الموت قبله (١) .

وقد أفاض الشعراء في وصف شدته على الأعداء المغلوبين ، وبالغوا في وصفه بأبشع الأوصاف وأشنعها ، فهو يوم طويل عليهم يتراءى كأنه أيام ،

(١) الخصفي : المفضليات ص ٦٢٦ بيت رقم ٧ .

وذلك لما فيه من الحزن والغم ومعاناة الشدائد وتكبد الخسائر ، مظلم حتى
لكأن الكواكب تبدو فيه .

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلام^(١)

وهو يوم بالغ الشدة والقسوة ، عصيب ، كالح ، عبوس ، بادي الشر ،
يوم نحس ، عسير ، تقطع منه عرا الأنفس ، ويشيب الولدان ، ويشيع
الرعب والهلع .

ولكن مع شدته على الفريقين المتحاربين ، لم تكن شدته على الغالبين
كتلك التي على المغلوبين ، فليس طويلاً عليهم ، بل كان قصيراً .

فَظَلَّ قَصِيراً عَلَى صَحْبِهِ وَظَلَّ عَلَى الْقَوْمِ يَوْماً طَوِيلاً^(٢)

لأنهم لم يعانون فيه ما عاناه المغلوبون من المآسي والآلام ، وقد تمتعوا بلذة
النصر ونشوة الفرح ، فمر عليهم اليوم سريعاً^(٣) .

وقد افتخر الغالبون به ؛ إذ كان دليلاً على قوتهم وشجاعتهم ، ورمزاً
إلى علو شرفهم وكرامتهم ، حتى كأنه موسوم بسمه تميزه عما سواه من
الأيام ، فوصفوه بأنه أغر محجل . ولعظم ما نالوه فيه من العز والشرف ، وما
هياه لهم النصر من أسباب الفخر ، جعلوا أيامهم كأنها معروفة مشهورة بين
الناس جميعاً ، لا يحفلها أحد .

(١) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، قصيدة رقم ٢٧ .

(٢) زهير : العقد الثمين : قصيدة رقم ١١ .

(٣) وذلك لأن يوم الشر طويل ، ويوم الخير واللذة قصير ؛ قال بشر بن أبي خازم في
المفضليات ص ٦٦٦ الأبيات ١٨ - ٢١ :

فإن تكن العقيليات شطت	بهن وبالرهينات الديار
فقد كانت لنا ولهنّ حتى	زوتنا الحرب أيام قصار
ليالي لا أطاوع من نهاني	ويضفو فوق كعب الإزار
فأعصي عاذلي وأصيب لهواً	وأرذني في الزيارة من يغار

وَأَيُّمْنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا لَهَا غُرْرٌ مَعْلُومَةٌ وَجُحُولٌ^(١)

وقد أحسن علقمة حين وصف حال الناس جميعاً يوم الواقعة في قوله :

فَلَمْ أَرِ يَوْماً كَانَ أَكْثَرَ بَاكِياً وَأَكْثَرَ مَغْبُوطاً يُجَرَّ وَغَابِطاً^(٢)

فوصفه بأنه يوم أكثر فيه الباكون على قتلاهم وأسراهم وسباياهم وخسائرهم ، وكثر فيه المسرورون بما غنموا وأسروا وسبوا ، وكذلك كثر فيه الذين كانوا يتمنون حال الغالبين لعظم ما نالوا وكسبوا .

الصور الشعرية ليوم الواقعة (٧٠٠ - ٧٠٦) :

شبه يوم الواقعة بأيام (٧٠٠ - ٧٠١) في الطول وعدم الأمل في انتهائه وذلك لأن يوم الحزن والغم طويل . كما شبه اليوم بالليل الذي تبدو كواكبه (٧٠٢ - ٧٠٣) وذلك في الإظلام وعدم الوضوح^(٣) . وشبه كذلك بيوم كثير الغمام متكاثفة (٧٠٤) في قلة الضوء وعدم سرور النفس به^(٤) .

وصور يوم الواقعة بصورة حيوان بادي النواجذ (٧٠٥) في وضوح الشر وشدة الخطر . ومن ناحية أخرى صور بصورة الخيل الفر المحجلة (٧٠٦) في الضياء واللمعان ، وذلك للشرف والفخر اللذين كسبهما المنتصرون في هذا اليوم .

(١) السموأل : ديوان الحماسة ج ١ ص ٣٠ .

(٢) العقد الثمين : القصيدة رقم ١٠ من ديوان علقمة .

(٣) قد يكون ذلك لكثرة الغبار وتكاثفه بسبب حركات المتحاربين الشديدة ، وتحرك السيوف والرماح اللامعة حتى تبدو وكأنها كواكب في وسط ليل مظلم . وقد يكون ذلك من تصوير الحالة النفسية للمغلوبين ساعة القتال ؛ إذ يتراءى لهم أن الجو المحيط بهم مظلم لكثرة ما غشيهم من الفرع والهول حتى كأنه غطى على أعينهم فلا يرون ، وعلى عقولهم فلا يدرون ماذا يفعلون ، فسقط في أيديهم ، وأصبحوا في ظلام حالك وضلال مبين كما يقال : « لأرينك نجوم الظهر » .

(٤) وذلك إما للغبار ، أو لوصف الحالة المعنوية .

ثالثاً : الشعور النفسي :

ونعني بهذا ما قاله الشعراء عن الشعور الداخلي للقوم : المهاجمين والمهجوم عليهم ؛ وعمّا يترتب على هذا الشعور من آثار في مظهرهم وسلوكهم منذ حدوث أسباب النزاع إلى نهاية الواقعة .

ومن الشعر في هذا الموضوع نجد أنه عندما كان يحدث للشخص ما يثير مشاعره مما يعتبره كافياً للدخول في الحرب ، يلتهب صدره ، ويتطاير الشرر بين جنبيه ، ويعشو بصره ، وتصبح الحياة لا قيمة لها عنده^(١) ، وينبو جنبه عن الفراش ، ولا ترقأ عينه ، ولا يسيغ شرابه^(٢) ، ويستولي عليه ألم شديد ، وهمّ عظيم ، وحزن عميق ، وحرارة تحرق صدره ، لا يبردها ، ولا يشفيه ، إلا القضاء على عدوه . ولذا كان الشخص يحرم على نفسه ملذات الحياة ، ولا يُعنى بمظهره ، ويظل أشعث أغبر ، ويدم حمل السلاح ، حتى يأخذ بثأره .

وعندما كان المهاجمون يأتون ، وتقع أعينهم على العدو ، يتذكرون الإحن والبغضاء ، ويعرفون فيهم الشنائة والبغض ، فتثور نفوسهم ، ويندفعون نحو الأعداء بقوة ، ويهجمون عليهم بقسوة وعنف^(٣) .

أما حال المهجوم عليه فوصفوها بأنه إذا أخذ على غرة كان يضطرب ، وتجيئ نفسه ، وكان الشجاع من يضبط أعصابه ، فيطمئن نفسه ، ويهدئها بعد الفرع^(٤) .

وقد ذكر الشعراء من علامات الفرع والشدة أن تخرج النساء خائفات ، وقد كشفن عن وجوهن وسيقانهن ، وبعلو الصراخ ، ويسود الذعر .

(١) المهلهل : شعراء النصرانية ص ١٦٤ .

(٢) معد يكرّب عم امرئ القيس : شعراء النصرانية ص ٣ .

(٣) يريد بن سنان : المفضليات ص ١٢١ .

(٤) عمرو بن معد يكرّب : ديوان الحماسة ج ١ ص ٤٤ .

فإذا ما التحم الجيشان وبدأ القتال ملأت النفوس الصدور ^(١) ، وطالعت
 الشجر ^(٢) فتعبس الوجوه ، وتقطب الجباه ، وتحمر العيون ^(٣) ، وإن اشتد
 القتال ، وحى الوطيس ، تقلصت الشفاه عن الأفواه ^(٤) وعجزت المشافر عن
 الضم ^(٥) ، وبدت النواجز .

وقد أكثروا من وصف حال الجبان حينئذ ؛ فقالوا إنه عندما يرى كثرة
 المهاجمين وقوتهم ، يسقط في يديه ، فيتحير ويضطرب ويرتبك ، ولا يدري
 ماذا يفعل ! أيقا تل فيقتل ، أم يفر فيناله الحزي والعار ^(٦) وكان يطالع ثغره
 حر شديد يؤذي الجوف والصدر ^(٧) ، فترتعد فرائصه ^(٨) ، وترجف روائف
 إلبتيه ^(٩) ، ويقل الريق ^(١٠) في فمه ! وتغص الخناجر بالريق القليل ^(١١) ،
 ويمسك بعُرف الدابة ^(١٢) ، ويملك الرعب قلبه حتى إنه ليظن العصفورة
 فرساً مسومة ^(١٣) .

وإذا انتهت الموقعة لوى العدو المنهزم رأسه ، وعضّوا بالأنامل حُزناً

-
- (١) الأعشى : ديوانه ص ٧٢ بيت ٦٣ .
 (٢) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٣٩ بيت ٥ .
 (٣) زيد الخيل : سمط اللآلى ص ٥٥٧ .
 (٤) عنتره : المعلقة بيت ٦٤ .
 (٥) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٢٣ بيت ٦ .
 (٦) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٤٣ ب ١١ - ١٢ .
 (٧) الحارث بن وعله : المفضليات ص ٣٢٩ ب ٦ .
 (٨) طرفة : المعلقة ، بيت ٨٩ .
 (٩) عنتره : العقد الثمين ديوان عنتره قصيدته رقم ١١ .
 (١٠) الأعشى : ديوانه ص ١٤٤ بيت ١٤ .
 (١١) المعقر البارقي : العقد الفريد ج ٣ ص ٦٤ .
 (١٢) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٦٢ بيت ٧ .
 (١٣) العوام الشيباني : النقائض ص ٥٨٥ .

وغماً^(١) ، أما المنتصر فقد كان له في كل رمية نَفَس راحة ، وفي كل طعنة غيظ يهجع ، وفي كل ضربة وجع يخف^(٢) . وحينما تحقق الهزيمة بعدوه كان يحس أنه شفى نفسه بهلاكهم^(٣) . فتسكن ثأثرته ، ويبرد غليله ، ويذهب همه وحزنه ، وتسرى يمينه^(٤) ، وتقر عينه^(٥) ، وعند ذلك تعود حياته إلى مجراها الطبيعي ، ويحلال ما حرمه على نفسه ، ولو وافاه أجله ، فإنه حينئذ يموت راضياً مطمئناً ، لأنه حقق رغبته ، وحصل على آماله ؛ وكان لسان خاله يقول :

متى يأت هذا الموت لا تَبْق حاجةٌ لنفسي إلا قد قضيتُ قضاءها
وكانت شجاً في الخلق ما لم أُبْو بها فأُتيتُ بنفسي قد أصبتُ دواءها^(٦)

وقد بالغ بعض الشعراء في ستر شعور الفزع ، حيث وصفوا أنفسهم بأنهم ليلة القتال باتوا يسمرون ، وي زمرون ، غير عابئين بالعدو المتربص :

فباتوا لنا ضيفاً وبتنا بنعمة لنا مسمعات بالدفوف وزامر^(٧)

أو بأنهم كانوا مثل اللاعبين في الميدان . قال قيس بن الخطيم :

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

(١) عميرة بن طارق : النقائض ص ٥٤ .

(٢) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٤ بيت ٦١ .

(٣) عنتره : العقد الثمين قصيدته رقم ٤ .

(٤) عميرة بن طارق : النقائض ص ٣ - ٤ .

(٥) مالك بن نويرة : العقد الفريد ج ٣ ص ٨٧ .

(٦) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣ - ٤ .

(٧) المعقر البارقي : النقائض ص ٦٧٦ .

وقال عمرو بن كلثوم في معلقته :

كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بأيدي لاعبين

الصور الشعرية للشعور النفسي (٧٠٧ - ٧١١) :

شبه الهجوم عليهم حينما فاجأهم المهاجمون بامرأة طابخة تسلاً سمناً على نار قوية ، فغلت الزبدة وارتفعت إلى أعلى القدر دفعة واحدة ، فتحيرت المرأة واضطربت ، ولم تدر ماذا تفعل : أتُنزل القدر بدون إكمال ، فتتلف الزبدة وتعيّر بالخيبة ، أم تتركها تفور وتطفو فتقع على الأرض وتخسر السمن (٧٠٧) ، وذلك في الحيرة والارتباك وعدم الاهتمام إلى الطريقة المثلى عند حدوث مفاجأة غير متوقعة ، مع عدم اتخاذ الحيلة اللازمة لمواجهة مثل هذه الحالة . وشبهوا كذلك بالحمار الساكت (٧٠٨) في السكون التام وقطع الحركة بسبب ما غشيهم من الخوف الذي أخرس ألسنتهم وشل حركتهم حتى صاروا كأنهم جامدين في أمكنتهم .

وشبهت حالة الخائف بحالة الوعل الذي يطارده الصياد (٧٠٩) في شدة الخوف واستيلاء الفزع على القلب . كما صورت حالتهم وهم في حزنهم الشديد بحالة الناقة التي ذبح فصيلها ، فعُمِل لها بَوٌّ ، فلم يُنسها ذلك ولدّها ، ولم يخفف شيئاً من حرارة فقدّه ، وشدة حزنها ووجدتها عليه (٧١٠ - ٧١١) ، وذلك في شدة الحزن وعظم الفجوعة وعدم وجود أي شيء يخفف من شدة الوقع .

نماذج شعرية للموقعة :

١ - قال عبد الشارق بن عبد العزي (١) :

(١) ديوان الحماسة ج ١ ص ١٧٠ .

فجاءوا عارضاً برداً ، وجئنا
ونادوا يا لبهثة إذا رأونا
فلما ان تواقفنا قليلاً
فلما لم ندع قوساً وسهماً
تلألؤ مزنة برقت لأخرى
شددنا شدة فقتلت منهم
وشدوا شدة أخرى فجرؤوا
كمثل السيل ، نركب وازعينا^(١)
فقلنا : أحسني ضرباً جهينا^(٢)
أنحنا للكلال كل فارتمينا^(٣)
مشينا نحوهم ، ومشوا إلينا
إذا حجلوا بأسياف ردينا^(٤)
ثلاثة فتية ، وقتلت قينا
بأرجل مثلهم ، ورموا جويننا

٢ - وقال يزيد بن سنان بن حارثة^(٥) :

لما أن رأيت بني حبي
رميتهم بوجرة إذ تواصوا
إذا نفذتهم كرت عليهم
عرفت شئاتي فيهم ووتري^(٦)
ليرموا نحرها كسباً ونحري^(٧)
كان فلوها فيهم وبكري^(٨)

(١) العارض : السحاب المعترض في الأفق . برد : فيه برد . الوازع : الذي يرتب الجيش يقدم فيه ويؤخر .

(٢) نادوا بالبهثة : أي دعوا بهثة .

(٣) تواقفنا قليلاً : أي وقف بعضنا مع بعض إما للتعبئة ، أو لتداعي المبارزة . للكلال للصدور واللام زائدة ، أو بمعنى على . ارتمينا : ترامينا بالسهام .

(٤) المزنة : السحابة البيضاء . حجلوا : من الحجلان وهو تقارب الخطو كمشي المقيد : ردينا : من الرديان وهو مشية فوق الحجلان .

(٥) المفضليات ص ١٢١ .

(٦) شئاتي : بغضي . وتري : تأثري .

(٧) وجرة : فرسه . كسباً : قرباً .

(٨) الفلو : ولد الفرس . يقول : من شدة طلبي وطلب فرسي لهم كنت كأني أطلب فيهم ولداً لي ، وهي كذلك .

بِذَاتِ الرُّمَثِ إِذْ خَفَضُوا الْعَوَالِي
فَلَمْ أَنْكُلْ وَلَمْ أَجِبُنْ وَلَكِنْ
شَكَّكَتُ مَجَامِعَ الْأَوْصَالِ مِنْهُ
تَرَكَتُ الرِّمَحَ يَبْرِقُ فِي صَلَاةِ

كَأَنَّ ظُبَاتِيهَا كَلْبَانُ جَمْرٍ^(١)
يَمِئْتُ بِهَا أَبَا صَخْرٍ بِنَ عَمْرٍو
بِنَافِذَةٍ عَلَى دَهْشٍ وَذُعْرٍ
كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومَ نَسْرٍ^(٢)

وَقَالَ عَنُتْرَةُ الْعَبْسِيُّ فِي مَعْلَقَتِهِ :

وَمَدَجَّجَ كَرَّةَ الْكُمَاةِ نِزَالَهُ
جَادَتْ يَدَايِلُهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
بِرَحِيْبَةِ الْفُرُغَيْنِ يَهْدِي جَرُسُهَا
فَشَكَّكَتُ بِالرِّمَحِ الْأَصْمَّ ثِيَابَهُ
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ
وَمَشَكَّ سَابِغَةً هَتَكَتُ فُرُوجَهَا
رَبَذَ يَدَاهُ بِالْقَدَاحِ إِذَا شَتَا

لَا تُمَعِّنْ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمًا^(٣)
بِمُتَقَفِّ صَدُوقِ الْكَعُوبِ مُقَوِّمًا
بِالْإِيلِ مُعْتَسِّ الذَّنَابِ الضُّرْمِ^(٤)
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَاءِ بِمَحْرَمٍ
يَقْضَمُنْ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمِعْصَمِ^(٥)
بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعَلِّمٍ^(٦)
هَتَاكَ غَايَاتِ التِّجَارِ مُلَوِّمٍ^(٧)

(١) ذات الرمث : وادٍ لبني أسد . اللهبان : اشتعال النار إذا خلص من الدخان .

(٢) الصلا : ما اكتنف الذنب من الجانبين .

(٣) المدجج : التمام السلاح . الإمعان : الإسراع في الشيء والغلو فيه .

(٤) رحبة : واسعة . الفرغ : مدفع الماء إلى الأودية . الجرس : الصوت ، المعتس من الذئاب وغيرها : الذي يطلب فريسة يأكلها . الضرم : الجياع ، جمع ضارم .

(٥) جزر السباع : طعمة لها . القضم : الأكل .

(٦) المشك : الدرع التي قد شك بعضها إلى بعض ، وقيل مساميرها . المعلم : الذي شهر نفسه بعلامة

يعرف بها .

(٧) الربذ : السريع . شتا : دخل في الشتاء . الغاية : راية الخمار .

لما رأني قد نزلت أريدُه أبدى نواجذَه لغير تبسُّم
عهدي به مدَّ النهار كأنما خضب البنانُ ورأسه بالعِظْلِم^(١)
فطعنته بالرمح ثم علوته بمهندٍ صافي الحديدِ منخُذَم
وفيهما يقول أيضاً :

ولقد حفظتُ وصاةَ عمي في الوغى إذ تقلصُ الشفتان عن وضح الفم^(٢)
في حومة الحرب التي لا تشتكى غمرايتها الأبطالُ غيرَ تغمغم^(٣)
إذ يتقون بي الأسنانَ لم أخم عنها ولكن قد تضايق مقدمي^(٤)
لما سمعتُ نداءَ مُرَّةٍ قد علا وابني ربيعةَ في الغبار لأقتم^(٥)
ومُحَلِّم يسمعون تحت لوائهم والموتُ تحت لواء آل محم^(٦)
أيقنتُ أن سيكون عند لقائهم ضربٌ يطير عن الفراخ الجُثم^(٧)
لما رأيتُ القومَ أقبل جمعهم يتذاكرون كررتُ غيرَ مذمم^(٨)
يدعون عنترَ والرماحُ كأنها أشطانُ بشر في لبان الأدهم^(٩)

(١) يقول رأيتَه طول النهار بعد قتلي إياه وجفاف الدم عليه كأن رأسه وبنانه مخضوبان بهذا النبت ،

(٢) القلوص : التشنج والقصر . وضح الفم : الأسنان .

(٣) حومة الحرب : معظمتها وشدها . التغمغم : صياح ولجب لا يفهم منه شيء .

(٤) الخيم : الجبن . المقدم : موضع الأقدام ، أو الإقدام .

(٥) فرخ الرأس : الدماغ ، والمراد يطير الهام .

(٦) يتذاكرون : يحض بعضهم بعضاً . مذمم : مذموم .

(٧) الأشطان جمع شطن وهو الحبل . اللبان : الصدر . الأدهم : فرسه .

ما زلت أرميهم بِشُغْرَةٍ نُحْرِهِ ^(١) وَلَبَانُهُ حَتَّى تَسْرِبِلَ بِالدَّمِ
 فَازُورٌ ^(٢) مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بَلْبَانُهُ وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمَحُمُ ^(٣)
 لَوْ كَانَ يَدْرِى مَا الْمَحَاوِرُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي ^(٤)
 وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَذْهَبَ سَقَمَهَا قِيلُ الْفَوَارِسِ وَتَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدَمَ
 وَالْخَيْلُ تَقْتَحِمُ الْخُبَارَ عَوَابِسًا ^(٥) مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمَ

٤ - وقال المهمل لما قُتل أخوه كليب ^(٥) :

أَرَى طُولَ الْحَيَاةِ وَقَدْ تَوَلَّى كَمَا قَدْ يُسَلِّبُ الشَّيْءُ الْمَعَارِ
 كَأَنِّي إِذْ نَعَى النَّاعِي كَلِيبًا تَطَايَرَ بَيْنَ جَنِيٍّ الشَّرَارِ
 فَدُرْتُ ، وَقَدْ عَشَا بِصَرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعَقَارِ
 خَذَ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَيَّ عُمرِي بَتَرَ كِي كُلِّ مَا حَوَتْ الدِّيارِ
 وَهَجَرِي الْغَانِيَاتِ وَشَرِبَ كَأْسِي وَلُبْسِي جَبَّةً لَا تُسْتَعَارِ
 وَلَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعِي وَسِيفِي إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلُ النَّهَارِ
 وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سَرَاةَ بَكْرٍ فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا أَثَارِ

(١) الشُّغْرَةُ : الهزيمة التي في الحلق . تَسْرِبِلُ : سار بمنزلة السربال .

(٢) ازور : مال . التَحْمَحُمُ : صوت مقطع ليس بالصهيل .

(٣) المحاورَةُ : المراجعة .

(٤) الاقتحام : الدخول بسرعة . الخُبَارُ : الأرض اللينة ذات الأحجار . العوَابِسُ : الكوالح . الشَيْظَمُ : الطويل . الأَجْرَدُ : القصير الشعر .

(٥) شعراء النصرانية ص ١٦٤ .

هـ - وقال الحصين بن الحمام (١) :

- فليت أبا شبلٍ رأى كَرَّ خيلنا وخيلهم بين السَّتار فأظلمَا (٢)
نطاردهم نستنقذُ الجردَ كالقنا ويستنقذون السمهريَّ المقومَا (٣)
عشيَّة لا تُغني الرماحُ مكانها ولا النبلُ إلا المشرقيَّ المصمَّما (٤)
لَدُنْ غدوة حتى أتى الليلُ ما ترى من الخيلِ إلا خارجيًّا مسومًا (٥)
وأجردَ كالسَّرحانِ يضربُه الندى ومحبوكةً كالسَّيد شقاءً صلدِمَا (٦)
يطأُن من القتلى ومن قصَد القنا خَبَاراً فما يجرين إلا تجشُّمًا (٧)
عليهن فتیانٌ كسَاهمٌ مُحرقٌ وكان إذا يَكسُوا جاداً وأكرمًا (٨)
صفائحَ بُصرى أخلصتها قيوُنُها ومطرِداً من نسجِ داودَ مُبهمًا (٩)
يهزون سمرأً من رماحٍ ودَّيْنَةٍ إذا حُرِّكتْ بضَّتْ عوامِلُها دما (١٠)

(١) المفضليات ص ١٠٥ الأبيات ٨ - ١٦ .

(٢) الستار وأظلم : موضعان .

(٣) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . السمهري : الرمح .

(٤) مكانها : أي مكان استعمالها . المصمم : الذي يمضي في صميم العظم .

(٥) الخارجي من الخيل : الجواد في غير نسب تقدم له كأنه نبع بالجودة . المسوم : المعلم بعلامة في الحرب ، ولا يفعل ذلك إلا الفارس الشجاع ، فهم الذين يسومون أنفسهم وخيلهم ، شجاعةً وجراحةً .

(٦) المحبوكة : الفرس التي حبك خلقها أي قتل فتلاً شديداً . شقاء : طويلة . صلدِم : صلبة .

(٧) قصد القنا : القطع المكسرة من الرماح . الخبار : الأرض اللينة فيها جحور . التجشم : حمل النفس على المشقة .

(٨) محرق : أحد ملوك اللخمين بالحيرة ، قيل إنه عمرو بن هند ، وقيل الحارث بن عمرو .

(٩) الصفائح : السيوف العريضة . أخلصتها : نقتها من العيوب . القين : الحداد والصيقل .

المطرد : المتتابع يريد أنها لا فتق فيها . المبهم : الذي لا ثلم فيه ، أو الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(١٠) السمر : رماح أصلب من غيرها . بضت : سالت .

٦ - وقال امرؤ القيس بعد قتال من قتلوا أباه (١) :

قد قَرَّتِ العَيْنَانِ من مالِك ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني غنم بن دودان إذ تَقْذِفُ أَعْلَاهُمْ على السافل
نَطَعْنَهُمْ سُلُكِي ومخلوَجة كَرَّكَ لِأَمِينٍ على نابل
إِذْهَنَّا أَقْسَاطُ كَرَّجَلِ الدِّبَا أو كَقَطَا كَاطِمَةَ النَّاهِلِ
حتى تركناهم لدى مَعْرَكِ أَرْجَلَهُمْ كَالْخَشَبِ الشَّائِلِ
حلت لي الخمرُ وكنت امرؤاً عن شُرْبِهَا في شُغْلٍ شَاغِلِ
فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ إِيثْمَا من الله ولا واغِلِ

٧ - وقال قيس بن الخطيم (٢) :

ثَأْرَتُ عَدِيًّا وَالْخَطِيمُ فلم أضْعُ وَلَايَةَ أَشْيَاءٍ جُعِلَتْ إِزَاءُهَا (٣)
ضربتُ بذِي الرِّزِّينِ رِبْقَةَ مالِك فَأَبَتْ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ شَفَاءُهَا (٤)
وَسَامَحَنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرٍو بن عامر خِدَاشٌ، فَأَدَّى نِعْمَةً وَأَفَاءُهَا (٥)
طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءُهَا (٦)

(١) العقد الثمين : ديوان امرئ القيس القصيدة رقم ٥١ وديوانه (دار الممارف) ص ١٢٠ ،

(٢) ديوانه ص ٢ الأبيات ٤ - ١٤ .

(٣) ثأرت فلاناً : طلبت قاتله واقتصصت منه . إزاءها : جعلت القيم بها .

(٤) ذو الرزین : سيفه . ربقة مالك : يريد رقبته .

(٥) سامحني : تابعني . فاء : رجع .

(٦) الشعاع : بضم الشين : حمرة الدم . وبفتح الشين : انتشار الدم . لها نفذ : نافذة .

يريد : لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين .

ملكتُ بها كُفِّي فَأَنهَرْتُ فَتَقَهَا يرى قائمٌ من خَلْفِهَا ما وراءَها ^(١)
 يَهونُ عليَّ أنْ تَرَدَّ جَراحيها عيونَ الأَواسِي إِذْ حَدِثَ بُلَاءُها ^(٢)
 وَكُنْتُ أَمراً لَا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أُسبُ بها إِلَّا كَشَفْتُ غِطاءَها
 وَإِنِّي فِي الحَرْبِ الضُّروسِ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسٍ ما أُرِيدُ بَقاءَها
 إِذَا سَقِمْتُ نَفْسِي إِلَى ذِي عِداوَةٍ فَإِنِّي بِنَصْلِ السِّيفِ باغٍ دِواءَها
 مَتَى يَأْتِ هَذَا المَوْتُ لَا تَبْقُ حاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قِضاءَها
 وَكَانَتْ شِجَا فِي الحَلْقِ ما لَمْ أَبْوَ بها فَأَبْتُ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ دِواءَها ^(٣)

٩ — ما حدث للأعداء

ونعني بهذا ما تحدث به الشعراء عن حال الأعداء منذ تقابلهم مع جيش الشاعر ، إلى نهاية المعركة ، وما لحق بهم من أذى ، وما نزل بهم من أضرار وويلات بسبب القتال .

وهنا نجد الغالبية العظمى من الشعراء قد أفسحوا المجال لخيالهم ، وأطلقوا العنان لتصوراتهم ، فبالغوا في وصف سوء حال العدو ، خصوصاً بعد انتهاء القتال ؛ فصوروهم بما يفهم منه أنهم قد هلكوا عن آخرهم ، أو كسرت شوكتهم بحيث لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك .

لكن بجانب هذه الغاية ، نجد جماعة من الشعراء لم يندفعوا في تيار المبالغة والمغالاة في تصوير حال الأعداء ، بل كانوا معتدلين منصفين ؛ فوصفوا في

(١) ملكت : شددت . أنهرت : أجريت الدم ، أو من قولهم ينهرون الأنهار أي يجفرونها .

(٢) يقصد أن هؤلاء النساء لا يستطعن النظر إليها من شدة هولها .

(٣) الشجا : الغصص ، يقال شجي بالشيء إذا غصه وإذا أحزنه .

قصائدهم ما حدث للفريقين دون تحيز لأحدهما ، وقد اشتهرت هذه القصائد ، وكان لها تقدير خاص ، حتى سميت باسم « المنصفات » ، وأظهر شيء فيها أن الشاعر كان يحكي فيها ما حدث لقومه في مقابل ما حدث للأعداء ، ويتحدث عن الجانبين بما يصف الحقيقة والواقع ، وقد يمدح فيها العدو بالقوة والشجاعة . من ذلك مثلاً ما قاله عبد الشارق بن عبد العزى (١) :

فلما لم ندع قوساً و بهماً	مشيننا نحوهم ومشوا إلينا
تلاؤلؤ مزنة برقت لأخرى	إذا حجلوا بأسياف ردينا
شددنا شدة فقتلت منهم	ثلاثة فتية وقتلت قينا
وشدوا شدة أخرى فجروا	بأرجل مثلهم : ورموا جويننا
وكان أخي جوين ذا حفاظ	وكان القتل للفتيان زينا
فآبوا بالرماح مكسرات	وأبنا بالسيوف قد انحنينا
وباتوا بالصعيد لهم أحاح	ولو خفت لنا الكلمى سرينا

أما أشعار الغالبية من الشعراء فتجد فيها صوراً شتى لحال الأعداء ، فبعضهم يدعي أنهم عندما رأوا كثرة قومه تحيروا ، واضطربوا . وضل عنهم الرشد ، ففقدوا صوابهم ، ولم يدروا ماذا يفعلون ؛ وبعضهم يذكر أن الأعداء في يوم الموقعة جرى لهم طير النحس بالشؤم عليهم ، فلقوا يوماً غشوماً مظلماً ، كثرت فيه قتلاهم ، حتى شبعت الضباع والذئاب والنسور والغربان ، وكل أنواع الوحوش والطيور الجارحة ، وفي صورة أخرى نرى أنه قد قتل منهم الرؤساء والملوك ، ولم يبق إلا هارب ملك الخوف قلبه ، أو أسير مكبل بالأغلال ، أو سبية تشكو الهوان ، أو امرأة تلبس السواد ، وتقاتل من

(١) ديوان الحماسة ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ .

الترمل والذل ، أو طفل يئن ويبكي اليتيم والحاجة ، في حين أننا نخدم في صور أخرى قد بادوا وهلكوا ، وعادوا رميمًا كأن لم يكونوا .

وقد أكثر الشعراء في هذه الناحية من ترديد إذلالهم الأعداء ، ووسمهم بسمه الفضيحة والعار ، وهتك بيوتهم ، ومحو شرفهم ، وأخذهم عبيدًا أذلاء ، والاستيلاء على أموالهم واغتنام أسلحتهم ومعداتهم ، وتشتيت قبائلهم ، واستباحة أوطانهم ، واحتلال منازلهم ، وإلجائهم إلى استبدال الجبال والبان والعرعر بديارهم ، وطردهم إلى أماكن مجهولة لم يعرفها أحد قبلهم .

ومن الطبيعي أن يتحدث الشعراء هنا عن القتلى ، والجرحى ، والفارين ، والأسرى ، والسبايا . وفيما يلي تحليل ما قالوه عن كل من هؤلاء .

١ - القتلى :

يجانب ما كثر الفخر به في الشعر من قتل الأعداء وإهلاكهم ، فقد افتخروا على الخصوص ، بقتل كرماء القوم ورؤسائهم وملوكهم .

أما كيفية قتلهم ، فقد بالغ الشعراء هنا في وصف الطعنات والضربات كما سبق بيانه وذكرنا من مواضع الطعن والضرب ما كان قاتلا : مثل الحشا ، والثفرة ، والهام ، وصماخ الأذنين .

وأما وصف القتلى ، فقد قالوا فيه : إنهم كانوا يتساقطون ، وقد أوجروا الرماح ، ينزفون الدماء حتى تبل أجسامهم وثيابهم ، فرووا الكشبان وملثوا البقاع ، لم توسد خدودهم فتعفرت جباههم ووجوههم بالتراب ؛ وسقطوا في القفر حيث لا حبيب معهم ، يالم لألمهم ، أو يبكي لما نالهم ، ولا قريب يحملهم أو يوارهم التراب ؛ وتركوا في مكان مهجور لا يمر بهم إنسان ؛ تعودهم الضباع وتحجل فوقهم الطير ، وكانوا غداء شهيًا للضباع ، تلتتهم لحومهم ، وتجرب أوصالهم ، وتتمخخ عظامهم ، وتكسر هامهم ، وتقطع لحامهم ، أو تركوا حتى

انتفخت أجسامهم ، وعلام جاسد الدماء فبشع منظرهم ، وشالت أرجلهم ،
وطال عليهم الزمن حتى يبست أجسادهم ، وتكسرت كالهشيم .

ب - الجرحى :

لم يتحدث الشعراء عن الجرحى إلا نادراً ويكاد الحديث عنهم في شعر
الحرب يكون معدوماً، ولعل هذا راجع إلى اعتقادهم أن البطل كانت طعنته
قاضية ، وضربته قاصمة ، يخر على أثرها العدو صريعاً لا حركة به ولا حياة؛
فمن أصابه البطل بطعنة أو ضربة سقط قتيلًا في الحال ، أو جريحاً لا أمل
فيه للحياة .

ومما لدينا من أمثلة قليلة للجرحى ، نجد الشاعر يتحدث فيها مثلاً عن حالة
المصاب قبل أن يلفظ أنفاسه كقول عنتره ^(١) :

وَقَرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ لَدَى مَكْرٍ عَلَيْهِ سِبَائِبُ كَالْأَرْجَوَانِ
تَرَكْتُ الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ كَمَا تَرُدِّي إِلَى الْعُرْسِ الْغَوَانِي
وَيَمْنَعُنْ أَنْ يَأْكُلْنَ مِنْهُ حَيَاةُ يَدٍ وَرَجْلٍ تَرْكُضَانِ

أو عن حالة مصاب قد أصيب ، وتركه الطاعن أو الضارب ، فلم يدر
ما آل إليه أمره ، كقول يزيد بن سنان ^(٢) :

شَكَّكَتُ مَجَامِعَ الْأَوْصَالِ مِنْهُ بِنَافِذَةٍ عَلَى دَهْشٍ وَذُعُرٍ
تَرَكْتُ الرَّمْحَ يَبْرُقُ فِي صَلَاةٍ كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرٍ

(١) العقد الثمين ؛ ديوان عنتره قصيدة ٢٥ .

(٢) المفضليات : ص ١٢١ .

فإن يبرأ فلم أنفث عليه وإن يهلك فذلك كان قدرى^(١)

وعلى كل ، ففي مثل هذه الحالة نجد الشاعر يصف المصاب بأنه كان في حالة
خطرة ، ملأه الدم ، وإصابته شديدة ، مما يقلل الأمل في شفائه ، ويجعله على
وشك الهلاك .

ح - الفارّون :

كان ما تحدث به الشعراء عن أعدائهم الهاربين يدور حول ذمهم وهجائهم
بفرارهم من القتال عندما رأوا خصومهم وتحققوا من شدة الخطر المحدق بهم .
وقد أرجع الشعراء ذلك إلى الجبن ، والخوف ، وشدة الحرص على متع الحياة ،
وطول الأجل ، والراحة .

وقد بالغ الشعراء في وصف سرعة الفارين ، وصوروهم بصورة يبدو منها
أنه لم يكن من الممكن الوصول إليهم أو اللحاق بهم ، بسبب سرعة الخيل
التي فروا عليها وأنها كانت سرعة خارقة للعادة .

فلو أنها تجري على الأرض أذركت ولكنّها تهفو بتمثال طائر^(٢)

وكان الشاعر يؤكد أنه لولا سرعة الخيل لعانى صاحبها متاعب شديدة ،
والأما شتى :

فوالله لو أنّ امرأ القيس لم يكن بفلّجٍ على أن يسبق الخيل قادراً
لقاظ أسيراً ، أو لعالجٍ طعنةً ترى خلفه منار شاشاً وقاطراً^(٣)

(١) يقول : إن برىء فلم يكن برؤه من رقية مني رقيته بها لأنني لم أرد أن يبرأ ، وإن يهلك
فذلك الذي قدرت له وأردت به .

(٢) سلمة بن الخرشب : المفضليات ص ٣٦ بيت ٨ .

(٣) مقاس العائذي : المفضليات ص ٦١٠ البيتان ٤ - ٥ .

ولهذا نراهم على سبيل التهم والسخرية بالفارين يطالبونهم بشكر خيلهم
التي نجتهم وأطالت آجالهم ؛ قال سلمة بن الخرشب^(١) :

فأثني عليها بالذي هي أهله ولا تكفرنها ، لا فلاح لكافر

وقد وصفوا حالة الذعر والرعب التي استولت عليهم بأنها كانت شديدة
لدرجة أنهم ما كانوا يلوون على شيء إلا أن ينجوا بحياتهم ؛ فكانوا يرمون
أطهارهم ليخففوا عن أنفسهم وعن الفرس فتزيد سرعتها ، وكانوا في حالة
اضطراب وذهول ، وقد أكثر الشعراء من الحديث عن حالة الدهشة والخوف
التي كان عليها الفارون وما كانوا فيه من فقدان الرشد والصواب ، وضلالهم
عن الطرق المألوفة ، وسلوكهم أماكن مجهولة لم يعرفها أحد قبلهم .

٥ - الأسرى :

كان الحديث عن الأسرى من الرجال مجالاً لمجالات فخر الشعراء ، والمدح ، والذم ،
والهجاء ، والتهديد ؛ وكان يدور حول مكانة الأسير الاجتماعية ، وحالهم
وقت الأسر ، وفي أثناء إقامتهم أسرى ؛ حسب الغرض الذي يتحدث
فيه الشاعر .

فافتخروا ومدحوا بأسرهم سراة القوم ورؤساءهم ، وملوكهم ، ورجوعهم
بجماعات كثيرة من الأعداء ، مقرنين في الحبال . ويساقون مجنبيين ، ويهبطون
بهم البید ، ويصعدون الأعلام .

وذموا وهددوا بتكبييل الأسرى بالأغلال والسلاسل والقيود المصنوعة من
الحديد ، أو الحبال ، أو القدد وهو الجلد الخشن .

وهجوا الأعداء وعيبروهم بأن رجالهم في الأسر كانوا يعانون الألم ،
ويعالجون القيود التي تعضتهم ، ويقضون القيظ وهم عانون ، خاشعون أذلاء ،
وقد سلبوا كل ما معهم ، لا ينالون من خير الطعام شيئاً ، وشرابهم كان بقية
شرب أسريهم .

ويفهم من أشعارهم أن نهاية الأسير كانت إما الفداء أو إطلاق السراح بدون فدية ، منّا أو تكرّماً ، مع جز الناصية . وجاء في أشعارهم أنهم كانوا يقتلون الأسرى ، أو بعضهم ، أخذاً بالثأر .

هـ - السبايا :

لقد تحدث الشعراء كثيراً عن سبي النساء ؛ ويظهر أن ذلك راجع إلى صلته الشديدة بشرف القوم وكرامتهم ، وشدة عنايتهم واهتمامهم بالمحافظة على أعراضهم .

وكان الحديث عن السبايا كذلك مجالاً للفخر ، والمدح ، والهجاء ، والذم ، والتهديد ، والإذار . ويدور حول وصفهن ، ووصف أحوالهن وقت الأسر ، وفي أثنائه ، وعند رجوعهن إلى أهليهن .

فافتخر الشعراء ومدحوا بسبي النساء : الأبنكار والعون ، خاصة من كن من شريفات القوم ، وكرائم العقيلات ، وبنات الوجهاء ، وحلائل الرؤساء ، ومن كن في نعمة ورفاهية .

وذموا ، وهجوا . وعيّنوا ، وهددوا بأن السبايا يحملن على مركب وعر ، يُدمي عجوبهن ، أو يمشين على كُرّه ، يلطمن الوجوه ويذرفن الدموع ، ويتلفتن يميناً وشمالاً علهن يحدن مُعيناً ، وينادين مستغيثات ؛ بعضهم القيود ، وتوجعن فوق المعاصم والعراقيب . يقضين الوقت ساهيات ، وقد أبدلن بالمنازل الشّعاب ، وأرغمن على الظهور كاشفات حاسرات ، واتخذن للخدمة والتمتع بهن ، حتى إنهن ليخدمن العضاريط ؛ عبراتهن تنهمر ، ويشقن كلما اشتد بهن الشجو ، ويبكين حزناً وألماً ، لما يلقين من الذلة والإهانة .

ومما يستدعي الانتباه أن الشعراء أكثروا من الحديث عن جمال السبايا ، وكان حديثهم في ذلك يدور حول الجمال الجسماني ؛ فوصفوا السبايا بأنهن رائعات جميلات ، فائتات ، حتى إنهن كن يتخذن التائم خوفاً من الحسد ؛ بيض ، ناهدات ، حور العيون ، غريرات . ورددوا وصف السبية بأنها صافية

البشرة ، حسنة الوجه ، كاعب ، خدلة الساق رخصة اليد ، مخضبة البنان ،
برود الرضاب .

الصور الشعرية لما حدث للأعداء ، (٧١٢ - ٧٨٨) :

شبه توالي الطعن والضرب من كل ناحية بالمطر المنهمر (٧٣٧ - ٧٣٩) في
الكثرة والتوالي والنزول من كل صوب ؛ وبسجل الماء (٧٦٢ - ٧٦٣) في
الكثرة وسرعة الانصباب .

وقورنت حالتهم عند سقوطهم صرعى باللعبة التي يرمى بها في اللعب (٧٤٥) ؛
وبالشجر المقطوع (٧٦٨ - ٧٦٩) في القطع والسقوط بمجرد الرمي .

وشبهت رؤوسهم المتساقطة في القتال بالحنظل (٧٤١ - ٧٤٢) ؛ وأحمال
الجمال المتساقطة عنها (٧٦٥) في السقوط والبعثرة في الصحراء وبين ثنايا الرمال .

وشبهت حالتهم والسهم مغزورة فيهم بالجفير الذي يحفظ النبال (٧٦٤)
في الاشتغال على السهم .

أما كثرة الدماء السائلة على وجوههم فقد شبهت بالخمارة (٧٥١) في تغطية
الوجه وستر ملامحه . وأما تلك التي تجري في الميدان فقد شبهت بالبحار حتى
إن القتلى كالساجين فيها (٧٤٧) في الكثرة والتدفق في جميع النواحي .
وشبهت حال الأسلحة المنغمسة في دمائهم بحال العطشان كأنها تشرب
(٧١٥ - ٧١٦) .

وشبهت حالة سلبهم جميع ممتلكاتهم بتقشير الجذع (٧٦٦ - ٧٦٧) في
التجريد من كل شيء . أما تصورهم من الألم الذي لحق بهم فقد شبه بهرير
الكلاب التي تعضها الأفاعي (٧٧١) في التوجع والأنين . وقورنت شدة الوقع
عليهم بالأحمال الثقال على الإبل حتى إنها لتعجز منها (٧٨٨) في الثقل والتألم .
وشبهت آثار المصيبة الشديدة فيهم بالأثر الذي يحدث من ثقل وطء البعير
المقيد (٧٨٠ - ٧٨١) ، وبروك الإبل بصدورها (٧٧٦) .

أما عدم استطاعتهم الصمود أمام القوة العظيمة ، فقد قورن بانهيار الجرف

أمام قوة اليمّ الجارفة (٧٤٠) وشبهت حالة ذلتهم واستكانتهم بجراء الكلاب التي تنقل إلى أية جهة (٧٧٠) ، وبالغنم والإبل تذبح عند المشيئة (٧٧٢ و ٧٧٥) ، وبالسقبان بين الحلائب (٧٧٧) وبالجلب الذي يساق (٧٨٢ - ٧٨٣) في الضعف والمهانة والتصرف حسب رغبة المالك المتسلط .

وأما إهلاكهم فقد شبه بالطحين (٧٧٣ - ٧٧٤) في التكسير والتفتيت ؛ وبهلاك الأمم السابقة عاد وثمود (٧٨٥ - ٧٨٨) في فنائهم عن آخرهم ، وعدم بقاء أحد منهم . وقورن مجيء الطير إلى جشهم بمجيء الفواني إلى حفلات العرس (٧٥٢) في السرعة من الفرحة والبهجة .

وشبهت حالة طردهم خزايا منهزمين بطرد الإبل العطاش عن الماء (٧٧٩) ؛ وطرد الإبل الغربية عن ورود المياه (٧٨٤) في الصدد عن تحقيق رغبة ملحة مع ما في معنى ذلك من استضعاف وتحقير .

أما العار الذي لحقهم بسبب هزيمتهم فقد شبه بخواطم الإبل على أنوفها (٧١٤) في الظهور والوضوح وبقائه على مر الزمن مع تشويه المنظر ؛ وشبه كذلك بكساء من القبح والذل (٧٤٩ - ٧٥٠) في الاشتغال عليهم وتغطية كل ما تحته .

وقد شبهوا ما حدث للأعداء تهكاً وسخرية ، بالدواء الذي يعطى للمريض ليشفيه (٧١٢ - ٧١٣) لإنقاذهم مما هم فيه ، وردّهم إلى أحوالهم الطبيعية ؛ وبالشرب وكؤوس الخمر والصبوح (٧١٥ - ٧٣٦) في الوصول إلى أجوافهم والاختلاط بأجسامهم كأنهم يحسون له متعة ولذة ؛ وبالغنائم التي يحصل عليها المحاربون (٧٤٣ - ٧٤٤) كأنهم فازوا بما نالوا . وشبهوا حين قطعهم الرماح بلعبة اللاعب (٧٤٦) كأن الرماح تجد فيهم ما يجد اللاعب في لعبته من اللذة والترويح والمتعة النفسية . وقورن ما ناله الأعداء بإكرام الضيف (٧٥٣ - ٧٦١) في الإسراع به ، وبذل كل ما في الجهد ، والسعة ، والإكثار ، والمبالغة فيه .

الصور الشعرية للقتلى (٧٨٩ - ٧٩٤) .

شبهت حالة القتلى الذين تقطعت جلودهم وانتفخت أجسادهم بقشر

القتادة بعد المطر (٧٨٩) في التقلص والتصلب . كما شبهوا بالخشب (٧٩١-٧٩٤) في الجفاف والصلابة . أما حالة أجسامهم بعد أن تحللت لطول الزمن فقد شبهت بالهشيم (٧٩٠) في التكسر والتفتت بمجرد المس .

الصور الشعرية للفارين (٧٩٥-٨٠٧) .

شبهت حالتهم عند الهرب بحالة التيوس التي لها يعار (٧٩٥) في الخوف والضوضاء التي يحدثونها . وشبهوا بالعقاب (٧٩٧) ؛ وبالصخرة الساقطة من مكان عال (٧٠٧) في السرعة .

وشبهوا بالمها (٧٩٦) وبالغنم التي تجري وراءها الذئب (٨٠٤) ، وبالأتان (٨٠٥) ، وبالنعام الذي يطارده صائدوه (٧٩٨-٨٠٣) في السرعة الشديدة مع الخوف والرعب .

وشبهت حالة الهاربين ، وهم يحرون في الأماكن البعيدة عن الطرق ، وبين الأشجار والأعشاب بحال حاطب يجمع الحطب الجاف (٨٠٦) في الضلال والتوغل في الجهات النائية المجهولة .

الصور الشعرية للأسرى (٨٠٨-٨١٠)

شبهوا في سيرهم وعليهم الدروع بالجمال الجربى المطلية بالقار (٨٠٨) في السواد والغبرة التي تعلو وجوههم وأجسامهم . كما شبهت أصوات الحديد الذي في القيود والسلاسل والأغلال بالغناء (٨٠٩-٨١٠) في الرنين والنفثات وكأن في ذلك طرباً يتمتعون به .

الصور الشعرية للسبايا (٨١١-٨١٩)

شبهت القيود والسلاسل التي تعض معاصمهن وعراقيبهن بالثقاف التي تضغط على الرماح لتقومها وتسويها (٨١٦) في الضيق الشديد والصلابة مع الضغط بقوة ، وكأن ذلك يقوّم اعوجاج قومهن ، وشبهن بالسعالى (٨١٣) في القبح وبشاعة المنظر .

أما جماهن الجسماني فقد قورن بحمال الدمى (٨١١) ، والربوب (٨١٢) ،
والمهاة (٨١٥) ، والطباء (٨١٧) .

وشبهت ثديهن بالرمان (٨١٤) في الاستدارة والاكتناز . وشبهت وجوههن
بالهلال (٨١٨) ، وشمس الضحى (٨١٩) في البياض والضياء .

نماذج شعرية لما حدث للاعداء :

١ - قال عامر بن الطفيل (١) :

تركنا مذحجاً كحديث أمس	وأرحبَ إذ تكفّنهم فئاما ^(٢)
وبعنا شاكراً بتلاد عكّ	ولاقى منسراً منا جذاما ^(٣)
وطحطحنا شنوءة كلّ أوب	ولاقت حميراً منا غراما ^(٤)
وهمدانُ هنالك ما أبالي	أحرباً أضحوا لي أم سلاما
ولاقينا بأبطح ذي زرود	بني شيبان فالتهموا التهاما ^(٥)
وحياً من بني أسد تركنا	نساءهم مسلّبة أيامى ^(٦)
وقتلنا حنيفة في قراها	وأفنى غزونا حكماً وحاماً

(١) ديوانه ص ٩٥ .

(٢) مذحج : قبيلة من اليمن . وأرحب من همدان . تكفّنهم : أراد الخيل أي تضمهم
وتجمعهم . فئاماً : جماعات .

(٣) المنسر من الخيل : ما بين الستين والسبعين .

(٤) شنوءة : يعني الأزد ؛ من أقام باليمن فهم السراة ، ومن سار منهم فتخلف بمكة فهي
خزاعة ، ومن أقام بالمدينة منهم فهم الأوس والخزرج ، ومن نزل منهم بالشام فهم غسان ، ومن
نزل منهم عمان فهم شنوءة . غرام : عذاب .

(٥) الأبطح والبطحاء : كل بطن واد ، زرود : جبل رمل . التهموا : ابتلعوا .

(٦) مسلّبة : تركت الزينة وهي السلوب ، وهي الحاد خاصة التي تترك الصبغ والكحل على
ميتها . وأيامى جمع أيم ، وهي التي لا زوج لها .

قَتَلْنَا كَبِشَهُمْ فَتَنَجَّوْا شِلَالًا (١) كَمَا نَفَرْتُ بِالطَّرْدِ النَّعَامَا
 وَجِئْنَا بِالنِّسَاءِ مُرَدِّفَاتٍ وَأَذْوَادٍ فَكَنَّ لَنَا طَعَامَا
 وَبَيْتُنَا زُنَيْدًا بَعْدَ هَذِهِ (٢) فَصَبَّحَ دَارَهُمْ لَجِبًا لَهَا مَا
 وَقَدْ نَلْنَا لِعَبِيدِ الْقَيْسِ سَبِيًّا مِنْ الْبَحْرَيْنِ يُقْتَسَمُ اقْتِسَامَا
 وَلَا قَيْنَا بِذِي نَجَبٍ حُصَيْنَا (٣) فَأَهْلَكْنَا بِمَقْلَتِنَا أُسَامَا
 وَأَفْلَتْنَا عَلَى الْحَوْمَانِ قَيْسُ (٤) وَأَسْلَمَ عِرْسَهُ ثُمَّ اسْتَقَامَا
 وَلَوْ آسَى حَلِيلَتُهُ لِلْأَقَى هُنَالِكَ مِنْ أَسْنَتِنَا حِمَامَا (٥)
 وَآلُ الْجَوْنِ قَدْ سَارُوا إِلَيْنَا

غَدَاةَ الشَّعْبِ فَاصْطَلَمُوا اصْطِلَامَا (٦)
 قَتَلْنَا مِنْهُمْ مِائَةً بِشَيْخٍ وَصَفَدْنَا هُمْ عُصَبًا قِيَامَا (٧)
 وَيَوْمَ الشَّعْبِ لَا قَيْنَا لَقِيَطًا كَسَوْنَا رَأْسَهُ عُصْبًا حُسَامَا (٨)

(١) الكبش : الرئيس . شلالاً : طرداً . وذكر النعام لأنه ليس هناك شيء أنفر من النعام ، ومنه المثل : أشرد من نعام .

(٢) الهدء والهدوء : قطعة تمضي في الليل . واللجب : الجيش الكثير الصوت . واللهم : الجيش الكثير يلتهم كل شيء مر عليه .

(٣) ذر نجب : موضع كانت لهم به وقعة . المقلة : المهلكة ، وأفلته : أهلكه أو عرضه للمهلك . أسامة : رجل .

(٤) الحومان : في طريق اليمامة إلى البصرة . العرس : المرأة ، أي أسلم إلينا عرسه وأفلت ، يعيره بقلة الوفاء وضياع الحريم ، وعدم حظ ما يجب عليه حمايته وحفظه .

(٥) آسى وواسى : من المؤاساة ، أي لو قاتل عنها لقتل .

(٦) غداة الشعب : أراد يوم شعب جبلة . اصطلموا : اجتيعوا .

(٧) صفدناهم : قيدناهم . العصب : جمع عصبه وهي الجماعة .

(٨) العضب : القاطع ومثله الحسام .

أَسْرُنَا حَاجِبًا فَتَوَى أَسِيرًا وَلَمْ نَتْرِكْ لِأُسْرَتِهِ سَوَامًا ^(١)
وَجَمَعَ بَنِي تَمِيمٍ قَدْ تَرَكْنَا نُبِينَ سَوَاعِدًا مِنْهُمْ وَهَامَا ^(٢)
وَكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ طَوِيلٌ كَمَا أَجَجْتَ بِاللَّهَبِ الضَّرَامَا ^(٣)
بَدَارَهُمْ تَرَكْنَا يَوْمَ نَحْسٍ لَدَى أَوْطَانِهِمْ تُسْقَى السَّامَا

٢ - وَقَالَ عَوْفُ بْنُ عَطِيَّةَ ^(٤) :

وَلَنِعْمَ فَتْيَانُ الصَّبَاحِ لَقِيْتُمْ وَإِذَا النِّسَاءُ حَوَاسِرَ كَالْعُنُقُرِ ^(٥)
مَنْ بَيْنَ وَاضِعَةِ الْخَمَارِ وَأَخْتِهَا تَسْعَى وَمِنْطَقُهَا مَكَاتُ الْمِئْزَرِ ^(٦)
وَنَكُرُ أَوْلَاهُمْ عَلَى أَخْرَاهُمْ كَرَّ الْمَحْلَأُ عَنْ خِلَاطِ الْمَصْدَرِ ^(٧)
فَهُمْ ثَلَاثَةٌ أَفْرَقَاءُ : فَسَابِحُ فِي الرَّمْحِ يَعْثُرُ فِي النَّجِيعِ الْأَحْمَرِ ^(٨)
وَمَكْبَلٌ يُفْدَى بِوَافِرٍ مَالِهِ إِنْ كَانَ صَاحِبَ هَاجِمَةٍ أَوْ أُيْصَرَ ^(٩)

(١) ثوى : أقام . السوام : ما رعي من المال .

(٢) نبين : نقطع ونفرك . والهام والهامة : أم الدماغ .

(٣) أججت : أوقدت . اللهب : النار . والضرام : ما دق من الحطب وضمير . والجزل : الغليظ من الحطب .

(٤) المفضليات ص ٦٣٧ .

(٥) العنقر : أصل البقل والقصب والبردي ما دام أبيض لم يتلون ؛ أي فوجئ بالغارة وسلبن فهن حواسر .

(٦) أي لما فرعن جرير ، فاسترخت النطق فصارت مكان الأرز .

(٧) المحلأ : البعير يمنع من ورود الماء ، المصدر هنا : صدور الماء . والخلاط : مخالطتها . أي نظردهم كطرد الإبل عن الماء .

(٨) أفرقاء : جمع فريق .

(٩) المكبل : المقيد . الهجمة : القطعة من الإبل ، مائة أو نحوها . الأيصر : الكساء يحمل

فيه الحشيش .

أَوْ بَيْنَ مَمْنُونٍ عَلَيْهِ وَقَوْمِهِ إِنَّ كَانَ شَاكَرَهَا وَإِنْ لَمْ يَشْكُرْ

٣ - وَقَالَ بَشَرُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ ^(١) :

قَطَعْنَاهُمْ فَبِالْيَمَامَةِ فَرْقَةً وَأُخْرَى بِأَوْطَاسٍ تَهْرٍ كَلِيبُهَا ^(٢)
نَقَلْنَاهُمْ نَقْلَ الْكِلَابِ جِرَاءَهَا عَلَى كُلِّ مَعْلُوبٍ يَثُورُ عَكُوبُهَا ^(٣)
لَحُونَاهُمْ لَحْوًا رِعِصِيًّا فَأَصْبَحُوا عَلَى آلَةٍ يَشْكُو الْهُوَانُ حَرِيبُهَا ^(٤)
لَدُنْ غُدُوءَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُمْ وَأَدْرَكَ جَرِيَّ الْمَبْقِيَّاتِ لُغُوبُهَا ^(٥)
جَعَلُنْ قُشِيرًا غَايَةً يُهْتَدَى بِهَا كَمَا مَدَّ أَشْطَانُ الدَّلَاءِ قَلِيبُهَا ^(٦)
إِذَا مَا لَحِقْنَا مِنْهُمْ بِكُتَيْبَةٍ تُذَكِّرُ مِنْهَا ذَحْلُهَا وَذُنُوبُهَا ^(٧)
بَنِي عَامِرٍ إِنَّا زَكْنَا نِسَاءَ كَمْ مِنَ الشَّلِّ وَالْإِيحَافِ تَذْمَى عُجُوبُهَا ^(٨)

(١) المفضليات ص ٦٤٠ .

(٢) تهر كليبها : يهرون مثل هريز الكلاب .

(٣) المعلوب : الطريق المعبد . العكوب : الغبار . نقل الكلاب جراءها : أي كنا مقتدرين عليهم ، وكانوا أذلاء بهذه المنزلة نصرفهم كيف نشاء .

(٤) الآلة : الحالة . اللحم : قشر العود ، أي فعلنا بهم مثل ذلك ، أي أخذنا جميع أموالهم .

(٥) لدن غدوة : أي قتلناهم من الغدوة إلى الليل . المبقيات : ذوات الجري . اللغوب : الإعياء .

(٦) جعلن : يريد خيل قومه . غاية : أي كانوا غايتهم وطابتهم . كما مد أشطان الدلاء : أي قصدنا إليهم لا نلتوي يميناً ولا شمالاً كما مد الحبل .

(٧) يريد إذا لحقناهم تذكرنا ما أنوا إلينا من ذحل أو ذنب ، وإذا ذكرت الذحول كانت أشد للقتال .

(٨) الشل : الطرد . الإيحاف : السير الشديد . العجب : آخر العصص .

عُضَارِيطُنَا مُسْتَبِصِنُو الْبَيْضِ كَالْذَّمَى

(١) مُضَرَجَةٌ بِالزَّعْفَرَانِ جِيُوبِهَا

(٢) تَبِيتِ النِّسَاءُ الْمَرْضَعَاتِ بِرَهْوَةٍ تَفَرَّعَ مِنْ خَوْفِ الْجَنَانِ قُلُوبُهَا

٤ - وَقَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جَوْيَةِ الْهَذَلِي (٣) :

(٤) فَأَشْرَعُوا يَزَنِيَّاتٍ مُحَرَّبَةٍ مِثْلَ الْكُؤَاكِبِ يَسَاقُونَ بِالسَّمَمِ

(٥) كَأَنَّمَا يَقَعُ الْبُصْرِيُّ بَيْنَهُمْ مِنْ الطَّوَائِفِ وَالْأَعْنَاقِ بِالْوَذَمِ

(٦) يَجْدُلُونَ مَلُوكًا فِي طَوَائِفِهِمْ ضَرْبًا خَرَادِيلَ كَالْتَشْقِيقِ فِي الْأَدَمِ

(٧) مَاذَا هُنَالِكَ مِنْ أَسْوَانٍ مَكْتَشَبٍ وَسَاهِفٍ ثَمَلٍ فِي صَعْدَةِ حِطَمِ

(٨) وَخِضْرِمٍ زَاخِرٍ أَعْرَاقُهُ تَلِفٍ يُؤْوِي الْيَتِيمَ إِذَا مَا ضَنَّ بِالذَّمِّ

(١) الذمى : التائيل ، شبه بين النساء في الحسن .

(٢) الرهوة : ما ارتفع من الأرض وما انخفض ، والمراد هنا ما انخفض ، أي فرون فاستترن بما انخفض ، وقيل المراد ما ارتفع أي من أفلت من نسائهم علا لينظر من شدة الحذر ، وقيل : هن سبايا مع الرجال .

(٣) ديوان الهذليين ج ١ ص ٢٠٣ طبعة دار الكتب .

(٤) أشرعوا : سدوا الطعن . محربة : أي كأن بها غضبا . يساقون : أي يسقي بعضهم بعضا الطعن ، كأنما يتساقون بالسهم .

(٥) البصري : سيف من سيوف بصرى . الطوائف : النواحي ويقصد الأيدي والأرجل . الودم : جمع وذمة وهي السير بين العرقوة وإذن الدلو ، أي كأنما يقع الضرب في سيور من شدة وقعه .

(٦) يجدلون : يصرعون . طوائفهم : نواحيهم . خراديل : من قولهم خردل الشاة إذا قطعها قطعاً قطعاً .

(٧) أسوان : حزين من الأسى . الساهف : العطشان . وهو ثمل من الجراح ، صعدة : قناة . حطم : جمع حطمة وهي القطعة ، ككسرة وكسر ، وقطعة وقطع .

(٨) الخضرم : الواسع الخلق . والأشرف : أعراقه . أي له عروق ترفع فروعه فهو أصيل . تلف : هالك .

وَشُرْجَبٍ نَحْرُهُ دَامٍ وَصَفْحَتُهُ يَصِيحُ مِثْلَ صِيَاكِ النَّسْرِ مُنْتَحِمٌ^(١)

مُطَرِّفٍ وَسَطٍ أَوَّلَى الْخَيْلِ مُعْتَكِرٍ

كَالْفَحْلِ قَرَقَرٍ وَسَطٍ الْهَيْجَمَةِ الْقَطْمِ^(٢)

وَحُرَّةٍ مِنْ وَرَاءِ الْكُورِ وَارِكَةٍ

فِي مَرْكَبِ الْكُرْهِ أَوْ تَمْشِي عَلَى جَشَمٍ^(٣)

يَذَرِينَ دَمْعاً عَلَى الْأَشْفَارِ مُنْحَدِرَاً

يَرْفُلْنَ بَعْدَ ثِيَابِ الْخَالِ فِي الرُّدْمِ^(٤)

فَاسْتَدْبَرُوهُمْ فَهَاضُوهُمْ كَأَنَّهُمْ أَرْجَاءُ هَارٍ زَفَاهُ الْيَمُّ مُنْثَلِمٌ^(٥)

فَجَلَزُوا بِأَسَارَى فِي زَمَانِهِمْ وَجَامِلٍ كَحَزِيمِ الطَّوْدِ مُقْتَسِمٌ^(٦)

هـ وقال محرز بن المكعب الضبي^(٧) :

فَدَى لِقَوْمِي مَا جُمِعَتْ مِنْ نَشَبٍ إِذْ لَفَّتِ الْحَرْبُ أَقْوَاماً بِأَقْوَامٍ^(٨)

(١) الشرجب : الطويل . الانتحام : شبيه بالنفس من الصدر .

(٢) المطرف : الذي يرد أوائل الشيء . والمعتكر : الذي يعتكر وسطها يقبل ويدبر .
القرقرة : الهدر . الهجمة : القطعة من الإبل . القطم : الصؤول والمهتاج

(٣) مركب الكره : يعني على رجل متعب مكروه . جشم : مشقة وصعوبة .

(٤) ثياب الخال : برود حمر فيها خطوط خضر . الثوب المردم : المرقع .

(٥) هاضوهم : كسروهم . أرجاء : نواح . هار : تكسر وانهدم . اليم : البحر . زفاه : استخفه .

(٦) جازوا : مضوا ومروا مرأ خفيفاً . زمامهم : حبالهم . وحزيم الطود : وسطه .

(٧) المفضليات ص ٥١٠ .

(٨) النشب : المال الأصيل .

إِذْ خُبِّرْتُ مَذْحِجٌ عَنَا وَقَدْ كُذِّبَتْ

(١) أَنْ لَنْ يُورَّعَ عَنْ أَحْسَابِنَا حَامٌ

دَارَتْ رَحَانًا قَلِيلًا ثُمَّ صَبَّحَهُمْ

(٢) ضَرْبٌ يُصَيِّحُ مِنْهُ جِلَّةٌ الْهَامُ

(٣) وَالْحُمُوهُنَّ مِنْهُمْ أَيُّ الْخَامِ

(٤) فَقَدْ جَعَلْنَا لَهُمْ يَوْمًا كَأَيَّامِ

(٥) إِلَّا هَا جَزَرٌ مِنْ شَلُوٍ مَقْدَامِ

(٦) وَهُمْ يَوْمٌ بَنِي نَهْدٍ بِإِظْلَامِ

٦ - وقال النابغة الذبياني (٧) :

وَلَا تُتْلَاقِي كَمَا لَاقَتْ بَنُو أَسَدٍ

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ طَرِيدٍ غَيْرِ مَنْفَلَتِ

أَوْ حُرَّةٍ كَهَاءِ الرَّمْلِ قَدْ كَبِلَتْ

تَدْعُو قُعَيْنَا وَقَدْ عَضَّ الْحَدِيدُ بِهَا

(١) يورع : يدافع ويحمي .

(٢) رحانا : يريد الحرب ودوراتهم فيها . يصيح : أي صوت تضرب . جلة الهام : عظيماها . والهام : الرؤوس .

(٣) مجيرات : مكان ذو هضبات حمر تنسب إليها الضبايع . الحموهن : أطممهن اللحم .

(٤) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذي يرفع رأسه كبرا .

(٥) حذنة : موضع . جزر : ما جزر أي قطع . الشلو : بقية المقتول والميت ، والجمع : أشلاء . المقدام : المتقدم في الحرب .

(٦) الكلكل : الصدر .

(٧) العقد الثمين : ديوان النابغة ص ٤ .

الفصل الثاني

الفخر

الفخر هو التمدح بالخصال^(١) . ومن دراسة شعر الجاهليين في الحرب يتبين أن الشعراء في فخرهم بالناحية الحربية كان لهم اتجاهان : أحدهما شخصي ، والآخر قبلي . ومن مجموع ما أحصيناه من شعر قيل في الحرب في العصر الجاهلي ، وقد بلغ ٥٠٨٠ بيتاً ، وجد أن في هذه الأبيات ٢٣٤٠ بيتاً في الفخر ؛ منها ١٦٤٨ بيتاً في الناحية القبلية ، والباقي وقدره ٦٩٢ بيتاً في الناحية الشخصية . وكل من هاتين الناحيتين يشتمل على الفخر بثلاثة أشياء رئيسية هي : -

أولاً : البطولة ؛ والأعمال الحربية ؛ ومجموع ما قالوه في هذه الناحية ١٨٨٢ بيتاً منها ١٤٠٧ قبلية ، ٤٧٥ شخصية .

ثانياً : الخيل المعدة للحرب ، وجاء فيها ٢٦٩ بيتاً ، قيل في الناحية القبلية منها ١٥٨ ، وقيل في الناحية الشخصية ١١١ بيتاً .

ثالثاً : الأسلحة ، ومجموع ما قيل في الفخر بها ١٨٩ بيتاً منها ٨٣ بيتاً في الفخر القبلي ، والباقي وقدره ١٠٦ في الفخر الشخصي .

(١) القاموس المحيط .

وفياً يلي جدول يبين هذه الإحصائية : —

المجموع	الأسلحة	الخيل	البطولة	نواحي الفخر
١٦٤٨	٨٣	١٥٨	١٤٠٧	الناحية القبلية
٦٩٢	١٠٦	١١١	٤٧٥	الناحية الشخصية
٢٣٤٠	١٨٩	٢٦٩	١٨٨٢	المجموع

وبطبيعة الحال كان الفخر بكل من الخيل والأسلحة يدور حول عرضها عرضاً يصورها في منتهى الجودة والكمال بحيث ترضي أصحابها ، وتجعلهم يتيهون بها عجباً وزهوا ، وترهب أعداءهم ، وتجعلهم يخشونها خوفاً وفزعاً . أما الفخر بالبطولة والأعمال الحربية فكان يدور حول الموضوعات الآتية :

١ - الشهامة والمروءة :

وذلك يشمل : الإسراع إلى إجابة الداعي والمستغيث والمكروب ، وحماية الدليل ، وتأمين الخائف ، وتهدة المرتاع خاصة النساء ، وعدم السؤال عن السبب عند الدعاء ، وكشف الكرب ، والتوقد حماسة وغيره ، ولين الجانب في السلم ، والعنف في الحرب ، والحزم في القول والفعل ، والحذر ، والحيلة ، وعدم العجب والخيلاء إذا جاء الخير ، والبعد عن الأسى والقنوط إذا نزل الضر ، وعدم الاهتمام بالغنى أو الفقر ، والوقار عند الأزمات والشدائد ، ورباطة الأحلام في الرخاء ، والأنفة من الظلم ، وعدم الخضوع لأحد مهما كان شأنه ، والعزة ، والإباء ، والكرم ، والمحافظة على الشرف ، والوفاء بالعهد ، وإعزاز الجار ، ومنعة الولي ، والرأفة بالصديق ، واستعمال العقل والحكمة ، وضبط النفس ، وعدم التهور عند الفزع ، والبعد عن التكبر ، وإهلاك الطغاة ، ونفي الظالم الغشوم ، وعدم الرضا بالذل أو الإقامة في دار الهوان ، وتجنب ما يخزي القبيلة أو يسيء إليها ، والصفح عن ذنوب الأهل ، والمنّ على الأسرى

والسبايا دون انتظار شكر أو ثواب ، وعدم الطمع في الغنائم ، والمحافظة على تراث الآباء وأجدادهم وإعلاء كلمة القبيلة ورفع شأنها .

٢ - الشجاعة :

وهذه تشمل الفخر بما في البطل من جرأة وإقدام ؛ فهو لا يخاف في أشد المواقف ، ولا يهتمي بغير السلاح ، ويشهد الغارات والحروب المملوءة بالأبطال والخيل والجياد والأسلحة المرهفة ، ويتقدم نحو الأعداء ، فيطيل سلاحه بالخطوات ، ويكر في أشد الاوقات ، ويهجم بشدة ، ولا يهرب الأبطال ، ويصرع الأنداد ، ويهاجم الأعداء جهاراً ، فيعلم نفسه ، ويحتقر الجموع الكثيرة ، وهو صادق الصباح ، صادق الطعن والضرب ، ولا يهرب القيام بما فيه خطر من الأعمال كأن يتقدم الجيش ، أو يكون ربيثة له ، ولا يهرب الثغور ولا أماكن الخطر . فهو محمود اللقاء ، وضامن الحمد يوم الوغى .

٣ - الدفاع :

وهذا يشمل حماية النساء ، والشرف ، والإبل ، والخيل ، والحمى ، والجار .

٤ - القوة :

ونعني بهذا كل ما افتخروا به مما يصورهم أشداء بحيث يجعل كل من عداهم يرهبهم ، ويخشى الوقوع في حرب معهم . وذلك يشمل وصف أنفسهم بأنهم يحتلون مساحات واسعة حتى أصبح لهم فضاء الأرض ومنابع الماء ، يتنقلون مع الغيث أينما وجد ، ودوابهم ترعى حيثما شاءت دون أن تمس بسوء ، وإذا ما شربوا منهلاً ذهبوا إلى غيره ، وحاربوا من عليه حتى يتركوه لهم ، ويمنعون غيرهم من ورود الماء ولا يستطيع أحد منهم . ويزيدون على أعدائهم في الأخذ بالثأر ، فلا يطل لهم قتيل ولا يثار غيرهم منهم ، ويتحدون الأعداء ، ولا يؤخذ منهم ما غنموه ، يظلمون الناس ، ويشنون كل جبار ، ويدلون

المختال ، ويشكو منهم الأعداء دون جدوى .

وفي هذا المجال افتخروا بأنهم يقيمون بالشغور ، ويطيّلون الإقامة في دار الحفاظ ، وينزلون بالسهول ، فلا يحتمون بالهضاب أو الجبال ، ودارهم عزيزة لا ينالها أحد بسوء ، وسيرهم آمن حين يعم الخوف ، ومن دخل في جوارهم امتنع على طلابه . ويفزع الناس منهم إذا سخطوا ، حربهم شديدة ، وغاراتهم ثقيلة ، ويشنونها وقت المَحَل والشدة . بأسهم شديد ، ولا يقوم أحد مقامهم .

٥ - الخبرة الحربية :

وهذه تشمل فخر البطل بأنه أخو الحرب ، وابن الحرب ، مدرب وابن مدرب ، يعرض الحرب ، ويشيرها ويلهبها ، متمود القتل والطعن والضرب ، يطيل الحرب ، ويدم الغارات ، يقود الخيل الجامحة ، ويحكمها ساعة الشدة ، مردى حروب ، يعاود الحرب والقتال ، ويحب البلاد لحب اللقاء ، ولقاؤه مُر ، وجياده معودة الإقدام ، وإبله مذلة تطاوعه أينما ذهب لتعودها الحروب ، وهو يهش حينما يُدعى للقتال ، لا يميل على السرج ، ولا يجارى في الرمي ، يسرع إلى قتال أعدائه دون إعطائهم مهلة .

ومن الصفات التي افتخروا بها دليلاً على الخبرة الحربية وصف البطل بأنه نحيف الجسم ، ساهم الوجه ، أغبر ، أشعث ، سهك من صدأ الحديد ، ويرجع بنخيل متعبة منهكة ترمي أفلاءها في الطريق .

٦ - الايقاع بالعدو :

ويدخل في هذا ما افتخروا به من هزيمة الأعداء ، وإهلاكهم ، وكسر شوكتهم ، ونفيمهم ، واحتلال مواطنهم ، أو تركها قفرا ، وطردهم إلى أماكن لا غناء فيها ولا نفع ، وإبعادهم عن المساء والكلأ ، وأخذ الأسرى والسبايا والغنائم ، وإشباع الضباع والطيور ، وقتلهم في ديارهم . ويندرج تحت ذلك

ما يذكرونه في معرض الفخر ، من وصف الأعداء بالقوة وكمال التسليح ، والكثرة ؛ لأن التغلب على مثل هؤلاء الأقوياء دليل التفوق في القوة والاستعداد .

٧ - التضحية بالنفس :

وكان التفاخر بذلك يدور حول استهانتهم بالقتل في سبيل الدفاع عن الشرف والكرامة ، وادعاء أنهم لا يألمون القتل ، وأنهم يرخصون أنفسهم في الروع ، فلا يتأخرون ولا يحجمون خوفاً منه لأنه آت لا محالة ولا بد منه ، وأنهم لا ييكون على من مات قتيلاً منهم ، فهم مستبسلون ، ولا تسيل دماؤهم على غير الطبقات ، ولم يمت منهم سيد حتف أنفه ؛ ولا يرهبون القتل فلذلك قربت آجالهم ، ويمعدون القتل وقت الشدة مكرمة .

٨ - قتل العظماء أو إيذاؤهم :

ويشمل ذلك ما أنزلوه من محن وآلام بالملوك والرؤساء ، والسادة ، والسراة ، والأبطال ، وكل من له مكانة سامية .

٩ - الصبر :

وكان فخرهم بذلك يدور حول الثبات ، وعدم الفرار ، وتفريج الكروب في الشدائد بالسلاح ، وادعاء أنهم يظلمون على ظهور خيلهم تتعاورهم الرماح ولا ينحرفون عن الطعن ، بل يبقون في الميدان إلى أن يفوزوا بالنصر .

١٠ - الرئاسة :

ويقصد بذلك الفخر بتولي زمام القوم في الأزمات والشدائد ، وشن الغارات القوية الكثيرة ، وقيادة الكتائب والجيش الضخمة .

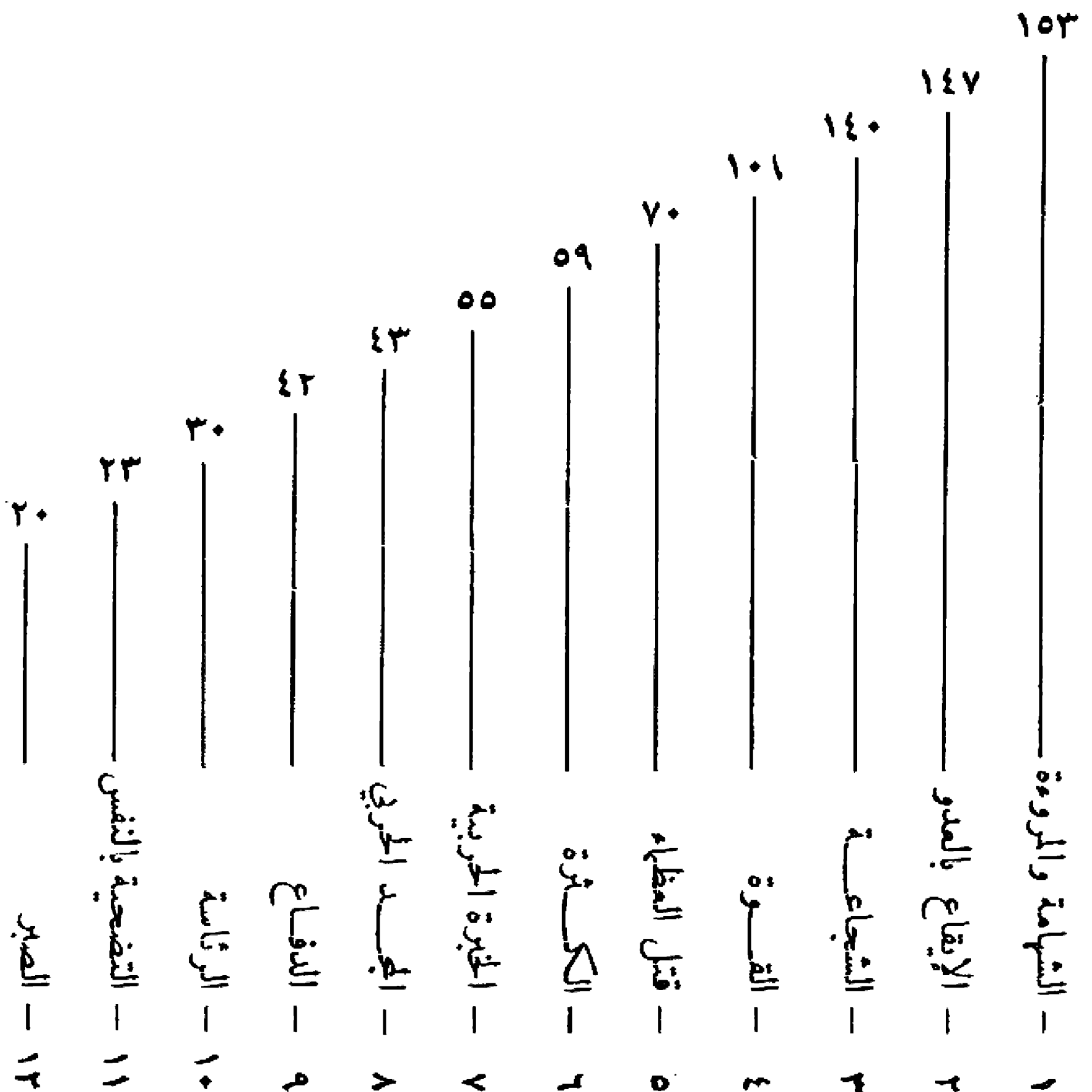
١١ - الكثرة :

وهذه تدور حول الفخر بضخامة عدد الأفراد والقبائل ، والكتائب والجيوش دون أن يكون بينهم أجنبي أو غريب .

١٢ - المجد الحربي :

ويشمل ذلك الفخر بانتصاراتهم في حروبهم السابقة ، والإشادة بالأيام التي تغلبوا فيها على أعدائهم . وتعداد هذه الأيام ، والإكثار منها .

وفيا يلي رسم بياني يوضح عدد المرات التي كرّرت فيها كل صفة من هذه الصفات فخراً بها في شعر الحرب .



دوافع الفخر :

يتبين من دراسة شعر الحرب في العصر الجاهلي أن الشاعر كان مدفوعاً للفخر بالصفات السالفة الذكر أو بعضها بأحد الدوافع الآتية :

أولاً : نشوة النصر :

لا شك أن النصر مما يفتق الأذهان ، ويحرك المشاعر ، ويثير الإحساسات ، فهو يُلهِم الشاعر أعذب المعاني ، فينطلق لسانه مصوراً ما يحيش بصدوره من عواطف وانفعالات ، فيتغنى بذلك النصر ، ويرسله مع النسيم عطراً شديداً : يخبر الأقارب والأباعد ، ويسجل على صفحات التاريخ ما ناله القوم من مجد ؛ فيعطر الأرجاء ، ويسر القلوب ويقر العيون .

ومن ثم كان النصر فرصة ثمينة للشاعر تظهر فيها مواهبه ، وتتجلى براعته الفنية . ولهذا كان يعز عليه أن تفوته هذه الفرصة ، أو يحرم منها ، وإذا حدث هذا كان له وقع شديد على النفوس ، وهنا كان الشعراء يألمون أشد الألم وتعتقد ألسنتهم فلا تنطق إلا بقليل يعبرون به عن أسفهم العميق ؛ من ذلك مثلاً قول عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقْتُ ، ولكن الرماح أجرت !^(١)

فقد قال هذا في بعض حروبه التي كانت بينه وبين بلحارث بن كعب ، وذلك في يوم نهد وجرم ، وكان ذلك اليوم عليه وانهزم . فقال متحسراً « لو أن قومي أبلوا بلاء حسناً لجعلوا لساني يتحرك مشيداً بذلك . ولكن رماحهم أساءت البلاء . فعقدت لساني ومنعته من قول الشعر » .

ومثل ذلك قول الشمينذر الحارثي^(٢) :

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء العمير القوافيا

(١) ديوان الحماسة ج ١ ص ٤٥ ، والنقائض ص ٥٢ .

(٢) ديوان الحماسة ص ٣١ .

فكانت الهزيمة من شأنها أن تخرس الشعراء؛ وتجعل الكلام منهم مستغرباً؛
استمع إلى قيس بن الخطيم إذ يقول :

أَبْنِي دَحِيٍّ وَالْحَنَىٰ مِنْ شَأْنِكُمْ أَنَّىٰ يَكُونُ الْفَخْرُ الْمَغْلُوبُ^(١)

وفي الفخر بالنصر كان الشاعر يحاول أن يفخم هذا النصر ، ويجعله نصراً عظيماً بكل ما وسعه من جهد ؛ فيصور الحالة بأنها كانت على أشد ما يكون ، والعدو كان كثير العدد . كامل التسليح : وأبطاله أقوياء أشداء في منتهى الثبات والجلد ، كل هذا ليعطي صورة لقومه – عن طريق غير مباشرة – بأنهم كانوا أقوى وأشد بأساً من الأعداء؛ إذ لو لم يكونوا كذلك لما كان النصر في جانبهم . ومن ثنايا الفخر في تلك الحال نحس أن الشاعر كان يعبر عن شعور ملأ جوانحه بأن قومه قد كسبوا شرفاً ومجداً عظيمين . انظر مثلاً إلى بعض ما يقوله طرفة ابن العبد مفتخراً بيوم تحلاق اللمم^(٢) :

سَائِلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِقَوَانَا يَوْمَ تَحْلَاقُ اللَّمَمُ

يَوْمَ تُبْدِي الْبَيْضُ عَنْ أَسْوَاقِهَا وَتَلْفُ الْخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعَمِ^(٣)

أو إلى قول الأعشى في انتصار بكر ضد كسرى في يوم ذي قار^(٤) :

وَجُنْدُ كَسْرَىٰ غَدَاةَ الْحِنُو صَبَّحَهُم

مَنَا كِتَابُ تُزْجِي الْمَوْتَ فَانصَرَفُوا^(٥)

(١) ديوانه ص ٦ بيت ٩ .

(٢) العقد الثمين : شعر طرفة القصيدة رقم ١١

(٣) تبدي البيض ... الخ : تظهر وتحسر عن أسواقها للهروب من الفرع ، يعني أنهن رفعن ذيولهن للهروب فكشفن عن أسواقهن . الأعراج : جمع عرج ، وهو ما بين الحسين والمائة أو المائتين من الإبل . تلف الخيل : أي تجمع الغنم وتسوقها .

(٤) قصيدته رقم ٦٢ الأبيات ١٧ - ٢٢ .

(٥) الحنو : منعرج الوادي ، ويوم الحنو هو يوم ذي قار .

جَحَاجِحٌ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَارِقَةٌ مِنْ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّطْفُ^(١)
 إِذَا أَمَالُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيَهُمْ مِلْنَا بِيضَ فِظْلٍ الْهَامُ يُخْتَطَفُ^(٢)
 وَخَيْلُ بَكْرٍ فَمَا تَنْفَكُ تَطْجِنُهُمْ حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ
 لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكُنَا
 فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ مَا أَخْطَأَهُمُ الشَّرَفُ^(٣)
 لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ يَقْدُمُهُمْ
 مُطْبِقُ الْأَرْضِ يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدَفٌ^(٤)

ثانياً - ثورة الغضب :

والغضب من أشد العوامل التي تثير الوجدان ، فهو يهيج العواطف ، ويلهب المشاعر . وقد يكون مما يهدى روع الغضبان ، ويعيده إلى حالته الطبيعية أن ينفس عما في نفسه بكلمات يخرجها من صدره ، فيحس أن في كل كلمة جذوة تنطفئ ، وفي كل جملة راحة تشلج الصدر . وكلمات التنفيس في هذا المقام تختلف باختلاف أسباب الغضب وما يحيط بالغضبان من ظروف وملابسات . فقد تقتضي الحال أن تكون هذه الكلمات فخراً بالنفس . وقد تقتضي الحال شيئاً آخر غير الفخر تبعاً للظروف والمناسبات .

وقصيدة الفخر في الجاهلية كثيراً ما تشغل الناحية الحربية جزءاً كبيراً

(١) جحاجح : جمع جحجج وجحجاج وهو السيد المسارع إلى المكارم . وكذلك الغطريف (بكسر الغين) . النطف : جمع نطفة وهي لؤلؤة تعلقها الأعاجم في الأذن .
 (٢) النشاب : السهام . البيض : السيوف ، الهام : جمع هامة ، وهي الرأس .
 (٣) معد : هو معد بن عدنان جد عرب الشمال من قبائل ربيعة ومضر جميعاً .
 (٤) يقدمهم : يسبقهم ويتقدمهم . طبق الماء وجه الأرض : غطاها . السدف : الظلمة .

منها . ومن دراسة شعر الحرب في العصر الجاهلي نجد أن الشاعر كان يندفع إلى الفخر بأعمال البطولة أحياناً عندما تملكه سورة الغضب ، وتهيج عاطفته ، وكان هذا يحدث حينما يتوهم طعناً في الشرف ، أو انتقاصاً من الكرامة أو تهديداً ووعيداً ؛ من ذلك مثلاً :

١ - أن يرى الشاعر أن قومه قد عوملوا معاملة غير عادلة ؛ لا تليق بكرامتهم ، ولا سمعتهم ، ولا بما يستحقونه من مهابة وإجلال . فهنا كان يندفع لذكر أمجادهم وسرد آثارهم الخالدة ، وتعداد ما قاموا به من أعمال البطولة والشهامة ، وما يتصفون به من شجاعة وقوة ، وما لهم من خطر وبأس ، مما يرفعهم إلى الذروة ، ويجعلهم أهلاً لكل تقدير وإكبار . ومن الأمثلة على ذلك معظم ما يقوله عمرو بن كلثوم في معلقته مخاطباً عمرو بن هند ملك الحيرة لما رأى منه تهاوناً في حقه وحق قومه ؛ ومنها :

أبا هندٍ فلا تعجل علينا	وأنظرنا نُخبرك اليقيناً
بأنّا نُورد الرايات بيضاً	ونُصدِرهنّ خُمراً قدرَويناً ^(١)
وأيامٍ لنا غُرٌّ طِوال	عَصِينا المَلِكَ فيها أن نديناً ^(٢)
وسيدٍ مَغشَرٍ قد تَوَجَّوه	بتاج المَلِكِ يَحْمِي المَحْجَرِينا ^(٣)
تركنا الخيلَ عاكفةً عليه	مُقلِّدةً أَعْنَتَهَا صُفُونا ^(٤)
وأنزلنا البيوتَ بذِي طُلُوح	إلى الشَّامَاتِ تَنْفِي المُوْعِدِينا ^(٥)

(١) يقصد أنا نورد الأعلام بيضاً ، ونرجعها حمراً منها قد روين من دماء الأبطال .

(٢) غر : بيض مشهورة . طوال : أي على الأعداء . ندين : نقر له بالخضوع والطاعة .

(٣) المحجرين : الملتجئين .

(٤) عاكفة : مقيمة . الصفون : جمع صافن ، وهو الذي يقوم على ثلاث قوائم ، ويشني

سنيكه الرابع . قتلناه وحبسنا خيلنا عليه وقد قلدناها أعنتها في حالة صفونها .

(٥) ذي طلوح : مكان . الموعدين : الأعداء .

وقد هَرَّتْ كلابُ الحيِّ مِنَّا وشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا ^(١)
 متى ننقل إلى قومٍ رَحَانَا يكونونَ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ ^(٢)
 نزلتُم منزلَ الأضيافِ مِنَّا وأَعَجَلْنَا الْقِرَى أَنْ تَشْتُمُونَا ^(٣)
 قَرِينَا كَمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُم قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا ^(٤)
 نَعْمُ أَنْاسُنَا وَنَعْفُ عَنْهُمْ وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا ^(٥)
 نَطَاعِنَ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غَشِينَا ^(٦)
 بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِيءِ لُدُنِ ذَوَابِلَ أَوْ بِيضِ يَغْتَلِينَا ^(٧)
 نَشَقُّ بِهَا رُءُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنَخْتَلِبُ الرُّقَابَ فَتَخْتَلِينَا ^(٨)
^(٩)

-
- (١) القَتَادَةُ : واحدة القَتَاد وهو شجر ذو شوك . والتشذيب : قطع الشوك والأغصان الزائدة . يَلِينَا : يقرب منا . هَرَّتْ كلابُ الحيِّ مِنَّا : يقصد أن الكلاب أفكرتهم حين لبسوا السلاح . أو كرهتهم كلابهم لسوء أخلاقهم .
 (٢) الرَحَى هنا : الحرب .
 (٣) الثَّقَال : خرقَة أو جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الدقيق . اللُّهْوَة : القبضة من الحب تلقى في فم الرحى .
 (٤) يريد أنكم تعرضتم لمعادتنا كما يتعرض الضيف للقرى فقتلناكم على عجلة كراهية أن تشتمونا إن أخرنا قراكم .
 (٥) المِرْدَاة : الصخرة التي يرمى بها واستعارها للحرب .
 (٦) يقصد أن خيرنا يعم عشائرتنا ولا ننظر نحن إلى أموالهم .
 (٧) يقصد أننا نطاعن الأبطال إذا كانوا بعيدين ، فإذا قربوا ضربناهم بالسيوف . تراخى : بعد . الغشيان : الإتيان .
 (٨) اللدن : اللين . ذوابل : يابسة . يعتلين : أي تعطي الرءوس .
 (٩) الاختلاب : قطع الشيء بالخلب وهو المنجل الذي لا أسنان له . والاختلاء : قطع الخلاء وهو رطب الحشيش .

كَانَ جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا ^(١)
 وَإِنَّ الضُّغْنَ بَعْدَ الضُّغْنِ يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا ^(٢)
 وَرَثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتُ مَعَدَّ نَطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا ^(٣)
 وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ عَلَى الْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا ^(٤)
 نَجِدُ رَعْوَسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ فَمَا يَذْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا ^(٥)
 كَانَ سُيُوفُنَا فِيْنَا وَفِيهِمْ مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا ^(٦)
 كَانَ ثِيَابُنَا مَنَا وَمِنْهُمْ خُضْبُنُ بَارِجُوانٍ أَوْ طَلِينَا ^(٧)
 إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَفِ حَيٌّ مَنْ الْهَوْلُ الْمُشَبَّهَ أَنْ يَكُونَا ^(٨)
 نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتَ حَدٍّ مَحَافِظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَا ^(٩)

(١) الأبطال : جمع بطل وهو الشجاع الذي يبطل دماء أقرانه . الوسوق : جمع وسق وهو حمل البعير . الأماعز : جمع أمعز وهو المكان الذي تكثر حجارتة .
 (٢) يقصد أن الضغن بعد الضغن تنشو آثاره ويخرج الداء المدفون من الأفئدة ، أي يبعث على الانتقام .

(٣) يريد أننا ورثنا شرف آبائنا ، ونحفظه بطعن الأعداء عنه حتى يظهر ويقرروا لنا به .
 (٤) عماد الحي : العُمد التي تحمل البيت . الأحفاض : جمع حفص وهو متاع البيت .
 يريد أن يقول : إذا قوضت الخيام فسقطت على أمتعتها نحمي من يقرب منا من جيراننا ، وذلك وقت الشدة أي نحميم حين لا يحمي غيرنا .

(٥) غير بر : عقوق . يتقون : يحذرون من القتل والسبي واستباحة الأموال .
 (٦) أي لا تحفل بالضرب بالسيوف كما لا يحفل اللاعبون بالضرب بالمخاريق . وهذا البيت وما بعده يعدان من المنصفات . والمخاريق : جمع مخراق وهو ثوب يقتل للعب به .

(٧) الأرجوان : صبغ أحمر .
 (٨) الإسناف : الإقدام في الحروب . عي : عجز . المشبه : المتوقع والمنتظر .
 (٩) رهوة : جبل . حد : شوكة يقصد كتيبة ذات شوكة ، محافظة : أي دفاعاً عن أحسابنا .

بشبان يروون القتل مجداً وشيب في الحروب مجربينا^(١)
حديا الناس كلهم جميعاً مقارعةً بذئهم عن بنينا^(٢)
فأما يوم نخشيتنا عليهم فتصبح خيلنا عصباً ثبيناً^(٣)
وأما يوم لا نخشى عليهم فدع عن غارة متلبيننا^(٤)
برأس من بني جشم بن بكر بدق به السهولة والحزونا^(٥)
ألا لا يعلم الأقوام أنا تضعضعنا وأنا قد ورنينا^(٦)
ألا لا يجلدن أحدنا علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(٧)
بأي مشيئة عمرو بن هند نكون لقيدكم فيها قطينا^(٨)
بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا^(٩)

- (١) المجد : الحظ الوافر الكافي من الشرف والسؤدد . مجربين : أي مرنوا على الحروب .
- (٢) حديا : اسم جاء على صيغة التصغير مثل ثريا وحميا وهي بمعنى التحدي . مقارعة : نقارع ونذب أبناءهم عن بنينا .
- (٣) العصب : جمع عصة وهي ما بين العشرة والأربعين . والشبين : جمع ثبة وهي الجماعة . يقول يوم نخشى على أبنائنا وحرمتنا من الأعداء تصبح خيلنا جماعات تتفرق في كل وجه لذب الأعداء عن الحرم .
- (٤) الإمعان : الإسراع والمبالغة في الشيء . والتلبب : لبس السلاح .
- (٥) الرأس : الرئيس . السهولة والحزون : يقصد الضعاف والأشداء . والسهولة هنا : ما لان من الأرض . والحزون : جمع حزن : وهو ما علظ من الأرض .
- (٦) التضعض : التكسر والتدلل . الونى : الفتور .
- (٧) يجهل : يسه .
- (٨) القيل : الملك دون الملك الأعظم . القطين : الخدم . والقطين « في غير هذا المكان » : سكان المنزل .
- (٩) ازدراه وازدرى به : قصر به واحتقره .

هَدُّدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُؤْيِدَا مَتَى كُنَّا لَأَمِّكَ مَقْتَوِينَا ^(١)
فَإِنْ قَنَاتِنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا ^(٢)
إِذَا عَضَّ الثُّقَافُ بِهَا أَشْدَّازَتْ وَوَلَّتْهُمْ عَشَوَزَنَةً زَبُونَا ^(٣)
عَشَوَزَنَةً إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَأَيْتَ تَشَجَّ قَفَا الْمُثَقَّفِ وَالْجَبِينَا ^(٤)
فَهَلْ حَدَّثْتَ فِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ بِنَقَصٍ فِي خُطُوبِ الْأَوَّلِينَا ^(٥)
وَرَثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينَا ^(٦)
وَرَثْتُ مُهْلَهْلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ زُهِيراً نَعَمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَا ^(٧)
وَعَتَابًا وَكَلْثُومًا جَمِيعًا بِهِمْ نَلْنَا تَرَاثَ الْكَارِمِينَا ^(٨)
وَذَا الْبُرَّةِ الَّذِي حَدَّثْتَ عَنْهُ بِهِ نُحْمَى وَنَحْمِي الْمُلْجَثِينَا ^(٩)

- (١) الْقَتَوُ : خدمة الملك والفعل قتا يقتو ، والمصدر قتو ومقتى والنسب إليه مقتوي ، ثم يجمع مع طرح ياء النسب فتقول مقتوون في الرفع ومتقوين في النصب والجر كما يجمع الأعجمي بطرح ياء النسب فتقول أعجمون وأعجمين . رؤيدا : أي في رفق .
- (٢) العرب تستعير للعز اسم القناة . يقصد أن عزهم منيع لا يرام .
- (٣) الثُّقَافُ : الحديد التي يقوم بها الرمح . أَشْدَّازَتْ : نفرت . عَشَوَزَنَةُ : صلبة شديدة زبون : دفوع من قوهم زينت الناقة حالها إذا ضربته بركبتها ، ومنه الزبانية لزبنهم أهل النار أي دفعهم .
- (٤) أَرَأَيْتَ : صوتت أي إذا أريد تثقيفها أحدثت صوتاً ولم تطاوع المثقف بل تشج قفاه وجبينه ، كذلك عزتهم لا تلين لمن رامها بل تقهره وتهلكه .
- (٥) يقول : هل أخبرتك بنقص كان من هؤلاء في العهود السالفة . الخطوب «هنا» : الأمور .
- (٦) الدين : القهر . أي غلب غيره على المجد ثم أورثنا إياه .
- (٧) مهلهل : جد عمرو بن كلثوم من قبل أمه . وزهير جده من قبل أبيه .
- (٨) تراث : ميراث . عتاب : جدّه . وكلثوم : أبوه .
- (٩) البرة : الحلقة في أنف البعير . وذو البرة : رجل من بني تغلب وقيل هو كعب بن زهير ، وإنما قيل له ذلك لشعر كان على أنفه يستدير كالحلقة . الملجثين : الذين قد التجثوا واحتاجوا إلى من ينصرهم .

وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُليب
 مَتَى نَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِجَبَلٍ
 وَنُوجِدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَاراً
 وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقِدُ فِي حَزَازٍ
 وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ بِذِي أَرَاطَى
 وَكُنَّا الْإِيْمَنِينَ إِذَا التَّقِينَا
 فَصَالُوا صَوْلَةً فَيَمَنُ يَلِيمُ
 فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا
 إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ
 أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا وَمَنْكُمْ
 فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا^(١)
 نَجْدُ الْحَبْلَ أَوْ نَقْصِ الْقَرِينَا^(٢)
 وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا^(٣)
 رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا^(٤)
 تَسْفُ الْجِلَّةُ الْخُورُ الدَّرِينَا^(٥)
 وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَيْمِينَا^(٦)
 وَصَلْنَا صَوْلَةً فَيَمَنُ يَلِينَا^(٧)
 وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا^(٨)
 أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا^(٩)
 كِتَابَ يَطْعِنُ وَيَرْتَمِينَا^(١٠)

(١) الساعي : أي للمعالي . ولينا : من الولاية ، أي صار إلينا فصرنا ولاية عليه .
 (٢) نعقد : نقرن . تجد : تقطع . الوقص : دق العنق ؛ يقصد متى قرنا بقوم في قتال أو سباق أو جدال غلبناهم وسبقناهم وقهرناهم . القرينة : التي تقرن إلى غيرها .
 (٣) الذمار : حريم الرجل وما يجب عليه أن يحميه .
 (٤) أوقد : أي نار الحرب . الرقد : الإعانة والإعطاء .
 (٥) أراطى : مكان وقيل ماء . تسف : تأكل . الجلة : العظام من الإبل . والخور : الغزار الكثيرة الألبان . الدرين : الحشيش اليابس والقديم الأسود . يقول : إننا حبسنا أموالنا بهذا المكان حتى أكلت النوق الغزار قديم النبت وأسوده أي صبرنا حتى ظفرنا ولم يطمع فينا عدو .
 (٦) الأيمنون : أصحاب الميمنة . والأيسرون أصحاب الميسرة .
 (٧) صالوا : حملوا .
 (٨) النهاب : الغنائم . الأوب : الرجوع . مصفد : مقيد .
 (٩) إليكم : اسم فعل بمعنى ابعثوا عنا وارجعوا .
 (١٠) يطعن : يطعن بعضها بعضاً .

عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ السِّمَانِي وَأَسْيَافٌ يُقْمَنُ وَيَنْحَنِينَا^(١)
 عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ تَرَى فَوْقَ النِّطَاقِ لَهَا غُضُونَا^(٢)
 إِذَا وَضَعْتَ عَنِ الْأَبْطَالِ يَوْمًا رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ الْقَوْمِ حُونَا^(٣)
 كَانَ غُضُونَهُنَّ مُتَوْنٌ غُدِرَ تَصَفَّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرِينَا^(٤)
 وَتَحْمَلُنَا غَدَاةَ الرَّوْعِ جُرْدَ عُرِفْنَ لَنَا نَقَائِذَ وَافْتُلِينَا^(٥)
 وَرَدْنِ دَوَارِغًا وَخَرَجْنَ شُعْثًا كَأَمْثَالِ الرِّصَائِعِ قَدْ بَلِينَا^(٦)
 وَرِثْنَاهُنَّ عَنِ آبَاءٍ صَدَقَ وَنُورُ ثَهَابٍ إِذَا مُتْنَا بَنِينَا^(٧)
 عَلَى آثَارِنَا بَيْضٌ حَسَّانَ نَحْنُ أَدْرَأُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهُونَا^(٨)

(١) البيض : جمع بيضة يقصد بيضة الحديد : اليلب : قيل الدرع ، وقيل : ترسة تعمل في اليمن من جلود الإبل ، وقيل نسيجة من سيور تلبس تحت البيض ، وقيل : جلود تلبس تحت الدروع . يقمن وينحنين : أي لطول الضرب بها ؛ فيضرب بها حتى تنحني ، ثم تقوّم فيضرب بها ، وهكذا .

(٢) السابغة : الدرع الواسعة التامة . الدلاص : اللينة البراقة . الغضون جمع غصن وهو التشنج في الشيء ، والمراد هنا فضول الدرع وثنياتها . والنطاق : ما شددت به وسطك .

(٣) الجون هنا : السود وذلك من صدأ الحديد وطول لبسهم إياها .

(٤) الغدر : جمع غدير . بشبه الطرائق التي ترى في الدرع باقي ترى في الماء حينما تضربه الريح . متون : ظهور . تصفّقها : تدرجها وتموجها .

(٥) الروع : الفرع يريد الحرب . الجرد : التي رق شعر جسدها وقصر . نقائذ : جمع فقيذة ، مخلصات من أيدي الأعداء . والفلو والإفلاء : الفطام والولادة ، أي تتجن عندنا ، وفطمنا عن أمهاتهن في ديارنا .

(٦) دارع : عليه درع ، ودروع الخيل : تجافيفها . الرصائع : جمع رصيعة وهي عقدة العنان .

(٧) يريد أنها عندهم من قديم . وستبقى عندهم إلى الأبد ، يرثها الأبناء عن الآباء على الدوام .

(٨) أي كان نساؤهم خلفهم في الحرب .

أَخَذْنِ عَلَى بُعُولَتِهِنَّ عَهْدًا إِذَا لَاقُوا كِتَابَ مُعَلِّمِنَا ^(١)
لَيْسَتَلِبْنَ أَفْرَاسًا وَبَيْضًا وَأُسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنَيْنَا ^(٢)
تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلُّ حَيٍّ قَدْ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينَا ^(٣)
إِذَا مَا رُحْنٌ يَمْشِينُ الْهُوَيْنَى كَمَا اضْطَرَّتْ مُتَوْنُ الشَّارِيَيْنَا ^(٤)
يَقْتَنُ جِيَادَنَا وَيَقْلَنُ لَسْتُمْ بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا ^(٥)
ظِعَائِنَ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ خَلَطُنَ بِمَيْسَمٍ حَسَبًا وَدِينَا ^(٦)
وَمَا مَنَعَ الظَّعَائِنَ مِثْلُ ضَرْبٍ تَرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كَالْقُلَيْنَا ^(٧)
كَأَنَّا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّلَاتٍ وَلَدْنَا النَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِينَا ^(٨)
يُدْهَدُونَ الرِّعَاسَ كَمَا تُدْهَدِي حَزَاوِرَةٌ بِأَبْطَحِهَا الْكُرِينَا ^(٩)

- (١) معلمين : أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها في الحرب .
(٢) مقرنين : قرنوا في الحديد ؛ أي قيدوا بالسلاسل والأغلال .
(٣) بارزين : خارجين وظاهرين في الأرض لا نعتصم بشيء لقوتنا وشوكتنا ، في حين أن كل قبيلة تستجير وتعتصم خوفاً منا .
(٤) الهوينى : تصغير الهونى مؤنث الأهون . أي إذا مشين يمشين مشياً رقيقاً لثقل أرادفهن ثم شبههن في تبخترهن بالسكارى في مشيهن .
(٥) القسوت : الإطعام ، والاسم القسوت . تمنعونا : تحمونا من سبي الأعداء إيانا .
(٦) الميسم : الحسن وهو من الوسام والوسامة وهما الحسن والجمال . والحسب : ما يحسب من مكارم الإنسان ومكارم أسلافه .
(٧) كالقلين : أي تطير سواعد المضرابين كما تطير القلة إذا ضربت بالقللة . والقلون : جمع قلة وهي الخشبة التي يلعب بها الصبيان يضربونها بالقللة .
(٨) مسللات : أي في حال استلهاها من أغمارها وقت الحرب . ولدنا الناس . . . أي تحميمهم حماية الوالد لولده .
(٩) يدهدون : يدحرجون . حزاورة : جمع حزور وهو الغلام الغليظ الشديد . الأبطح : المكان المطمئن من الأرض . الكرين : الكرات جمع كرة .

وقد علم القبائلُ من معدٍّ إذا قُبِبَ بأبطحِها بُنيننا
 بأننا المطعمون إذا قَدَرْنَا وأنا المملكون إذا ابتلينا
 وأنا المانعون لما أَرَدْنَا وأنا النازلون بحيث شينا
 وأنا التاركون إذا سَخِطْنَا وأنا الآخذون إذا رَضِينَا
 وأنا العاصمون إذا أُطِعْنَا وأنا العازمون إذا عُصِينَا^(١)
 ونشرب إن وَرَدْنَا الماءَ صفوًّا وبشربٍ غَيْرُنَا كَدْرًا وطينا
 ألا سائلُ بني الطَّمَّاحِ عِنا ودُعْمِيًّا فكيفَ وَجَدْتُمونا
 إذا ما الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا أَيْبِنَا أَنْ نُقِرَّ الذِّلَّ فِينَا^(٢)
 مَلَأْنَا الْبِرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا ونحنُ الْبَحْرُ نَمْلُؤُهُ سَفِينَا^(٣)
 إذا بَلَغَ الرَضِيعُ لَنَا فِطَامًا تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا^(٤)

٢ - أو أن يرى الشاعر أنه لا يلقى من الاحترام والإجلال مثل ما يلقى أمثاله من الأبطال الشجعان ؛ وذلك بسبب فقره ، فهنا تثار عاطفة الشاعر ويتصدى للدفاع عن شرفه المهان : فيفخر بشهامته وشجاعته ، ويؤكد أن في بطولته وأعماله الحربية ما يجعله خيراً من ذوي النسب الرفيع أو الغنى العريض الذي هو خارج عن حدود طاقته ، وليس بيده ما يمكنه من إصلاح هذا النقص ، ويبين أن الفخر الحقيقي لا ينبغي أن يكون لمن هو معمم بخول ، أو ذو ثروة طائلة ، بل يجب ألا يكون إلا للبطال الشجاع الذي تتجلى شخصيته

(١) العازمون : أي نعزم بالعدوان إذا عصينا .

(٢) الحسف : الظلم . السوم : أن تجشم إنساناً مشقة وشرًّا .

(٣) أي ملأنا الدنيا برأ وبحراً فضاق البر عن بيوتنا والبحر عن سفننا .

(٤) يقول : إذا بلغ صبياتنا وقت الفطام سجدت له الجبابرة من غيرنا .

في أشد المواقف وأحلك الأوقات ، ومن تزيّنه صفاته الحسنة ومروءته وشهامته . من ذلك ما كان من عنبرة بن شداد حينما عيّره بعض القوم بأنه « ابن السوداء » لأن أمّه كانت أمة ؛ إذ يقول (١) :

إني امرؤ من خير عبي منصباً شطري وأحمي سائري بالمنصل
إن يلحقوا أكرّر وإن يستلحموا

أشدد وإن يلفوا بضنك أنزل

حين النزول يكون غاية مثلنا ويفرّ كل مضلل مستوهل (٢)
ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل (٣)
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت

ألهيت خيراً من معمم مخول (٤)

وما يقوله طرفه في معلقته :

فلو شاء ربي كنت قيس بن عاصم

ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد (٥)

(١) العقد الثمين : ديوان عنبرة قصيدة ١٦ .

(٢) المضلل : الذي لا يوفق لخير . المستوهل : المفزع .

(٣) الطوى : الجوع . وأظله : أي أظل كذلك جائعاً بالنهار حتى أنال به ما كلا كريماً لا عيب فيه علي .

(٤) أحجمت : فكصت وتأخرت وتهيبت العدو . تلاحظت . نظر بعضهم إلى بعض ، أو لوحظ عليها الإحجام .

(٥) هذان سيدان من سادات العرب معروفان بوفرة المال ونجابة الأولاد وشرف الحسب وعظم النسب .

فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وزارني بنونٌ كرامٌ ، سادةٌ لمُسودٍ^(١)
أنا الرجلُ الضربُ الذي تعرفونه خشاشٌ كراس الحية المتوقد^(٢)
فأليت لا ينفكُ كشحي بطانة لعصبٍ رقيقٍ الشفرتين مُهند^(٣)
حسامٍ إذا ما قمتُ منتصراً به

كفى العودُ منه البدءُ ليس بمعضد^(٤)
أخي ثقةٍ لا يثنني عن ضريبة

إذا قيلَ : مهلاً ، قالَ حاجزُه قدي^(٥)
إذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدّني منيعاً إذا بَلَّتْ بقائمة يدي^(٦)

٣ - أو أن يوجهه إليه أو إلى قومٍ منه شيء من اللوم يرى أنه في غير موضعه ، أو أن يكفر حسن بلائهم ، ولا يقابل بالاعتراف الجميل والشكر ، فتثور عاطفة الشاعر ، وهنا يتصدى لبيان مآثر قومه وسرد أمجادهم ، وما قاموا به من أعمال البطولة والشهامة . من ذلك ما يقوله عامر بن الطفيل^(٧) :

بني عامرٍ غَضُّوا المِلامَ إليكمُ وهاتوا فعدُّوا اليوم فيكم مشاهدي

(١) أي كما يزور السادةُ سيدهم العظيم .

(٢) الضرب : الخفيف اللحم . خشاش : دخل في الأمور بخفة وسرعة . كراس الحية المتوقد : أي في التيقظ والحرارة وسرعة الحركة ، والامتلاء بالأخطار .

(٣) البطانة : ضد الظهارة كأن كشحه بالنسبة للسيف بمنزلة البطانة للظهارة .

(٤) كفى العود منه البدء : أي الضربة الواحدة منه تكفي للقتل ولا تحتاج إلى تكرارها مرة أخرى . المعضد : آلة لقطع الشجر ، ويقصد هنا السيوف الرديء .

(٥) قدي : حسي .

(٦) بَلَّتْ بقائمة يدي : ظفرت به .

(٧) ديوانه ص ١٣٤ قصيدة رقم ١٤ .

ولا تكفروا في النائبات بلاءنا
سلوا تُخبروا عنا غداة أقيصر
وبالكور إذ ثابت حلائب جعفر
لينتزعوا علقماتنا ثم يرتعوا
فأنفذت عبد الله ثم بضربة
تركت صريعاً بالعراء مجذلاً
طمرٌ، وزيد الخيل قد نال طعنة
فذلك ما أعددت في كل ماقط

وما يقوله طفيل الغنوي (٨) :

بني جعفر لا تكفروا حسن سعيينا
ولا تكفروا في النائبات بلاءنا
فنحن منعنا يوم حرس نساءكم

إذا عضكم خطب يا حدى الشدائد
وأيام حسمى أو ضوارس حاشد (١)
إليكم وجاءت خشم للتحاشد (٢)
فأردت قناتي منهم كل ما جد (٣)
وقد خام عنها كل حام وذائد (٤)
ضبيعة إذ نجى شتير بن خالد (٥)
إذ المرء زيد جائر غير قاصد (٦)
كريه وعام للعشيرة آئد (٧)

وما يقوله جرير :

وأثبوا بحسن القول في كل محفل
إذا مسكم منها العدو بكاكل
غداة دعانا عامر غير مؤتل

(١) حسمى : موضعه أو بلد . ضوارس : ما ضربهم من الحرب . حاشد : من همدان .

(٢) الكور : جبل . الحلائب : الجماعات . التحاشد : من الإحشاد وهو الاجتماع والالتفاف .

(٣) العلقاة : المعاش وقوام الحياة . أردت : أهلك . ماجد : شريف .

(٤) خام : ضعف وجبن . الذائد : المانع والمدافع .

(٥) ضبيعة : رجل من عبس . مجذلاً : مصروعاً . العراء : القفر من الأرض .

(٦) طمر : فرس وثوب ، وهو فاعل « نجى » في البيت السابق . جائر : منحرف عن

الطريق .

(٧) الماقط : مضيق الحرب . آئد : مثقل .

(٨) ديوانه ص ٣٧ الأبيات ١٧ - ٣٥ .

دعا دعوة يالَ الجليحاء بَعْدَمَا

رأى عُرْضَ دَهْمٍ صَرَّعَ السَّرْبَ مشعل
فقال اركبوا أنتم حماة لنا بها
فجاءت بفرسان الصباح عوابساً
فأخمشَ أولاهم وألحقَ سربهم
فحامى محامينا وطُرفَ عنهم
رددنا السبايا من نُفيلٍ وجعفر
وراكضة ما تستجنُّ بجذّة
فقلتُ لها لما رأينا الذي بها
فإن كان قومي ليس عندك خبرهم
ومستلحم تحت العوالي حميته
ففرّجتُ عنه الكربَ حتى كأنما
مُشيفٍ على إحدى اثنتين بنفسه
برماحة تنفي الترابَ كأنها
إذا نظرتُ فيها الحفيّة ولولتُ
وكانن كَرَرْنَا من جوادٍ وراءكم

رأى عُرْضَ دَهْمٍ صَرَّعَ السَّرْبَ مشعل
فَطِرْنَا إلى مقصورة لم تُعبَل
سراعاً إلى الهيجا معاً غير عُزَل
فوارِسُ منّا بالقنا المتنخل
عصائبُ منا في الوغى لم تُهلل
وهنَّ حبالى من مُحفٍّ ومُثقل
بغير حلالٍ راجعته مُجعفل
من الشرِّ لا تستوْهلي وتأملي^(١)
فإنَّ سؤالَ الناس شافيكِ فاسألي
مُعَمِّمِ دَعْوَى مُسْتَغِيثٍ مُجَلَّل
تأوى من الهيجا إلى خير مَعْقِل
فُوَيْتَ العوالي بين أشرٍ ومَقْتَل
هَراقةٌ عَقٌّ من شَعِيبِي مُعَجَل
خَنُوفاً بكفيتها بُعِيدَ التَّوَلَّل
وكانن خضبتنا من سنانٍ ومُنْصَل

(٤) لا تستوْهلي : لا تفزعي .

وَكَاثِنٌ كَرَرْنَا مِنْ سَوَامٍ عَلَيْكُمْ وَمِنْ كَاغِبٍ وَمِنْ أُسِيرٍ مُكَبَّلٍ

٤ - أو أن تستنكر حالته ، وتستغرب منظره ، لعدم اعتناؤه به ؛ كأن يرى نحيل الجسم ، صاحب الوجه ، أو أغبر ، أشعث ، أو هندامه غير حسن ، ومظهره غير لائق ، ويرى الشاعر أو يظن أن لذلك أثراً في معاملة الناس له وأنه لا يقابل بما يليق بالبطل الشجاع ، فهنا تتحرك مشاعره ، ثم ينطلق لسانه معدداً ما قام به من أعمال البطولة والشهامة ، وينسب السبب في ظهوره على تلك الحالة إلى انهاكه في الحرب ، وأثرها فيه : ويؤكد أن اهتمامه كان موجهاً كله إلى ما يكفل له الفوز والنصر في القتال ، لدرجة أنه لم يفكر في نفسه ، أو مظهره .

من ذلك ما قاله أبو قيس بن الأسلت حينما رجع من حرب حاطب التي كانت بين الأوس والخزرج ؛ فيروى أن الأوس كانت أسندت أمرها في هذه الحرب إلى أبي قيس ، فانقطع لها ، وبذل فيها مجهوداً عظيماً حتى شحب وتغير ولبت بعيداً عن امرأته مدة طويلة ، ثم جاء ليلة فدى عليها الباب ، ففتحت له ، فأذكرته وقالت : « لم أعرفك » ، حتى تكلم ، فقال (١) :

قالت ولم تقصد لقليل الحنا مهلاً فقد أبلغت أئتماعي (٢)
أنكرته حين توسمته والحرب غول ذات أوجاع (٣)
قد حصت البيضة رأسي فما أطعم غمضاً غير تهجاء (٤)

(١) المفضليات ص ٥٦٤ .

(٢) يريد أنها لم تقصد الحنا بقولها . مهلاً : كفى . والحنا : الكلام الرديء . أئتماعي : جمع سمع .

(٣) أنكرته : شككت فيه . التوسم : التثبيت في معرفة الشيء . الغول : ما اغتال الأشياء وذهب بها .

(٤) حصت البيضة رأسه : أذهبت شعره . غمضاً : نوما . تهجاء : قليل .

أُسْعَى عَلَى جُلِّ بَنِي مَالِكِ كُلِّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعٍ

ثم استمر في قصيدته يفخر بأعماله الحربية وأسلحته ، وصفاته ، ومآثره .
وكثيراً ما يعرض الشاعر بطولته بين يدي محبوبته إذا رأى منها إعراضاً ،
كما حدث من عنتره إذ يقول (١) :

عَجِبْتُ عَبِيلَةً مِنْ فَتَى مَتَبَذِّلٍ

عَارِي الْأَشَاجِعِ ، شَاحِبِ كَالْمُنْصُلِ (٢)

شَعَثِ الْمَفَارِقِ مُنْهَجٍ سِرْبَالَهُ لَمْ يَدَّهْنِ حَوْلًا وَلَمْ يَتَرَجَّلِ (٣)

لَا يَكْتَسِي إِلَّا الْحَدِيدَ إِذَا اكْتَسَى

وَكَذَاكَ كُلُّ مُغَاوِرٍ مُسْتَبْسِلِ (٤)

قَدْ طَالَ مَا لَبَسَ الْحَدِيدَ فَإِنَّمَا صَدَأُ الْحَدِيدِ بِجِلْدِهِ لَمْ يُغْسَلِ

فَتَضَاحَكَ عَجَباً وَقَالَتْ قَوَاةٌ لَا خَيْرَ فَيْكَ كَأَنَّمَا لَمْ تَحْفَلِ

فَعَجِبْتُ مِنْهَا كَيْفَ زَلَّتْ عَيْنُهَا عَنْ مَا جَدَّ يَدَيْنِ شَمْرُ دَلِ (٥)

(١) العقد الثمين : ديوان عنتره ، قصيدة رقم ٢٠ .

(٢) متبذل : لابس المبدل وهو الثوب الخلق . عاري الأشاجع : عروق ظاهر الكف ؛
أي ليس عليها لحم . شاحب : متغير اللون . المنصل : السيف .

(٣) التشعث : التفرق والتلبد . المفارق : جمع مفرق وهو وسط الرأس . منهج سرباله :
بال سرباله . لم يترجل : لم يتمشط .

(٤) المغاور والمغوار : المقاتل كثير الغارات .

(٥) زلت عينها : تحول بصرها . شمر دل : فتى قوي حسن الخلق .

يا عبلُ كم من غمرةَ باشرتُها بالنفسِ ما كادتَ لعمرُكِ تنجلي
 إما تريني قد نَحَلْتُ ، ومَن يكن غَرَضاً لأطرافِ الأسنَةِ يَنَحُلْ
 فربَّ أبلجٍ مثلِ بعلِكَ بادنٍ ضخمٍ على ظهِرِ الجِوَادِ مُهَبِّلٍ ^(١)
 غادرتُهُ متعفراً أوصاله والقومُ بينَ مُجْرَحٍ ومُجَدِّلِ
 فيهم أخو ثقةٍ يضاربُ نازلاً بالمشرفي ، وفارسٌ لم يَنزِلْ

ورماحنا تكفُ النجيعَ صُذُورُها
 وسيوفنا تُخْلي الرقابَ فتختلي ^(٢)
 والهَامُ تَنَدُرُ بالصعيدِ كأنما

تلقى السيوفُ بها رؤوسَ الحنظلِ ^(٣)
 ولقد لقيتُ الموتَ يومَ لقيتهُ مُتَسَرِّبلاً والسيفُ لم يَتَسَرَّبَلِ ^(٤)
 فرأيتنا ما بيننا من حاجزٍ
 إلا المِجَنُّ ونصلُ أبيضَ مقصَلِ ^(٥)

-
- (١) أبلج : طلق الوجه . بادن : سمين . مهبل : كثير اللحم ممتلىء الوجه .
 (٢) تكف النجيع : يسيل منها الدم . تخلي الرقاب : تعزلها عن أجسادها فتنعزل .
 (٣) تندر : تسقط . الصعيد : وجه الأرض ، شبه رؤوس الأعداء برؤوس الحنظل في سهولة قطعها .
 (٤) يريد بالموت هنا : العدو وكان العدو متسرّبلاً . ويريد بالسيف نفسه أي لم يكن هو متسرّبلاً أي ليس عليه درع .
 (٥) يريد أنه لم يكن بينه وبين الموت حاجز إلا المِجنّ وُحد السيوف .

ذكر أشق به الجهاجم في الوغى
وأقول لا تقطع يمين الصيقل^(١)

ولرب مشعلة وزعت رعاها
بمقلص نهدي المراكل هيكل^(٢)
سلس العنان إلى القتال فعينه^(٣) قبلاً شاخصة كعين الأحول^(٤)
وكان مشيته إذا نهته^(٥) بالنكل مشية شارب مستعجل^(٦)
فعليه اقتحم الهياج تقحماً^(٧) فيها وأنقض انقضا الأجدل^(٨)

وقد يكون فخر الشاعر ببطولته ردّاً على إعراض حبيبته عنه بسبب
شبهه وكبر سنه . فيتغنى بذكر ماضيه الخالد المجيد ؛ استمع الى ربعة
ابن مقروم حين يقول^(٦) :

ألا صرمت مودتك الرواع^(٧) وجدّ البين منها والوداع^(٨)
وقالت : إنه شيخ كبير فلجّ بها ، ولم ترع ، امتناع^(٨)

(١) الذكر من الحديد : أيبسه وأشده وأجوده .

(٢) مشعلة : كتيبة مبلوثة منتشرة . وزع : حبس أولهم على آخرهم . الرعال : جمع رعلة
وهي القطعة من الخيل قدر العشرين ، وقيل أولها .

(٣) سلس العنان : سهل القيادة . قبلاً : حواء .

(٤) نهته : زجرته .

(٥) اقتحم الهياج : أرمي بنفسي في الحرب . الأجدال : الصقر .

(٦) المفضليات ص ٣٦١ .

(٧) الرواع : اسم امرأة .

(٨) لج : تمادى . لم ترع : لم تكف ؛ يقال : ورع الرجل لم يرع ، من باب وثق والمصدر

رعة وورعا ، بفتح الواو وسكون الراء ، ومعناه : الكف عن الشيء .

فَإِذَا أُمْسِرَ قَدْ رَاجَعْتُ حَامِي
فَقَدْ أَصِلُ الْخَلِيلَ وَإِنْ نَأَنِي
وَأَحْفَظُ بِالْمَغِيبَةِ أَمْرَ قَوْمِي
وَيَسْعِدُنِي الضَّرِيكَ إِذَا اعْتَرَانِي
وَيَأْبَى النِّمَّ لِي أَنِي كَرِيمٌ
وَأَنِي فِي بَنِي بَكْرٍ بَنُ سَعْدٍ
وَمَلُومٌ جَوَانِبُهَا رَدَاحٌ
شَهِدْتُ طَرَادَهَا فَصَبِرْتُ فِيهَا
وَنَخْصُمُ يَرْكَبُ الْعَوْصَاءَ طَاطٍ
طَمُوحُ الرَّأْسِ، كُنْتُ لَهُ لَجَامًا

وَلَا حَ عَلَيَّ مِنْ شَيْبٍ قِنَاعٌ
وَعِيبٌ عَدَاوَتِي كَلًّا جُدَاعٌ^(١)
فَلَا يُسْدِي لَدَيَّ وَلَا يُضَاعُ^(٢)
وَيَكْرَهُ جَانِبِي الْبَطْلُ الشُّجَاعُ^(٣)
وَأَنْ مَحَلِّي الْقَبْلُ الْيَفَاعُ^(٤)
إِذَا تَمَّتْ زَوَافِرُهُمْ أَطَاعُ^(٥)
تُرْجَى بِالرَّمَاحِ لَهَا شُعَاعُ^(٦)
إِذَا مَا هَلَلَ النَّكْسُ الْيَرَاعُ^(٧)
عَنْ الْمُثَلَّى، غَنَامَاهُ الْقِدَاعُ^(٨)
يُخَيِّسُهُ، لَهُ مِنْهُ صِقَاعُ^(٩)

(١) نَأَنِي : بعد عني . غب عداوتي : عاقبتها . جداع : وخيم وسييء غير مريء .

(٢) يسدي : يهمل ويترك سدى .

(٣) الضريك : المحتاج الضعيف . اعتراني : ألم بي .

(٤) القبل بفتححتين : ما استقبلك من الجبل . اليفاع : المرتفع .

(٥) الزوافر : جمع زافرة وهي الجماعة .

(٦) ملوم جوانبها : كتيبة لمت فجمعت فهي قوية ، رداح : ثقيلة جرارة . ترجى : تساق وتدفع . شعاع : من كثرة بياض الحديد وصفائه .

(٧) هلل : جبن ورجع . النكس : الوغد من الرجال . اليراع : الذي لا جرأة له ولا صبر في الحرب ، شبه باليراعة ، وهي القصبية ، لتجوفها ، فهو خال لا قلب له .

(٨) العوصاء : الخطة الشديدة . طاط : منحرف . غناماه : غايته ومبلغ أمره . القداع : المقاذعة ، وهي المسابة والشتيم .

(٩) يخيسه : يحبس ويكبح جهاحه . له منه : أي من اللجام . الصقاع : حديدة تكون في موضع الحكمة من اللجام .

إذا ما انآد قومه ، فلانت أخذعه، النواقر والوقاع^(١)
وأشعث قد جفا عنه الموالي لقي كالجلس ليس به زماع^(٢)
ضرير قد هنأناه فأمسي عليه في معيشته اتساع^(٣)
وماء آجن الجمات قفر تعقم في جوانبه السباع^(٤)
ورذت وقد تهورت الثريا وتحت وليتي وهم وساع^(٥)

ثالثاً : الرغبة في ذكر الأجداد الحربية :

ذلك حينما يحس الشاعر ميلاً إلى التغني بالبطولة الشخصية والقبلية :
إظهاراً لشرفه وشرف قومه ؛ أو تخليداً لبطولتهم ؛ أو إثباتاً لتفوقهم في
الناحية الحربية والاستعدادات للخطر ؛ أو لبيان عزتهم وقوتهم لكي يرهبهم
الآخرون ؛ أو رغبة في تسجيلها لتكون ذخيرة تلهمهم القوة عند الشدة وتقوي عزيمتهم
عند المحنة ، وتدفع الخلف إلى البطولة والشهامة ، أو حباً في الاستمتاع بهذه الأجداد ،
حينما يكون الشاعر في ساعات النشوة ، إذ يحلو له أن يعدد لذاته وما يحب في
هذه الحياة ، وكثيراً ما تكون أعمال البطولة وذكريات الحرب المجيدة من
لذات المرء في الحياة .

وغالباً ما نجد المرء في أيام هرمه وشيبه يطرب بذكر أجداده الحربية

(١) انآد : تلوى وامتنع . الأخادع : جمع أخدع ، وهو عرق في موضع الحجامه من
الرأس . النواقر : الدواهي . الوقاع : جمع وقعة .

(٢) أشعث : محتاج . الموالي هنا : بنو العم . اللقي : الشيء المطروح . المجلس : الكساء .
الزمام : المضاع في الأمور والعزيمة . جفا عنه الموالي : تركوه ولم ينصروه .

(٣) الضرير : المضرور بمرض أو هزال أو نحو ذلك . هنأناه : أعطيناه .

(٤) آجن : متغير . الجمات : جمع جمة وهو ما كثر من الماء . تعقم : تذهب وتجيء .

(٥) تهورت الثريا : سقطت للغيب ، وإنما تغيب آخر الليل . الولية : ما ولي ظهر البعير
من كساء ونحوه . الوهم : البعير الضخم . الوساع : السريع في السير .

وَقُتْ شُبَابُهُ ، فِيرُدُّهَا فِي شَعْرِهِ غَنَاءً ، تَسْرِي أَلْحَانَهُ فِي جَنْبَاتِ نَفْسِهِ
مَسْرَى الدَّمِ فِي شَرَايِينِ جَسَمِهِ . وَلَكِنَّا قَدْ نَجَّدْ فِي هَذَا الْغَنَاءِ نَغْمَةً تُوْحِي
بِحُزْنِ الشَّاعِرِ الْعَمِيقِ ، وَأَسْفَهُ الشَّدِيدِ لَذَهَابِ الشُّبَابِ الَّذِي كَانَ يَتَمَتَّعُ فِيهِ
بِهَذِهِ الْمَلَذَاتِ :

أَوْدَى الشُّبَابُ الَّذِي مَجَّدُ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلَذُّ وَلَا لَذَّاتٌ لِلشُّيْبِ
يَوْمَانِ : يَوْمَ مَقَامَاتٍ وَأُنْدِيَةِ وَيَوْمَ سِيرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيْبُ^(١)

وَقَدْ يَثِيرُ الرِّغْبَةَ فِي ذِكْرِ الْأَمْجَادِ الْحَرْبِيَةِ سُؤَالُ بَعْضِ النَّاسِ لِلشَّاعِرِ عَنْ
مَجْدِهِ وَمَجْدِ قَوْمِهِ ، فَهِنَا تَهْيِجُ شَاعِرِيَّتَهُ . وَيُرْتَلُّ آيَاتُ مَجْدِهِمُ الْحَرْبِيِّ لِحَنًا
شَعْرِيًّا . وَقَدْ يَكُونُ هَذَا السُّؤَالُ حَقِيقِيًّا ، وَقَدْ يَكُونُ مَفْتَعْلًا ، مِنْ إِجْهَاءِ
الشَّاعِرِ لغيرِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ ، أَوْ مِنْ خِيَالِهِ هُوَ ، عِنْدَمَا تَقْبِضُ شَاعِرِيَّتَهُ بِالْفَخْرِ
بِنَفْسِهِ أَوْ بِقَوْمِهِ ، فَيَتَخِيلُ سَائِلًا يَسْأَلُهُ عَنْ مَجْدِهِمُ الْحَرْبِيِّ ، وَيَتَصَدَّى لِلرَّدِّ
عَلَيْهِ ، قَالَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ^(٢) :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلٌ^(٣)
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَأْتِكْ أَيَّامُنَا فَاسْأَلْ تُنَبِّأُ أَيُّهَا السَّائِلُ
سَائِلُ بَنَانَا حُجْرًا وَأُجْنَادَهُ يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعَهُ الْجَافِلُ^(٤)
يَوْمَ أَتَى سَعْدًا عَلَى مَاقِطٍ وَجَاوَلَتْ مِنْ خَلْفِهِ كَاهِلُ^(٥)

(١) المفضليات ، قصيدة رقم ٢٢ ، ب ١ - ٢ .

(٢) ديوانه ص ٧٢ .

(٣) مسعاتنا : فعلنا وفضلنا ، وأراد « بمسعاتنا » فادخل « عن » مكان الباء .

(٤) الجافل : الهارب المذعور .

(٥) سعداً : هو سعد بن ثعلبة بن كاهل بن أسد بن خزيمه . المأقط : المأزق وهو مضيق

الحرب .

فَأُورَدُوا سِرْبًا لَهُ ذَبْلًا^(١) كَأَنَّهُنَّ اللَّهَبُ الشَّاعِلُ^(٢)
 وَعَامرًا ؛ أَنُ كَيْفَ يَعْلُوهُمْ^(٣) إِذِ التَّقِينَا ، الْمَرْهَفُ النَّاهِلُ^(٤)
 وَجَمَعَ غَسَّانَ لَقِينَاهُمْ^(٥) بِجَحْفَلٍ قَسَطَلَهُ ذَائِلُ^(٦)
 قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ النَّهْيِ^(٧) يَوْمًا إِذَا أَلْفَحَتِ الْحَائِلُ^(٨)
 كَمَ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ أَيْدٍ ذِي نَفَحَاتٍ قَائِلُ فَاعِلُ^(٩)
 مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ ، وَمَنْ فِعْلُهُ فِعْلٌ ، وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ^(١٠)
 الْقَائِلُ الْقَوْلَ الَّذِي مِثْلُهُ يَنْبُتُ مِنْهُ الْبَلَدُ الْمَاحِلُ^(١١)
 لَا يَحْرِمُ السَّائِلَ إِنْ جَاءَهُ وَلَا يُعَقِّي سَيْبَهُ الْعَاذِلُ^(١٢)
 وَالطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَغَى يَذْهَلُ مِنْهَا الْبَطْلُ الْبَاسِلُ^(١٣)

وقال ربيعة بن مقروم^(١٤) :

وَقَوْمِي فَإِنْ أَنْتَ كَذَّبْتَنِي بِقَوْلِي ، فَاسْأَلْ بِقَوْمِي عَلِيمَا
 أَلَيْسُوا الَّذِينَ إِذَا أَزَمَّةُ

أَلَحَّتْ عَلَى النَّاسِ تُنْسِي الْحُلُومَا^(١٥)

(١) الذبل : القنا اليابس .

(٢) المرهف : السيف المحدد . الناهل : العطشان .

(٣) القسطل : الغبار . الذائل : الطوال الذيل لا ينقطع .

(٤) ألفتحت : حملت . الحائل التي أتى حول ولم تحمل .

(٥) يعقي : يحبس ويمنع .

(٦) المفضليات ، ص ٣٥٩ .

(٧) ألحت : لزمت وتتابعت . الحلوم : العقول ؛ ولا ينسى الرجل حلمه إلا شدة الحال .

يُهَيِّبُونَ فِي الْحَقِّ أَمْوَالَهُمْ	إِذَا اللَّزَبَاتُ التَّحَيْنَ الْمُسِيماً ^(١)
طَوَالَ الرِّمَاحِ غَدَاةَ الصَّبَاحِ	ذَوُو نَجْدَةٍ يَمْنَعُونَ الْحَرِيماً ^(٢)
بَنُو الْحَرْبِ يَوْمَ إِذَا اسْتَلَّامُوا	حَسْبَتُهُمْ فِي الْحَدِيدِ الْقُرُومَا ^(٣)
فِدَى بِيْزَاخَةٍ أَهْلِيْ لَهُمْ	إِذَا مَلَّأُوا بِالْجُمُوعِ الْحَزِيماً ^(٤)
وَإِذْ لَقِيتُ عَامِراً بِالنِّسَاءِ	رِ مِنْهُمْ وَطِخْفَةً يَوْمَ غَشُومَا ^(٥)
بِهِ شَاطَرُوا الْحَيِّ أَمْوَالَهُمْ	هَوَازِنَ ، ذَا وَفَرِهَا وَالْعَدِيماً ^(٦)
وَسَاقَتْ لَنَا مَذْحِجٌ بِالْكُلَّابِ	مَوَالِيَهَا كُلَّهَا وَالصَّمِيماً ^(٧)
فَدَارَتْ رَحَانَا بِفُرْسَانِهِمْ	فَعَادُوا ، كَأَن لَّمْ يَكُونُوا ، رَمِيماً ^(٨)
بَطْعِنَ يَجِيْشُ لَهُ عَانِدٌ	وَضَرَبَ يُفَلِّقُهَا مَا جُثُومَا ^(٩)

(١) يهيبون في الحق أموالهم : أي ينفقون أموالهم في الحقوق التي تعثرهم ، من قرى ضيف ، ومنحة ، ودية . اللزبات ، بفتح الزاي : جمع لزبه بسكون الزاي وهي القحط . التحين : قشرن ، من لحوت العود ولحمته إذا قشرت ما عليه من اللحاء . المسيم : صاحب الإبل والغنم .

(٢) النجدة : الرفعة في كل أمر . الحريم : ما يجب عليهم منعه .

(٣) استلأموا : لبسوا الألة وهي السلاح . القروم : فحول الإبل .

(٤) بزاخة : موضع . الحزيم والحزم من الأرض : الصلب منها .

(٥) النصار وطخفة : موضعان . الغشوم : الظالم .

(٦) شاطروا : أخذوا الشطر وهو النصف . الوفر : المال الكثير . العديم : المقل .

به : أي باليوم المذكور .

(٧) الموالي هنا : الحلفاء . الصميم : الصريح الخالص في النسب . الكلاب : موقعة الكلاب

التي كانت بين مذحج وتميم .

(٨) عادوا رميما : صاروا عظاماً بالية .

(٩) يجيش : يفور لكثرته . العاند : ما عند من الدم أي سال . الجثوم : جمع جاثم

وهو اللازم مكانه لا يبرح .

وَأَضَحْتُ بِتَيْمُنٍ أَجْسَادُهُمْ يُشَبِّهُهَا مَنْ رَأَاهَا الْهَشِيمَا ^(١)
 تَرَكْنَا عُمَارَةَ بَيْنَ الرَّمَامِاحِ عِمَارَةَ عَبْسٍ نَزِيفًا كَلِيمَا ^(٢)
 وَلَوْلَا فَوَارِسُنَا مَا دَعَتْ بِذَاتِ السَّلِيمِ تَمِيمٌ تَمِيمَا ^(٣)
 وَمَا إِنْ لِأَوْثَبَهَا أَنْ أُعَدَّ مَآثِرَ قَوْمِي وَلَا أَنْ أُلُومَا ^(٤)
 وَلَكِنْ أَذْكَرُ آلَاءِنَا حَدِيثًا وَمَا كَانَ مِنَّا قَدِيمَا ^(٥)
 وَدَارٍ هَوَانٍ أَتَقْنَا الْمَقَامَ بِهَا فَحَلَلْنَا مَحَلًّا كَرِيمَا
 إِذَا كَانَ بَعْضُهُمْ لِلْهَوَانِ خَلِيطَ صَفَاءٍ وَأُمًّا رَغُومَا ^(٦)
 وَثَغْرِ مَخُوفٍ أَقْمَنَا بِهِ يَهَابٌ بِهِ غَيْرُنَا أَرْ يُقِيمَا ^(٧)
 جَعَلْنَا السُّيُوفَ بِهِ وَالرَّمَامَ مَعَاقِلَنَا وَالْحَدِيدَ النَّظِيمَا ^(٨)

(١) تيمن ؛ بفتح الميم وضمها : موضع . الهشيم : ما يبس وتكسر من ورق الشجر .

(٢) نزيف : كليم . فعيل بمعنى مفعول ، والكليم : الجرح . عِمَارَةُ عَبْسٍ : هو عِمَارَةُ ابن زياد العبسي وهو أحد الكلمة الأربعة أولاد فاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، وهم : عِمَارَةُ والربيع وأنس وقيس أبناء زياد العبسي .

(٣) ذات السليم : موضع كان به يوم من أيامهم .

(٤) أَوْثَبَهَا : أَخْزَيْهَا وَأَفْضَحَهَا ؛ وَأَبَتْ فَلَانًا : أَخْزَيْتَهُ ، وَالْإِبَةِ بِكسر الهمزة وفتح الباء : العار وما يستجيا منه . يقول : لست أعد مآثر قومي لأخزي هذه ،

(٥) الْآلَاءُ : النعم والأفضال .

(٦) الرءوم : التي تعطف على ولدها وتحبه .

(٧) الثغر : موضع المخافة .

(٨) المعاقل : جمع معقل وهو الحرز . النظيم : المنظوم .

وجرداً يقرُّ بن دون العيالِ خلال البيوتِ يَلْكُن الشُّكيا^(١)
تُعَوِّدُ في الحرب أن لا براحَ إذا كَلَّمَتْ لا تشكِّي الكُلوما^(٢)

(١) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . يقر بن دون العيال : يؤثرون ويفضلون بالإكرام . يلكن : يعضن . الشكيم : لسان اللجام .

(٢) الكلوم : الجروح ؛ يقول : إذا جرحت صبرت ولم تبرح .

الفصل الثالث

الهجاء والتوبيخ

قبل أن نبدأ في تحليل ما قاله الجاهليون في ذلك من شعر الحرب ، نحب أن نلاحظ ملاحظتين :

الأولى : أن ما سيبحث في هذا الفصل هو ما يخاطب به الشاعر قوماً معينين من أعدائه ، لا كل ما تحدث به الشعراء عن أعدائهم ، وإلا لشمّل ما ذكر عن الإيقاع بالأعداء في باب الفخر . فما مر هناك كان الشعر الذي لم يقصد به الشاعر قوماً بالذات أي لم يوجه لهم الشعر بصيغة الخطاب ، أو ذكر بصيغة عامة : أما الذي ذكر هنا فهو الشعر الذي استعمل فيه الشاعر صيغة الخطاب إلى قوم معينين ذكر أسماءهم في شعره .

الثانية : نقصد « بالهجاء » هنا تلك الصفات التي ذم بها الشاعر أعداءه من غير أقاربه . ونريد « بالتوبيخ » تلك التي لم يستحسنها من خصومه الذين هم من عشيرته .

ومن المجموعة التي أحصيناها وعددها ٥٠٨٠ بيتاً وجدنا أن هناك ٥٥٩ بيتاً في الهجاء والتوبيخ ؛ منها ٣٠٤ في الهجاء ، ٢٥٥ في التوبيخ .

وقد تحدث الشعراء في ذلك عن المثالب الحربية التي تصور الأعداء

والخصوم بصورة غير مستحسنة ، ومن دراسة ما قاله الشعراء الجاهليون نجد أن كلا من الهجاء والتوبيخ كان يدور حول النقط الأساسية الآتية :

١ - تجردهم من البطولة :

وهذا يشمل الصفات التي تتناقض مع صفات البطل الحقيقي ، وتصور العدو بصورة من لا شهامة عنده ولا مروءة . وهنا نجد الشعراء يذمون الأعداء بأن كلاً منهم أحمق ، كثير الجهل ، شتّام الكرام ، لا رأي له ، تابع للناس ، غير كريم ، معاود للشرح والقبیح ، متعود للقهر والذل ، يفخر بالباطل ، ليس أهلاً لأن يقتل في ثار ، غادر يكفر النعمة ، فلا يجازي من أحسن إليه ، لا حمية عنده ، لا يحمي جاره ، بل يغدر به ، ولا يفي لمن استعان به أو اعتمد عليه ، ولا يدافع عن الحمى ، ولا يحافظ على الشرف والكرامة ، كل هم الراحة والمتعة الجسمية والملذات الوضيعة التي تكسبه المهانة والاحتقار ، وتقعد به عن المجد والاحترام .

ويوبخ الأقارب بما يدمغهم بالسفه ، ومجانبة الطريق الصحيح ، كأن يرموا بأنهم قعدوا عن نصره قومهم أو أحجموا عن الاشتراك معهم في الحرب أو أثاروا حرباً على نفر من العشيرة ، أو تعدوا عليهم ظمناً وعدواناً ، أو دَعَوْا قوماً أجنب لقتال قومهم ، أو تحاملوا على ذوي قرابتهم ، أو خالفوا أمر الرئيس ، أو رأي القبيلة الجماعي .

وكثيراً ما نجد الشاعر هنا يُعرض بالذين لم يشتركوا مع قومهم في القتال بأنهم ليسوا أهل حرب ، ويرميهم بحب الحياة ، والخوف من الحرب حرصاً على آجالهم ، ويؤكد لهم أن ذلك لن يمنع عنهم الأجل المحتوم ، وقد يتهمهم بهم ، فيذكر قوماً آخرين ، مشيداً ببطولتهم وشجاعتهم ، ويتمنى أن لو كان له مثلهم .

٢ - الايقاع بهم :

وذلك يشمل ما حدث للأعداء من خسارة في الأموال والأرواح أو نيل للشرف والكرامة ، ووصف ذلك بما يزيد النفس المأ وغماً ، نكابة وسخرية بهم . فمن ذلك مثلاً أن يذكر أن الأعداء قد حل بهم ما حل بالأمم السابقة كعاد وثمود ، فهلكوا وصاروا كأن لم يكونوا ، وأن للقتلى كانوا يمجثون من دم الجوف النجيع ، وسقطوا على الرمال دون أن توسد خدودهم ، وتركوا وحدهم ، حيث لا قريب معهم ، ولا صديق يحنو عليهم أو يأسو جراحهم ، أو يقبرهم فيواري سوءاتهم ، بل ظلوا جزراً للسباع والطيور الجارحة . وقد يزيد الشاعر في ألم الهجاء بأن يرمي أعداء بأنهم قتلوا لا لدم أو لثأر ولكن للؤمهم وهوانهم وخسة أصلهم .

وذموا بأخذ الأسرى والسبايا قسراً ؛ وسوقهم خزايا ، وحملهم على صعود الهضاب ، وهبوط الوديان في شدة القيظ ، مكبلين بالقيود والأغلال ، واتخاذ السبايا للخدمة ، وامتهانهم .

وهَجَّوْا كذلك بتجريد الأعداء من أموالهم وأسلحتهم ومعداتهم وأخذها أسلاباً وغنائم .

٣ - الضعف والجبن :

ويدخل في ذلك ما ذم به الشعراء أعداءهم وخصومهم بما يصفهم بعدم الشجاعة ، وخور العزيمة : كأن يرموا بأنهم غير أقوياء يحجمون عن القتال ، ولا يستطيعون مواجهة الأبطال ، يقبعون في بيوتهم ويتحصنون بأجامهم ونسائهم ، أذلاء ، قتلهم سهل ، كالغنم التي يذبحها الشاربون ورؤوسهم هينة القطع كأنها حنظل ، لا يأبه بهم الناس ، وهم يخافون غيرهم ، لا يرعون إلا في ديارهم لقلة حيواناتهم وضعفهم عن حمايتها ، يخشون المشي في الفضاء ، ويهاجمهم العدو في ديارهم ، وهم فوضى لا نظام عندهم ، ضعاف مع كثرة عددهم ، وعند الشدة يرتبكون ، فيضلون سبيل الرشاد ، يثنون من الحرب ويشعرون

بثقلها ، ويتجنبون الدخول فيها ، لا غناء عندهم في الحرب ولا كفاية ، ولا خبرة لهم بها .

٤ - الفرار :

ويدخل في ذلك ما يذم به الشاعر أعداءه بعدم الصبر ، والهرب من الميدان ، ورمي الأسلحة ، وترك القتلى مصرعين والجرحى يئنون . ولزيادة الألم في الهجاء بالفرار نرى الشاعر يسخر من عدوه بأنه لولا فراره للاقى أسوأ العواقب ، ثم يحثه على الشكر والاعتراف بالجميل لفرسه الشديدة السرعة ، ويحذره من كفران صنيعها .

٥ - الخزي والعار :

وذلك يشمل ما يصم الأعداء بالذلة والحقارة ، كأن يرمي الشاعر أعداءه بالهزيمة ، وسيادة غيرهم عليهم ، وتفريقهم في الأرض وخطم أنوفهم ، واسوداد وجوههم وخفض رؤوسهم ، وصيرورتهم عبيداً ، وانتشار أخبارهم السيئة ، وسرد أيامهم التي انهزموا فيها .

وهذا جدول يبين عدد الأبيات التي قبلت في كل نقيصة للهجاء والتوبيخ :

المجموع	عدد الأبيات		النقيصة	
	التوبيخ	الهجاء		
٢٤١	١٥٦	٨٥	التجرد من البطولة	١
١٢٨	٢٩	٩٩	الإيقاع الم	٢
٦٧	٢٤	٤٣	الضعف والجن	٣
٧١	١٥	٥٦	الفرار	٤
٥٢	٣١	٢١	الخزي والعار	٥
٥٥٩	٢٥٥	٣٠٤	المجموع الكلي	

أما عدد المرات التي كررت فيها كل نقيصة من هذه النقائص في الهجاء والتوبيخ فيوضحها الجدول التالي :

المجموع	عدد المرات		النقيصة
	التوبيخ	الهجاء	
٨٢	٣١	٥١	١ التجرد من البطولة
٥٧	١٣	٤٤	٢ الإيقاع بهم
٤٧	١١	٣٦	٣ الضعف والجبين
٣٦	٦	٣٠	٤ الفرار
٢٧	٩	١٨	٥ الخزي والعار
٢٤٩	٧٠	١٧٩	المجموع الكلي

دوافع الهجاء والتوبيخ :

كان الشاعر يذم أعداءه وخصومه بسبب التنافس ، أو العداوة ، أو حدوث حرب بينه وبينهم . فكان يرميهم بالهجاء والتوبيخ ، شماقه فيهم ، وتسجيلاً لما حدث لهم من الخزي والعار . وقد يذم معهم قوماً خيبروا ظنه ولم يحققوا أمله فيهم ويمكن أن يقال إن الشاعر كان يُدفع للهجاء بأحد الأسباب المباشرة الآتية :

(أ) الرغبة في إضعاف الروح المعنوية للعدو :

كانت العداوة بين القبائل ، والخصومة والتنافس بينهم على الشهرة والسيادة والمجد تثير الإحن والأحقاد ، وتلهب المشاعر والإحساسات ، وهنا كان الشاعر يستغل موهبته الشعرية في إضعاف الروح المعنوية للأعداء ، وبث التخاذل والخور في نفوسهم ، فيثيرها حرب أعصاب ضدهم ، سلاحها اللسان

والكلام ، وقد يكون أثرها أشد وأقوى من الحديد والنار .

من ذلك مثلاً ما كان من عبيد بن الأبرص في العداوة التي كانت بين بني أسد وكندة . ومما وجهه في أثناء ذلك إلى منافسه امريء القيس بن حجر الذي قتله أسد قوله ^(١) :

وَأَنْتَ امْرُؤُ أَهْلِكَ دُفٌّ وَقَيْنَةٌ فَتُصْبِحُ مَخْمُوراً وَتُتْسِي كَذَلِكَ
عَنِ الْوَتْرِ حَتَّى أَدْرِكَ الْوَتَرَ أَهْلُهُ وَأَنْتَ تَبْكِي إِثْرَهُ مُتَهَالِكاً ^(٢)
فَلَا أَنْتَ بِالْأُوتَارِ أَذْرَكْتَ أَهْلَهَا وَلَمْ تَكْ إِذْ لَمْ تَنْتَصِرْ مُتَاسِكاً ^(٣)
وَرَكْضُكَ لَوْلَاهُ لَقِيتَ الَّذِي لَقُوا فَذَاكَ الَّذِي أَنْجَاكَ مِمَّا هُنَا لِكَ
ظَلَلْتُ تُغْنِي إِنْ أَصَبْتَ وَلَيْدَةً كَأَنَّ مَعْدَأً أَصْبَحْتَ فِي حِبَالِكَ

(ب) رد الكيد في نخور المعتدين :

الاعتداءُ جُرمٌ شنيعٌ ، والظلمُ شرٌ بغيضٌ ، وكلاهما تأباه النفوس الكريمة ، ومحاربتُهُ أمرٌ تحتمهُ الأنفة والعزة والإباء ، والإيقاعُ بالمعتدين والظالمين ، شرفٌ كبيرٌ ، ونصرٌ عظيمٌ ، يشيعُ البهجةُ في النفوس ، ويبعثُ الفرحَ في كلِّ مكانٍ ، فيثيرُ العواطفَ ، ويحركُ ألسنةَ الشعراءِ المنتصرين ، مفتخرين بما نالوه من فوزٍ ، أو دامين الأعداءِ لحقهم ، مسرورين بما لحقهم جزاءُ الظلمِ والعدوانِ .

فعندما انتصر بنو يربوع (من تميم) على الهجوم المشترك الذي شنته عليهم قبلتا عامر بن صعصعة وحسان بن كبشة اليمني (من كندة) في يوم ذي نجب ، قال أوس بن غلفاء الهجيمي يهجو يزيد بن الصعق أحد قواد الأعداء المنهزمين وكان قد ضُرب على رأسه في ذلك اليوم ^(٤) :

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ، ٥٣ ، الأبيات ١٤-١٨ .

(٢) الوتر مثل الذحل ، وهو الحق يكون للرجل من دم أو غيره .

(٣) يقول : إنك لم تكن متاسكاً إذ لم تنتصر .

(٤) المفضليات ، ص ٧٥٧ .

وَجَدْنَا مَنْ يَقُودُ يَزِيدُ مِنْهُمْ
فَأَجْرٍ يَزِيدُ مَذْمُومًا أَوْ انْزِعَ
كَأَنَّكَ عَيْرٌ سَالِثَةٌ ضَرُوطٍ
وَإِنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُواكَ شَيْخًا
وَإِنَّكَ مِنْ هَجَاءِ بَنِي تَمِيمٍ
هُمْ مَثُوا عَلَيْكَ فَلَمْ تُشَبِّهْهُمْ
وَهُمْ تَرَكَوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى
وَهُمْ ضَرَبُوكَ ذَاتَ الرَّأْسِ حَتَّى
إِذَا يَأْسُونَهَا نَشَزَتْ عَلَيْهِمْ
فَمَنْ عَلَيْكَ أَنَّ الْجِلْدَ وَارَى

ضَعُفَ الْأَمْرِ غَيْرَ ذَوِي نِظَامٍ
عَلَى عُلْبٍ بِأَنْفِكَ كَالْحِطَامِ^(١)
كَثِيرُ الْجَهْلِ شَتَامُ الْكِرَامِ^(٢)
تُهَوِّكَ بِالنَّوَكَةِ كُلِّ عَامٍ^(٣)
كَمْزِدَادِ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ^(٤)
فَتِيلًا غَيْرَ شَتَمٍ أَوْ خِصَامٍ
رَأَتْ صَقْرًا وَأُشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ^(٥)
بَدَتْ أُمُّ الدِّمَاغِ مِنَ الْعِظَامِ^(٦)
شَرُّ نَبْثَةٍ الْأَصَابِعِ أُمُّ هَامٍ^(٧)
غَشِيثَتَهَا وَإِحْرَامُ الطَّعَامِ^(٨)

- (١) العلب : أن تؤخذ حديدة أو نحوها فيقشر بها الأنف حتى يبدر العظم . يقول : أجر على عدواتنا ، أو أكفف على صغر ، معلوب الأنف .
- (٢) السالئة : المرأة التي تسلاً السمن .
- (٣) التهوك : التحير والتردد . أو السقوط في هوة الردى . النواكة : الحق .
- (٤) الغرام : الشر الدائم .
- (٥) الحباري : طير بري ، يدعى دجاجة البر ، يسبح وقت الخوف .
- (٦) ضربه ذات الرأس : أصاب أم رأسه . أم الدماغ : الجلدة التي تحيط بالدماغ وتجمعه .
- (٧) يأسونها : يعالجونها . نشزت : ارتفعت . شرنبثة : غليظة . الهام : جمع هامة ، وهي الطائر الذي يزعمون أنه يخرج من رأس القليل . يقول كأننا تطلع عليهم من الشجرة هامة عظيمة غليظة الأصابع يهول منظرها ، وجعلها أم هام تهويلاً لكبرها .
- (٨) غشيثتها : ما فسد منها . إحرام الطعام : منعه من شرب الماء ، وكانوا يمنعون من به جرح وترجي حياته أن يشرب الماء لئلا تنتفض جراحه فيموت .

وَهُمْ أَدَّوْا إِلَيْكَ بَنِي عِدَاءِ^(١) بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ وَبِشَرٍّ ذَامٍ^(٢)
وَحَيِّي جَعْفَرٍ وَالْحَيَّ كَغَبَاً^(٣) وَحَيَّ بَنِي الْوَحِيدِ بِلَا سَوَامٍ^(٤)
فَإِنَّا لَمْ يَكُنْ ضَبَاءٌ فِينَا^(٥) وَلَا ثَقْفٌ وَلَا ابْنُ أَبِي عِصَامٍ^(٦)
وَلَا فَضْحُ الْفُضُوحِ وَلَا شَيْمٍ^(٧) وَلَا سُلْهَاتُكُمْ صَمَّى صَمَامٍ^(٨)

وفي يوم الرِّقَمِ أغارت عامر على غطفان فانتصر الغطفانيون ، وانهزمت
عامر شر هزيمة ، فانتحر بعضهم خشية أن يمثل به ، وهرب آخرون لا يلوون
على شيء . فقال سلمة بن الخرشب الأنماري يهجوهم ويتهم بأفعالهم^(٥) :

إِذَا مَا غَدَوْتُمْ عَامِدِينَ لَأَرْضِنَا^(٦) بَنِي عَامِرٍ فَاسْتَظْهِرُوا بِالْمَرَاتِرِ^(٧)
فَإِنْ بَنِي ذُبْيَانَ حَيْثُ عَهْدُتُمْ^(٨) بِجَزْعِ الْبَتِيلِ بَيْنَ بَادٍ وَحَاضِرٍ^(٩)
يَسُدُّونَ أَبْوَابَ الْقِيَابِ بِضُمِّرٍ

إِلَى عُنَنِ مَسْتَوْثِقَاتِ الْأَوَاصِرِ^(١٠)

(١) الأفوق : سهم ذهب فوقه ، وهو موضع الوتر من السهم الناصل : الذي ذهب نصله .
ذام : ذم .

(٢) السوام : الإبل الراعية .

(٣) ضباء : رجل من بني أسد كان جاراً لبني جعفر . فقتله بنو أبي بكر بن كلاب غدراً ،
فلم يدرك بنو جعفر بتأثره ولم يدوا ديته .

(٤) هذه أعلام رجال . صمي صمام : يقال للدامية « صمي صمام » أي زيدي .

(٥) المفضليات ص ٢٩ .

(٦) بنو عامر : هم بنو عامر بن صعصعة . المراتر : الحبال ، لأنها تمر أي تفتل . يقول إذا
أردتم الغارة علينا فاحملوا معكم حبلاً لتخنقون بها أنفسكم ، يشير إلى أن الحكم بن الطفيل ، خاف
أن يؤسر لما هزم قومه ، فخنق نفسه بحبل .

(٧) الجزع : منحني الوادي . البتيل : جبل بنجد . أي متى شئتم فاقصدوا ، فإننا في
الموضع الذي عهدتونا فيه ، وكلنا هناك ، بادينا وحاضرنا .

(٨) عنن : جمع عنة ، كغرفة ، وهي حظيرة من شجر تجعل فيها الخيل لتقيها البرد .
الأواصر جمع آصرة ، وهي حبل صغير تشد به الدابة .

- وَأَمْسُوا حِلَالاً مَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ عَلَى كُلِّ مَاءٍ بَيْنَ فَيَدُوسَاجِرُ^(١)
 وَاصْعَدَتِ الْخُطَّابُ حَتَّى تَقَارَبُوا
 عَلَى خَشْبِ الطَّرَفَاءِ فَوْقَ الْعَوَاقِرِ^(٢)
 نَجُوتَ بِنَصْلِ السَّيْفِ لَا غِمْدَ فَوْقَهُ
 وَسَرَجٍ عَلَى ظَهْرِ الرَّحَالَةِ قَاتِرِ^(٣)
 فَأَثْنُ عَلَيْهَا بِالذِّي هِيَ أَهْلُهُ
 وَلَا تَكْفُرْنَهَا ، لَا فَلَاحَ لِكَافِرِ^(٤)
 فَلَوْ أَنَّهَا تَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ أُدْرِكْتُ وَلَكِنهَا تَهْفُو بِتَمْثَالِ طَائِرِ^(٥)
 خُدَارِيَّةٍ فَتُخَاءُ أَلْتَقَ رِيشَهَا سَحَابَةٌ يَوْمَ ذِي أَهَاضِيبِ مَاطِرِ^(٦)
- (ح) خذلان الأعوان :

- إن عدم الوفاء بالالتزامات ، ونقض العهود ، والقعود عن نصره الحليف ،
- (١) الحلال : جمع حلة بالكسر ، وهي مائة بيت أو مائتان . قيد وساجر : موضعان . أي أمسوا كثيراً ليس فيهم غريب .
- (٢) أصعدت : أبعدت في الأرض . الخطاب : الذين يجمعون الخطب . والطرفاء : شجر . العواقر : سميت بها الرمال العظيمة لأنها لا تثبت شيئاً . يريد أنهم من عزهم وقوتهم أبعدوا حتى تجاوزوا بلادهم في طلب الخطب ، فبلغوا العواقر آمنين .
- (٣) يخاطب عامر بن الطفيل . الرحالة : فرسه . السرج الفاتر : الجيد الوقوع على ظهر الدابة لا يعقر ، ليس بصغير ولا كبير .
- (٤) أثن على فرسك إذ نجتك . الكافر : السائر للنعمة والإحسان .
- (٥) تهفو : تسرع ، شبه فرس عامر بالطائر ، ليعظم شأنها ، فيكون ذلك أعذر لحيله إذ لم تلحقها .
- (٦) خدارية : بدل من طائر ، والعقاب الخدارية : التي يضرب لونها إلى السواد والغبرة . والفتخاء : اللينة الجناح . الأهاصيب من المطر : دفعات منه . جعل هذه الفرس كالعقاب التي أصابها هذا المطر فهي تبادر إلى وكرها .

أفعال تستشيط غضب الحليم ، وتبعث الغيظ والألم ، وتطلق الألسنة ضد مرتكبيها بالذم والهجاء. من ذلك مثلاً ما حدث يوم الكلاب الأول حين قعد بنو حنظلة عن نصره شرحبيل ، وفروا عنه . فقال امرؤ القيس يهجوهم^(١) :

أَحْنِظْ لَوْ حَامَيْتُمْ وَكُرَّمْتُمْ لَا ثَنِيْتُ خَيْراً صَادِقاً وَلَا رِضَانِي
وَلَكِنْ أَبِي خَذَلَا نُكْمٌ فَافْتَضَحْتُمْ وَخَبَشْتُمْ مِنْ سَعْيِكُمْ كُلَّ إِحْسَانِ
وَقَدْ كَانَ أَصْفَاكُمْ بِأَخْلَصِ وُدِّهِ عَلَى غَيْرِكُمْ فَكُنْتُمْ شَرَّ خُلَصَانِ
وَكَمْ مَطَرَتْ كَفَّاهُ مِنْ فَضْلِ نَائِلِ

لَهُ فِيكُمْ فَاشٍ ، وَكَمْ فَكٌّ مِنْ عَانِ
أَحْنِظْ لَا شُكْرٌ بِصَالِحِ فِعْلِهِ وَلَا عِفَّةٌ إِذْ نَصَرَكُمْ خَاذِلٌ وَإِنْ
فَأَلْفَيْتُمْ عِنْدَ الْجَوَارِ أَذَلَّةً وَعِيدَا نُكْمٌ فِي الْجَهْدِ أَخَوَرُ عِيدَانِ
أَحْنِظْ هَذَا ذِكْرٌ مَا قَدْ فَعَلْتُمْ وَأَجْلَوْلُكُمْ وَجْهَ الْحَدِيثِ بِتَبْيَانِ
سَأَوْ قَدْ حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ غَدْرَكُمْ بِمَشْهُورَةٍ فَوْقَ الْعِلَاءِ بِنِيرَانِ
وَأُتُّمُ بِبَلَاغْنِهِمْ وَلَا بِسَلَامَةٍ فَيَا شَرَّ أَتْبَاعٍ ، وَيَا شَرَّ إِخْوَانِ

(د) فخر أو هجاء سابق :

لقد كان فخر الشاعر الذي انتصرت قبيلته ، أو هجاؤه للأعداء المهزومين يثير شعراءهم ، ويلهب عواطفهم ، فيضطرون للرد عليه بهجاء أشد وآلم إن استطاعوا ، تجمع فيه سيئاتهم ونخازيمهم ، وتسرد مآسيهم ، ويعدد ما نالهم من هزائم في أيام سابقة .

من ذلك ما كان من عامر بن الطفيل حين انهزم قومه من قبيلة عامر في

(١) شرح النقائض ص ٤٣٦ .

يَوْمَ الرُّقْمِ وَافْتَخَرْتَ غُطْفَانِ بِانْتِصَارِهَا ، وَهَجَّوْا بَنِي عَامِرٍ ، فَقَالَ عَامِرُ بْنُ
الطَّفِيلِ يَرِدُ عَلَيْهِمْ ^(١) :

أَفَرِحْتَ أَنْ غَدَرَ الزَّمَانُ بِفَارِسٍ
قُلَحَ الْكَلَابِ وَكُنْتُ غَيْرَ مُغْلَبٍ ^(٢)
يَا مُرَّ قَدْ كَلَبَ الزَّمَانُ عَلَيْكُمْ
وَنَكَاتُ قَرَحَتِكُمْ وَلَمَّا أَنْكَبَ ^(٣)
وَتَرَكْتُ جَمْعَهُمْ بِلَابَةٍ ضَرَّغِدٍ ^(٤)
وَلَقَدْ أَبَلْتُ الْخَيْلَ فِي عَرَصَاتِكُمْ
وَسَطَ الدِّيارِ بِكُلِّ خِرْقٍ مُحْرَبٍ ^(٥)
وَشَفَيْتُ نَفْسِي مِنْ فَرَاةٍ إِنَّهُمْ
أَهْلُ الْفَعَالِ وَأَهْلُ عِزٍّ أَغْلَبَ ^(٦)
وَلَقَدْ فَخَرْتُ بِبَاطِلٍ عَدَدَّتْهُ
فَإِذَا أَتَيْتَ بِيوتَ قَوْمِكَ فَأَحْسَبُ ^(٧)
فَلْتُخَبِّرَنَّكَ فَاقِدٌ عَنْ شَجْوِهَا
حَذِلٌ مَدَامِعُهَا بِدَمْعٍ سَيَكَبُ ^(٨)

(١) ديوانه ص ١١١ .

(٢) القلح : بفتح القاف واللام : صفرة تعلو الأسنان ، يقال : رجل أقلح . وامرأة قلحاء ،
وقوم قلح . ونصب « قلح الكلاب » على السب والشتم ، أو على النداء .

(٣) كلب : اشتد وأظهر تغيراً وعبوساً . نكات قرحتكم : قشرت عنها القشرة التي
تعلوها . لما أنكب : لم تلحقني نكبة .

(٤) اللابة : الحرة . ضرغد : موضع أو بلد . جزر السباع : لحم لها كما يجزر البعير .
أهدب : طويل الأهداب .

(٥) أبليت الخيل في عرصاتكم : قدتها إليكم حتى داست دياركم وبالت فيها . الخرق ، بكسر
الحاء ، الذي يتخرق بالمعروف . والمهرب : صاحب حرب .

(٦) الأغلب : الغليظ الضخم .

(٧) يقول : أنت تفخر بما لا أصل له .

(٨) الحذل بفتح الحاء والذال : سقوط الشعر من جفن العين من البكاء . الشجو : الحزن .

ولقد لحقت بخيلنا فكرهتها

وصدّدت عن خيشومها المستكلب^(١)

فبني فزارة قد علون بكلّكل

والحيّ أشجع قد رمين بمنكب^(٢)

غادرن منهم تسعة في معرك وثلاثة قرنهم في المشعب^(٣)

أما اللوم أو التوبيخ للأقارب ، فكان الشاعر يدفع إليه عندما يحدث منهم شيء يتنافى مع قوانين القبيلة من الاتحاد والإخلاص بعضهم لبعض ، والتعاون ، والوقوف صفاً واحداً ضد العدو ، والثبات للدفاع عن شرف القبيلة ، والالتفاف حول الرئيس ، والانقياد لرأي الجماعة ، واتباع ما ينصح به ذوو الرأي من المجريين المخلصين .

ومن ثم كانت الشاعر يلوم ويوبخ بعض فروع العشيرة في مثل الظروف الآتية :

(أ) إذا انثلم اتحاد العشيرة ، كأن لا يشترك رأس أو فرع معين مع مجموع العشيرة في حربهم الأعداء ؛ كما حدث حينما قامت حرب البسوس بين بكر وتغلب واعتزلها الحارث بن عباد ، فقال^(٤) سعد بن مالك البكري ، يعرض بالحارث ويعيره باعتزاله الحرب .

(١) خيشومها : أنفها ، وخيشوم كل شيء : ما تقدم منه ، يريد لحقت أوائل الخيل فوليت عنها وفررت .

(٢) الكلّكل : الصدر ، وهو معظم القوم ، أي ألقوا عليهم أثقالهم .

(٣) غادرن : تركن وخلفن . في معرك : في موضع اعتراك يعني موضع القتال . يقصد : قتل هؤلاء التسعة هناك ، وأسر ثلاثة قرنوا في حبل . المشعب : الموت ، واسم الموت : شعوب ، بلا ألف ولا م ولا صرف ، كأنه قال : شدوا في حبل فاسلموا إلى الموت .

(٤) شعراء النصرانية ص ٢٦٤ .

ولقد لحقت بخيلنا فكرهتها

وصدّدت عن خيشومها المستكلب^(١)

فبني فزارة قد علون بكلّكل

والحيّ أشجع قد رمين بمنكب^(٢)

غادرن منهم تسعة في معرك وثلاثة قرنهم في المشعب^(٣)

أما اللوم أو التوبيخ للأقارب ، فكان الشاعر يدفع إليه عندما يحدث منهم شيء يتنافى مع قوانين القبيلة من الاتحاد والإخلاص بعضهم لبعض ، والتعاون ، والوقوف صفاً واحداً ضد العدو ، والثبات للدفاع عن شرف القبيلة ، والالتفاف حول الرئيس ، والانقياد لرأي الجماعة ، واتباع ما ينصح به ذوو الرأي من المجريين المخلصين .

ومن ثم كانت الشاعر يلوم ويوبخ بعض فروع العشيرة في مثل الظروف الآتية :

(أ) إذا انثلم اتحاد العشيرة ، كأن لا يشترك رأس أو فرع معين مع مجموع العشيرة في حربهم الأعداء ؛ كما حدث حينما قامت حرب البسوس بين بكر وتغلب واعتزلها الحارث بن عباد ، فقال^(٤) سعد بن مالك البكري ، يعرض بالحارث ويعيره باعتزاله الحرب .

(١) خيشومها : أنفها ، وخيشوم كل شيء : ما تقدم منه ، يريد لحقت أوائل الخيل فوليت عنها وفررت .

(٢) الكلّكل : الصدر ، وهو معظم القوم ، أي ألقوا عليهم أثقالهم .

(٣) غادرن : تركن وخلفن . في معرك : في موضع اعتراك يعني موضع القتال . يقصد : قتل هؤلاء التسعة هناك ، وأسر ثلاثة قرنوا في حبل . المشعب : الموت ، واسم الموت : شعوب ، بلا ألف ولا م ولا صرف ، كأنه قال : شدوا في حبل فاسلموا إلى الموت .

(٤) شعراء النصرانية ص ٢٦٤ .

يَا بؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَأُحُوا
 وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِحِمَا حِمِيهَا التَّخِيلُ وَالْمَرَاخُ
 إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ
 وَالنَّثْرَةُ الْحَصْدَاءُ وَالْبَيْضُ الْمَكَلَّلُ وَالرَّمَّاحُ
 وَتَسَاقُطُ الْأَوْشَاطُ وَالذَّنَبَاتُ إِذْ جُهِدَ الْفَضَّاحُ
 وَالكَرَّ بَعْدَ الْفَرِّ إِذْ كُرِيَ التَّقْدُمُ وَالنُّطَّاحُ
 كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنْ الشَّرِّ الصَّرَّاحُ
 فَالْهَمْ بِيضَاتُ الْخُدُودِ هُنَاكَ لَا النَّعْمُ الْمَرَّاحُ
 بَشْسَ الْخِلَائِفُ بَعْدَنَا أَوْلَادُ يَشْكُرُ وَاللَّقَّاحُ
 مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ
 صَبْرًا بَنِي قَيْسٍ لَهَا حَتَّى تُرِيحُوا أَوْ تُرَأُّحُوا
 إِنْ الْمُوَائِلَ خَوْفَهَا يَعْتَاْفُهُ الْأَجَلُ الْمُتَّاحُ
 هِيَهَاتَ حَالَ الْمَوْتِ دُونَ الْقَوْتِ وَأَنْتُضِي السَّلَاحُ
 كَيْفَ الْحَيَاةُ إِذَا خَلَتْ مِنْهَا الظُّوَاهِرُ وَالْبِطَاحُ
 أَيْنَ الْأَعِزَّةُ وَالْأَسِنَّةُ عِنْدَ ذَلِكَ وَالسَّمَاحُ

(ب) عندما يشن بعض القوم هجوماً ، أو يشتركون مع آخرين في حرب ، ضد نفر من عشيرتهم ؛ كما حدث هذا واشتبك بنو سَهْمٍ وبنو صِرْمة من بني عوف في حرب يوم « دارة موضوع » وكان رئيس

الأولين الحصين بن الحمام المري ، وقد نكص عنه من بني سهم بنو عدوان ،
وبنو عبد عمرو ، فظفر الحصين ، وهزم الآخرين ، وقتل منهم فأكثر ،
فكان مما قاله في ذلك (١) :

جَزَى اللهُ أَفْنَاءَ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا بَدَارَةَ مَوْضُوعٍ ، عُقُوقًا وَمَأْثِمًا (٢)
بَنِي عَمَّنَا الْأَذْنَيْنِ مِنْهُمْ وَرَهْطَنَا

فَزَارَةَ إِذْ رَامَتْ بِنَا الْحَرْبُ مُعْظَمًا (٣)
مَوَالِي مَوَالِينَا الْوِلَادَةَ مِنْهُمْ وَمَوَالِي الْيَمِينِ حَاسِبًا مَتَقَسِمًا (٤)
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوَدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي وَأَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلِمًا
صَبْرُنَا وَكَانَ الصَّبْرُ فِينَا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعُنَ كَفًّا وَمِعْصَا
يَفْلُقُنَ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا
وَجُوهُ عَدُوٍّ وَالصَّدُورُ حَدِيثَةٌ يَوْدٌ ، فَأَوْدَى كُلُّ وَدٍّ فَأَنْعَمَا (٥)
فَلَيْتَ أَبَا شَبَلٍ رَأَى كَرَّ خَيْلِنَا وَخَيْلِهِمْ بَيْنَ السُّتَارِ فَأَظْلَمَا (٦)
وبعد أن وصف ما حدث في الموقعة وما أبداه فريقه من ألوان البطولة
والشجاعة ، قال :

(١) المفضليات ، ص ١٠٠ .

(٢) أفناء العشيرة : القوم المختلطون من ههنا ، وههنا لا يدري من أي قبيل هم . دارة
موضوع : مكان كانت فيه الموقعة . عقوقاً ومأثماً : أي جزاء عقوقهم وإثمهم .
(٣) الأذنين : الأقربين .

(٤) قسم مواليه قسمين : موالى القرابة وهم بنو عمه ، وموالى اليمين وهم حلفاؤه . حاسباً
ومتقسماً : حالان من اليمين ، لأنهم يقسم لهم على النصرة ويحبس كل من الحليفين به .

(٥) أودى : ذهب . أنعم : بالغ ، أي بالغ الود في الذهاب .

(٦) أبو شبل : هو ملسيط بن كعب المري . الستار وأظلم : موضعان .

أَثْعَلَبَ لَوْ كُنْتُمْ مَوَالِي مِثْلِهَا إِذَا لَمْنَعْنَا حَوْضَكُمْ أَنْ يُهْدَمَا ^(١)
وَلَوْلَا رِجَالٌ مِنْ رِزَامِ بْنِ مَازِنٍ وَآلِ سُبَيْعٍ أَوْ أَسْوَدَ عَلْقَمَا ^(٢)
لَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ مِنِّي مُحَارِبٌ عَلَى آلِهِ حَدْبَاءٌ حَتَّى تَنْدَمَا ^(٣)
وَحَتَّى يَرَوْا قَوْمًا تَضِبُّ لِثَاتِهِمْ يَهْزُونَ أَرْمَاحًا وَجِيشًا عَرَمَرَمَا ^(٤)
وَلَا غَرُّوْا إِلَّا الْخَضِرُ خَضِرُ مُحَارِبٍ ^(٥)
يَمْشُونَ حَوْلِي حَاسِرًا وَمَلَأَمَا ^(٦)
وَجَاءَتْ جِحَاشٌ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا وَجَمْعُ عُوَالٍ مَا أَدَقُّ وَأَلَمَا ^(٧)
وَهَارِبَةُ الْبَقْعَاءِ أَصْبَحَ جَمْعُهَا أَمَامَ جُمُوعِ النَّاسِ جَمْعًا مُقَدَّمَا ^(٨)
بِمُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ بِهِ قِصْدُ الْقَنَا صَبْرُنَا لَهُ قَدْ بَلَّ أَفْرَاسِنَا دَمَا ^(٩)
وَقُلْتُ لَهُمْ: يَا آلَ ذُبْيَانَ مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ ، لَا تُقَدِّمُونَ مُقَدَّمَا ^(١٠)

- (١) موالى: أولياء . الحوض هنا : العز أي لو كنتم موالينا في هذه الحرب لمنعناكم الأعداء .
(٢) علقماً : ترخيم علقمة وهو علقمة بن عبيد .
(٣) محارب : هم بنو محارب بن حفصة ، وكانوا في خصومة . آله : حالة . حدباء : صعبة .
(٤) تضب لثاتهم : تسيل من حب الغنيمة وشهوة الحرب . عرمرم : كثير .
(٥) غرو : عجب . الحاسر : الذي لا مغفر على رأسه ، والذي لا درع عليه . والملاَم : الذي عليه اللأمة ، وهي الدرع والمغفر أو أحدهما .
(٦) قضاها بقضيضها : بالنصب على الحال ، أي صغيرها بكبيرها . وأصل القضا : الحصى الصغار ، والقضيض جمعه . وقيل القضا : الحصى الكبار ، والقضيض : الحصى الصغار . والمراد أنهم جاءوا أجمعون . عوال : هو ابن الحرث بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .
(٧) هاربة بن ذبيان . وسميت هاربة البقاء لكثرة البلق في عساكرها ، ولا يركب الأبلق إلا مدل بشجاعته .
(٨) المعترك : موضع المعاركة في القتال . قصد القنا : قطعها المكسرة ، الواحدة قصدة بكسر القاف .
(٩) تفاقدم : دعاء عليهم بالموت وأن يفقد بعضهم بعضاً ، وهي جملة معترضة .

أَمَا تَعْلَمُونَ الْيَوْمَ حِلْفَ عُرَيْنَةٍ

وَحِلْفًا بِصَحْرَاءِ الشَّطُونِ وَمُقَسَّمًا^(١)

وَأَبْلَغَ أَنْيَسًا سَيِّدَ الْحَيِّ أَنَّهُ يَسُوسُ أُمُورًا غَيْرُهَا كَانَ أَحْزَمًا^(٢)

فَإِنَّكَ لَوْ فَارَقْتَنَا قَبْلَ هَذِهِ إِذَا لَبَعَثْنَا فَوْقَ قَبْرِكَ مَا تَمَّا^(٣)

وَأَبْلَغَ تَلِيدًا إِنْ عَرَضْتَ ابْنَ مَالِكٍ وَهَلْ يَنْفَعَنَّ الْعِلْمُ إِلَّا الْمَعْلَمًا^(٤)

فَإِنْ كُنْتَ عَنْ أَخْلَاقِ قَوْمِكَ رَاغِبًا

فَعُذْ بِضَبِيعٍ أَوْ بِعُوفٍ بِنِ أَصْرَمَا

أَقِيمِي إِلَيْكَ عَبْدَ عَمْرٍو وَشَايِعِي عَلَى كُلِّ مَاءٍ وَسَطَ ذِيانٍ خِيًّا^(٥)

وَعُودِي بِأَفْنَاءِ الْعَشِيرَةِ إِنَّمَا يَعُودُ الذَّلِيلُ بِالْعَزِيزِ لِيُعْصَمَا

جَزَى اللَّهُ عَنَا عَبْدَ عَمْرٍو مَلَامَةً وَعُدُّوَانِ سَهْمٍ مَا أَدَقَّ وَالْأَمَّا^(٦)

وَحَيٍّ مَنَافٍ قَدْ رَأَيْنَا مَكَانَهُمْ وَقُرَّانَ إِذْ أَجْرَى إِلَيْنَا وَالْجَمَّا^(٧)

(١) عريضة : هم بنو عريضة بن نذير بن قسر ، وأشار بحلفهم إلى ما كان من تنازعهم واضطرارهم إلى مخالفة قبائل شتى . الشطون : موضع . المقسم : مكان القسم والموضع الذي حلف فيه .

(٢) أنيساً : يريد به أنس بن يزيد المري ، فصغر اسمه .

(٣) يقول : لو مت قبل هذه الفعلة لبكينا عليك ووجدنا فقدك ، فإن مت الآن لم نبك عليك ولم نجد فقدك .

(٤) إن عرضت : جملة اعتراضية إلا المعلما : أي لا ينفع العلم إلا من تعلم وصلب .

(٥) عبد عمرو ، وعدوان : ابنا سهم بن مرة ، وهم الذين نكصوا عنه . خيم ، بالبناء للمجهول : خيم حوله ، من قولهم : «خيم بالمكان» أقام كأنه نصب الخيام ليقيم فيها . يقول لهؤلاء : إليكم عنا ، وشايعوا من ترون من ذبيان .

(٦) ما أدق والأما : ما أدقهم والأهم . والدقة هنا : الخسة .

(٧) أجرى إلينا وألجم : أجرى الخيل وألجمها .

وَأَلَّ لَقِيطٍ إِنِّي لَنَ أَسْوَأَهُمْ إِذَا لَكُسُوتُ الْعَمِّ بُرْدًا مُسَهَّمًا^(١)

وَقَالُوا تَبَيَّنْ هَلْ تَرَى بَيْنَ ضَارِجٍ

وَنَهْيٍ أَكْفٌ صَارِخًا غَيْرَ أُعْجَمًا^(٢)

فَالْحَقْنَ أَقْوَامًا لَثَامًا بِأَصْلِهِمْ وَشَيَّدْنَ أَحْسَابًا وَفَاجَأْنَ مَغْنَمًا^(٣)

وَأُنْجَبْنَ مَنْ أَبْقَيْنَ مِنَّا بِخُطَّةٍ مِنَ الْعَذْرِ لَمْ يَدْنَسْ وَإِنْ كَانَ مُؤَلَّمًا^(٤)

(ج) عندما يتسبب بعض العشيرة في نزول الهزيمة بقومهم ، كان يُؤَلَّمُوا عنهم في أثناء القتال ، ويتركوهم أمام قوة الأعداء^(٥) ؛ أو لا يستمعوا لرأي ناصح أمين منهم ، فتحل بهم الهزيمة نتيجة لمخالفتهم رأيه^(٦) .

(د) عندما 'تكفر' ماثر قوم من القبيلة وتجدد بطولتهم ، أو عندما تتنافس فروع العشيرة الواحدة في الشرف والشهرة والمجد . من ذلك مثلاً ما يقوله الحارث بن حازة في معلقته : —

(١) العم . الجماعات ، أي كلهم جميعاً . البرد المسهم : أي هجوتهم هجاء مشهوراً كشهرة البرد المسهم وهو المخطط الذي يشبه وشيه بنقش السهام ، أو هجاء يبقى أثره ويشتهرون به شهرة البرد المسهم ويتسامع الناس به .

(٢) ضارج : ماء لبني عبس . نهى أكف : موضع مطمئن من الأرض فيه ماء . غير أعجم : أي لا تسمع صارخاً إلا من العرب وليس فيها أعجم .

(٣) ألحقن : يعني الخيل . هزمت قوماً . وصفهم بالخور للؤم أحسابهم ، ورفعن أحساب من صبر في الحرب . فاجأن مغنماً : لقيته .

(٤) أي من أبقت هذه الحروب فقد أتى بعذر لأنه أبلى . لم يدنس : لم يفر ، فيكون ذلك عاراً عليه . وإن كان قد ألم من جراح أصابته . خطه : علة اعتل بها .

(٥) من ذلك ما قاله مالك بن نويرة يهجو بني سليط ويعيرهم بسبب فرارهم في يوم نعلف قشاوة الذي انتصر فيه بنو شيبان (من بكر) على بني يربوع (من تميم) : النقائص ص ٢٢ . وأيام العرب ص ٢٠١ .

(٦) قصيدة النابغة رقم ١٣ في العقد الثمين .

- وأثانا من الحوادث والأنبياء خطبٌ نَعْنَى به ونساءً^(١)
 أَنتَ إِخْوَانُنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ^(٢)
 يَخْلِطُونَ الْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْبِ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلَى الْخِلَاءُ^(٣)
 زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْرَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ^(٤)
 أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بِلِيلٍ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ^(٥)
 مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَضْهَالٍ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءُ^(٦)
 أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمَرْقُشُ عِنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لَذَاكَ بَقَاءُ^(٧)
 لَا تَخْلُنَا عَلَى غَرَائِكَ إِنَّا قَبْلُ مَا قَدَوَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ^(٨)
 فَبَقَيْنَا عَلَى الشَّنَاءَةِ تَنْمِينَا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعْسَاءُ^(٩)

- (١) نَعْنَى به : أي نحن ذو عناء بسببه . نساء : أي محزونون .
 (٢) الْأَرَاقِمُ : بطون من تغلب ، سمووا بذلك لأن امرأة شبهت عيون آبائهم بعيون الْأَرَاقِمِ ،
 (وَالْأَرَاقِمُ : نوع من الحيات) . الْغَلُو : مجاوزة الحد . الْإِحْفَاءُ : تحامل واعتداء .
 (٣) الْخَلَى : البريء من الذنب . الْخِلَاءُ : البراءة .
 (٤) الْعَيْرُ : قيل المقصود به كليب بن وائل ، وقيل المقصود به الوتد ، أي كل من ضرب
 وتد الخيمة ألزموها ذنبه . الْوَلَاءُ أي أهل الولاء يعني العون والنصر له .
 (٥) إِجْمَاعُ الْأَمْرِ : عقد القلب وتوطين النفس عليه . ضَوْضَاءُ : جلبة وصياح إذ بدأوا
 ينفذون ما بيتوه .
 (٦) رُغَاءُ : أصوات الإبل . أي اختلطت هذه الأصوات كلها وكانت هناك ضوضاء .
 (٧) الْمَرْقُشُ : المزين القول بالباطل .
 (٨) عَلَى غَرَائِكَ : يقال . غرى بالشيء يغري غراً مقصور ، وغرأة : تأنيث غرا ، وهي
 بمعنى الإغراء ، يقصد لا تظننا متدللين متخشعين لإغرائك الملك بنا ، فذلك لن يؤثر فينا ، كما
 لم يؤثر فينا إغراء غيرك من قبل .
 (٩) الشَّنَاءَةُ : البغض . تَنْمِينَا : ترفعنا . قَعْسَاءُ : ثابتة .

قَبْلَ مَا الْيَوْمَ بَيَّضْتُ بَعْيُونَ النَّاسِ فِيهَا تَعْيُطُ وَإِبَاءٌ^(١)

أَيُّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّوْا هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأُمَلَاءُ^(٢)

إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَّا قِبَ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ^(٣)

أَوْ نَقَشْتُمْ فَالنَّقْشُ يَجْشِمُهُ النَّاسُ وَفِيهِ الْإِسْقَامُ وَالْإِبْرَاءُ^(٤)

أَوْ سَكَّيْتُمْ عَنَا فَكُنَّا كَمَنْ أَغْمَضَ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا الْأَقْدَاءُ^(٥)

أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّثْتُمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا الْعَلَاءُ^(٦)

هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّاسُ سِوَا رَأْسِ كُلِّ حَيٍّ عَوَاءٌ^(٧)

(١) الباء في « بعيون » زائدة . أي بيضت عيون الناس ، وهذا كناية عن الإغماء ، أي جعلتهم عميا . التعيط : الارتفاع والامتناع ، أي في عزتنا إباء : يعني تأبى الضيم .

(٢) الخطئة : الأمر العظيم . الأملاء : جمع ملأ وهو الجماعة .

(٣) ملحّة : موضع . الصاقب : جبل . نبشتم : أثرتم ما كان بيننا وبينكم من الحروب ، التي كانت بين هذين المكانين أو أهلها . الأموات : يقصد القتلى الذين لم يؤخذ بثأرهم . والأحياء : القتلى الذين أخذ بثأرهم . وجواب الشرط إما محذوف للعلم به ، وإن فعلتم هذا فلنا الفضل عليكم وإما أن يكون فيه الأموات والأحياء هو الجواب ، على تقدير حذف الفاء أي ففيه .

(٤) نقشتم : استقصيتم في ذكر ما جرى بيننا . يحشمه : يتكلفه على مشقة . وكنى بالإسقام عن الذنب ، وبالبرء عن براءة الساحة .

(٥) الأقداء : جمع قذى ، والقذى جمع قذاة ، وهي ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو وسخ . ويقال : فلان يغضي عن القذى إذا سكت عن الذل والضيم وفساد القلب .

(٦) ما تسألون : أي من المهادنة والموادعة . له علينا العلاء : أي أفضل منا وأشرف .

(٧) الغوار : المغارة . العواء : صوت الذئب ونحوه ، وهو هنا مستعار للضجيج والصياح

من الألم .

إِذْ رَفَعْنَا الْجِمَالَ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرِ رَيْنَ سَيْرٍ أَوْ حَتَّى نَهَاها الْحَسَاءُ^(١)

فَاتْرَكُوا الطَّيْنِخَ وَالتَّعْدِي وَإِمَّا تَتَعَاشُوا فِي التَّعَاشِي الدَّاءِ^(٢)
وَإِذْ كُرُوا إِحْلَفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَاقِدُّ مَ فِيهِ الْعُمُودُ وَالْكَفْلَاءُ^(٣)
حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعْدِي وَهَلْ يَنْقُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ^(٤)
وَاعْلَمُوا أَنَّا وَإِيَّاكُمْ فِيمَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ اخْتَلَفْنَا سَوَاءً^(٥)
عَنَّا بَاطِلًا وَظُلْمًا كَمَا تُعْذِرُ عَنْ حَجَرَةِ الرَّيْبِضِ الظُّبَاءُ^(٦)
أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كَنْدَةٍ أَنْ يَغْنَمَ غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ^(٧)

(١) السعف : أغصان النخل ، والواحدة سعة . سيرا : أي فسارت سيرا . والحساء : رملة تحتها ماء إذا كشفت ظهره ، الماء والحسي أيضا : البئر القريبة الماء ، والجمع الأحساء يريد : طويها ما بين هذين الموضعين سيرا وإغارة فلم يكفنا شيء من مرأنا حتى انتهينا إلى الحساء .

(٢) الطينخ : التكبر . التعاشي : التعامي . الداء هنا : الشر العظيم .

(٣) ذو المجاز : موضع جمع فيه عمرو بن هند بكرا وتغلب ، وأصلح بينهما وأخذ منهما الوثائق والرهون .

(٤) المهارق : الصحف ، واحدها مهرق : فارسي معرب وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، وقيل المهرق : ثوب حر أبيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه ، وهو بالفارسية : مهر كرد ، وقيل مهره لأن الخريزة التي يصقل بها يقال لها بالفارسية كذلك .

(٥) يقول : واعلموا أننا وإياكم في تلك الشرائط التي أوثقناها يوم تعاقدنا مستوون .

(٦) العنن : الاعتراض ، والفعل : عن يعن . العتر : ذبح العتيرة ، وهي ذبيحة كانت تذبح للأصنام في رجب ، وكان الرجل ينذر إن بلغ الله غنمه مائة ذبح منها واحدة للأصنام ، ثم ربما ضنت نفسه بها ، فأخذ ظبيا وذبحه مكان الشاة الواجبة عليه . الحجرة : الناحية . يقول ألزمتونا ذنب غيرنا ظلما كما يذبح الظبي بدل الغنم . والرييض : جماعة الغنم .

(٧) الجناح : الإثم . يقصد : أن كندة غزتهم فغنمت منهم ، ثم يقول : كيف يلزمتنا جزاء ذلك .

- أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادٍ كَمَا نِيْطَ بِجَوْزِ الْمُحْمَلِّ الْأَعْبَاءِ ^(١)
 لَيْسَ مِنَّا الْمَضْرَبُونَ وَلَا قَيْسٌ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا الْحَدَّاءُ ^(٢)
 أَمْ جَنَّا يَا بَنِي عَتِيقٍ فَمَنْ يَغْدِرُ فَإِنَّا مِنْ حَرْبِهِمْ بُرَاءٌ ^(٣)
 وَثَمَانُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيهِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ الْقَضَاءُ ^(٤)
 تَرْكُوهُمْ مُلَحَّبِينَ وَآبُو بِنِيَّابٍ يَصْمُ فِيهِ الْحَدَّاءُ ^(٥)
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى حَنِيفَةً أَمْ مَا جَمَعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ ^(٦)
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى قِضَاعَةً أَمْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِيهَا جَنَوَا أُنْدَاءُ ^(٧)
 ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرَ جَعَ لَهُمْ شَامَةٌ وَلَا زَهْرَاءُ ^(٨)

(١) الجراء والجرى ، بالمد والقصر : الجناية . النوط : التعليق . الجوز : الوسط ، والجمع أجواز . والعباء : الحمل الثقيل ، جمعه : أعباء . وإياد : اسم قبيلة . المحمل : البعير الذي يحمل الأثقال .

(٢) أي هؤلاء المضربون ليسوا منا ، يعيرهم بأنهم منهم ، وهم قوم من تغلب ضربوا بالسيف .

(٣) يقول : أَمْ عَلَيْنَا جَنَّا يَا بَنِي عَتِيقٍ . ثم قال : إِنْ نَقَضْتُمْ الْعَهْدَ فَنَحْنُ بُرَاءٌ مِنْكُمْ .

(٤) أي غزاكم ثمانون من تميم بأيديهم رماح في أسنتها القتل . والقضاء هنا : القتل .

(٥) ملحبين : مقطعين بالسيوف . والتلحيب : التقطيع . والأوب والإياب : الرجوع . أي

رجعوا إلى بلادهم مع غنائم يصم حداء حداتها آذان السامعين ، أشار بذلك إلى كثرتها . أو لكثرة الإبل والضجة لا يسمع الحداء .

(٦) الغبراء : الأرض أو السنة الغبراء . يقول : هل عَلَيْنَا أَنْ تَأْخُذُونَا بِذُنُوبِ حَنِيفَةٍ

وَمَا أَذْنِبْتُ لَصُوصِ مُحَارِبٍ .

(٧) يعير بني تغلب لما فعلت بهم قِضَاعَةً ، حينما غزت بني تغلب فقتلوا منهم وسبوا .

الأنداء : جمع ندى . أَمْ لَيْسَ عَلَيْنَا ... الخ . أي بل ليس يندانا شيء مما جنوا ، يقصد لا تلحقنا ولا تلزمنا هذه الحيانة .

(٨) يسترجعون : يحاول استرجاع الغنائم . الشامة : الناقة أو الشاة السوداء ، والزهراء :

البيضاء .

لم يُخَلُّوا بني رِزَّاحٍ بِرَقَا ۖ نِطَاعٍ لَّهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءٌ ^(١)
 ثُمَّ فَامَّوْا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ وَلَا يُبْرَدُ الْغَلِيلَ الْمَاءُ ^(٢)
 ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الْغَلَّاقِ لَا رَأْفَةَ وَلَا إِبْقَاءَ ^(٣)
 مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِيٍّ فَمَطَّلُوا ۚ لَ ، عَلَيْهِ إِذَا تَوَلَّى الْعَفَاءَ ^(٤)

-
- (١) لم يخلو : أي لم يتركوهم يحلون في هذا المكان ويقيمون فيه . وكانوا يدعون عليهم .
 (٢) الفيم : الرجوع . بقاصمة الظهر : أي بداهية قصمت ظهورهم . وغليل الأجواف لا يشفيه شرب الماء لأنه حرارة الحقد ، لا حرارة العطش .
 (٣) الغلاق : من بني حنظلة من تميم ، غزا تغلب فقتل منهم وسبى ، ولم يكن لأصحاب الغلاق رأفة بهم ، ولا إبقاء عليهم .
 (٤) مطلول : لا يدرك بشأره . العفاء : الدروس ، أي ينسى فتصير بمنزلة الشيء الدارس ، ويقال إن العفاء هو التراب الذي يغطي الأثر ، والمعنى على هذا : أن دماءهم أهدرت حتى كأنها غطيت بالتراب . وقيل : إن هذا دعاء ، والمراد فعلى دمه العفاء .

الفصل الرابع

الاعتذار

ونقصد بذلك هنا ما قيل من الشعر لمحاولة ستر عيب أو نقيصة في الحرب، بإبداء بعض الأسباب، أو بذكر بعض أشياء أخرى رغبة في تحويل الأنظار عن العيب الذي يحاول الشاعر إخفائه.

وبدراسة شعر الحرب في العصر الجاهلي وجد أن ما قيل في هذا الباب ٨٤ بيتاً فقط، وهذه نسبة ضئيلة من مجموع شعر الحرب الذي يبلغ عدده ٥٠٨٠ بيتاً ومن تحليل الشعر الذي قيل في هذا الموضوع، يتبين أن الاعتذار كان يدور حول أحد الأمور الآتية : —

(أ) الاعتذار عن هزيمة أو خسارة في حرب :

وهنا نجد الشاعر يحاول أن يورد بعض الأسباب التي أدت إلى وقوع ذلك، ويخلط هذا بما قد يخفف من وقع ما نزل به وبقومه ؛ كأن يذكر مثلاً أنه ليس أول من أصابه الدهر بنكباته ، وأن ما نالهم كان لسبب خارج عن طاقته لأن من قتل من قومه ، مثلاً ، كانوا فرادى ، وقد هوجموا بعدد كبير من الأعداء ؛ أو لأن الزمان غدر بهم ، فالمسألة مسألة حظ وقدر فقط ؛ أو أنهم هزموا لأن جموع الأعداء كانت تفوق عددهم بكثير ، ولو كانوا يماثلونهم في العدد لكبّدوا العدو أفدح الخسائر وأفثنوه عن آخره .

وكثيراً ما نجد الشاعر هنا في مثل هذا الموقف يشيد بشجاعته وشجاعة قومه وما آثرهم الحربية ، فيتصدى لسرد انتصارات قومه في أيامهم السابقة ، وما نال أعداءهم فيها . كأنه يريد أن يؤكد أن أمجاد قومه الحربية ثابتة ومشهورة معروفة ، لا تؤثر فيها مثل هذه الحالة النادرة .

وإذا كان السبب فيما نزل بهم فرار بعض الأعوان عنهم في وقت الشدة ، فإن الشاعر في تلك الحالة كان يوجه اللوم الشديد إليهم ، ويوبخهم توبيخاً مرأً . وعلى العموم كان الشاعر لا يفوته أن يهدد الأعداء ، ويتوعدهم بخسارة أفدح وهزيمة أشد .

(ب) الاعتذار عن فرار أو تأخر في الهجوم :

والشاعر في هذه الحال كان ينسب السبب في ذلك إلى شيء خارج عن استطاعته ؛ كأن يذكر أن فرسه نفرت في غير جهة الحرب ، ولم يستطع هو كبح جماحها ، أو أن فرسه لم تستطع أن تجري بسرعتها العادية المعروفة لعذر قهري طارئ . . وهنا كان الشاعر يحاول أن يعبر عن أسفه الشديد لعدم اشتراكه مع أبطال قومه في هذا العمل الحربي المشرف ، ويذكر أعماله الحربية وآثار بطولته بالتفصيل ، كأنه يريد أن يقول إن مثل هذا المجد العظيم لا ينبغي معه أن يُنسب إلى صاحبه أثارة من جبن أو خوف .

وفي بعض الأحيان نرى الشاعر يذكر الحقيقة والواقع ، فيصرح بأنه فر لأنه رأى أن العدو كان أقوى ، وقد تأكد أن مقاومته لن تكون إلا حمقاً وجهلاً ، ولن تكون نتيجتها إلا فقد حياته ، أو أسره وسوء معاملته ، أو وسمه بسمّة الخزي والعار بسبب الأسر وما قد يحدث له من متاعب وآلام . استمع مثلاً إلى وعلة الجرمي^(١) يحكي قصة فراره في يوم الكلاب الثاني ، ويذكر سبب ذلك ، إذ يقول^(١) :

(١) المفضليات ص ٣٢٧ .

فَدَى لَكُمَا رَجُلِي أُمِّي وَخَالَتِي

غَدَاةَ الْكَلَابِ إِذْ تُحَزُّ الدَّوَابِرُ^(١)

نَجَوْتُ نَجَاءً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ كَأَنِّي عُقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنَ كَاسِرٍ^(٢)

وَلَمَّا سَمِعْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مُقَاعِسًا تَطَالَعَنِي مِنْ ثُغْرَةِ النَّحْرِ جَائِرٌ^(٣)

فَإِنْ أَسْتَطَعُ لَا تَلْتَبِسُ بِي مُقَاعِسٌ وَلَا يَرَنِي مَبْدَاهُمْ وَالْمَحَاضِرُ^(٤)

وَلَا تَكُ لِي حَدَادَةٌ مُضَرِّيَّةٌ إِذَا مَا غَدَتُ قُوتَ الْعِيَالِ تُبَادِرُ^(٥)

وقد نجد الشاعر أكثر تصريحاً بالحقيقة واعترافاً بالواقع ؛ فيذكر أنه فرّ لينجو بنفسه ، وأنه لن ينفعه بعد قتله حزنُ الناس عليه أو تذكرهم إياه بالشجاعة . وظاهر من ذلك أن مثل هذا رجل جبان ، ليس فيه شيء من البطولة . من ذلك ما رواه أبو تمام للفرار السلمي ، وفيه يقول^(٦) : —

وَكِتْيَبَةٌ لَبَّسْتُهَا بِكِتْيَبَةٍ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدَيَّ

فَتَرَكْتُهُمْ تَقْصُرُ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخِرِ مُسْنَدٍ

(١) الكلاب : هو يوم الكلاب الثاني وكان بين تميم واليمن . تحز : تقطع . الدوابر : الأصول ، أي يقتل القوم فتذهب أصولهم ولا يبقى لهم أثر . « وقطع الله دابره ، أي أصله » .
(٢) تيمن : موضع باليمن . الكاسر : الذي يضم جناحيه يريد الانحطاط إلى الصيد ، يكون للمذكر والمؤنث .

(٣) مقاعس : بني مقاعس ، وهم بنو الحارث من تميم . تطالعني : طلع مني وارتفع ، يعني فرعا . ثغرة النحر : النقرة في أعلى الصدر . الجائر : حر يؤذي الجوف عند الجوع .

(٤) التبس : اختلط . المراد لا يدركوني . مبداهم : الذين يسكنون البادية . والمحاضر : من نزل الحاضرة .

(٥) الحداد : البواب والسجان . تبادر : أي إذا غدت فإنما هما قوت عيالها ، فكيف يكون حالي إذا كان من أسروني هذه حاله من الضيق .

(٦) ديوان الحماسة ، ص ٥٦ ج ١ .

ما كان ينفعني مقالُ نِسائِهِمْ وَقُتِلْتُ دونَ رِجالِها : لا تَبْعُدْ

ومعظم الشعراء لم يكن يسمح لنفسه أن يسمي ما حدث منه فراراً لأن الفرار في نظره خزي وعار ، وأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً أن البطل هو الشجاع الذي يقابل الأعداء في أشد المواقف بقلب ثابت ، ورباطة جأش ، بل كان يقول : إنه تنحى فقط عن القتال ، حينما أثخنه الجراح ، وسال الدم على صدره ونحر فرسه ، وبعد أن تكاثر القوم عليه . وهنا كان الشاعر يفتخر بنفسه ، ويذكر ما فيه من صفات البطولة ، وأنه فارس يحمي الحقيقة ، ويجيد قيادة الخيل في أشد المواقف .

(ج) الاعتذار عن عمل حربي فاشل :

كأن يعتذر عن ضربة لم تصب أو طعنة غير قاتلة . وهنا يحاول الشاعر أن يجد عذراً مقبولاً ؛ كأن يذكر مثلاً أن العدو كان يلبس دروعاً متينة ، كقول ورقاء بن زهير ^(١) :

فَشَلْتُ يميني يومَ أَضْرَبُ خالداً وَيَحْصِنُهُ مِنِّي الحَدِيدُ المَظَاهِرُ

ولكن ، على العموم ، يمكن أن يقال إن معظم الاعتذار في مثل هذه الحال من قبيل الفكاهات والملح الأدبية . من ذلك مثلاً ما ينسب لطرفة بن العبد ، وكان قد استلب سيف عدوه ، وحاول أن يضربه به ، فلم يصب منه مقتلاً ، فقال ^(٢) :

لَقِيتُ بِأسفلِ ذِي جاشِمٍ حَنانَةً كالجمَلِ الأورَقِ
فأُهوَى بِأبيضَ ذِي غُلَّةٍ خَشِيبٍ يُريدُ بِهِ مَفرَقِي

(١) حماسة البحتري : ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق .

فساورته واستللت الحشيب وأعجلته ثنية رقي
فلو كان سيفي لغادرته صريعاً على الجنب والمرفق
ولكنه سيفكم فاتقى محارمكم والمنايا تقي

وما يقوله ابن زبابة ناسباً الخيانة إلى السيف (١)

طعنة ما طعنت في غلس الليل زهيراً وقد توافى الخصوم
خانتني السيف إذ ضربت زهيراً وهو سيف مضلل مشوم

ويلحق بذلك الاعتذار عن عدم لحاقه الهاربين بسبب ظلام الليل (٢) ،
أو إسراع فرس الهارب سرعة خارقة للعادة .

وفما يلي جدول يبين عدد مرات الاعتذار عن كلٍّ من الأمور السابقة ،
وعدد الأبيات :

ما اعتذر عنه	الهزيمة والخسارة	الفرار والتأخر	العمل الفاشل	المجموع
عدد المرات	٨	٤	٣	١٥
عدد الأبيات	٤٠	٣٦	٨	٨٤

دوافع الاعتذار :

أولاً - حدوث الهزيمة :

كثيراً ما تكون الهزيمة دليل الضعف أو الجبن ، ومن ثم كانت سبباً في
إضعاف مركز المهزومين ، والتقليل من مهابتهم واحترامهم ، مما تأباه نفسية

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ٧٦٠ .

البطل الشجاع ، ولذلك كانت عاطفة الشاعر أحياناً تنفعل بالهزيمة فتلتهب
مشاعره ، وتثور حميته ، فيهب للدفاع عن شرفه وشرف قومه إن ألت بهم
هزيمة ، مُرجِعاً ذلك إلى ظروف خارجة عن إرادتهم ، ومفتخراً بما كان
لهم من أيام سالفة ، شيدت لهم صرحاً شامخاً من الجحد لا تزعه كبوة
عارضة . استمع مثلاً إلى ما يقوله عامر بن الطفيل في يوم فيف الريح الذي
أصابت فيه عينه (١) :

لقد علمتُ علماً هَوَازَنَ أَنِي أنا الفارسُ الحامي حقيقةَ جَعْفَرِ (٢)
وقد عَلِمَ المزنوقُ أَنِي أَكْرُهُ عَشِيَةَ فيفِ الرِّيحِ كَرَّ المَشْهَرِ (٣)
إِذَا ازوَرٌ مِنْ وَقَعِ الرَّمَّاحِ زَجَرَتُهُ

وقلتُ له : ارجِعْ مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرِ (٤)
وَأُنْبَأْتُهُ أَنَّ الفِرَارَ خِزَايَةٌ على المرءِ ما لم يُبَلِّ عُدْراً فيُعْذَرِ (٥)
أَلَسْتُ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ فِي شَرِّعَا وَأَنْتَ حِصَانٌ مَا جَدُّ العِرْقِ فَاصْبِرِ
أَرَدْتُ لَكِيَا يَعْلَمَ اللهُ أَنِّي صَبَرْتُ وَأَخْشَى مِثْلَ يَوْمِ المَشْقَرِ
لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ شَانَ حُرَّ الوَجْهِ طَائِنَةُ مُسْهَرِ
فَبِئْسَ الفَتَى إِنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِرَا جَبَانَا فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ مُحْضَرِ

(١) ديوانه ص ١١٦ قصيدة رقم ١١ .

(٢) علياً هوازن : هم سعد بن بكر بن هوازن الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجشم ونصر ابنا معاوية بن بكر بن هوازن ، وثقيف بن منية بن هوازن . حقيقة جعفر : ما يحق عليهم أن يحموه من منع جار وإدراك ثار .

(٣) المزنوق : فرسه . فيف الريح : مكان الواقعة . والمشهر : يقصد القدح المشهر . ويعني القدح الذي تكثر به القداح ، ليس له غنم ولا عليه غرم كلما خرج رد حتى يخرج آخر القداح .

(٤) ازور : عدل ومال إلى جهة أخرى . أي إذا مال عن الطعن رددته إليه .

(٥) خزاية : عار وعيب .

وقد علموا أني أكرُّ عليهم
وما رمتُ حتى بلَّ صدري ونحره
أقول لنفسي لا يُجَادُ بِمِثْلِهَا
فلو كان جمعاً مثلنَا لم يَبْزَنَا
عُشِيَّةٌ فَيَفِ الرِّيحُ كَرُّ المَدَوَّرِ^(١)
نَجِيعٌ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ المَسِيرِ^(٢)
أَقْلِي المِرَاحَ إِنِّي غَيْرُ مُقْصِرٍ
ولكنْ أَتَنَّا أُشْرَةُ ذَاتُ مَفْخَرٍ
أَتَوْنَا بِشُهْرَانِ العَرِيضَةِ كُلِّهَا
وَأَكْلَبَ طَرًّا فِي جِيَادِ السَّنُورِ^(٣)

ثانياً - الهجاء واللوم : إن توجيه الهجاء أو اللوم إلى شخص قلما يتركه هادئاً ، بل إنه غالباً - إن لم يكن دائماً - يثير حفيظته ، ويؤجج حميته ، ولا تهدأ ثائرتة في تلك الحال إلا بالرد عليه بما يصون شرفه ، ويحفظ كرامته ، والشعراء ، وهم أرهف الناس إحساساً ، لا بد أن ثورتهم تكون أشد ، وشعورهم أعمق ، هذا بالإضافة إلى ما للموهبة من قوة تدفع صاحبها إلى محاولة التفوق على من يتطاول عليه أو ينافسه . من ذلك مثلاً ما كان من عامر بن الطفيل كذلك في رده على النابغة الذبياني الذي هجا بني عامر بيوم ظفرت فيه بنو ذبيان عليهم إذ يقول^(٤) :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَهْدَى زِيَادٌ مَقَالَةً
تَعِيرُنَا يَوْمَ المَرُورَةِ سَادِرًا
عَلَيْنَا فَهَلْ إِنْ كَانَ ذَا مِرَّةٍ ضَرَرُ^(٥)
وَعِنْدَكَ مِنْ أَيَّامِنَا قَبْلَهَا غَيْرُ^(٦)

(١) المدرر : الذي يطوف بالدوار وهو صنم ، أراد أعياداً كانوا يتخذونها عند أصنامهم .
الكر : الرجوع إلى القتال .

(٢) رمت : برحت . النجيع : الدم الطوي الأحمر . كهْدَاب أي كهدب الثوب . الدمقس : القز . المسير : المخطط .

(٣) طرا : كلها . السنور : الدرع .

(٤) ديوان عامر بن الطفيل : قصيدة رقم ٢٣ ص ١٣٨ .

(٥) زياد : هو النابغة الذبياني . المِرَّة : الإحكام والقوة .

(٦) سادراً : راكباً رأسه جهلاً . المروراة : يوم ظفرت فيه بنو ذبيان ببني عامر .

فَمَنْ مَبْلَغُ ذُبْيَانٍ عَنَّا رِسَالَةٌ مُغْلَغَلَةٌ مَنِيَّ وَمَا تَنْفَعُ الْعِذْرَ^(١)
 وَقَدْ عَلِمْتَ عَلِيًّا هَوَازِنَ أَنَّنَا بَنُو الْحَرْبِ لَا نَعْيَا بِوَرْدٍ وَلَا صَدْرٍ
 نَشْدُ عِصَابَ الْحَرْبِ حَتَّى نُدِيرَهَا

إِذَا مَا نَفُوسُ الْقَوْمِ طَالَعَتِ الشُّغَرَ^(٢)
 تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنَا أَبَابِيلَ تَرْدِي بِالْعَشِيِّ وَبِالْبُكْرِ^(٣)

ثالثاً - السلوك للعيب : حدوث العيب من شخص حساس يترك في نفسه
 ألماً عميقاً ، يشمره بمرارته ، ويقض مضجعه ، ولا يريحه من ذلك إلا اعتذار
 يبرئ ساحته ، أو يخفف من حدة الألم والبطل الشاعر يشق عليه أن
 ينسب إليه عيب حربي ، يقلل من هيئته ، أو يحط من كرامته ، فليس عجيباً
 إن حدث شيء من ذلك أن يحاول توضيح عذره بما قد يحفظ عليه شرفه
 وعزته . من ذلك ما قاله قبيصة النصراني ، يعتذر عن إحجامه اتفاق منه ،
 وتأخراً ظهر للناس من فعله ، فأخذ يورك بالذنب على حصانه مدعياً أن
 نفرته كانت السبب في نكوصه^(٤) :

أَلَمْ تَرَأَنَّ الْوَرْدَ عَرْدَ صَدْرِهِ وَحَادَ عَنِ الدَّعْوَى وَضَوْءَ الْبَوَارِقِ
 وَأَخْرَجَنِي مِنْ فَتْيَةٍ لَمْ أَرِدْ لَهُمْ فِرَاقاً وَهُمْ فِي مَازِقٍ مُتَضَايِقِ

(١) المغلغلة : الرسالة يتغلغل بها حتى تصل صاحبها . العذر ، بكسر العين وفتح الذال :
 جمع عذرة بكسر العين وضمها ، أي الاعتذار .
 (٢) نشد عصاب الحرب : مثل ، وأصل ذلك أن الناقة إذا امتنعت عن الحلب عصب فخذاها
 فتدر . الشجر : جمع ثغرة وهي نقرة النحر .
 (٣) الرائدات التي ترود ، تجيء وتذهب . والرائد : هو الذي يذهب في طلب الكلأ يتقدم
 القوم فينظر مواقع الكلأ . أبابيل : جماعات واحدها إبيل وإبول بكسر الهمزة وتشديد
 الباء . تردى : من الرديان وهو ضرب من العدو .
 (٤) شعراء النصرانية : ص ٩٢ .

وعَضُّ عَلَى فَأْسِ اللِّجَامِ وَعَزَّنِي عَلَى أَمْرِهِ إِذْ رَدَّ أَهْلُ الْحَقَائِقِ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا بَلَوْتُ بِلَاءَهُ وَأَنْنِي بَمَتَعَ مِنْ خَلِيلٍ مُفَارِقِ
أُحْدِثُ مِنْ لَاقِيَتُ يَوْمًا بِلَاءَهُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّني غَيْرُ صَادِقِ

وما قاله الكلبة اليربوعي معتذراً ، لأنه لما جاءه النذير كانت فرسه قد
سقيت ملء الحوض ماء ، فلما ألجمها وركب ظلمت (١) :

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا يَا حَزِيمُ بْنُ طَارِقٍ

فَقَدْ تَرَكَتُ مَا خَلْفَ ظَهْرِكَ بَلْقَعًا (٢)

وَنَادَى مُنَادِي الْحَيِّ أَنْ قَدْ أَتَيْتُمْ وَقَدْ شَرِبْتُ مَاءَ الْمَزَادَةِ أَجْمَعًا (٣)

وَقُلْتُ لِكَاسٍ : أَجْمِئَهَا فَإِنَّمَا نَزَلْنَا الْكَثِيبَ مِنْ زُرُودٍ لِنَفْرَعًا (٤)

فَأَذْرَكَ إِبْقَاءَ الْعَرَادَةِ ظَلْعُهَا وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إَصْبَعًا (٥)

(١) المفضليات : ص ٢٠ .

(٢) حزيم . ترخيم حزيمة بفتح الحاء . البلقع : الأجرد الذي لا شيء فيه يقول : إن نجوت
منها نقد ذهبت ببالك ، والعرب كثيراً ما تسند عملها إلى الخيل ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا .

(٣) المزادة : إناء كبير من جلد يتزود فيه الماء . يقول أئاهم الصريخ : وقد شربت فرسه ،
فعاقها عن الجري وخيل العرب إذا علمت أنه يغار عليها وكانت عطاشاً فمئها ، ما يشرب بعض
الشرب ولا يروى . وبعضها لا يشرب البتة .

(٤) كاس : اسم بنته . والعرب لا تثق بأحد في خيلها إلا بأولادها ونسائها . الكثيب :
القطعة من الرمل مستطيلة محدودة . زرود : موضع . الفرع هنا الإغاثة ، وهو من الأضداد ،
ويقال للاستغاثة أيضاً .

(٥) المبقية من الخيل : التي تبقي بعض جريها تدخره . الظلع : العرج والغمز في المشي .
العراة : فرسه .

الفصل الخامس

التهديد

وجد أن هناك من المجموعة التي اخترناها لشعر الحرب في العصر الجاهلي ٣٨٦ بيتاً في تهديد الأعداء . وقد تحدث الشعراء فيها عن النقط الآتية : -

١ - وصف الحالة : وهذه يقصد بها ما يصوّر به الشاعر الجناية التي ارتكبها الأعداء ، وجعلته يهددهم ويتوعددهم بالشر والعقاب . وتصويرهم هنا يدور ، على العموم ، حول وصف الحالة بأنها سيئة ، ومثيرة للشعور ، وأن ما فعله الأعداء ظلم وجور ، وشطط عن سواء السبيل ، وجناية لا يمكن السكوت أو التغافل عنها ، وأن تأثيرها في القوم شديد لدرجة أنهم أصبحوا لا ينامون ، ولا يفكرون إلا فيها من شدة وقعها ، وجسامة خطرها . ولن تهدأ ثورتهم إلا بمهاجمة الأعداء حفظاً لشرفهم وصوناً لكرامتهم .

٢ - شن الحرب والإيقاع بهم : وهذه ، بطبيعة الحال ، الخطوة التالية لما وصفه الشاعر من سوء الحالة . وهنا كانت الشعراء يبالغون في تصوير ما يزمعون القيام به من شن الحرب ، والإيقاع بالأعداء ، فكانوا يصفون الحرب بالقسوة والفظاعة والعنف بحيث تهلكهم جميعاً ، فلا تبقى ولا تذر ، وأنهم سيصبحون جزراً للسباع ، وطعاماً للوحوش الضواري ، أو أسرهم واستبعادهم ، وسبي نساءهم ، وإذلالهن ، ونهب أموالهم ، وتخريب منازلهم ، وطردهم من ديارهم إلى أماكن مجهولة جرداء .

٣ - الأبطال : ومن الطبيعي في هذا المقام أن يتحدثوا عن يشن الحروب والغارات ، فتحدثوا عن الأبطال ، والجيش والكتائب ، وهنا كان الشاعر يوجه اهتماماً خاصاً إلى وصف الأبطال بالحزم والقسوة والعنف ، والتصميم على طلب الوتر وأخذ الثأر ، وأنهم ظالمون ، جانبهم مرهوب . وينزلون الرعب في قلوب الأعداء .

٤ - الخيل : فهي من أولى معدات الحرب ، ووقت التهديد من أخرج المواقف ، وأشدّها حاجة إلى الخيل ؛ فعلى صهواتها يتقابل الأبطال مع أعدائهم في حربهم المبيدة المزمعة ، وعلى مدى قوتها وخبرتها بالحرب تكون درجة القتال ونتيجته . وهنا كان الشعراء يبالغون في وصف الخيل بالجودة والعتق والقوة ، والسرعة ، وتعود الحرب ، والخبرة بأحوالها بحيث لا تؤثر فيها شدتها وأهوالها .

٥ - الأسلحة : وهذه ولا شك ، ضرورة في التهديد بالحرب . وكان الشعراء في هذا المجال يصفونها بالكثرة والجودة والكمال .

وفما يلي إحصاء لعدد الأبيات التي تحدث فيها الشعراء عن كل نقطة من هذه النقاط، وعدد المرات التي كررت فيها كل منها في مجال التهديد للأعداء:-

عدد المرات	عدد الأبيات	ما يهدد به
٦٧	١٤٨	الحرب والإيقاع بالعدو
٣٤	١٠٠	الأبطال
١٦	٧٥	وصف الحالة
١٦	٣٣	الأسلحة
١٦	٣٠	الخيـل
١٤٩	٣٨٦	المجموع الكلي

دوافع التهديد : كان الشاعر يُدفع لتهديد الأعداء عقب إساءة ارتكبوها
ضده ، أو ضد قومه . وبدراسة ما لدينا من شعر نرى أن الإساءة كانت
واحدة من الأنواع الآتية -

١ - قتل أحد أفراد القبيلة : عند ذلك كانت حمية الشاعر تشور ، وتتأجج
مشاعره ، خصوصاً إذا كان المقتول من الرؤساء ، أو ذوي الرأي . فيتوعد
الأعداء بالإيقاع بهم في حرب شديدة ، أخذاً بالثأر ، وهنا كان الشاعر يقطع
على الأعداء الأمل في تسوية النزاع بالصلح أو بأي شيء آخر سوى القتال ؛
فهو السبيل الوحيدة لتهدئة النفوس ، واسترداد الكرامة ، وحفظ الشرف .
يروى أنه عندما قُتل كليب ، هاج أخوه المهمل ، واستمر في رثائه
والبكاء عليه وتهديد قاتليه قبيلة بكر . من ذلك قوله (١) :

أَصْبَحَ مَا بَيْنَ بَنِي وَائِلٍ	مُنْقَطِعَ الْحَبْلِ بَعِيدَ الصَّدِيقِ
غَدَا نُسَاقِي ، فاعلموا ، بيننا	رِمَاحَنَا مِنْ قَانِيءٍ كَالرَّحِيقِ
بِكُلِّ مِغْوَارِ الضَّحَى فَاتِكِ	شَمَرُ دَلٍ مِنْ فَوْقَ طَرْفِ عَتِيقِ
سَعَالِيءٍ يَحْمِلْنَ مِنْ تَغْلِبِ	فِتْيَانِ صَدَقِ كَلْيُوثِ الطَّرِيقِ
لَيْسَ أَخَوَكُم تَارِكًا وَثَرَهُ	وَلَيْسَ عَنْ تَطْلَالِ بَكْمٍ بِالْمُفِيقِ

وكان الحارث بن عباد تجنب حرب بكر وتغلب هذه ، حتى قتل التغلبيون
ابنه 'بجيراً' ، فثارت حميته ، وقال قصيدته التي منها (٢) :

يَا بُجَيْرَ الْخَيْرَاتِ لَا صَلَحَ حَتَّى نَمْلَأَ الْبَيْدَ مِنْ رُفُوسِ الْجِبَالِ

(١) شعراء النصرانية ص ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٢ .

وَتَقَرَّ الْعُيُونُ بَعْدَ بُكَاهَا حِينَ تَسْقِي الدَّمَاصِدُورَ الْعَوَالِي
أَصْبَحَتْ وَائِلٌ تَعِجُّ مِنَ الْحَرِّ بِ عَجِيجِ الْجِهَالِ بِالْأَثْقَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ وَإِنِّي لِحَرُّهَا الْيَوْمَ صَالٍ
قَدْ تَجَنَّبْتُ وَائِلًا كِي يُفِيقُوا فَأَبْتُ تَغْلِبُ عَلَيَّ اعْتِزَالِي
وَأَشَابُوا ذُؤَابَتِي بِبُجَيْرٍ قَتَلُوهُ ظُلْمًا بِغَيْرِ قِتَالِ
قَتَلُوهُ بِشَسْعٍ نَعْلٍ كَلِيبٍ إِنَّ قَتَلَ الْكَرِيمِ بِالشَّيْعِ غَالِ
يَا بَنِي تَغْلِبِ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّنَا شَرُّ بَنَاءٍ بِكَأْسِ مَوْتٍ زَلَالِ
يَا بَنِي تَغْلِبِ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِهِ فِي الْخَوَالِي
قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ
قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَيْسَ قَوْلِي يُرَادُ لَكِنْ فَعَالِي

(ب) التعالي على المغلوبين :

عندما ينتصر القوم على العدو ، خصوصاً إذا كان هو المعتدي ، قد تأخذ الشاعر وقومَه نشوة الفرح ولذة النصر ، فيتوعد العدو المنهزم بزيادة العقاب ، جزاء بغيه وعدوانه . من ذلك مثلاً ما حدث حينما انتصر بنو عامر على تميم وغيرهم يوم شعب جبلَة ، فقال عامر بن الطفيل (١) :

وَجَمْعُ بَنِي تَمِيمٍ قَدْ تَرَكْنَا نُبِينَ سَوَاعِدًا مِنْهُمْ وَهَامَا
وَكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ طَوِيلٌ كَمَا أَجَجْتَ بِاللَّهَبِ الضَّرَامَا

(١) ديوانه ص ٩٩ الأبيات ٢٥ - ٢٩ .

بِدَارِهِمْ تَرَكْنَا يَوْمَ نَحْسٍ لَدَى أَوطَانِهِمْ تُسْقَى السَّهَامَا
فَإِلَّا يُرْهَقِ الْحَدَثَانُ نَفْسِي يُوْثُّوْا الْخُرْجَ لِي عَاماً فَعَاماً
يُوْثُّوْهُ عَلَى رَغْمٍ صَغَارَا وَيُعْطُونَا الْمَقَادَةَ وَالزَّمَامَا

ولكن المغلوبين إزاء هذا الدم والتهديد الموجه إليهم من جانب الغالبين ،
ما كان لهم أن يسكتوا ، بل كانوا يشورون لشرفهم ، ولا يهدءون إلا بمجازاة
المتعاليين عليهم من جنس أعمالهم ، والرد عليهم كيل الصاع بالصاع ، وكان
الشاعر منهم يقوم بدور عظيم في هذا المجال ، فكان يحاول أن يقلل من قيمة
النصر الذي حازه الأعداء ، ويتوعدهم بالحرب الشديدة أخذاً بثأر من فقِد
من قومه ، وجزاء أوفى للأعداء. من ذلك ما كان من عامر بن الطفيل كذلك ،
عندما انهزم بنو عامر في يوم الرقيم ، إذ يقول (١) :

وَلَتَسْأَلَنَ أَسْمَاءُ وَهِيَ حَفِيَّةٌ نُصْحَاءَهَا أَطْرِدْتَ أَمْ لَمْ أَطْرَدْ (٢)
قَالُوا لَهَا : إِنَّا طَرَدْنَا خَيْلَهُ قُلِحَ الْكِلَابُ وَكُنْتُ غَيْرَ مُطْرَدٍ (٣)
فَلَا بُغْيَنَّاكُمْ الْمَلَا وَعَوَارِضاً وَلَا أوردَنَّا الْخَيْلَ لَابَةً ضَرْغَدٍ (٤)
وَالْخَيْلُ تَرْدِي بِالْكُمَاةِ كَأَنهَا

حِدَاً تَتَابِعُ فِي الطَّرِيقِ الْأَقْصَدَ (٥)
فَلَا تُأَرِّنُ بِمَالِكٍ وَبِمَالِكٍ وَأَخِي الْمُرُورَةِ الَّذِي لَمْ يُوسَدَ (٦)

(١) ديوانه : ١٤٤ قصيدة رقم ٢٩ .

(٢) حَفِيَّةٌ : بارة مشفقة .

(٣) قُلِحَ الْكِلَابُ : منادى أو منصوب على الدم . والقُلِحَ : صخرة تعلو الأسنان .

(٤) الْمَلَا : متسع من الأرض ، ويقال إنها أرض كلب . عَوَارِضُ : جبل لبني أسد .

(٥) تَرْدِي : من الرديان وهو ضرب من المشي .

(٦) هُوَلَاءُ قوم قتلوا من قومه .

وَقَتِيلَ مُرَّةَ أَثَارَنَ فَإِنَّهُ فَرَعٌ وَإِنْ أَخَاهُمْ لَمْ يُقْصَدَ^(١)
يَا أَسْمَ أَخْتِ بَنِي فَزَارَةَ إِنْ نِي غَازٍ وَإِنْ الْمُرَّةَ غَيْرُ مُخَلَّد
فِيئِي إِلَيْكَ فَلَا هَوَادَةَ بَيْنَنَا بَعْدَ الْفَوَارِسِ إِذْ ثَوَّوْا بِالْمَرْصَدِ^(٢)
إِلَّا بِكُلِّ أَحْمٍ نَهْدٍ سَابِحٍ وَعُلَالَةٍ مِنْ كُلِّ أَسْمَرٍ مَذُودٍ^(٣)
وَأَنَا ابْنُ حَرْبٍ لَا أَزَالُ أَشْبُهَهَا سَعْرًا ، وَأَوْقَدُهَا إِذَا لَمْ تُوقَدَ^(٤)

(ج) التهديد :

إن الوعيد بالشر يستفز الحليم ، ويشير غضب المتزن الرشيد ، فما بالك بالعدو ، والخصومة تأكل أحشائه ! لقد كان التهديد بالحرب شديد الوقع على النفوس ، فكان يلهب حميتهم ، ويدفعهم دفعا إلى تهديد أشد بحرب أقوى وأعنف :

وكان الشاعر يرد على من يتوعده بالقتال ، ويهدده بأفدح الأضرار .

يروى أنه عندما أشار زرعة بن عمرو على النابغة الذبياني أن يشير على قومه بترك حلف بني أسد وأبي النابغة 'الغدر' ، توعده زرعة ، فقال له النابغة^(٥) :

(١) قتيل مرة : هو حنظلة بن الطفيل أخوه . فرع : شريف ، لم يقصد : لم يقتل .

(٢) فيء : ارجعي . ثووا : قتلوا في المعركة وتركوا هناك .

(٣) أحم : فرس يضرب إلى السواد . النهدي : العظيم الطويل . سابع يجري جريا كالماء . علالة كل شيء : شيء بعد شيء ، من جري أو طعن أو غيرها . أسمر : رمح ، وإذا كان أسمر كان أجود له وأصلب لأنه فضيغ . مذود : يذاد به أي يمنع .

(٤) أشبها : أشعلها . سعرا : نارا . والعود الذي تحرك النار تسمى المسعر .

(٥) العقد الثمين : ديوان النابغة ، القصيدة رقم ١٠ .

نَبَّئْتُ زُرْعَةً ، وَالسِّفَاهَةَ كَاسِمَهَا يُهْدِي بِهَا إِلَيَّ غَرَائِبَ الْأَشْعَارِ ^(١)
فَحَلَفْتُ يَا زُرْعَ بْنَ عَمْرٍو إِنْ بَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الْعَدُوِّ ضَرَارِي
أَرَأَيْتَ يَوْمَ عَكَاظٍ حِينَ لَقِيتَنِي تَحْتَ الْعَجَاجِ فَمَا شَقَقْتَ غُبَارِي
إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارِ ^(٢)
فَلتَأْتِيَنَّكَ قِصَائِدُ وَلِيدَفَعَنْ جَيْشُ إِيْلِكَ قَوَادِمَ الْأَكْوَارِ ^(٣)
رَهْطُ ابْنِ كُوزٍ مُحَقِّي أَدْرَاعِهِمْ فِيهِمْ وَرَهْطُ رِبِيعَةَ بْنِ حِذَارِ ^(٤)
وَلِرَهْطٍ حَرَّابٍ وَقَدِّ سَوْرَةٍ فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غُرَابُهَا بِمُطَارِ ^(٥)
وَبَنُو قُعَيْنٍ لَا مَحَالَةَ إِنَّهُمْ آتَوْكَ غَيْرَ مُقْلَمِي الْأَظْفَارِ ^(٦)
سَهْكِينَ مِنْ صَدَا الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ تَحْتَ السَّنُورِ جَنَّةُ الْبَقَارِ ^(٧)
وَبَنُو سَوَاعَةَ زَائِرُوكَ بَوَفْدِهِمْ جَيْشًا يَقُودُهُمْ أَبُو الْمُظْفَارِ

(١) والسفاهة كاسمها : أي اسم السفاهة قبح وفعلها قبيح .

(٢) جعل النابغة خطته برة لأن زُرْعَةَ دعاه إلى الغدر فلم يرضه ، فلزم الوفاء وكانت خطة زُرْعَةَ فاجرة لذلك .

(٣) قوادم : جمع قادمة وهي مقدمة الرجل . الأكوار : جمع كور وهو رطل الناقة ، وجعل الدفع للإبل لأنهم كانوا يركبونها ويجنبون الخيل .

(٤) محقبي أدراعهم : جعلوها في الحقائق ، أي هي معدة لوقت الحاجة إليها .

(٥) حراب وقد : رجلان من أسد . ليس غرابها بمطار : إذا وصف المكان بالخصب وكثرة الخير قيل لا يطير غرابه ، أي وقع في مكان يشبعه فلا يحتاج للتحويل عنه . وقيل غرابهم هنا : سوادهم .

(٦) غير مقلمي الأظفار : يقصد في سلاح تام وعدة كاملة .

(٧) السهكة : رائحة كريهة من لبس الحديد . السنور : السلاح التمام . البقار : موضع كثير الجن . الجنة : واحد من جني ، ودخلت الهاء لتأنيث الجماعة .

وَبَنُو جَذِيمَةَ حَيُّ صِدْقٍ سَادَةٌ غَلَبُوا عَلَى خَبْتٍ إِلَى تَعْشَارٍ ^(١)
مُتَكَتِّفِي جَنِي عُكَاظٍ كَلَيْبِهَا يَدْعُو بِهَا وَلِدَانَهُمْ عَرْعَارٍ ^(٢)
قَوْمٌ إِذَا كَثُرَ الصِّيَاحُ رَأَيْتَهُمْ وَقُرَّاغْدَاةَ الرَّوْعِ وَالْإِنْقَارِ ^(٣)

(٥) تدبير مكيدة ضد القوم :

أو القيام بعمل يوهم مساساً بالشرف ، أو انتقاصاً من الكرامة . فأي شيء من ذلك كان يثير الأبطال ، ويطلق ألسنتهم بالتهديد والوعيد .

(١) بنو جذيمة من كلب . تعشار : من أرض كلب .

(٢) عرعار : لعبة لصبيان العرب كانوا يتدارعون بها ليجتمعوا للعب ، والمعنى : هم آمنون وصبيانهم يلعبون . وعرعار : حكاية لصوت الصبيان إذا لعبوا ، فقَالُوا : عرعار ، ومثل ذلك من لعبهم « خراج » بمعنى « اخرج » .

(٣) وقر : جمع وقور ، والمعنى إذا ارتفعت الأصوات في الحرب ، واستخف الناس الفرع ثبثوا ولم يبرحوا .

الفصل السادس

الرثاء

ونعني بذلك هنا ما قاله الشعراء عن الأبطال أو العظماء الذين قتلوا في الموقعة أو فيما يتصل بالموقعة ، كأن يقتل أحدهم في طريقه بعد عودته من هجوم أو قتال ، أو يكون قتله سبباً في إثارة الحرب . وقد قيل في هذا الموضوع ، من مجموعتنا المختارة ، ٢٦٦ بيتاً من الشعر .

وفي الرثاء كان الشعراء ، في العادة ، يذكرون ما كان الفقيد يمتاز به من صفات البطولة ، وما قام به من أعمال الشهامة والمروءة ، ثم يتبعون ذلك بالوعيد الشديد للأعداء الذين قتلوه ، أو تسببوا في قتله .

وشعر الرثاء كان يقوله قريب القتيل أو صديقه ، ولكننا في بعض الأحيان نجد الفقيد يبكي نفسه قبل موته مباشرة ، وذلك إذا تحقق أن قتله لا بد منه . وبدراسة شعر الرثاء هنا ، نجد أنه كان يدور حول النقاط التالية : —

١ — الفجيعة وأثرها :

كان الشاعر يصف فجيعتهم في مصابهم بالهول ، ويصورها بأنها جناية عظيمة ، ومصيبة وخيمة العاقبة ، وأن وقعها عنيف على الشاعر وغيره من أفراد القبيلة رجالاً ونساء ؛ فمن الشعراء مثلاً من يدعي أنه من هول المصاب

كان يخيل إليه أن الأرض قد مادت ، وأن السماء قد وقعت على من تحتها ،
ومنهم من يتحدث عن أثر الفجعية الشديدة بأن الخبر قد شج قلبه ، وجعل
عينيه تنهمر بالدموع ولا تجف ، وأن الهم قد ملك عليه أمره ، حتى إنه
لينبو جنبه عن الفراش ، ولا ترقأ عينيه ، ولا يسيغ شرابه ، وصدره يتأجج
غيطاً وأصبح لا رجاء عنده ، ولا أمل له في الحياة ، وغدت النساء حاسرات ،
يخمشن الوجوه ، ويشققن الجيوب .

وهنا يعبر الشاعر كذلك عن شعوره العميق نحو الفقيد ، فيدعو له بعدم
البعد ، ويتمنى لو يستطيع أن يفديه بكل ما عز من نفس ومال ، ويؤكد
أنه لو أدركه حياً لدفع الشر ، وقتل الأعداء لينجيهم ، أو يهلك هو دونه .

كما يعبر الشاعر هنا كذلك عن شعوره الملتهب المتأجج نحو الأعداء ، فيدعو
عليهم باللعن ، ويظهر مرارة الألم في نفسه بإعلانه أنه يعد العدة لمجازاة
الأعداء على ما اقترفوه من جرم ، وأنه قد أخذ العهد على نفسه أن يترك
الملذات ، والعناية بنفسه ، ويهجر النساء ، ويمتنع عن الشراب ، ويدم لبس
الأسلحة ، حتى يثار لشرفه بإبادة الأعداء ، فيخفف ثأرته ، ويهدئ عروعه .

٢ - صفات الفقيد :

وهنا كان الشاعر يصور الفقيد بصورة الرجل الكامل صاحب الشجاعة
والمرؤة والشهامة ، مما مر ذكره في الحديث عن أخلاق البطل وصفاته ،
فينسب له أنه كان يتحلى بالشرف والكرم ، يحمى الذمار ، ويحجب
المستغيث ، غير طائش ولا معزال ، إلى غير ذلك من صفات البطولة التي سبق
تحليلها في باب الوصف ، خصوصاً ما يتصل بموقفه في القتال ، من جرأة ،
وإقدام ، وخبرة بالحروب ، ومجاهدة الأبطال ، ومنازلة الصناديد ، والثبات
في وقت الشدة ، والصمود في موضع الخطر . فكان حديثهم في ذلك على
العموم ، بمثابة سجل لأعمال الفقيد ، وتخليد لما أثره وأجاده .

٣ - محاولة التخفيف من ألم الفجيعة :

وكان بعض الشعراء يحاول في مرثيته أن يخفف من شدة الوقع على نفوس المصابين بما يسليهم بعض الشيء ، أو ينزل على قلوبهم الصبر ، كأن يذكرهم بأن الموت سبيل كل حي ، وأنه لن يخلد شيء في هذه الحياة ، وأنه لو كان هناك من يخلد لما هلك أكثر المخلوقات حذراً وحيطة ^(١) ؛ أو يذكر أن القتل زينة للفتيان ، وأنه مما يفخر به الأبطال ، وأنهم دائماً يقتلون لبطولتهم وشجاعتهم ، أو لأنهم أصحاب حرب : يغيرون ويغار عليهم ، فهم متعودون للقتل ، ثم يدعي أنهم لذلك ما أصبحوا يبيكون على من قتل منهم . وفيما يلي جدول يبين عدد الأبيات التي قيلت في كل نقطة من هذه النقط ، وعدد المرات التي كررت فيها كل منها : -

نقط الرثاء	الفجيعة وأثرها	صفات الفقيده	محاولة التخفيف	المجموع
عدد المرات	٢٣	٤٧	٣	٧٣
عدد الأبيات	٩٣	١٥٦	١٧	٢٦٦

نماذج :

١ - من مرثي المهمل في أخيه كليب حين قتل قوله ^(٢) :

كُليبٌ لا خير في الدنيا ومن فيها إن أنت خلّيتهم سا فيمن يُخلّيها
كليبٌ أي فتى عزٍّ ومكرمة تحت السِّفاسيفِ إذ يعلوك سا فيها
نعي النُّعاة كُليباً لي فقلتُ لهم مادت بنا الأرض أم مادت زوايسها

(١) المفضليات ص ٨٧ ٤ الأبيات ١٠ - ١٤ .

(٢) شعراء النصرانية : ص ١٦٦ .

لَيْتَ السَّمَاءُ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَحَالَتِ الْأَرْضُ فَاُنْجَابَتْ بَيْنَ فِيهَا
أَضَحَتْ مَنَازِلُ بِالسُّلَّانِ قَدْ دَرَسَتْ

تَبْكِي كَلْبِيَا وَلَمْ تَفْزَعْ أَقَاصِيهَا
الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ كَانَا مِنْ صَنِيعَتِهِ
النَّاحِرُ الْكُومُ مَا يَنْفَكُ يُطْعِمُهَا
وَالْوَاهِبُ الْمَائَةُ الْحُمْرَا بِرَاعِيهَا
القَائِدُ الْخَيْلَ تَرْدِي فِي أَعْنَتِهَا
زَهْوَا إِذَا الْخَيْلُ بُحَّتْ فِي تَعَادِيهَا
مِنْ خَيْلٍ تَغْلِبَ مَا تَلْقَى أَسْنَتِهَا
إِلَّا وَقَدْ خَضَّبَتْهَا مِنْ أَعَادِيهَا
قَدْ كَانَ يُصْبِحُهَا شَعْوَاءُ مُشْعِلَةً
تَحْتَ الْعَجَاجَةِ مَعْقُودَا نَوَاصِيهَا
تَكُونُ أُولَهَا مِنْ حِينِ كَرَّتِهَا
وَأَنْتَ بِالْكَرِّ يَوْمَ الْكَرِّ حَامِيهَا
حَتَّى تُكْسِرَ شَزْرَا فِي نُحُورِهِمْ
زُرْقَ الْأَسِنَّةِ إِذْ تُرَوَّى صَوَادِيهَا

٢ - كان عبد يغوث بن الحرث قائد قومه يوم الكلاب الثاني ، فأسر وأراد أن يفدي نفسه ، فأبت تميم إلا أن تقتله بالنعمان بن جساس ، ولما لم يجد بُدًّا من القتل طلب إليهم أن يطلقوا لسانه ليذم أصحابه ، وينوح على نفسه ، وأن يقتلوه قتلة كريمة ، فأجابوه إلى طلبه ، وسقوه الخمر ، وقطعوا له عرقا يقال له الأكحل ، وتركوه ينزف حتى مات ، وحين جهز للاقتل قال قصيدة تحدث فيها عن نفسه بأشياء كثيرة ، من بينها فخره بشجاعته وكرمه وبراعته في الطعن والقتال ، ومنها ^(١) :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّومَ مَا بِيَا فَمَا لَكُمْ فِي اللَّومِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا

(١) الفضليات : ص ٣١٥ .

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ، وَمَا لَوْ مَيَّ أَخِي مِنْ شِمَالِيَا^(١)
فِيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغَنُ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
أَبَا كَرْبٍ وَالْأَيَّامَيْنِ كِلَيْهِمَا وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَ مَوْتَ الْيَانِيَا^(٢)
تَجْزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكَلَابِ مَلَامَةً صَرِيحَهُمُ وَالْآخَرِينَ الْمَوَالِيَا^(٣)
وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتُ مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً تَرَى خَلْفَهَا الْحَوَّ الْجِيَادَ تَوَالِيَا^(٤)
وَلَكِنِّي أَحْمِي ذِمَارَ أَبِيكُمْ وَكَانَ الرَّمَا حُ يَخْتَطِفُنَ الْمُحَامِيَا^(٥)

ومنها :

فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِي سَيِّدًا وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا^(٦)
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعًا نَشِيدَ الرُّعَاءِ الْمُعْزِبِينَ الْمُتَالِيَا^(٧)
وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عِبْشَمِيَّةٌ كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا^(٨)
وَقَدْ عَلِمْتُ عَرْسِي مُلَيْكَةً أَنَّنِي أَنَا اللَّيْثُ مَعْدُودًا عَلَيْهِ وَعَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمُعْمِلَ الْمَطِيِّ وَأَمْضِي حَيْثُ لَا حَيٍّ مَاضِيَا

(١) الشمال : واحد الشمال .

(٢) أبو كرب : هو بشر بن علقمة بن الحارث . والأيهان : هما الأسود بن علقمة بن الحارث ، والعاقب ، وهو عبد المسيح بن الأبيض .

(٣) صريحهم : خالصهم ومحضهم في النسب . الموالي هنا : الحلفاء .

(٤) النهدة : المرتفعة الخلق . الأحوى من الخيل : ما ضرب لونه إلى الخضرة .

(٥) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه وحمايته .

(٦) حربه يحربه من باب طلب : أخذ ماله وتركه بلا شيء .

(٧) الرعاء : جمع راع . المعزب : المتنحى بإبله . المتالي : الإبل التي نتج بعضها وبقي بعض .

(٨) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس .

وَأُنْحَرُ لِلشُّرْبِ الْكَرَامِ مَطِئِي (١)
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَّصَهَا الْقَنَا (٢)
وَعَادِيَّةِ سَوْمِ الْجَرَادِ وَزَعَتْهَا (٣)
كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقُلْ (٤)
وَأُصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا (٥)
لَبِيقاً بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بَنَانِيَا (٦)
بِكَفِّي وَقَدْ أُنْحَوْا إِلَى الْعَوَالِيَا (٧)
لِخَيْلِي كُرِّي نَفْسِي عَنْ رِجَالِيَا (٨)

٣ - وقال دريد بن الصمة في كثرة القتل من قومه (٤) :

تَقُولُ أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ وَقَدْ أَرَى

مَكَانَ الْبُكَاءِ لَكِنْ بُنِيتُ عَلَى الصَّبْرِ (٥)

فَقُلْتُ أَعْبَدَ اللَّهُ أَبْكِي أُمِّ الَّذِي (٦)
وَعَبْدَ يَغُوثَ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ (٧)
أَبَى الْقَتْلِ إِلَّا آلَ صِمَّةَ إِنَّهُمْ (٨)
لَهُ الْجَدَثُ الْأَعْلَى قَتِيلَ أَبِي بَكْرٍ (٩)
وَعَزَّ الْمَصَابُ حَشَوُ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ (١٠)
أَبَوَا غَيْرَهُ وَالْقَدْرُ يُجْرِي إِلَى الْقَدْرِ (١١)

(١) الشرب : جمع شارب : المطيعة هنا : البعير . أصدع : أشق . القينة : المغنية ، يريد أنه يعطي كلا منها شطر رداؤه .

(٢) شمس : نقر . اللبيق : الحاذق الظريف .

(٣) العادية : الخيل المغيرة . سوم الجراد : انتشاره في طلب المرعى ، يريد أن الخيل كالجراد في كثرتها . وزعتها : كفنتها . أنحوا إلي : وجهوا إلي .

(٤) ديوان الحماسة : ج ١ ص ٣٤٠ .

(٥) مكان البكاء : بيان لاستحقاق أخيه أن يبكي عليه ، أي هذا محل البكاء على أخي .

(٦) الجدث : القبر . الأعلى : الأشرف .

(٧) عبد يغوث : هو اسم أخيه ، وقتلته بنو مرة . حجل الطير : نزا في مشيه . المصاب المصيبة ، وحشو : بدل منه . والمعنى : لقد تتابعت المصائب فهي كحشو قبر على قبر ، فهاذا ينفع البكاء .

(٨) آل صمة : أولاده . وكان لدريد إخوة كلهم قد قتل . والقدر يجري ... الخ : معناه أنهم قدروا للقتل ، كذلك القتل قدر لهم .

فإِما تَرَيْنَا لا تَزَالُ دِماؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ^(١)
فإِنا لِلْحَمِّ السِّيفِ غَيْرُ نَكِيرَةٍ وَنُلْحِمُهُ حِينًا وَلا يَسَ بَذِي نُكْرٍ^(٢)
يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتِرِينَ فَيُشْتَفَى بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ نَغِيرُ عَلَى وَتِرٍ^(٣)
قَسَمْنَا بِذَلِكَ الدَّهْرِ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ^(٤)

-
- (١) الواتر : هو الذي قتل له قتل ، وهو يسعى في ثأره .
(٢) يقصد : فإذا ترى أننا لا تزال دماؤنا أبرد الدهر عند واترين يسمون بها ، فإننا نخاطر بأرواحنا . فنقتل ونقتل ، وليس ذلك بمنكر فينا ومنا .
(٣) المعنى : أن أعداءنا إما أن يغيروا علينا طالبين ثأرهم عندنا فيصيبون منا ما يشتهون به ، وإما أن نغير عليهم لنأخذ بثأرنا ، يريد أن دأبنا ذلك .
(٤) يريد أننا قسمنا الدهر قسمين : نغير على الأعداء وننتصر ، أو يغيرون علينا ليأخذوا بثأرهم .

الفصل السابع

المَدَح

ونعني بهذا ما قاله الشعراء في الثناء على شخص أو قوم من غير عشيرتهم مشيدين بما فيهم من صفات حسنة خاصة بالحروب وما يتصل بها ، سواء أكان هذا في حرب حقيقية أم غير ذلك .

وفي مجموعتنا المختارة الدراسة وجد أن منها ٥٤٣ بيتاً قيلت في المدح ، ولكنها لشعراء قليلين . وبدراسة ما قيل في هذا الموضوع نجد أنه قد اشتمل على الحديث حول النقط الآتية : -

١ - البطولة والشهامة :

والمدح بذلك يشمل كل ما سبق تحليله في الحديث عن البطل ؛ وأهم ما في ذلك هو الثناء على الممدوح بما يصفه بالشجاعة ، والقوة ، والخبرة الحربية ، والمروءة : من الإقدام ، وصدق العزيمة ، والدفاع عن الشرف ، والحكمة وبعد النظر في الأقوال والأفعال ، والحيلة والحذر ، والوفاء ، والعفة ، والوقار والاتزان ، وشدة البأس ، وقوة الشكيمة ، وغير ذلك من الصفات التي تصور البطل الحقيقي . لكن مما يسترعي الانتباه أن شعراء المدح في حديثهم عن بطولة الممدوحين وشهامتهم ، أكثروا أو بالغوا في الثناء عليهم ببعض صفات معينة ، كما نجد مثلاً عند الحديث عن قوة الممدوحين وغناهم ،

إذ ترى الشعراء يبالغون في وصف الأسد الذي يشبه به الممدوح لدرجة أن القارئ قد يظن أن الشاعر يتحدث عن أسد حقيقي معين ؛ أو ينسبون إلى الممدوح الرغبة في الظلم ؛ أو الرغبة عن الفنائم والأنفة من مشاركة الآخرين فيها .

٣ - الجيوش والكتائب ؛

وهنا يثني الشاعر على ممدوحه بكثرة القوم حوله ، وانضوائهم جميعاً تحت رايته ، وإطاعتهم أمره ، وبضخامة الجيوش ، وروعة الكتائب ، وأنهم كلهم جند من السادة الكرام ، غير أشائب ، وإمداداتهم في الحروب كثيرة متوالية لا تنقطع . والحديث عن هذه النقطة على العموم ، يتضمن الصفات التي أشرنا إليها في الحديث عن « الكتيبة والجيش » في الفصل الخاص بالوصف .

٣ - الأسلحة والخيال ؛

وهنا كذلك نجد الشعراء مدحوا بما مر ذكره من وصف الأسلحة والخيال بالجودة والحسن . ولكنهم أكثروا من ذكر الصفات التي تظهر الممدوح بقوة الهجوم على الآخرين ، وشدة ، واستمراره حتى يكاد لا ينقطع . كأن ينسبوا إليه أن سيوفه لا عيب فيها سوى أن بها فلولاً من قراع الكتائب ، وأن خيله يعنى بها عناية خاصة في وقت الشدة والقحط ، وأنها كانت تقاد سمينة قوية ، ثم تعود هزيلة ضعيفة تشكو الكثير من الآلام ، بسبب ما قامت به من الجهود المضني الطويل المتتابع في غارات الممدوح الشديدة التي يطيلها ويديمها ، وعدم إعطائها فرصة للراحة والاستجمام . وهنا نجد الشعراء يتحدثون عن صورة الخيل المتعبة المهزولة ، فيصورونها بخوافر قد برتها الصخور ، وعيون قد غارت ، وأجسام قد هزلت حتى أصبحت جلوداً على عظم ، وقد رمت أفلاءها في الطريق ، فأنهكها الزيف ، وأهلكها ، أو كادَ يقضي عليها .

٤ - الغارات :

لقد مدح الشعراء بشن الغارات الشديدة ، العظيمة الأثر ، وبشنها في أوقات الشدة كزمن القيظ لتعذر الماء والكلأ ، وبوصل الشتاء والربيع في الإغارة ، وإدامتها ، فما يخرج المدوح من غارة إلا ويدخل في أخرى ، مما ترك في الخيل أثراً شديداً من الضعف والهزل ، ومما مدحوا به هنا ، انتشار الغارات في جهات واسعة ، حتى إنها لتوغل في الجهات النائية ، فتأخذ أموال المعزاب ومدحوا كذلك بأن غارات المدوح دائماً ناجحة تدر عليه وعلى من معه غنائم كثيرة ، تسلب أموال الأغنياء ، وتوزعها على الفقراء فتورثهم الغنى بعد أن كانوا في فقر شديد .

٥ - المجد الحربي :

ونقص بذلك ما يذكره الشاعر في مدحته من أيام المدوح ، وما أوقعه بأعدائه : وهنا نجد الشاعر يعدد الأيام التي انتصر فيها المدوح ويدعي أنها كانت طويلة على الأعداء ، قصيرة عليه وعلى أصحابه . ثم يثني على المدوح بسرد ما أوقعه بالأعداء : من قتلهم وإهلاكهم ، وأسروهم وسبي نسائهم ، وسلب أموالهم ، وإخضاعهم تحت سيطرته ، وإذعانهم له . وتخريب ديارهم ، وإباحة منازلهم ، إلى غير ذلك مما مر ذكره في موضوع «ماحدث للأعداء» . وقد نجد بعض الشعراء ينسب إلى مدوحه أنه أصاب كل الناس بحروبه وغاراته ، حتى أصبح الجميع يرهبونه ، ولا يأمنون غزوه . وهذه هي الإحصائية التي تبين عدد المرات التي كرر فيها المدح بكل واحدة من هذه النقاط الخمس ، وعدد الأبيات التي قالها الشعراء في كل منها :

ما مدحوا به	البطولة والشهامة	المجد الحربي	الأسلحة والخيل	الجيوش والكتائب	الغارات	المجموع
عدد المرات	٨٢	٤٢	٢٨	٢٥	٨	١٨٥
عدد الأبيات	٢٨٨	١١٦	٧٦	٤٣	٢٠	٥٤٣

دوافع المدح :

كان الشعراء مدفوعين بأحد غرضين : الطمع في نعمة ، أو الشكر على يد أسداها المدوح . ومن دراسة ما قيل في المدح من شعراء الحرب في العصر الجاهلي نجد أن الأسباب المباشرة للمدح كانت الأمور الآتية ، أو ما يماثلها : -

١ - حب العطاء :

وكان المدوح في ذلك ملكاً ، أو رئيساً ، أملاً في هدية ثمينة أو حباء عظيم . كما كان شأن النابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ومع ملوك غسان بعد أن غضب عليه النعمان ، وكما كان زهير بن أبي سلمى مع هرم بن سنان .

ومدائح العصر الجاهلي الشعرية على العموم . كان معظمها يدور حول الناحية الحربية وما يتصل بها . فكان الشاعر يجهد نفسه في صورة هائلة لقوة المدوح الحربية وعدته واستعداداته وحروبه . وكان يبالغ ، بنوع خاص ، في شجاعة المدوح نفسه ، وجراته الشخصية . من ذلك ما مدح به النابغة عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني ، وفيه يقول (١) :

وِثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ (٢)
بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ أَوْلَئِكَ قَوْمٌ بِأُسْهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

(١) العقد الثمين : ديوان النابغة . ص ٢ ، قصيدة ١ .

(٢) غير أشائب . غير أخلاط ، يريد أنه غزا بغسان لم يخالطها غيرها ، ولا احتاج أن يستعين بسواها .

يَصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغْرُونَ مُغَارَهُمْ مِنْ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ^(١)
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُيُونُهَا

جَلُوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ^(٢)
جَوَانِحَ قَدْ أَيقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَيْشَانِ أَوَّلُ غَالِبِ^(٣)
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا

إِذَا عُرِضَ الْخَطِيُّ فَوْقَ الْكَوَاتِبِ^(٤)
عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطَّعَانِ عَوَاسٍ
بَيْنَ كَلُومٍ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ^(٥)
إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا
إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالَ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ
فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ
بِأَيْدِيهِمْ بَيْضُ رِقَاقٍ الْمَضَارِبِ
وَيَتَّبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَاشُ الْحَوَاجِبِ^(٦)
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ
بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(٧)

- (١) المصانعة : حسن الصحبة . الضاريات : المفترسات المشغوفة باللحم والدم . الدوارب : المتعودات .
(٢) الأخزر : الذي ينظر بؤخر عينيه . ثياب المرانب : ثياب تضرب الى السواد ، شبه ألوان النسور بها ويقال كساء مرنباني : أي من جلد الأرنب .
(٣) جوانح : مائلات للوقوع .
(٤) السكاثبة : أمام القربوس ؛ يقول : إذا عرضت الرماح على الكواثب علمت الطير أن الرزق يساق إليها .
(٥) الجالب : اسم فاعل من جلب الجرح إذا برىء أو علتة الجلبة . وهي القشرة تعلو الجرح عند البرء .
(٦) الفضاض : ما انفض وتفرق . القونس : مقدم البيضة . الفراش : عظام رقاق على الحياشيم من داخل .
(٧) القراع : المجالدة . وهذا البيت توكيد المدح بما يشبه الذم .

تُورِثُنَّ مِنْ أَزْمَانٍ يَوْمَ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنِ كُلَّ التَّجَارِبِ
تَقْدُّ السَّلَوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوْقِدُ الصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَابِ^(١)
بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ
وَطَعْنِ كَايْزَاغِ الْمَخَاضِ الضُّوَارِبِ^(٢)

(ب) الرغبة في إطلاق أسير :

وكان الشاعر هنا ، يتحدث ، في العادة ، عن قوة الممدوح الحربية عامة ،
وإن كان يريد في ذهنه ، تلك الحرب التي شنها على أعدائه ، وأخذ فيها هؤلاء
الأسرى الذين يتملق الشاعر بشعره من أجل إطلاق سراحهم . ثم يعقب على
ذلك بعرض مطلبه صراحة ، راجياً أن يحقق الممدوح أمله . يروى أنه لما حارب
الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني بني تميم ، وانتصر عليهم ، أخذ أسراهم ،
وفيههم شأس أخو علقمة الفحل ، فرحل إليه علقمة يطلبه منه ، فقال قصيدة
يمدح فيها الحارث ، ومنها (٣) :

وَأَنْتَ أَمْرُؤُ أَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَانَتِي وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي ، فَضِغْتُ ، رُبُوبِ^(٤)
فَأَدَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَيْبَهَا وَغُودِرَ فِي بَعْضِ الْجُنُودِ رَيْبِ^(٥)

(١) السلوقي : الدرع ، منسوب إلى سلوق وهي مدينة بالروم . المضاعف : الذي نسج
حلقتين حلقتين . وقد مر شرح ذلك البيت .

(٢) الهام : الرؤوس . الإيزاغ : دفع الناقة ببولها . المخاض : النوق الحوامل . الضواريب :
التي تضرب برجليها .

(٣) المفضليات ص ٧٧٩ . والعقد الثمين : ديوان علقمة قصيدة رقم ٢ .

(٤) أفضت إليك أمانتي : صارت نصيحتي لك ، أي توجهت نحوك وانتهيت إليك .
ربوب : جمع رب وهو السيد والمالك . ربتي : ملكتي .

(٥) أدت : سلمت وخلصت . الربيب : المالك . غودر : ترك . ربيب : أسير ، يقصد
أخاه شأساً .

فَوَاللَّهِ لَوْلَا فَارِسُ الْجَوْنِ مِنْهُمْ^(١) لَا بُوَ خَزَايَا ، وَالْإِيَابُ حَبِيبُ^(٢)
 تَقَدَّمَهُ حَتَّى تَغِيبَ حُجُولُهُ^(٣) وَأَنْتَ لَبِيضُ الدَّارِعِينَ ضُرُوبُ^(٤)
 مُظَاهِرُ سِرِّبَالِي حَدِيدٍ عَلَيْهَا^(٥) عَقِيلًا سَيْوْفٍ مُحْذَمٌ وَرُسُوبُ^(٦)
 فَجَا لَذَتَهُمْ حَتَّى اتَّقَوْكَ بِكَبْشِهِمْ^(٧) وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ^(٨)
 تَخْشَشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ
 كَمَا خَشَخَشَتْ يُبْسُ الْحَصَادِ جَنُوبُ^(٩)
 وَقَاتِلَ مِنْ غَسَانِ أَهْلِ حِفَاطِهَا
 وَهَنْبٌ وَقَاسٌ جَالَدَتُ وَشَيْبُ^(١٠)
 كَأَنَّ رِجَالَ الْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ وَمَا جَمَعَتْ جَلٌّ مَعًا وَعَتِيبُ^(١١)

(١) الجون : فرس الممدوح ، والجون معناه الأسود ، وقد يكون الأبيض ، أي لولاك كنت معهم لرجعوا مغلوبين . خزايا : جمع خزيان من الخزاية وهي كل ما يستحيا منه .
 (٢) تقدمه : أي في الحرب . تغيب ججوله : أي حتى يوارى الدم قوائمه . الدارعين : أصحاب الدروع . والحجول : ما في يديه ورجليه من البياض ، وهي موضع الخلاخيل .
 (٣) السربال هنا : الدرع . أي لبس درعين واحدة على الأخرى . عقيلا سيف : كريمان منها ، وكان الحارث يتقلد بسيفين . المحذم : الذي يبين الضريبة أي يقطعها . والرسوب : الغائص في الضريبة .

(٤) اتقوا بكبشهم : جعلوك بينه وبينهم . والكبش هنا : الرئيس .

(٥) تخشش : تصوت . الأبدان : الدروع . الجنوب : ريح .

(٦) هنب وقاس وشيب وغسان : قبائل يمنية .

(٧) عتيب : حي من جذام سبته بنو شيبان . تحت لبانه : أي لبان فرسه ، لأنه الرئيس فكلهم يحفون به . وقيل : جل وعتيب من غسان ، ويقال : جل من قضاة ، وعتيب من جذام ، وهم حلفاء بني شيبان .

رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فَدَا حَضُّ
 كَانَهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ
 فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةً بِلِجَامِهَا
 وَإِلَّا كَمِيٌّ ذُو حِفَاطٍ كَأَنَّهُ
 وَأَنْتَ الَّذِي آثَارُهُ فِي عَدُوِّهِ
 وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ
 وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا أُسِيرُهُ
 فَلَا تَحْرِمَنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ
 بِشَكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبٌ^(١)
 صَوَاعِقُهَا لِطِيرِهنَّ دَبِيبٌ^(٢)
 وَإِلَّا طِمِرٌ كَالْقَنَاءِ نَجِيبٌ^(٣)
 بِمَا ابْتَلَّ مِنْ حَدِّ الظُّبَاتِ خَضِيبٌ^(٤)
 مِنَ الْبُؤْسِ وَالنُّعْمَى لَهُنَّ نُدُوبٌ^(٥)
 فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبٌ^(٦)
 مُسَاوٍ وَلَا دَانَ لِذَاكَ قَرِيبٌ^(٧)
 فَإِنِّي أَمْرُؤُ وَسَطَ الْقِبَابِ غَرِيبٌ^(٨)

- (١) السقب : ولد الناقة . يقصد سقب ناقة صالح عليه السلام ، أي نزل بهم ما نزل بشعود من الهلاك حين عقروا الناقة ، ومعناه زل فسقط . بشكته : أي عليه سلاحه . أي منهم من سلب ومنهم من لم يسلب . والداحض : الذي يفحص الأرض بيديه ورجليه وهو يجود بنفسه .
- (٢) صابت : مطرت . يقول : كان ما أصابهم ونزل بهم من القتل الذريع والاستئصال سحابة جاءت بصواعق ، فقتلت ما أصابت من الطير ، وبقي ما أفلت منها يدب لا يقدر على الطيران . والدبيب : مشي ضعيف .
- (٣) الشطبة : الطويلة . الطمر : الخفيف ، ويقال هو الشديد الوثب . لم تنج : لم تفلت بلجامها . ملجمة كالقناة : أي في ضمره وصلابة .
- (٤) الكمي : الشجاع . الظبات : جمع ظبة ، وهي أطراف الأسنة . مخضوب : يقصد أن يمينه احمرت من الدم فكأنه مخضوب .
- (٥) الندوب : آثار الجروح .
- (٦) خبطت بنعمة : أي أنعمت وتفضلت . شأس : أخو علقمة . الذنوب ، بفتح الذال : الدلو ، يقصد الحظ والنصيب .
- (٧) أي لا يذل أسيره ولا يهينه ، ولكن يشرفه ويعزه .
- (٨) عن جنابة : عن هنا بمعنى بعد ، والجنابة : الغربية ، أي لا تحرمني بعد غربة وبُعْد عن ديار .

(ح) الاعتراف بالجميل : وذلك حينما يسدي الممدوح إلى الشاعر أو قبيلته معروفاً ، كأن يطلق أسراهم ، أو يحمي اللاجئين منهم ؛ فيقر له الشاعر بالفضل ، ويشكره على حسن صنيعه ، ويثني عليه جزاء ما قدم من جميل .

يروى أنه لما أغار النعمان بن وائل بن الجُلّاح الكلبي على بني ذبيان ، أخذ منهم ، وسبى سبياً من غطفان ، وأخذ عقرب بنت النابغة الذبياني ، فسأها : من أنت ؟ فقالت : أنا بنت النابغة . فقال لها : والله ما أحد أكرم علينا من أبيك وما أنفع لنا عند الملك ، ثم جهزها وخلّاها . ثم قال والله ما أرى النابغة يرضى بهذا منا . فأطلق له سبي غطفان وأسراهم . فقال النابغة في مدحه (١) :

لَعَمْرِي لِنِعْمَ الْحَيِّ صَبَّحَ سِرْبَنَا وَأَيَّاتَنَا يَوْمَا بَذَاتِ الْمَرَاوِدِ (٢)
يَقُودُهُمُ النِّعْمَانُ مِنْهُ بِمُخَصَّفِ
وَشِيمَةٍ لَا وَانَ وَلَا وَاهِنِ الْقَوَى
وَكَيْدٍ يَغْمُ الْخَارِجِيَّ مُنَاجِدُ
فَأَبَ أَبْكَارٍ وَعُونٍ عَقَائِلِ
وَجَدٍّ إِذَا خَابَ الْمُفِيدُونَ صَاعِدِ
يَخْطُطْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَقْعَدِ
أَوَانِسَ يَحْمِيهَا امْرُؤٌ غَيْرُ زَاهِدِ
وَيَخْبَأْنَ رُفَّانَ الثُّدِيِّ النَّوَاهِدِ
وَيَضْرِبْنَ بِالْأَيْدِي وَرَاءَ بَرَاغِزِ
حَسَانِ الْوُجُوهِ كَالظُّبَاءِ الْعَوَاقِدِ
غَرَائِرَ لَمْ يَلْقَيْنَ بِأَسَاءَ قَبْلِهَا
لَذَى ابْنِ الْجُلَّاحِ مَا يَثْقَنَ بَوَافِدِ
أَصَابَ بَنِي غَيْظٍ فَأَضْحَوْا عِبَادَهُ
وَجَلَّلَهَا نِعْمَى عَلَى غَيْرِ وَاحِدِ
فَلَا بَدَّ مِنْ عَوْجَاءَ تَهْوِي بِرَاكِبِ
إِلَى ابْنِ الْجُلَّاحِ سَيْرُهَا اللَّيْلَ قَاصِدِ

(١) العقد الثمين : ديوان النابغة ، قصيدة رقم ٦ .

(٢) ذات المارود : موضع بعقيق المدينة .

تُخْبُ إلى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ فِدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفِي وَتَالِدِي
فَسَكَنْتَ نَفْسِي بَعْدَ مَا طَارَ رُوحُهَا

وَأَلْبَسْتَنِي نِعْمَى وَلَسْتُ بِشَاهِدٍ
وَكُنْتُ امْرَأً لَا أَمْدَحُ الدَّهْرَ سَوْقَةً فَلَسْتُ عَلَى خَيْرٍ أَتَاكَ بِحَاسِدٍ
سَبَقَتْ الرِّجَالُ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَا

كَسَبَقِ الْجَوَادِ اضْطَادَ قَبْلَ الطَّوَارِدِ (١)
عَلَوْتَ مَعْدَأً نَائِلاً وَنِكَايَةً فَأَنْتَ لِعَيْثِ الْحَمْدِ أَوَّلُ رَايِدِ

(٥) توطيد الصلة: أحياناً نجد الشاعر يمدح بعض حلفاء قومه ، رغبة في
دوام الصلة بينهم وتوطيد الصداقة ، وتوثيق عرى التحالف ، خصوصاً إذا
كان هؤلاء الحلفاء أقوياء كما كان من النابغة الذبياني في بني أسد حلفاء قومه
بني ذبيان إذ يقول (٢) :

فَهُمْ دِرْعِي الَّتِي اسْتَلَأْتُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ ، وَهُمْ مَجْنِي
وَهُمْ وَرَدُّوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظٍ ، إني
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتَهُمْ بِوُدِّ الصَّدْرِ مِنِّي
وَهُمْ سَارُوا لِحُجْرٍ فِي خَمِيسٍ وَكَانُوا يَوْمَ ذَلِكَ عِنْدَ ظَنِّي
وَهُمْ زَحَفُوا لَغَسَّانٍ بِزَحْفٍ رَحِيبِ الشَّرْبِ أَرَعَنَ مُرَجِحِنَ

(١) الباهشين إلى العلا : المراثين له الخافين إليه .

(٢) العقد الثمين : ديوان النابغة . القصيدة رقم ٢٧ .

بِكُلِّ مُجْرَبٍ كَالْيَتِيمِ يَسْمُو عَلَى أَوْصَالِ ذِيَالٍ رِفْنٍ
وَضَمِيرٍ كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ عَلَيْهَا مَعَشَرُ أَشْبَاهُ جِنِّ
غَدَاةٍ تَعَاوَرَتْهُ ثُمَّ بَيَضَ دُفْعَنَ إِلَيْهِ فِي الرَّهْجِ الْمُكِنِّ

(هـ) تخليد عمل جليل : وذلك كأن يقوم الممدوح بالصلح بين المتحاربين ،
أو يبذل مجهوداً في سبيل الوصول إلى السلم . كما حدث من الحارث بن عوف ،
وهرم بن سنان حين قاما بالصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء ،
وتحملا ديات القتلى في تلك الحرب ، رغبة في إصلاح ذات البين ، فمدحهما
زهير بن أبي سلمى ، وكان مما قاله في ذلك (١) :

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ

رِجَالُ بَنَوِهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمُ (٢)

يَمِيناً لِنِعْمِ السَّيْدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ (٣)

تَدَارَكْتُمَا عَنِساً وَذُبْيَاناً بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ (٤)

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نَذَرِكِ السَّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمَ (٥)

(١) المعلقة .

(٢) البيت : هو الكعبة . جرمهم : قبيلة قديعة تزوج فيها إسماعيل عليه السلام .

(٣) السحيل : المقتول على قوة . والمبرم : المقتول من قوتين أو أكثر . استعار السحيل
للضعيف ، والمبرم للقوي . يقصد أنكما وجدتما كاملين مستوفيين لحلال المشرف على كل حال ضعيفة
أو قوية . وأراد بالسيدان : هرم بن سنان والحارث بن عوف .

(٤) منشم : قيل إنه اسم امرأة عطارة ، اشترى قوم منها حفنة من العطر ، وتحالفوا ،
وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر ، ثم قاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله فقتلوا
عن آخرهم فتطير العرب بعطر منشم .

(٥) نسلم : أي من تفاني العشائر .

فَأَصْبَحْتُهَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثِمٍ^(١)
عَظِيمَيْنِ فِي عُليَا مَعَدٍّ هُدَيْتَا

وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَنْزاً مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ^(٢)

تُعْفَى الْكُلُومُ بِالْمِثْنِ فَأَصْبَحَتْ يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ^(٣)

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ وَلَمْ يُهَرِّقُوا بَيْنَهُمْ مِلَّةً مُحْجَمٍ^(٤)

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمٍ^(٥)

* * *

(١) العقوق : العصيان . والمأثم : الإثم يقصد عقوق الأقارب والإثم بقطيعة الرحم .

(٢) الاستباحة : وجود الشيء مباحاً ، وجعل الشيء مباحاً . والاستباحة : الاستئصال .

يعظم : أي أمره وشأنه بين الكرام . يعني : من يجد كنزاً مباحاً فيأخذه لنفسه يعظم شأنه .

(٣) الكلوم . جمع كلثم وهو الجرح . التعفية : التمحية . من عفا يعفو إذا انمحي ودرس .

ينجمها : يعطيها نجوماً أي على دفعات .

(٤) الهجوم : آلة الحجام .

(٥) التلاد والتلید : المال القديم . الإفال : جمع أفيال وهو الصغير السن من الإبل . المزنم :

المعلم بعلامة .

الفصل الثامن

الإشارة

ونقصد بهذا ما قيل من الشعر لإلهاب حمية القوم ، وتصوير الحال بأنها تتطلب شن الحرب لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي بها تهدأ الخواطر ، وتسكن النفوس . ومما لدينا من المجموعة الشعرية التي يبلغ عددها ٥٠٨٠ بيتاً ، وجدنا أن مجموع ما يخص هذا الموضوع ١٥٥ بيتاً . وذلك عدد قليل بالنسبة إلى ما قيل في الموضوعات الأخرى .

وربما كانت هذه القلة راجعة إلى أن العربي ، على العموم ، ما كان في حاجة إلى من يثيره نحو الحرب بشعر أو غيره ، لأنه كان ، بطبيعته يتأجج حماسة إذا مس شرفه ، أو أحس أن خطراً يتهدهده . ولهذا نجد الشعر هنا كثيراً ما يأخذ صيغة الإخبار في صورة الحكمة التي هي من قبيل النضج ، بدل صورة الحث التي تكون عادة في صيغة الأمر . ومن ثم وُجد من الإثارة ، ما كانت مباشرة وهي التي توجه إلى القوم رأساً في صيغة إثارة صريحة ؛ وما كانت غير مباشرة وهي التي تلقى في صيغة كلها تلميح وتعريض ، كتلك التي تقال في ثياب الحكمة ، أو في صورة التهكم والسخرية ، أو في الإشادة بحمية قوم آخرين وبطولتهم .

وكانت الإثارة تحدث عادة عندما يحس الشاعر أن شرف القبيلة قد مس ، أو أن كرامتها يتهدهدها خطر . ولذلك نجد الشعراء في هذا الموضوع أكثروا

من ثريد كلمات الشرف والكرامة والإباء والعزة والذل والخزي ، والعار .
وبدراسة ما قيل هنا نجد أن الشعراء كانوا يثيرون القوم أحياناً في مثل
المناسبات الآتية :

١ - محاولة ظلمهم أو السيطرة عليهم :

وذلك كأن يطمع فيهم ملك أو عظيم ، ويحاول أن يسيطر عليهم ، أو
يطالبهم بما ينتقص من حقوقهم أو يتنافى مع استقلالهم وكرامتهم ؛ فهنا
تثور حمية الشاعر ، ويهب لإلهاب حماسة القوم ويحثهم على عدم الخضوع والرضا
بالظلم ، ويطالبهم بإثارة حرب شعواء ضد المعتدي ، ومعارضته بكل ما
لديهم من قوة . فالموت خير من حياة الذل والعار . وهنا قد يضرب الشاعر
الأمثال بقوم سجل التاريخ شهامتهم وإباءهم بمقاومتهم مثل هذا العدوان ،
دفاعاً عن شرفهم وكرامتهم .

٢ - خشية أخذ الدية :

وتلك حالات نادرة جداً لأن العربي ما كان ليترك ثأره في نظير شيء من
المال يفنى إن عاجلاً وإن آجلاً ، ويقبل ما يصمه بالخزي والهوان أبد الدهر
خصوصاً أنهم كانوا يعتقدون أن روح القتيل تظل تائرة في صورة هامة ، ولا
تهداً إلا بالثأر لدمه ، وهم أنفسهم - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - كانوا
يبتنعون عن متع الحياة ولذاتها حتى يقتصوا للقتيل .

ولكن إذا ظن أن هناك ميلاً من بعض الأفراد إلى قبول الدية فإن
ذلك كان يلهب مشاعر القوم ، وبخاصة الشعراء فيقولون من الشعر ما يثيرون
به الحمية ، بل إن شعرهم في تلك الحالة كان يتعدى حدود الإثارة وينقلب
ذمماً وتوبيخاً وقد يكون سباً وشتماً لمن تحدثه نفسه بالإقدام على مثل هذا
السلوك المشين الذي يجلب الخجل والعار للعشيرة بأسرها .

٣ - عندما تكون الحرب لا مفر منها :

وذلك حينما يحتدم النزاع بين الفريقين ، ولا يكون هناك أمل في تسوية الخلاف سلمياً ، وهنا يطالب الشاعر قومه بإثارة حرب شعواء ، وأن يظهروا فيها بمظهر الأبطال الأقوياء ويؤكد لهم أن الحرب في هذه الحال سبيل العزة والمجد من بقي بعدها كان له فخر الحياة ، ومن مات كانت له حسن الثناء ، وكتب في سجل الخالدين :

لَمْ يَبْقَ يَا وَيْحَكُمْ إِلَّا تَلَاقِيهَا وَمِسْعَرُ الْحَرْبِ لَا قِيَهَا وَآتِيهَا
فَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ فِي هَذِهِ فَلَهُ فَخَرُ الْحَيَاةِ وَإِنْ طَالَتْ لَيَالِيهَا
وَمَنْ يَمُتْ مَاتَ مَعْدُوراً وَكَانَ لَهُ

حُسْنُ الثَّنَاءِ مُقِيماً إِذْ ثَوَى فِيهَا ^(١)

وكان مما يزيد إثارتهم تنبيههم إلى أنهم إن لم يقتلوا العدو فسوف يقتلهم :

الْقَوْمُ آتَوْكُمْ بِأَرْعَنَ جَحْفَلٍ حَنِيقِينَ إِلَّا تُفْرِسُوهُمْ تُفْرِسُوا ^(٢)

٤ - وقت القتال :

وقد يثير الشاعر نفسه أو قومه بشيء من الشعر في أثناء الحرب ، رغبة في ازدياد النشاط وبذل أكبر مجهود في القتال . وأكثر ما يكون هذا من الرجز ، كما كان في يوم ذي قار حين قالت امرأة من بني عجل تحرض الناس :

إِنْ تَهْزِمُوا نَعَانِقُ وَنَفْرِشِ النَّمَارِقِ
أَوْ تُهْزِمُوا نَفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقِ

(١) البراق : شعراء النصرانية ، ٣٤٤ .

(٢) المتلمس : شعراء النصرانية ، ص ٣٤٤ .

وفي نفس اليوم قال حنظلة بن ثعلبة :

يا قوم طيبوا بالقتال نفساً أجدد يوم أن تفلوا الفرساً

وفي يوم الرقم قال عيس بن حذار يرتجز ، موجهاً الحديث لفرسه (١) :

أقدم قديداً لا تكن خنوساً لأطعن طعنة قلوباً

ذات رشاخ تزع الخميساً من لا يقاتل لا يكن رئيساً

نماذج :

١ - قال المتلمس في إحدى قصائده (٢) :

إن الهوان حمار الأهل يعرفه والحرث ينكره والرسالة الأجدد

كونوا كباكركم كما قد كان أولكم ولا تكونوا كعبد القيس إذ قعدوا

يعطون ما سئلوا والخط منزلهم

كما أكب على ذي بطنه الفهد (٣)

ولكن يقيم على خشف يسام به إلا الأذلان : غير الحي والوتد

هذا على الخشف مربوط برؤيته وإذا يشج فما يرثي له أحد

٢ - وقال بشامة بن عمرو (٤) :

وخبرت قومي — ولم ألقهم — أجدوا على ذي شويس حلولا (٥)

(١) المفضليات ، ص ٣١ .

(٢) شعراء النصرانية ، ٣٤٣ .

(٣) الفهد : النائم الغافل عما يجب تعهده .

(٤) المفضليات : ص ٨٨ .

(٥) أجدوا : أحدثوا أمراً جديداً فارتحلوا إلى أرض غير أرضهم . ذو شويس : مكان .

حلولا : مقيمين .

فَأَمَّا هَلِكْتُ وَلَمْ آتِهِمْ فَأَبْلَغُ أَمَائِلَ سَهْمٍ رُسُولًا ^(١)
بِأَنْ قَوْمَكُمْ خَيْرُوا خَصَلْتَيْنِ كِلْتَاهُمَا جَعَلُوهَا عُدُولًا ^(٢)
خِزْيُ الْحَيَاةِ وَحَرْبُ الصَّدِيقِ وَكُلُّ أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا ^(٣)
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهُمَا فَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سَيْرًا جَمِيلًا
وَلَا تَقْعُدُوا وَبِكُمْ مَنَّةٌ كَفَى بِالْحَوَادِثِ لِلْمَرْءِ غُولًا ^(٤)
وَحَشُّوا الْحُرُوبَ إِذَا أُوقِدَتْ رِمَاحًا طَوَالًا وَخَيْلًا فُحُولًا ^(٥)
وَمِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةٍ تَرَى لِلْقَوَاضِبِ فِيهَا صَلِيلًا ^(٦)
فَإِنْكُمْ وَعَظَاهُ الرِّهَانِ
إِذَا جَرَّتِ الْحَرْبُ جُلًّا جَلِيلًا ^(٧)

(١) سهم : قومه . أمائلهم : خيارهم .

(٢) عدولاً : جوراً ، عدلوا فيها عن الحق .

(٣) خزي الحياة : ما يلحقهم من العار إذا خذلوا حلفاءهم . الطعام الويل : غير المستمر .

(٤) المنّة : القوة ، الغول : ما غال الشيء فذهب به . يقول لم تعطون الضيم ، والموت لا بد أن يفتالكم ؟

(٥) حش النار : أوقدها .

(٦) نسج داود : يريد الدروع الموضونة التي نسجت مضاعفة حلقتين حلقتين . القواضب : السيوف القاطعة . الصليل : الصوت على الشيء اليابس . عبر عن السماع بالرؤية توكيذاً للمعنى إذ الرؤية أوثق من السماع .

(٧) الجل : العظيم كالجليل . يقول : أعطيتم وهنا منكم وقد اشتد الأمر .

كُثُوبِ ابْنِ بَيْضٍ وَقَاهُمْ بِهِ فَسَدَّ عَلَى السَّالِكِينَ السَّبِيلَ^(١)

٣ - روي في حماسة أبي تمام^(٢) أن عبد الله بن معد يكرب مرّ براع للمجزم بن سلمة من بني مازن بن زبيد فاستسقاء لبناً ، فأبى ، واعتل عليه ، فقتله عبد الله ، فثارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه ، وجاءوا إلى عمرو بن معديكرب ، فقالوا : إن أخاك قتله رجل منا سفيه ، ونحن يدك وعضدك . فنسألك الرحم إلا أخذت الدية ما أحببت ، وهمّ عمرو بذلك ، فغضبت أخته كبشة وقالت :

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَغْلُوا لَهُمْ دَمِي^(٣)
وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالاً وَأَبْكَرًا

وَأَتَرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَغْدَةٍ مُظْلِمٍ^(٤)
وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنَّ عَمْرًا مُسَالِمٌ

وَهَلْ بَطْنُ عَمْرِو غَيْرُ شَبْرٍ لِمَطْعَمٍ^(٥)

(١) ابن بيض : رجل نحر بعيده على ثنية فسدها ، فلم يقدر أحد على جوازها ، فضرب به المثل . فقيل : سد ابن بيض السبيل ، يعني الطريق . وقد أراد أن يقول كبعير ابن بيض فلم يستقم له ، فقال : كُثُوب .

(٢) ج ١ ص ٧١ .

(٣) عقلت فلاناً : أعطيت دينه . وجعلت الأبيات على لسان أخيها ليكون أبلغ في الحض على الأخذ بالثأر .

(٤) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما بلغ سبعة أشهر . وإنما ذكر الإفال والأبكر تحقيراً لشأن الدية . صعدة : مخلاف باليمن . بيت مظلم : كانوا يعتقدون أن القتيل إذا هدر دمه ولم يثار يبقى قبره مظلماً .

(٥) دع عنك عمراً : أي خالفه . وهل بطن عمرو ... الخ : تقصد التزهيد في أكل الدية .

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَّارُوا وَاتَّذَيْتُمْ^(١) فَمَشُّوا بِآذَانِ النَّعَامِ الْمُصَلِّمِ^(٢)
وَلَا تَرِدُّوا إِلَّا فُضُولَ نِسَائِكُمْ إِذَا ارْتَمَلْتُمْ أَعْقَابَهُنَّ عَلَى الدِّمِّ^(٣)

* * *

(١) المصلم : المجدع الأذنين ، وقيل الأصم . والمعنى : إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاء بآذان كلها صم لا تسمع ما يقال فيكم من العار ، والنعام ليس لها آذان . وإنما تعرف ما تحتاج اليه بالشم .

(٢) يقال : ترمل وارتمل إذا تلطخ بالدم . وجعلت النساء متلطخات بدم الحيض تفضيماً للأمر . وكان من عادتهن إذا وردوا المياه تتأخر النساء حتى تصدر الرجال فكن يغسلن أنفسهن ويتطهرن آمناً مما يزعجهن ، فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية في الذل .
عريد : أنتم لا شرف لكم بعد أخذ الدية .

الفصل التاسع

الانذار

ونقصد بذلك ما يقوله الشاعر من شعر يرسله إلى قومه ، إما بنفسه ، وإما بطريق رسول يوصله إليهم ، حينما يعلم أن أعداءهم قد عقدوا العزم على الإغارة عليهم .

وهذا الباب كذلك ، نصيبه قليل من شعر الحرب ، إذ يبلغ عدد الأبيات التي قيلت فيه ٩٢ بيتاً من المجموعة المختارة التي عددها ٥٠٨٠ بيتاً . ويظهر أن السبب في هذه القلة راجع إلى أن الغارات كانت تجهز في الخفاء ، وتحاط أخبارها بكل تحفظ وتكتم ، خشية أن يعلم بها القوم المقصودون بالغارة . ولهذا نجد أن تسرب أخبار الغارات كان يحدث في حالات نادرة ، وفي تلك الأحوال كان الذي يقوم بتوصيلها شخص قريب للقوم المقصودين بالهجوم ، وهو في الوقت ذاته شديد الصلة جداً بالقوم المزمعين بالغارة ، ويحظى بثقتهم ، ويعتقدون أنه مخلص لهم تمام الإخلاص .

وكان الشاعر في هذه المناسبة يتحدث عادة في النقط الآتية ، أو بعضها :

١ - إعداد العدو لهم :

فيذكر أن العدو يتأهب للهجوم عليهم ، فهو يعد العدة : يجمع الأبطال ؛

ويهيئ الأسلحة ، وكلهم حنق وغيظ ضدهم ولا هم لهم إلا مهاجمتهم والإيقاع بهم أشد وقية ، ويؤكد لهم أن الأعداء لديهم رغبة ملحّة في أسر الرجال وسبي النساء ، والسلب والنهب .

ب - شعوره نحو قومه :

ثم يصف شعوره العميق نحو قومه ، وخوفه الشديد من أن يصيبهم مكروه ، ويتحدث عن حالته النفسية بأن ذلك يقض مضجعه ، ويسبب له الهم والقلق ، مما لا يجعله يشعر بهدوء ، وأنه يتمنى من صميم قلبه أن يفشل هذا الهجوم ، وينقلب ضد الأعداء ، فيرد كيدهم في نحورهم ، وتحقيق بهم الهزيمة المنكرة بفوز قومه وانتصارهم .

ج - نصيحته لهم :

ومن شدة إخلاصه لقومه ، يشير عليهم بما يراه نافعا لهم في مثل هذه الحال ، كأن ينصحهم باتحاد الكلمة ضد المعتدين ، وضم الصفوف ، ولمّ الشمل وتنبيههم إلى أنه لا ينبغي أن يلبيهم شيء من المال ، أو غيره عن الاستعداد بكل الوسائل لهزيمة الأعداء المعتدين . ويكرر وصف ما يملأ جوانحه من شغف واهتمام لسماع أخبار النصر الذي يفوز به قومه ، لكي يشفي غليله ، فيهدأ روعه وقطمئن نفسه .

د - وصف الرحلة :

وإذا قام الشاعر نفسه بإندار قومه - وفي العادة يكون بعيداً عنهم - فإنه يصف الرحلة التي قام بها ، وغالباً ما تكون رحلة شاقة عنيفة يتجشم فيها الشاعر أشد الصعوبات ، لأن همه الوحيد في ذلك هو الوصول إلى قومه في أقرب وقت بأية وسيلة ، فكان يواصل السفر ليلاً ونهاراً في النور وفي الظلام ، ولا يعطي نفسه ، ولا راحلته لحظة من الراحة خشية أن يسبقه الأعداء ، ولذلك كان الإنسان منهم في تلك الحالة ، ربما سار في جهات نائية مجهولة . فكان الشاعر يصف لنا ما لاقاه في مثل هذه الرحلة من عناء ومشقة

ويتحدث عن سرعة ناقته ، وقوتها ، وصبرها على تحمل المتاعب والآلام ، حتى وصل إلى قومه .

وبعد أن يلتقي الفريقان ، وينتصر قوم الشاعر بسبب تنبهم إلى الخطر ، كان الشعر في تلك الحالة يتضمن - بالإضافة إلى ما سبق - النقط التالية :

هـ - مقابلة الأعداء :

فيذكر كيف خرج قومه بأبطال أقوياء أشداء ، لمفاجأة المغيرين المعتدين ، وكيف أوقعوا بهم ، وباء المغيرون بالفشل والهزيمة وأفدح الخسائر .

و - سروره بانتصار قومه :

فيعبر عن شعوره العميق بالفرح والابتهاج لما ناله قومه من النصر ، وهزيمة المعتدين شر هزيمة ، ويتغنى بما آلت إليه نفسه من هدوء البال ، وقرة العين .

ز - الرد على من يلومه :

وما كان المغيرون المنهزمون ليسكتوا على ما وقع بهم بسبب ما فعله من كان موضع ثقتهم ، فكانوا يشعرون نحوه ، ولا شك ، بكراهية وحقد لا حد لهما ، ويطلقون العنان لألسنتهم تلومه ، وتسبه ، وتهدده ، ولكنه كان يقابل ذلك بمنتهى التهمك والسخرية ، ويؤكد لهم إخلاصه لقومه . وولاءه التام لهم ، وأن قومه أبقى له ، وشرفهم شرفه ، ونصرهم نصره . وأنه لن يقبل من الأعداء أن يتوقعوا منه أن يخون قومه ، ويترك عدوهم يغزوهم وكأنه لا يعلم شيئاً ، ويؤكد لهم كذلك إيمانه بأن الأعداء لن يشكروا له موقفه السلي نحو قومه ، بل سيتخذون من ذلك مجالاً لذمه ، وفخرهم عليه . ثم يعلن في صراحة تامة أنه لن يعير وعيد الأعداء أي اهتمام ما دام قد أَرْضَى ضميره ، وأراح نفسه .

بعض ما قيل في الانذار :

١ - كان عميرة بن طارق اليربوعي متزوجاً من بني شيبان ، وذات يوم

علم بعزمهم على غزو قومه ، فهرب إليهم وأخبرهم ، فكان السبب في هزيمة المعتدين . وكان مما قاله في ذلك ^(١) :

فَدَعُ ذَا ، وَلَكِنْ غَيْرُهُ قَدْ أَهْمَنِي
فَلَا تَأْمُرْنِي يَا ابْنَ أَسْمَاءَ بِأَلْتِي
بَأَنْ تَغْتَرُوا قَوْمِي وَأَجْلِسَ فِيكُمْ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ جَدًّا نَفِيرُهُمْ
وَأَعْرَضَ عَنِّي قَعْنَبٌ وَكَأَنَّهَا
فَكَفْتُ مَا عِنْدِي مِنَ الْهَمِّ نَاقَتِي
فَمَرَّتْ بِجَنْبِ الزُّورِ ثَمَّةٌ أَصْبَحَتْ
كَانَ يَدَيَّهَا إِذْ أَجَدَّ نَجَاوُهَا
تُرَانِي الَّذِينَ حَوَّلَهَا وَهِيَ لِبُهَا

رَخِي ^(٥) ، وَلَا تَبْكِي لِشَجْوٍ فَتِثْلِمَا ^(٥)
وَمَرَّتْ عَلَى وَحْشِيَّهَا وَتَذَكَّرَتْ
نَصِيًّا وَمَاءَ مِنْ عُيْبَةٍ أَسْحَمَا ^(٦)

(١) النقائض : ص ٥٠ .

(٢) الإجراء : أن يشق لسان الفصيل إذا أرادوا فطامه فلا يرضع . ذو الطعم : ذو الحزم والعقل .

(٣) هذان رجلان من البراجم ، وكان محرز والمثلث في بني عجل . فلما أراد أيجر أن يغزو شاورهما يستعين برأيهما .

(٤) قعناب : رجل من البراجم ، وكان ممن شاورهم فلم يشر عليه بخير . أهل أود : يربوع . صداء . في بلحوث بن كعب ، وهم إخوتهم وسلهم من خثعم . وسلهم في مذحج أيضاً .

(٥) تثلم : أراد تألم ، من الألم ، وهي لغة .

(٦) عيبة وعباعب : ماء ان لبني قيس بن ثعلبة ببطن قلع . النصي : نبت رطب ،

فَقَامَتْ عَلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ قُرُورُهَا مِنْ الْأَيْنِ وَالنَّكَرِ فِي آلِ أَزْنَمَا ^(١)
سَأَجْشِمُهَا مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَعَزَّهُمْ عَدُوٌّ مِنَ الْمَوَمَةِ وَالْأَمْرِ مُعْظَمَا
حَلَفْتُ - فَلَمْ تَأْتُمْ يَمِينِي - لِأَثَارَنْ عَدِيًّا وَنُعْمَانَ وَقَيْلًا وَأَيْهَمَا ^(٢)
وَعَلِمَتْنَا السَّاعِينَ حَوْلَ مُلَيْحَةٍ وَحَوَّلَ فِي الرَّمَضَاءِ يَوْمًا مُجَرَّمَا
وَسُرْتُ يَمِينِي إِذْ رَأَيْتُ ابْنَ فُلْحَسٍ
يُجْرُ كَمَا جَرُّوا أَهْدِيَّ ابْنَ أَصْرَمَا ^(٣)
فَأَفَلْتُ بِسَطَامٍ جَرِيضًا بِنَفْسِهِ وَغَادَرَنَ فِي كَرِشَاءٍ لَدُنَّا مُقَوَّمَا ^(٤)
أَتُمُّ أَخَذَتْ بَعْدَ ذَلِكَ تَلَوُمُنِي

فَسَائِلُ ذَوِي الْأَحْلَامِ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا

وفي قصيدة أخرى يقول ^(٥) :

فَمَا ذُقْتُ طَعْمَ النَّوْمِ حَتَّى رَأَيْتُنِي أَعَارِضُهُمْ وَرَدَّ الْخُمَاسِ النَّوَاهِلَ ^(٦)
بِفَتْيَانٍ صَدَقَ فَوْقَ جُرْدٍ كَأَنَّهَا طَوَالِبُ عِقْبَانٍ عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ
ومنها :

فَلِإِنِّي لَوْ أَهْلَيْتُكُمْ فَغَزَوْتُمْ فَجِئْتُمْ بِسَيِّ كَالْظُّبَاءِ وَجَامِلِ

(١) القُرُور : القَرَار .

(٢) هَوْلَاء من بني يَرْبُوع قَتَلَهُمْ بَنُو شَيْبَانَ يَوْمَ مُلَيْحَةٍ .

(٣) أَهْدِي هُنَا : الْجَار .

(٤) جَرِيضًا : يَجْرُضُ بِرِيقِهِ : أَيِ يَنْصُصُ بِهِ ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ رَمَقٍ .

(٥) النِّقَاطُضُ : ص ٥١ .

(٦) الْخُمَاسُ : الْإِبِلُ الَّتِي تَرُدُّ فِي كُلِّ خَمْسٍ ، وَهُوَ أَخْبَثُ الْأَوْرَادِ . وَالْخُمَسُ : أَنْ تَغِبَ ثَلَاثَةُ

أَيَّامٍ وَتَرُدَّ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، وَتَصْدُرُ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ . النَّوَاهِلُ هُنَا : الْعَطَاشُ .

رَهْبَتْ بِالْأَلَا تَشْكُرُوا لِي وَتَفْخَرُوا عَلَيَّ إِذَا نَازَلْتُكُمْ بِالْمَنَازِلِ
فَأَهْوَنُ عَلَيَّ بِالْوَعِيدِ وَأَهْلِهِ إِذَا حَلَّ بَيْتِي بَيْنَ شِرْكٍ وَعَاقِلٍ

٢ - وكان لقيط بن يعمر الإيادي في ديوان كسرى ، فعلم أنه مجمع على غزو إياد . فكتب إليهم شعراً ينذرهم به ، فوقع الكتاب بيد كسرى ، فقطع لسان لقيط ، وغزا إياداً ، فما كتبه لقيط في ذلك قوله (١) :

بَلْ أَثَّيَّا الرَّأكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ إِلَى الْجَزِيرَةِ مُرْتَادَاوُ مُنْتَجِعَا (٢)
أَبْلَغُ إِيَادَاً وَخَلَّلُ فِي سَرَائِهِمْ

أَنِّي أَرَى الرَّأْيَ ، إِنْ لَمْ أُعْصَ ، قَدْ نَصَعَا (٣)
يَا لَهْفَ نَفْسِي إِنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ شَتَّى وَأُحْكِمَ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
إِنِّي أَرَاكُمْ وَأَرْضاً تُعْجَبُونَ بِهَا

مِثْلَ السَّفِينَةِ تَغْشَى الْوَعْثَ وَالطَّبْعَا (٤)
أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَالِكُمْ

أَمْسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ الدِّبَا سِرْعَا (٥)

(١) مختارات ابن الشجري ، قصيدة رقم ١ .

(٢) الارتباد والنجعة : طلب الكلأ .

(٣) التخليل : التخصيص ، من خلل المطر إذا خص ولم يكن عاماً . والسراة : جمع سري وهو الشريف .

(٤) تعجبون بها : تسرون وتزهون . الوعث : الأرض المسترخية الرطبة . والطبع : الوسخ ، ومراده هنا الغشاء والكدر .

(٥) الدبا : أصغر ما يكون من الجراد ، والنمل . السرعة ، بفتح السين وكسرهما : ضد البطء .

أَبْنَاءُ قَوْمٍ تَأَوَّوْكُمْ عَلَى حَقِّهِ لَا يَشْعُرُونَ أَضُرَّ اللَّهُ أَمْ نُنْفَعُ
أَحْرَارُ فَارِسَ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ لَهُمْ مِنَ الْجُمُوعِ جُمُوعٌ تَزْدُهِى الْقُلَعَا^(١)
فَهُمْ سِرَاعٌ إِلَيْكُمْ : بَيْنَ مُلْتَقِطٍ

شَوْكًا ، وَآخَرَ ، يَجْنِي الصَّابَ وَالسَّلْعَا^(٢)

لَوْ أَنَّ جَمْعَهُمْ رَأَوْا بِهِدَّتِهِ

شُمُّ الشَّامِرِيخِ مِنْ ثَهْلَانٍ لَا نُصَدَعَا^(٣)

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْتُونُ الْحَرَابَ لَكُمْ لَا يَهْجَعُونَ إِذَا مَا غَافِلٌ هَجَعَا

خُزْرٌ عُيُونُهُمْ كَأَنَّ لَحْظَهُمْ حَرِيقُ غَابٍ تَرَى مِنْهُ السَّنَا قُطْعَا^(٤)

لَا الْحَرْثُ يَشْغَلُهُمْ ، بَلْ لَا يَرَوْنَ لَهُمْ

مِنْ دُونِ بَيْضَتِكُمْ رِيًّا وَلَا شِبَعَا^(٥)

وَأَنْتُمْ تَخْرُثُونَ الْأَرْضَ عَنْ سَفَاهٍ فِي كُلِّ مُعْتَمَلٍ تَبْغُونَ مُزْدَرَعَا

وَتُلْقِحُونَ حِيَالَ الشَّوْلِ آوِنَةً وَتُنْتِجُونَ بَدَارِ الْقُلْعَةِ الرَّبْعَا^(٦)

(١) ازدهيت فلاناً : تهاونت به . القلع : السحاب العظيم .

(٢) الصاب والسلع : شجران مران ، كني بهما عن السلاح .

(٣) الهدة : الصوت الشديد ، تسمعه من سقوط ركن أو حائط ، أو ناحية جبل ، وهي

الجلبة ، يريد كثرة عددهم . الشامريخ : جمع شمراخ بكسر الشين ، وهي رؤوس الجبال .

ثهلان : جبل يضرب به المثل في العلو . انصدع : انشق .

(٤) الخزر : كسر العين بصرها . الغاب : جمع غابة وهي الأجمة ذات الشجر المتكاثف .

(٥) البيضة هنا : كناية عن عقر الدار ومحلة القوم .

(٦) الحيال : جمع حائل وهي غير الحامل . والشول : جمع شائل ، وهي الناقة التي ترفع

ذنبها للفحل تطلب اللقاح . القلعة : مكان غير مستوطن . والقوم على قلعة : أي على رحلة .

الربيع : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج ،

وَتَلْبَسُونَ ثِيَابَ الْإِيمَانِ ضَاحِيَةً لَا تَفْرَعُونَ وَهَذَا اللَّيْثُ قَدْ جَمَعَ
وَقَدْ أَظْلَكُكُمْ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمْ هَوَلٌ لَهُ ظُلْمٌ تَغْشَاكُمْ قِطْعًا
مَالِي أَرَاكُمْ نِيَامًا فِي بُلْهَنِيَّةٍ

وَقَدْ تَرَوْنَ شِهَابَ الْحَرْبِ قَدْ سَطَعَ^(١)
فَاشْفُوا غَلِيلِي بِرَأْيِ مِنْكُمْ حَصِيدٍ يُصْبِحُ فُؤَادِي لَهُ رَيَّانٌ قَدْ نَقَعَ^(٢)
وَلَا تَكُونُوا كَمَنْ قَدْ بَاتَ مُكْتَنِعًا

إِذَا يُقَالُ لَهُ أَفْرُجْ غَمَّةً كُنَّا^(٣)
يَسْعَى وَيَحْسِبُ أَنَّ الْمَالَ مُخْلِدُهُ إِذَا اسْتَفَادَ طَرِيفًا زَادَهُ طَمَعًا
فَاقْنُوا جِيَادَكُمْ وَانْحُمُوا ذِمَارَكُمْ

وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ لَا تَسْتَشْعِرُوا الْجَزْعَ^(٤)
وَلَا يَدَعِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لِنَائِبَةٍ كَمَا تَرَكَتُمْ بَاغِيًا بَيْشَةَ النَّخَعِ^(٥)
صُونُوا جِيَادَكُمْ وَاجْلُوا سِيوفَكُمْ

وَجَدُّدُوا لِلْقِسِيِّ النَّبْلَ وَالشَّرْعَا^(٦)

(١) البلهنية : العيش اللين .

(٢) حصد : محكم . نقع الماء الغليل : شفاء .

(٣) المكتنع : القريب منك دنوا . كنع : جبن وهرب .

(٤) اقنوا جيادكم : اتخذوها لأنفسكم قنية للنسل لا للبيع . الذمار : ما يجب عليك حفظه

والدفاع عنه .

(٥) بيشة : اسم قرية غناء في واد كثير الأهل باليمن . النخع : قبيلة من الأزد وقيل

من اليمن .

(٦) الشرع بفتح الشين وكسرهما الوتر الرقيق .

أَذْكُوا الْعُيُونَ وَرَاءَ الشَّرْحِ وَاحْتَرِسُوا

حَتَّى تُرَى الْخَيْلُ مِنْ تَعْدَائِهَا رُجْعًا ^(١)

وَاشْرُوا تِلَادَكُمْ فِي حِرْزِ أَنْفُسِكُمْ

وَحِرْزِ أَهْلِكُمْ لَا تَهْلِكُوا هَلَعًا ^(٢)

فَإِنْ غُلِبْتُمْ عَلَى ضَنٍّْ بَدَارِكُمْ فَقَدْ لَقِيتُمْ بِأَمْرِ الْحَازِمِ الْفَزَعَا
لَا تُلْهِكُمْ إِبِلٌ، لَيْسَتْ لَكُمْ إِبِلٌ!

إِنْ الْعَدُوُّ بَعْظَمَ مِنْكُمْ قَرَعًا ^(٣)

لَا تُشِيرُوا الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ إِنَّهُمْ

إِنْ يَظْهَرُوا يَحْتَوُوكُمْ وَالتَّلَادَ مَعًا ^(٤)

هَيْهَاتَ لَا مَالَ مِنْ زَرْعٍ وَلَا إِبِلٍ

يُرْجَى لَغَايِرِكُمْ إِنْ أَنْفَكُمْ جُدْعًا ^(٥)

وَاللَّهُ مَا أَنْفَكْتَ الْأَمْوَالُ مُذْ أَبَدٍ لِأَهْلِهَا إِنْ أُصِيبُوا مَرَّةً تَبَعًا

يَا قَوْمَ إِنْ لَكُمْ مِنْ إِرْثٍ أَوَّلَكُمْ مَجْدًا قَدْ أَشْفَقْتُ أَنْ يَفْنَى وَيَنْقَطِعَا

(١) أذكوا العيون : أرسلوا الطلائع لكشف العدو . السرح : شجر كبار عظام طوال .

التعداء : العدو . رجعا : من الرجوع وهو ترجيع الدابة بديها في السير .

(٢) شرى : ضد باع . الحرز : المكان . يقصد صونوا دياركم في قلوبكم ، ودافعوا عنها

وضنوا بها على الأعداء . الهلع : الجزع .

(٣) قرع العظم : كناية عن الإصابة في الصميم .

(٤) يحتوركم : يستولوا عليكم .

(٥) الغابر : من الأضداد ومعناه هنا الآتي . الجدع : القطع . وجدع الأنف كناية عن

الإفلال .

ماذا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ عِزٌّ أَوَّلَكُمْ إن ضاع آخره أو ذلَّ واتضعاً
 يا قوم لا تأمنُوا إن كنتمُ غُيْرًا على نسايتكم كسرى وما جمعا^(١)
 يا قوم بيضتكم لا تُفجَعَنَّ بهما إني أخافُ عليها الأَزمَ الجذعا^(٢)
 هو الجلاء الذي يَحْتِثُ أَصْلَكُمْ فَمَنْ رَأَى مِثْلَ ذَا رَأْيَا وَمَنْ سَمِعَا
 قَوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطٍ أَرْجِلِكُمْ
 ثُمَّ افزَعُوا ، قَدْ يَنَالُ الْأَمْنُ مَنْ فَزَعَا^(٣)
 وَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ ، لِلَّهِ دَرُكُكُمْ

رَحِبَ الذُّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعًا^(٤)
 لَا مُتَرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدَهُ وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا^(٥)
 لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثَ يَبْعَثُهُ هُمْ يَكَاذُ سَنَاهُ يَقْصِمُ الضَّلْعَا^(٦)
 مُسَهَّدَ النَّوْمِ تَغْنِيهِ أُمُورُكُمْ يَرُومُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطَّلَعَا^(٧)
 مَا أَنْفَكَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعَا^(٨)

(١) الغير : جمع غيور .

(٢) الأزم الجذع : الدهر لأنه جديد أبدأ . ويريد منه هنا كسرى .

(٣) الأمشاط : جمع مشط وهي سلاميات ظهر القدم ، والسلاميات : عظام الأصابع

واحدتها سلامي .

(٤) الدر : اللبن ، والله دره : دعاء بكثرة الخير . فلان يضطلع بكذا : تقوى أضلاعه

على حملة .

(٥) المترف : من الترفة : وهي النعمة . وأترفته النعمة : أطفته . خضع : خضع وذل .

(٦) الريث : الإبطاء ، والمقصود أنه لا ينام إلا بمقدار ما يدعى فيجيب . قصم الشيء :

كسره . الضلع بوزن عنب : واحد الضلوع .

(٧) السهاد : الأرق . المطلع بالتشديد : الموضع الذي تشرف منه على الشيء .

(٨) حلب فلان الدهر أشطره : مرت عليه ضروب من خيره وشره ؛ وأصل ذلك من

أخلاف الناقة ، لها خلفان آخران ، فكل خلفين شطر .

حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شُزْرِ مَرِيرَتِهِ
 مُسْتَحْكِمِ الرَّأْيِ لَا قَحْماً وَلَا ضَرَعاً^(١)
 وَلَيْسَ يَشْغَلُهُ مَالٌ يُشْمَرُهُ عَنْكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَبْغِي لَهُ الرِّفْعَ^(٢)
 كَمَا لَكَ بِنِ قَنَانٍ أَوْ كَصَاحِبِهِ عَمَرُوا الْقَنَا يَوْمَ لَاقَى الْحَارِثِينَ مَعَا
 إِذْ عَابَهُ عَائِبٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ
 دَمْتُ لَجْنِيكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجِعاً^(٣)
 فَشَاوَرُوهُ فَأَلْفَوْهُ أَخَا عِلَلٍ
 فِي الْحَرْبِ لَا عَاجِزاً نِكْساً وَلَا وَرَعاً^(٤)
 لَقَدْ بَذَلْتُ لَكُمْ نَصْحِي بِمَا دَخَلَ فَاسْتَيْقِظُوا، إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا^(٥)
 هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا

(١) الشُزْرُ : قتل الحبل مما يلي اليسار ، وذلك أشد لفتله . المَرِيرَةُ : من إمرار الحبل أي شدة فتله ، والمراد استحكام أمره ، وقويت شكيمته . القَحْمُ : الشيخ الهرم . الضَرَعُ : الرجل الضعيف .

(٢) الرفع : جمع رفعة ، وهي ضد الضعة .

(٣) دَمْتُ الشيء : مرسته حتى يلين . هذا الشطر مثل يضرب لأخذ الأهبة والاستعداد للأمر قبل وقوعه .

(٤) العِلَلُ : الشرب بعد الشرب ، وهو هنا مجاز ، ومعناه أنه لا يسأم الحرب . النكس : الضعيف . والورع : الجامع للنقائص من جبن ، وصغر نفس ، وضعف في الرأي والعقل والبدن .
 (٥) الدخُلُ هنا : الغش .

الفصلُ العاشر

النصح والتحذير

ونعني بهذا الشعرَ الذي وُجّه إلى قوم تربطهم بقوم الشاعر صلة ، من قرابة ، أو عهد ، أو تحالف ، أو معرفة ، عندما تظهر منهم نية الإساءة إلى قوم الشاعر ، أو تكون الإساءة على وشك الوقوع ، فينبههم الشاعر إلى مغبة ذلك . وينصحهم إلى الصواب ، خشية حدوث ما لا تحمد عقباه . وقد بلغ مجموع ما قيل في هذا الموضوع ٢٩٠ بيتاً من مجموع ما اخترناه من شعر لحرب في العصر الجاهلي .

وبلاحظ أن الشعراء هنا . كانوا يتبعون نصائحهم بتحذير ، قد يكون عنيفاً في بعض الأحيان ، يكاد يصل إلى الوعيد والتهديد . كأن الشاعر منهم كان يقصد أن ينبه المسيئين إلى أنهم إن لم يرجعوا إلى الطريق السوي ، فسوف يلجئهم قومه إلى ذلك بالقوة والعنف ، وعلى العموم كانت الشاعر في مجال النصيح والتحذير يتحدث في قصيدته عن النقاط الآتية ، أو بعضها :

١ - السيئة :

وذلك مثل :

(١) إثارة الخلاف بين الأقارب ، بعضهم وبعض ، أو العمل على إذكاء

العداوة أو الحقد والبغضاء بينهم ، أو محاولة فريق منهم ظلم فريق آخر . أو معاملتهم معاملة تتنافى مع العدل والإنصاف ، ولا ترعى ما لصلة القرابة من حقوق وواجبات .

(ب) تدبير المخاطبين هجوماً على قوم الشاعر طمعاً في أموالهم ، ظانين فيهم الضعف أو النقص الحربي ، أو عدم وقوف أحد من حلفائهم بجانبهم .

(ج) محاولة الهجوم على الجار أو الاعتداء على أحد الموالى .

(د) نقض العهد وعدم الوفاء بما كان بينهم وبين قوم الشاعر من ميثاق .

٢ - الدعوة إلى الحق والإنصاف :

وهنا كان الشاعر يدعو القوم إلى استعمال العقل والحكمة ، والتدبر في عواقب الأمور ، واحترام الحقوق ، ومراعاة الواجبات .

فمثلاً في حالة النزاع بين الأقارب ، يوجه الشاعر نظرهم إلى مراعاة حرمة القرابة وصلة الرحم ، ويحثهم على المحافظة على جمع الكلمة ، ولم الشمل ، وعدم إحداث الفرقة بين أهل والأقارب ، فهم من نسب واحد ، وأصل واحد لا يعلو أحدهم على الآخر ، فلا ينبغي أن يتعالى فريق على فريق ، أو يهلك بعضهم بعضاً ، بتكسير رماحهم في صدورهم أنفسهم .

وفي حالة الاستعداد للهجوم ، ينصح الشاعر الخصم بأن يترث ، ويتمهل ، ولا يتعجل ، وإلا فسيرى كذب ما بلغه عن ضعفهم ، ويؤكد له أن القوم على خلاف ما يظن ، فخير له أن يكون عاقلاً ، وأن يعلم أنهم جميعاً سواء في الحاجة إلى السلم .

وعند محاولة الاعتداء على من تربطهم بقوم الشاعر صلة كالجار أو المولى يوجه الشاعر نظر المعتدين إلى زجر أنفسهم عن الجور والطغيان ، واتباع الحق ، والعدل ، لأن هؤلاء يتبعون القبيلة ، ولهم ما لأفرادها من حقوق وواجبات .

أما إذا نقضوا الميثاق ، فإن الشاعر يبين لهم قبح هذا العمل ، ويحثهم على المحافظة على العهود والمواثيق ، ويحذرهم سوء مغبة الخروج عليها ، أو نقضها ويؤكد لهم أنهم جميعاً متساوون في الحاجة إلى ذلك ، فخير لهم أن يشوبوا إلى رشدهم ، ويراعوا ما فيه خيرهم وصلاحهم .

٣ - التحذير :

ودفعاً لما عسى أن يتوهمه الخصم من ضعف الشاعر وقومه . فإن الشعراء كانوا يتبعون نصائحهم بتحذير للقوم ينبهونهم فيه إلى سوء العاقبة إن لم يرجعوا بأنفسهم إلى الصواب . فكان الشاعر في هذا المجال ، يبين لهم مدى استعداد قومه الحربي ، من أبطال شجعان ، وخيل جياد ، وأسلحة مرهفة ، ومعدات كاملة ثم يسرد أجداد قومه ومآثرهم الحربية ، فيذكر ما كان لهم من أيام انتصروا فيها . وأنزلوا بالمعتدين شر هزيمة ، مما يبرهن أنهم ما كانوا ، ولن يكونوا ، في يوم من الأيام ، طعمة لآكل ، أو غنيمة لناهب .

وقد يلفت الشاعر نظر الخصم إلى العواقب الوخيمة التي حاقت بالمعتدين من أمثالهم في حوادث تاريخية مشهورة . كما قال عبدالله بن عتبة (١) :

وَلَا تَكُونَنَّ كَمُجْرِي دَاحِسٍ لَكُمْ
فِي غَطَفَانَ غَدَاةَ الشَّعْبِ عُرْقُوبِ

وهنا يذكر الشاعر بأن البصير العاقل هو من يعتبر بحوادث التاريخ ، ويتخذ منها نوراً يهديه في تفكيره وسلوكه ، فالتاريخ يعيد نفسه ، وإن اختلفت الأمكنة والعصور .

وقد يذكر الشاعر شيئاً من مخازي الخصم ، وما لحقهم من هزائم في الحروب وكثيراً ما يختم الشاعر قصيدته بأنه قد أبرأ ذمته ، إذ أنه وضّح

(١) المفضليات : ص ٧٤٩ بيت ٥ .

الطريق ، ووجهه خصمه وجهة الحق والرشاد ، فعاقبة عمله ستكون تبعثها عليه وحده ، وقد أعذر من أنذر . قال عامر بن الطفيل :

لَقَدْ كَانَتْ فِيهَا خَلَا عِبْرَةٌ وَبِالْعِلْمِ يَغْتَبِرُ الْمُبْصِرُ
يُـلَـامُ الْمَفْرُطُ فِي أَمْرِهِ إِذَا صَرَّحَ الْأَمْرُ لِلْمُعْذِرِ^(١)

نماذج شعرية :

١ - قال زهير بن أبي سلمى لبني سليم ، وقد بلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان^(٢) :

رَأَيْتُ بَنِي آلِ أَمْرِيءِ الْقَيْسِ أَصْفَقُوا
عَلَيْنَا ، وَقَالُوا إِنَّنَا نَحْنُ أَكْثَرُ
سَلِيمِ بْنِ مَنصُورٍ وَأَفْنَاءِ عَامِرٍ وَسَعْدِ بْنِ بَكْرِ وَالنَّصُورِ وَأَعَصُرُ
نُحْذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكْرِمَ وَاذْكُرُوا
أَوَاصِرَنَا وَالرَّحْمُ بِالْغَيْبِ تُذَكِّرُ
وَأَنَا وَإِيَّاكُمْ إِلَى مَا نَسُومُكُمْ
إِذَا مَا سَمِعْنَا صَارخًا مَعَجَتِ بِنَا
وَأِنْ شُلَّ رَيْعَانُ الْجَمِيعِ تَخَافَةُ
عَلَى رِسْلِكُمْ إِنَّا سَنُعْدِي وَرَاءَكُمْ
لِمَثَلَانِ ، أَوْ أَنْتُمْ إِلَى الصُّلْحِ أَفْقَرُ
إِلَى صَوْتِهِ وَرُقُ الْمَرَآكِ كُلِّ ضَمَرٍ
نَقُولُ جِهَارًا ؛ وَيَلِكُمْ لَا تُتَفَرَّوْا
فَتَمْنَعَكُمْ أَرْمَاحُنَا ، أَوْ سَنُعْذِرُ

(١) ديوانه : ص ١٢٤ البيتان ١١ - ١٢ ؛ والمفرط : المضيع ، يقال : فرط في أمره : ضيعه ، إذا جاوز المقدار .

(٢) العقد الثمين : ديوان زهير ؛ قصيدة رقم ٦ .

٢ - وقال بشر بن أبي خازم ينصح بني سعد ومواليهم أن يعتصموا بالصلح (١) :

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي سَعْدٍ رَسُولًا وَمَوْلَاهُمْ فَقَدْ حُلِيتُ صَرَامًا^(٢)
نَسُومِكُمُ الرِّشَادَ وَنَحْنُ قَوْمٌ لِتَارِكٍ وَدُنَّا فِي الْحَرْبِ ذَامٌ^(٣)
فَإِذَا صِفِرَتْ عِيَابُ الْوَدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا فِيهَا ذِمَامٌ^(٤)
فَإِنْ الْجِزْعَ جِزْعَ عُرَيْتِنَاتٍ وَبُرْقَةَ عَيْتِهِمْ مِنْكُمْ حَرَامٌ^(٥)
سَنَمْنَعُهَا وَإِنْ كَانَتْ بِلَادًا بِهَا تَرْتَبُو الْخَوَاصِرُ وَالسَّنَامُ^(٦)
بِهَا قَرَّتْ لَبُونُ النَّاسِ عَيْنًا وَحَلَّ بِهَا عَزَالِيهَا الْغَمَامُ^(٧)
وَعَيْثُ أَحْجَمَ الرُّوَادُ عَنْهُ بِهِ نَقْلٌ وَحَوْذَانٌ تَوَامٌ^(٨)
تَغَالَى نَبْتُهُ وَأَعْتَمَّ حَتَّى كَأَنَّ مَنَابِتَ الْعَلَجَانِ شَامٌ^(٩)

(١) المفضليات : ٦٥٣ .

(٢) الصرام : آخر اللبن ، إذا احتاج إليه الرجل وجهد ، حلبه ؛ جعله مثلاً للحرب وجعل اللفظ علماً عليها .

(٣) نسومكم : نريد منكم . الذام : العيب .

(٤) صفرت : خلت . العياب : جمع عيبة ، وهي ما يجعل فيه الثياب . وأراد بعياب الود القلوب . الذمام : ما يحافظ عليه الإنسان ويعنى به .

(٥) الجزع ، بكسر الجيم : جانب الوادي . عريتات : واد . البرقة : الرملة يخلطها حصي . عيهم : مكان . يقصد إذا لم يكن بيننا وبينكم ود فسنمنعكم الرعي في هذه المواضع .

(٦) تربو : تعظم وتنتفخ ، أي الإبل وأنها تسمن بها .

(٧) اللبون : ذات اللبن . العزالي : جمع عزلاء ، وهو قم المزادة الأسفل حيث تربط . يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر « حلت عزاليها » . الغمام : جمع غمامة .

(٨) أحجم الرواد عنه : ابتعدوا لمنع أهله وحمايتهم إياه . النفل والحوذان : نوعان من النبات . توام : ينبت ثنتين ثنتين لكثرة الغيث .

(٩) تغالَى : طال وكثر . اعتم : التف . العلجان : نبت . شام : ظاهر كثير ؛ جمع شامة ؛ فهو من سواده وكثرته كأنه شام .

أَبْجَنَاهُ بَحِيٌّ ذِي حِلَالٍ إِذَا مَا رِيعَ سَرَبِهِمْ أَقَامُوا ^(١)
 وَمَا يَنْدُوهُمْ النَّادِي وَلَكِنْ بِكُلِّ مَحَلَّةٍ مِنْهُمْ فِثَامٌ ^(٢)
 وَمَا تَسْعَى رِجَالُهُمْ ، وَلَكِنْ فُضُولُ الْخَيْلِ مُلْجَمَةٌ صِيَامٌ ^(٣)

٣ - وقال الأعشى ، ينصح يزيد بن مسهر الشيباني ^(٤) :

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلَكَةٌ

أَبَا ثُبَيْتِ ، أَمَا تَنْفَكُ تَأْتِكُ ^(٥)

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ ^(٦)

تُعْرِي بِنَارَهُ طَاسِعُودٍ وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ الْلِقَاءِ فَتُرْدِي ثُمَّ تَعْتَزِلُ ^(٧)

لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّ النَّفِيرُ بِنَا

وَشُبَّتِ الْحَرْبُ بِالطُّوَّافِ وَاحْتَمَلُوا ^(٨)

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا ، وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلِ

(١) أبجناه : جعلناه مباحاً . الحلال : الجماعات من البيوت ، واحداً حلة . ريع : أفرع . سربهم : إبلهم . أي إذا فرغت إبلهم أقاموا لعزمهم .

(٢) ما يندوهم النادي : ما يسعهم المجلس لكثرتهم . الفثام : الجماعات .

(٣) ما تسعى رجالهم : أي لا يمشون على أرجلهم ، ولكن لهم فضول خيل يركبونها . الصائم من الخيل : القائم الساكت الذي لا يطعم شيئاً .

(٤) ديوانه ، قصيدته رقم ٦ من البيت ٤٥ .

(٥) مألكة : رسالة . الائتكال : السعي بالشر والفساد .

(٦) الأثلة : شجرة ، يقصد أصله ومجده . أطت الإبل : أنتت تعباً وحنيناً .

(٧) اللقاء هنا : القتال . أرداه : أوقعه في الردى والهلاك .

(٨) الطواف : الذين يطوفون ، من قولهم : طوف الناس والجراد : أي ملأوا الأرض كالطوفان . احتملوا : صبروا على الشدة .

تُلْزِمُ أَرْمَاحَ ذِي الْجَدِّينِ سَوْرَتَنَا

عِنْدَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِيهِمْ وَتَعْتَزِلُ^(١)

لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَلْتَهَا حَطْبًا تَعُودُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ

قَدْ كَانَ فِي أَهْلِ كَهْفٍ إِنْ هُمُورًا قَعَدُوا

وَالْجَاشِرِيَّةِ مَنْ يَسْعَى وَيَنْتَضِلُ^(٢)

سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا

أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا شَكْلُ^(٣)

وَأَسْأَلُ قُشَيْرًا وَعَبْدَ اللَّهِ كُلَّهُمْ وَأَسْأَلُ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ

إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَهُمْ جَارُوا وَهُمْ جَمِلُوا

كَلَّا زَعَمْتُمْ بَأَنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ إِنَّا لَأَمْثَالُكُمْ يَا قَوْمَنَا قَتْلُ

حَتَّى يَظَلَ عَمِيدُ الْقَوْمِ مُتَكِنًا يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عَجُلُ^(٤)

أَصَابَهُ هِنْدُوَانِي فَأَقْصَدَهُ أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مُعْتَدِلُ^(٥)

(١) السورة : حدة الغضب . ذو الجددين : قيس بن مسعود ، من أشراف العرب .

(٢) كهف : من بني سعد بن مالك . الجاشرية : امرأة من إِيَاد . يقصد أحلافهم من بني سعد وإِيَاد . ينتضل : ماهر في النضال .

(٣) شكل : أزواج : خبر بعد خبر .

(٤) عميد القوم : سيدهم . الراح : جمع راحة ، وهي بطن اليد . عجل : جمع عجلول (بفتح العين) وهي المرأة الثكلى .

(٥) هندواني : سيف منسوب الى الهند . أقصده : أصابه فلم يخطئه .

قَدْ نَحْضِبُ الْعَيْرَ مِنْ مَكْنُونٍ فَائِلِهِ

وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ^(١)

هَلْ تَنْتَهُونَ ؟ وَلَا يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ

كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ^(٢)

إِنِّي لَعَمْرُ الَّذِي خَطَّتْ مَنَاسِمُهَا

تَخْدِي وَسِيقَ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْغُلُ^(٣)

لَشْنٍ قَتَلْتُمْ عَمِيداً لَمْ يَكُنْ صَدَداً لَنَقَتَلَنَّ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمَثِلُ^(٤)

لَشْنٍ مُنِيتَ بِنَا عَنْ غِبٍّ مَعْرَكَةٍ لَمْ تُلَفِّنَا مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْتَفِلُ^(٥)

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْعَيْنِ ضَاحِيَةً جَنِيْ فُطَيْمَةَ لَا مِيلٌ وَلَا عُزْلُ^(٦)

قَالُوا الرَّاكِبُ ! فَقُلْنَا : تِلْكَ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُ نُزُلٍ

(١) العير : حمار الوحش . الفائل : عرق يجري من الجوف الى الفخذ ، ومكنون الفائل : هو الدم . يشيط : يهلك .

(٢) الشطط : الغلو ومجاوزة الحد . يذهب فيه الزيت والفتل : لأن الطعنة غائرة .

(٣) خطت : شقت التراب . المناسم : جمع منسم وهو طرف الحنف . تخدي : تسرع في السير مع اضطراب . الباقر : جمع بقرة . الغيل : جمع غيول (بفتح الغين) وهو الكثير من الإبل والبقر ونحوها . يقسم بالبيت الحرام الذي تهوي اليه الإبل من كل صوب ، وبما يساق اليه من قرابين البقر الكثير .

(٤) صداداً : مماثلاً ، أو قريباً منه . نمثل : نختار الأمثل والأحسن .

(٥) مُنِي به : ابتلي به . غب : عقب . ننتفل : ننتقي ، أي لا نجد دماء قومك ونتركها هرباً من القتال .

(٦) فطيمة : من بني سعد بن قيس ، كانت عند رجل من بني سيار ، وله امرأة غيرها من قومه ، فتعايرتا ، فعمدت السيارية فحلقت ذوائب فطيمة ، فهاج الحيان واقتتلوا ، وانتصر بنو سعد قوم الأعشى . ضاحية : علانية في وضع النهار .

الفصل الحادي عشر

متنوعات

يجانب الأغراض التي مر الحديث عنها في الفصول السابقة ، نجد في مجموعتنا الشعرية المختارة بعض مقطوعات شعرية تعبر عن أغراض أخرى غير الأغراض المتقدمة . ولكن ما قيل في كل قليل لا يستحق أن يكون له فصل خاص ، فجمعناها كلها في هذا الفصل . وأهم ما استلفت نظرنا من هذه الأغراض ما يأتي : -

١ - الوصية الحربية :

كثيراً ما كان الرجل يوصي أبناءه ، قبل مماته ، بوصايا عامة ، تعبّر عن آرائه في الحياة ، نتيجة لخبرته الطويلة ، وينصحهم باتباعها لاعتقاده أنهم بذلك ينالون الخير والمجد ، ويصبحون موضع الثناء والإجلال .

وكانت الوصايا ، عادة ، لا تخلو من بعض التوجيهات الحربية ، كأن ينصح الشخص أولاده بملاقاة الأبطال بقوة وشجاعة وثبات ، ومهاجمتهم بعزيمة وشدة ، والصبر على شدائد الحرب وويلاتها . من ذلك مثلاً ما يقوله ذو الأصبغ العدواني في إحدى وصاياه ^(١) :

(١) شعراء النصرانية ؛ ص ٦٣٣ .

وَإِذَا الْقُرُومُ تَخَاطَرَتْ يَوْمًا وَأُرْعِدَتْ الْخَصِيلَا^(١)
 فَاهْضُرْ كَهْضُرِ اللَّيْثِ خَضُّ^(٢) بَ مِنْ فَرِيَسَتِهِ التَّلِيلَا^(٣)
 وَانْزِلْ إِلَى الْهَيْجَا إِذَا أَبْطَاهَا كَرِهُوا النُّزُولَا

٢ - صنع الجميل وشكره :

وقد كان صنع الجميل في الحروب من الصفات المحبوبة لدى العرب في الجاهلية، يحمده جميع الناس، ويشنون على صاحبه لفعله الخير، كما كان الإنسان يُلَام إذا لم يصنع الجميل مع القدرة عليه. لذلك كان البطل الشهم يسارع إلى القيام به، حباً في ذلك، أو خشية العتاب واللوم. من ذلك مثلاً ما يروى لمعقل بن عامر الأسدي في يوم شعب جبلة، وكان قد مرّ على ابن حسان ابن وهب، وقد استلحم، فاحتمله إلى رحله وداواه، حتى برىء، ثم كساه وأوصله إلى أهله، فقال^(٤) :

يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسٍ بِنِ وَهْبٍ

بِأَسْفَلِ ذِي الْجِذَاةِ، يَدَ الْكَرِيمِ^(٥)

قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الْحَمَاءِ لَمَّا شَهِدْتُ، وَغَابَ عَنْ دَارِ الْحَمِيمِ^(٥)

(١) القروم : جمع قرم ، وهو الفحل والسيد . يقصد الأبطال . الخصيل : لحم الفخذين والعضدين والذراعين .

(٢) الهضر : الجذب والإمالة والكسر . التليل : العنق ، جمعه أثلّة (بفتح الهمزة وكسر التاء وتشديد اللام) . وتلّسل (بضم التاء واللام) ؛ وتلاثل .

(٣) ديوان الحماسة ج ١ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٤) يديت وأيديت ، بمعنى واحد : أي أنعمت . واليد : النعمة . ذو الجذاة : موضع .

(٥) قصرْتُ له : حبست لأجله . الحماء : اسم فرسه ، أي حبست عليه فرسي فأردفته خلفي . ومفعول « شهدت » محذوف لأمن اللبس أي لما شهدت ، أو شهدت حاله . غاب عن دار الحميم : لم يجد من يحميه في ذلك الوقت .

أَنْبَتْهُ بِأَنْ الْجَرْحَ يُشْوِي وَأَنْكَ فَوْقَ عِجْلَزَةٍ جُمُومٌ ^(١)
وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرَقْدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ
ذَكَرْتُ تَعْلَةَ الْفَتِيَانِ يَوْمًا وَإِلْحَاقَ الْمَلَامَةِ بِالْمَلِيمِ ^(٢)

وكان صنع الجميل ، في العادة ، مما يُحفظ لصاحبه ، ويستحق عليه
الشكر والثناء من ذلك ما حدث يوم الودعات ، وقد كان لبني نهشل على بني
هلال وناس من بني عامر . وكان ممن شهد هذا اليوم طفيل الغنوي ، فاستجار
عصمة بن سنان بن خالد بن منقر ، فأجاره ، فنجى طفيل الغنوي يومئذ ،
فقال :

عَصِمَةُ أَجْزِيهِ ، بِمَا قَدَّمْتُ لَهُ يَدَاهُ وَإِلَّا أَجْزِهِ السَّعْيَ أَكْفُرُ
تَدَارَكْنِي ، وَقَدْ بَرِمْتُ بِحِيلَتِي بِجَبَلِ أَمْرِي إِنْ يُورِدِ الْجَارُ يُصْدِرُ
أَفْدَى بِأُمِّي الْخَصَانَ وَقَدْ بَدَتْ مِنَ الْوَدَعَاتِ لِي حِبَالٌ مُعِيرٌ ^(٣)

وفي يوم ذي طلوح أسر عبدالله بن عتمة الضبي ، فافتكه متمم بن نويرة ،
فقال عبدالله يتشكر لمتمم ^(٤) :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ عَنِّي مُتَمِّمًا بِخَيْرِ الْجَزَاءِ مَا أَعَفَّ وَأَمْجَدًا

(١) يشوي : من أشواه اذا أخطأه ، ولم يصب المقتل . العجلزة : الصلبة . الجموم :
الذي لا ينقطع جريه .

(٢) تملة الفتيان : حديثهم الذي يتعللون به ، فيقولون : أحسن فلان ، وأساء فلان .
المليم : الذي يفعل ما يلام عليه . والمعنى : علمت أن فعلي سيذكر ، ويقال فيه الشعر ، فيتغنى
به ، ويعلل بعض الناس به بعضاً ، فاخترت الثناء الحسن . وتجنببت الذي ألام عليه من أن أسلم
ابن الحسحاس للمهالك .

(٣) ديوان طفيل الغنوي ص ٦٩ ، قصيدة ١٩ ، بيت ١ - ٣ .

(٤) النقائض ، ص ٥٨ .

كَأَنِّي غَدَاةَ الصُّمْدِ حِينَ دَعَوْتُهُ تَفَرَّعْتُ حِصْنًا لَا يُرَامُ مُمَرَّدًا
أَجِيرَتْ بِهِ دِمَاؤُنَا فَوْفَى بِهَا وَشَارَكَ فِي إِطْلَاقِنَا وَتَفَرَّدَا
أَبَا نَهْشَلٍ فَإِنِّي غَيْرُ كَافِرٍ وَلَا جَاعِلٍ مِنْ دُونِكَ الْمَالُ مُوَصَّدَا

٣ - طلب طلاق الأسير :

وهذا غير ما تقدم الحديث عنه في باب المدح ، فالمقصود بذلك هنا الشعر المجرد من المدح ولم يمدح فيه الشاعرُ أسَرَ القوم ، وإنما هو شعر من عظيم لآخر يرجوه فيه إطلاق سراح ما عنده من الأسرى من قوم معينين ، تلبية لرغبته ، ويعده بأنه لن ينسى هذه المكرمة .

روى صاحب شعراء النصرانية أن يزيد بن عبد المدان أرسل إلى قيس بن عاصم المنقري ، يطلب منه فك سراح أسير من هوزان ، فقال له (١) :

يَا قَيْسُ أَرْسِلْ أَسِيرًا مِنْ نِي جُشَمٍ إِنِّي بِكُلِّ الَّذِي تَأْتِي بِهِ جَازِي
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ أَنْ تُشْجَى بِغُصَّتِهِ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ إِحْمَادِي وَإِعْزَازِي

٤ - قتال الأقارب :

من المجموعة الشعرية التي بين أيدينا نجد أمثلة كثيرة تحكي وقوع منازعات كثيرة بين الأقارب ، ومنها يتبين أنه كثيراً ما كان فروع القبيلة الواحدة يحارب بعضهم بعضاً . وقد استطاع الشعراء أن يصوروا لنا مشاعرهم المختلفة وأحاسيسهم المضطربة المتضاربة في مثل تلك الحال ؛ فتحدثوا عن وقوع المنازعات ، وحدث القتال بينهم ، وشعورهم حينئذ ، ووجهة نظرهم في مسئولية هذه الحرب ، وأثر مثل هذا القتال في نفوسهم :

(١) شعراء النصرانية ، ص ٨٦ .

ومن هذه الأمثلة نرى أنه عندما كان يحدث نزاع بين أفراد عشيرة واحدة ، كان شعورهم ، يضطرب وتأخذهم الحيرة ، فلا يدرون ماذا يفعلون . فإذا قتل أحدهم مثلاً أحد أفراد عشيرته ، أيقته أهل القتل الأقربون فتخسر العشيرة حينئذ الاثنين ، فتهن القبيلة ويضعف شأنها ؟ أم يصبر المفجوعون ، فيسكتون عن خطير ؟

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
فَلَنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَنْ سَطَوْتُ لَأَوْهَنْ عَظْمِي^(١)

وهنا نجد المنجوع ، في بعض الأحيان ، قد يتذرع بالصبر ، ويحاول أن يسلي نفسه ببعض أشعاره ؛ استمع إلى أعرابي قتل أخوه ابناً له ، فقال^(٢) :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ
كِلَاهُمَا خَلْفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ، وَذَا وَلَدِي

ولكن الصبر ، أحياناً ، كان لا يفيد ، فقد يحمل المعتدي على زيادة التطاول ، وقد يثير الجرمُ الألم في نفوس المعتدى عليهم ، فتغلب عليهم حميتهم الجاهلية ، ويمعدون ما أصابهم من الظلم والضم ، إهانة وتحقيراً ؛ وحينئذ كانوا يدخلون في قتال مع أقاربهم . وفي تلك الحالة ، كانت حرمة القرابة تثير في نفوسهم الشعور بأنهم يقدمون على عمل غير مرضي ، فيه قسوة سيئة ، وعنف شديد ، بالرغم مما حدث بينهم :

نَفْلِي بِحَدِّ الصَّفِيْحِ هَامَمُهُمْ وَفَلْيُنَا هَامَمُهُمْ بِنَا عُنْفُ^(٣)

(١) الحرث بن وعله : ديوان الحماسة ج ١ ص ٥٤ .

(٢) ديوان الحماسة ج ١ ص ٦٦ .

(٣) فلاه بالسيف : علاه به . عنف : أي قتلهم عنف منا لأنهم قومنا وبنو عمنا .

إِنَّا وَلَوْ قَدَّمُوا الَّتِي عَلِمُوا أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تُجِفُّ
لَمَّا بَدَتْ غُدُوَّةٌ جَبَّاهِهِمْ حَنَّتْ إِلَيْنَا الْأَرْحَامُ وَالصُّحُفُ^(١)

ولهذا نجدهم يتملصون من مسئولية الجناية هنا وينحون باللائمة على الجانب الآخر الذي اضطرهم لقتالهم جزاء ظلمهم وعدوانهم ، رغم ما كان منهم في بادئ الأمر من الصبر ومراعاة الود ، واحترام القرابة ، ويؤكدون أنهم لم يقدموا على القتال إلا بعد ما تبين أن هؤلاء لم يُقدِّروا هذا كله ، بل زادوا في تماديهم وطغيانهم ، وبدأ الشر واضحا في عيونهم ، من ذلك ما يقوله الفند الزماني (من بكر) في حرب البسوس التي كانت بين بكر وتغلب^(٢) :

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهَلٍ وَقَلْنَا الْقَوْمُ إِخْوَانُ
عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يُرْجَعْنَ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا
فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ^(٣)
وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَا نِ دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا^(٤)
مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللَّيْثِ غَدَاً وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ
بَضْرِبٍ فِيهِ تَوْهِينُ وَتَخْضِيعُ وَإِقْرَانُ^(٥)
وَطَعْنٍ كَفَمِ الزَّقِّ غَذَاً وَالزَّقُّ مَلَانُ^(٦)

(١) حنت : بكنت . الصحف : العمود . وهذه الأبيات الثلاثة لقيس بن الخطيم . ديوانه

ص ١٨ .

(٢) ديوان الحماسة : ج ١ . ص ٦ .

(٣) صرح : انكشف . عريان : يقصد أن الشر واضح وظهر .

(٤) العدوان : الظلم الصريح . دنأهم : جازيناهم بفعلهم القبيح كما ابتدءونا به .

(٥) توهين : تضعيف . تخضيع : إذلال . إقران : تتابع .

(٦) غذا : سال ، شبه الطعنة إذا سال منها الدم بفم الزق إذا سال منه الحمر .

وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذُّلَّةِ إِذْعَانٌ
وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِينَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانٌ

ومع هذا فإنهم كانوا يظهرون الأسف الشديد لقتل أقاربهم ؛ لا اعتقادهم أنهم وإن كانوا قد أخذوا بحقهم ، فهم في الحقيقة خربوا بيوتهم بأيديهم ، وقتلوا أنفسهم بأنفسهم .

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسَيْفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
فَإِنْ أَلُكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي^(١)
وكانوا يشعرون أنهم بذلك يسببون لأنفسهم خسارة لا تعوض ، فليس هناك خلف لقومهم :

قَالَ لَنَا النَّاسُ : مَعْشَرُ ظَفِرُوا قُلْنَا : فَأَنْنِي بِقَوْمِنَا خَلْفُ^(٢)

ولذلك نرى بعض الشعراء كثيراً ما كانت القرابة تؤثر فيهم : وتضطربهم للثناء على أعدائهم المنهزمين من قومهم ، فيصفونهم بالشجاعة والقوة والبطولة ؛ ويعترفون بأنهم يعرفون مكانة خصمهم ، ويقدرونه حق قدره ، ويعتقدون أنه يستحق أن يذرف عليه الدمع سخيناً ، وما دفعهم إلى قتله إلا ظلمه وتماديه في البغي إزاء حلمهم . استمع إلى ما يقوله قيس بن زهير في حمل بن بدر بعد قتله (وكان السباق بينهما سبباً في حرب داحس والغبراء)^(٣) :

تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ مَا يَرِيمُ
وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ

(١) قيس بن زهير : ديوان الحماسة ج ١ ص ٦٤ .

(٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٨ بيت رقم ٢٦ .

(٣) شعراء النصرانية : ص ٩٢ .

وَلَكِنْ الْفَتَى حَمَلَ بْنِ بَذْرِ بَغَى وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخَيْمُ

وما يقوله 'شبيل الفزاري' ، وكان قد حاربه بنو أخيه فقتلهم (١) :

أَيَا لَهْفِي عَلَى مَنْ كُنْتُ أَدْعُو فَيَكْفِينِي وَسَاعِدُهُ الشَّدِيدُ (٢)

وَمَا مِنْ ذِلَّةٍ غُلِبُوا وَلَكِنْ كَذَلِكَ الْأَسَدُ تَفَرُّسُهَا الْأَسْوَدُ (٣)

فَلَوْلَا أَنَّهُمْ مَسَبَقَتْ إِلَيْهِمْ سَوَابِقُ نَبِلِنَا وَهُمْ بَعِيدُ

لَحَاسُونَا حِيَاضَ الْمَوْتِ حَتَّى تَطَايِرَ مِنْ جَوَانِبِنَا شَرِيدُ (٤)

وعلى كل حال كان وقوع مثل هذه الحوادث بين الأهل بعضهم وبعض ، يقض مضاجع القوم ؛ وكان يثير وجدان الشعراء ، ويلهب عواطفهم ، فبكوا الذين ذهبوا من قومهم ضحية هذا الطيش والجهل ، ودعوا على الذين أثاروا الفتنة بين قومهم ، ولعنوا الحرب التي شبت بينهم فأفنتهم ، وتركوا فيهم آثاراً سيئة ، إذ قلوا بعد الكثرة ، وضعفوا بعد القوة ، وذلوا بعد العزة . انظر إلى ما يقوله عنتره العبسي عندما قتل مالك بن زياد العبسي في حرب داحس والعبراء (٥) :

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَالِكٍ عَقِيرَةَ قَوْمٍ إِنْ جَرَى فَرَسَانُ

فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَجْرِيَا نِصْفَ غَلْوَةٍ وَلَيْتَهُمَا لَمْ يُرْسِلَا لِرَهَانِ

(١) ديوان الحماسة ج ١ ص ٣٨٠ .

(٢) يكفيني : يدفع عني بقوة وشدة وبأس .

(٣) ذلة : ضعف وهوان . يقصد ما قتلناهم لضعفهم ولكنهم كالأسود التي تفرسها الأسود .

(٤) المحاساة : المسافاة . شريد : متفرق . والمعنى : أنه لولا سهامنا سبقت إليهم فمنعتهم

من التقدم إلينا لسقونا من حياض من الموت كما سقيناهم حتى يتطايروا المتفرق من أعضائنا .

(٥) شعراء النصرانية : ص ٨١٣ .

وَلَيْتُهُمَا مَاتَا جَمِيعاً بَيْلِدَةً وَأُخْطَاهُمَا قَيْسٌ فَلَا يُرْيَانُ

وما يقوله جابر بن حني يبكي ما آل إليه قومه من الضعف والمهانة حتى قبلوا الديات ، ودفعوا المكوس والخراج ، بعد أن كانوا أعزة مهابين ، وذلك بسبب اختلافهم واشتجار الرماح بينهم ^(١) :

لِتَغْلِبَ أَبَكِي إِذَا أَثَارَتْ رَمَاحُهَا غَوَائِلَ شَرٍّ بَيْنَهَا مُتَثَلِّمٌ ^(٢)
وَكَانُوا هُمُ الْبَائِنِينَ قَبْلَ اخْتِلَافِهِمْ وَمَنْ لَا يَشُدُّ بُنْيَانَهُ يَتَهَدَّمُ
بِحَيٍّ كَكَوْثَلِ السَّفِينَةِ أَمْرُهُمْ ^(٣) إِلَى سَلَفٍ عَادٍ إِذَا احْتَلَّ مُرْزِمٌ ^(٤)
إِذَا نَزَلُوا الشَّعْرَ الْمَخُوفَ تَوَاضَعَتْ مَخَارِمُهُ ، وَاحْتَلَّهُ ذُو الْمُقَدَّمِ ^(٥)
أَنْفَتُ لَهُمْ مِنْ عَقْلِ قَيْسٍ وَمَرْثَدٍ ^(٦) إِذَا وَرَدُوا مَاءَ وَرْمَحِ بْنِ هَرْثَمٍ ^(٧)
وَيَوْمَ مَالَدَى الْحِشَارِ مَزَّ يَلُو حَقَّهُ يُبْزَبُزُ ، هُ يُنْزَعُ ثَوْبُهُ وَيُلَطَّمُ ^(٨)
وَفِي كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ إِتَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ أَمْرُو مَكْسٍ دَرَاهِمٌ ^(٩)

(١) المفضليات : ٤٢٤ .

(٢) الغوائل : ما يقول الحلو أي يذهب بها .

(٣) كوئل السفينة : سكانها (بضم السين وتشديد الكاف) يريد أنهم يقيمون أمر الناس كما يقيم السكان السفينة . السلف : القوم يتقدمون ينفضون الأرض ، يقول : أمرهم يستند إلى هذا السلف . احتل : نزل لم يقلعه شيء لأنه لا يخالف . مرزم : له رزمة ، وهي الصوت والجلبة . وذلك لكثرة وطول إقامته .

(٤) المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الغلظ وأنف الجبل . ذو المقدم : يريد المتقدم .

(٥) رمح بن هرثم : رجل ، أنف لقومه أن يأخذوا دية قيس ومرثد ورمح ، ولا يأخذوا بثأرهم فينظر الناس إلى دياتهم من الإبل إذا وردت فتعيرهم بها .

(٦) الحشار : الحاشر ، وهو الجسبي ، يحشر المال ، أي يجمعه . يلوي : يطل .

يبرز : يدفع .

(٧) الإتاوة : الخراج ، المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق .

ولم يكن هذا التألم الشديد أو هذا البكاء الحار المر يصدر من جانب
المنهزمين فقط ، بل كان يشترك فيه القوم جميعهم بما فيهم المنتصرون ، فتأثر هؤلاء
بذلك كان عميقاً ، وحزنهم كان شديداً كذلك ، إذ كانوا يحسون انهم في
مثل هذا القتال يقطعون رقاب انفسهم ، وما انتصروا إلا على أشلاء
ذويهم ، وما كسبوا إلا ضعف العشيرة ، وذهاب شوكتها . وإذا أردت مثلاً
لذلك فارجع إلى قصيدة قيس بن زهير العبسي التي أولها (١) :

لما الله قوماً أرشوا الحربَ بيننا سقونا بها مُراً من الشرابِ آجنا

لترى مدى تأثره بحرب داحس والغبراء ، وكيف كان شعوره نحوها ،
ومع أنه كان قد انتصر على خصمه ، ففيها يبدو تألمه الشديد ، وحزنه العميق
بسبب ما جرته عليهم هذه الحرب من البلاء والآلام .

ولا شك أن ذلك يدل على ما كان للقرابة والرحم من صلة شديدة ، وقوة
ممكنة في القلوب .

هـ - تهذئة المتخاصمين :

وفي هذا العصر الجاهلي نجد من شعرائه من كان يحاول إصلاح ذات البين
قبل وقوع الحرب ، وفي أثنائها ، ورغبة في تجنب الحرب أو إنهاؤها والاتفاق
على الصلح .

ففي بعض الأحيان ، إذا استحك النزاع بين فريقين ، وصمما على القتال ،
نجد من القوم من كان يبذل جهده لتوجيه المتخاصمين وجهة الخير ، ويضرب
إليهم أن يستعملوا العقل والحكمة ، خصوصاً إذا كان المتخاصمون من عشيرة
واحدة . وقد يوجه نظرهم إلى الآثار الوخيمة التي لحقت بالقبائل الأخرى ،
أو الأمم السابقة نتيجة غيهم وتماديهم في الضلال بمحاربة بعضهم بعضاً .

روي في ديوان الحماسة لأبي تمام أن فريقين من بني أسد تنازعا على بشر

(١) شعراء النصرانية : ص ٩٣٠ .

ادعاهما كل منهما فقال بعض بني أسد (١) :

كَلَّا أَخَوَيْنَا إِنْ يُرَعُ يَدْعُ قَوْمَهُ

(٢) ذَوِي جَامِلٍ دَثِرٍ وَجَمْعٌ عَرْمَرَمٍ

(٣) كَلَّا أَخَوَيْنَا ذُو رِجَالٍ كَأَنَّهُمْ أُسُودُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبٍ ضَيْغَمٍ

(٤) فَمَا الرُّشْدُ فِي أَنْ تَشْتَرُوا بِنَعِيمِكُمْ بَيْسًا وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِالدِّمِ

وجاء في كتاب الأغاني (٥) أنه لما نشب النزاع بين بني سليم بسبب ما وقع بين خفاف بن عمير والعباس بن مرداس ، قال مالك بن عوف النضري :

سَلِيمَ بْنَ مَنْصُورٍ دَعَا الْحَرْبَ إِنَّمَا هِيَ الْهَلَكُ لِلْأَقْصَيْنِ أَوْ لِلْأَقَارِبِ

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ وَائِلٍ وَحَرْبٍ مُرَادٍ أَوْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ

تَفَرَّقَتِ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ لِحَاجَةٍ وَهُمْ بَيْنَ مَغْلُوبٍ ذَلِيلٍ وَغَالِبٍ

وفي أثناء وجود حالة حرب بين فئتين كان الشاعر يوجه نظرهم إلى ما سببت لهم الحرب من متاعب ، وما قاسوه هم أنفسهم فيها من شدائد وآلام ، ثم يحثهم على تركها وإنهاءها ، والاتفاق على الصلح ، حرصاً على مصالحهم ، وحفظاً لأرواحهم ، ومنعاً لزيادة الخسائر ، ونشراً للأمن والطمأنينة ، وعوداً إلى الأخوة والصفاء . كما كان في حرب داحس والغبراء بين عيس وذبيان ،

(١) ديوان الحماسة : ص ٨٧ .

(٢) يرع : من الروع وهو الخوف والفرع . الجامل : الإبل . الدثر : الكثير . العرمرم : الجيش العظيم . يقول : كلاً إخويننا إذا فرع دعا قومه لنصرته .

(٣) الشرى : مأسدة . الأغلب : العظيم العنق ، الضيغم : فيعمل من الضغم وهو العض .

(٤) تشتروا : تستبدلوا . البئيس : ضد النعيم . يقول : ليس من الرشاد أن تستبدلوا البؤس بالنعيم فتكثر القتلى بينكم ، فتشربوا الماء ممزوجاً بالدم .

(٥) الجزء ١٦ ص ١٣٦ .

حين حاول بعض الناس أن يصلحوا بين الفريقين ، وكان مما قاله زهير بن أبي سلمى في ذلك :

وما الحربُ إلا ما علمتم وذُقتم	وما هوَ عنها بالحديثِ المرَّجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً	وتضرَّ إذا ضرَّ يتموها فتضرَّم
فتعركمُ عركَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا	وتلقحُ كِشَافاً ثم تُنتجُ فتنتم
فتنتجُ لكم غلمانَ أشامُ كلِّهم	كأحرِّ عادٍ ثم تُرْضعُ فتفطم
فتُغلِّلَ لكم ما لا تُغلُّ لأهلها	قُرى بالعِراقِ من قفيزٍ ودرهم

فإذا ما استجاب الجانبان للنداء ، اجتمعا للتفاهم وتسوية الخلاف ، وإذا ما وفقوا للصلح ، عاد الوثام والإخلاص . وأصبحوا إخوة مؤتلفين متحابين . انظر إلى حال بكر وتغلب بعد أن انتهيا إلى الصلح ، فقد ساد بينهما الحب والصفاء حتى تغنى بذلك الشعراء ، ومما قاله أمية بن أبي الصلت في هذا الشأن (١) :

أَلَا قُلْ لِلْقَبَائِلِ إِنَّ بَكْرًا	وتغلبَ بعدَ حربِهِمُ سِنِينَا
أطاعوا الله في صلَّةٍ وعطفٍ	وأضحوا إخوةً متجاورِينَا

(١) ديوانه ؛ نشر بيروت سنة ١٩٣٤ ، ص ٦٥ .

البَابُ الثَّانِي

النَّقْدُ الْأَدَبِيُّ

تمهيد

لقد تحدث الشعراء الجاهليون في موضوعات شتى كالحرب والطبيعة ، والأخلاق ، والغزل ، واللهم . ولكن يبدو أن الحرب قد حظيت بنصيب كبير من مجموع أشعارهم . ولعل هذه الكثرة الظاهرة في شعر الحرب لا تبدو غريبة إذا تذكرنا ما سبق أن بيناه من أن حياة العرب في الجاهلية ، وببشتهم ، وظروف معيشتهم كانت تساعد على حدوث النزاع ، وقيام الحرب ، وتوقع الخطر في كل لحظة ؛ وأن بقاء القبيلة ، وأمنها ، وكرامتها ، وهيبتها كانت تتوقف على ما كان لها من قوة حربية ، وخبرة بالحرب ، ومجد خلده له لنفسها بالانتصارات في حروبها . فلا عجب أن كان للناحية الحربية أثر كبير في نفوس العرب ، وبخاصة الشعراء ، مما جعلهم يتخذون منها موضوعاً هاماً للشعر ، وتغلغلت هي في جميع الأغراض الشعرية ، فجاء فيها شعر كثير ، حتى استطعنا - مما بقي من التراث الشعري للجاهليين - أن نجمع ٥٠٨٠ بيتاً قيلت في الحرب وما يتصل بها لعدد كبير من الشعراء يزيد عن ١٥٠ شاعراً .

ومن هذا العدد الكبير من الشعراء ، وما قيل عن تاريخهم ، يغلب على الظن - بعد ما رأيناه في تحليل أشعارهم - أن كثيراً منهم كانوا متعاصرين . ومن أسمائهم نجد أن كل قبيلة كان لها شاعرها ، أو شعراؤها الكثيرون ، ومما ورد في أشعارهم من الأمكنة الكثيرة المختلفة ، نستطيع أن نقول إن هؤلاء الشعراء كانوا مبعثرين هنا وهناك في أنحاء شبه الجزيرة العربية ، ويعيشون

عيشة مختلفة : منهم من يقيم في المدينة ، ومنهم من يسكن الصحراء ، ومنهم من ينزل على شاطئ البحر .

وقد رأينا في تحليل شعر الحرب أن الناحية الحربية قد استغلت في أغراض شعرية كثيرة هي : الفخر ، والهجاء ، والاعتذار ، والوعيد ، والرثاء ، والمدح ، والإثارة ، والإنذار ، والنصح والتحذير ، وغير ذلك . وفيما يلي إحصائية تبين عدد الشعراء الذين قالوا في كل غرض من هذه الأغراض ، وعدد أبيات كل غرض ، ونسبتها المئوية من المجموع الكلي الذي هو ٥٠٨٠ بيتاً من الشعر :

رقم مسلسل	الغرض	عدد الشعراء	عدد الأبيات	النسبة المئوية
١	الفخر	١٢٠	٢٣٤٠	٤٦
٢	الهجاء والتوبيخ	٦٠	٥٥٩	١١
٣	المدح	١٦	٥٤٣	١٠,٧
٤	الوعيد	٤٨	٣٨٦	٧,٦
٥	النصح والتحذير	٢٥	٢٩٠	٥,٧
٦	الرثاء	٢٢	٢٦٦	٥,٢
٧	الإثارة	١٨	١٥٥	٣,١
٨	الإنذار	٣	٩٢	١,٨
٩	الاعتذار	١٢	٨٤	١,٧
١٠	متنوعات	٢٤	٣٦٥	٧,٢
	المجموع	—	٥٠٨٠	١٠٠

ومن هذه الإحصائية نرى بوضوح أن نصف الأبيات المختارة تقريباً في الفخر ، في حين أن الإنذار والاعتذار ليس لكل منهما إلا جزء قليل منها . وباستثناء المتنوعات نجد أن كلا من الهجاء والمدح يشغل جزءاً متوسطاً ، أما النصيح والثناء فنصيب كل منهما قليل نوعاً ما ، ويليهما في القلة ما قيل في الإثارة .

أما عن عدد الشعراء الذين قالوا في كل ناحية من هذه النواحي فأكبر عدد كان من نصيب الفخر كذلك . ولم يوجد في هذه المجموعة إلا ثلاثة شعراء فقط قالوا في الإنذار ^(١) ، ولعل السبب في ذلك ، كما مرت الإشارة إليه ، هو ما كان يبذله المغيرون من جهد كبير في المحافظة على السرية التامة للغارة ، وعدم تسرب شيء من أنبائها إلى القوم المقصودين بالهجوم .

وإذا نظرنا إلى عدد الشعراء الذين قالوا في كل غرض نجد أنه يطّرد مع عدد الأبيات التي قيلت في كل منها قلة وكثرة ، اللهم إلا في الإنذار ، والمدح . وقد أشرنا إلى ما قد يكون سبباً لذلك في الإنذار . أما المدح فالحقيقة أنه ربما كان أقل الأغراض عدداً في أبيات الشعر ، وفي الشعراء . إذ يكاد يكون شعر المدح كله من نصيب ثلاثة من الشعراء هم زهير والنابغة والأعشى . فقد وجد أن هناك ٣٨٧ بيتاً قالها هؤلاء الثلاثة من مجموع ما قيل في المدح وهو ٥٤٣ بيتاً ، وما بقي وهو ١٥٦ بيتاً قاله ١٣ شاعراً . والتاريخ يثبت أن هؤلاء الثلاثة كانوا يعيشون على العطايا والمنح ممن كانوا يمدحون . وهكذا إذا حذفنا من حسابنا هؤلاء الثلاثة وما قالوه من شعر ، ينخفض شعر المدح إلى أقل من المتوسط بكثير في عدد الأبيات وعدد الشعراء . وقد يكون السبب في قلة نصيب المدح في هاتين الناحيتين ما كان يتصف به العربي من أنفة وكبرياء جعلاه يترفع عن الثناء على أي شخص سواه ، ثناءً يحمل في طياته اعترافاً منه بعلو شأن الممدوح ، أو أفضيلته وأسبقيته عليه في أية ناحية من النواحي ، ولئن كان صنع الجميل يتطلب الاعتراف به ، والشكر

(١) هم لقيط الإيادي وله ٨ بيتاً ، وعميرة بن طارق وله ٣٨ بيتاً ، وعلقمة وله ٦ أبيات .

عليه فما كان العربي يعتقد أنه يستوجب الثناء في مبالغة أو تملق مما يتسم به شعر المدح على العموم .

والنقد الأدبي ، في العادة ، يحلل النص الأدبي إلى عناصر أربعة ، هي : الفكرة ، والعاطفة ، والخيال ، والأسلوب . ومن ثم سنبحث هذه المجموعة الشعرية من هذه النواحي .

* * *

الفصل الأول

الافكار

رأينا في الباب السابق أن الشعراء الجاهليين استغلوا الناحية الحربية في أغراض شتى ، وقد حللنا أفكارهم عنها في كل غرض من هذه الأغراض .
والآن سوف نحاول أن نثبت بعض ملاحظات عامة على افكار الشعراء في كل غرض ، على ضوء ما سبق من إحصاء وتحليل .

أولاً - الوصف :

١ - يتبين من المجموعة الشعرية التي اخترناها أن الشعراء ، على العموم ، لم يكن الواحد منهم يخصص قطعة شعرية لوصف الحرب أو ما يتصل بها ، أي ما كان ينشئ قصيدة رغبة في تصوير الناحية الحربية فقط ، اللهم إلا في القليل النادر ، وفي أبيات معدودات . وإنما الأبيات التي حللناها على أنها وصف لظواهر الحرب المختلفة ، جاءت مبعثرة : ومنبثة في وسط الأغراض الأخرى ، كالفخر ، والهجاء ، والإنذار ، والمدح والرثاء ... الخ . فالوصف موجود ضمن بقية الأغراض ، ولذلك لم ندخله في جدول الإحصائية السابقة التي تبين نصيب كل غرض من الشعر والشعراء .

٤ - رأينا أن الشعراء قد صوروا لنا من ظواهر الحرب وما يتصل بها : الحرب ، والغارات ، والبطل ، والحصان ، والإبل ، والأسلحة والمعدات الحربية ، والجيش والكتيبة ، والموقعة ، وما حدث للأعداء من خسارة في الأرواح والأموال والشرف والمكانة . وقد مر تحليل ما قالوه عن كل من هذه الأشياء .

والجدول المقابل يوضح عدد المرات التي تكرر فيها الحديث عن كل موضوع ، وعدد الأبيات التي قالها الشعراء في وصفه . مرتبة بحسب عدد الأبيات ترتيباً تنازلياً^(١).

ومن هذه الإحصائية يتبين أن أكثر ما وصف كان « ما حدث للأعداء » . لكن إذا اعتبرنا الحديث عن البطل والجيش حديثاً عن موضوع واحد ؛ لأن الجيش يتكون من مجموع الأبطال ، كان هذا الموضوع صاحب النصيب الأعظم في شعر الحرب الوصفي .

رقم مسلسل	الموضوع	عدد المرات	عدد الأبيات
١	ما حدث للأعداء	٢١٠	٨٢٥
٢	البطل	٢٣٦	٦٢٢
٣	الحصان	٢٤٠	٥١٠
٤	الأسلحة والمعدات الحربية	١٥٠	٣٥٥
٥	الجيش والكتيبة	١٥٩	٢٥٩
٦	الغارة	٤١	٢١٧
٧	الموقعة	٨	٢١٤
٨	الحرب	٨٣	١٣٤
٩	الإبل	٥٥	٧٩

ويمكن أن نستنتج من ذلك : أن العرب وجهوا أكبر عنايتهم في شعر الحرب إلى تصوير أنفسهم كأبطال صناديد ، يكوّنون الجيوش الضخمة التي توقع بالأعداء أعنف الضربات وتكبيدهم أفدح الخسائر في الأرواح والأموال .

(١) لكن نحب أن نلاحظ أن هذه الأعداد المذكورة في الجدول متداخلة ، فمثلاً حينما يصورون الغارة يجوز أن يصوروا فيها الأبطال الذين قاموا بها ، والخيل ، والأسلحة ، وغير ذلك فعدد الأبيات يشير إلى ما قيل في كل واحدة من هذه النقط كأنها قيلت فيها بفردتها ؛ ولذلك يجوز أن تعد بعض الأبيات في موضوع وهي بنفسها معدودة في موضوع آخر .

ولعل هذا يوحي بأن العربي كان يحب أن يظهر بمظهر الواثق من نفسه ثقة عظيمة ثقة قائمة على أجدادهم الخالدة في أيامهم السابقة، وقوتهم الحاضرة وبأسهم الشديد في المستقبل.

وإذا لاحظنا ما قيل في الحرب والغارة مع عدد مرات الحديث عن كليهما نجد أن الحديث عن الحرب ، يكاد يكون نصف ما تحدث به الشعراء عن الغارة ؛ وأن الحرب تكرر الحديث عنها ضعف الحديث عن الغارة. وربما كان هذا لأن الغارة ، في العادة ، عمل يتطلب - بجانب القوة الحربية - ذكاء حاداً ودهاء وخططاً حربية خاصة ، وكان يقوم بها أشخاص قليلون ، من بينهم في معظم الأحيان هؤلاء الشعراء الذين يتحدثون عنها ؛ فواصفوها كانوا من الأبطال الذين قاموا بها ، ومن ثم كان مجال الحديث عنها واسعاً . وعلى كل حال ، ليست الغارة إلا جزءاً من الحرب ، ولا تتميز إلا بما تحاط به من سرية تامة ، وتكتم شديد ، إلى أن يقع الهجوم .

٣ - يبدو من التحليل أن الوصف ، على العموم ، يعطينا صورة واضحة للمنظر الخارجي لكل ما وصفه الشعراء ، حتى إن الموصوفات في جميع أحوالها تقريباً تكاد تتجسم أمامنا من خلال الشعر ، خاصة الحسية منها في دقة وإتقان فمثلاً نجد البطل مصوراً في شكله الجسمي وهيئته ، وفي المجالس والمجتمعات ، وفي أوقات الشدة والأزمات ، وفي حال استعداده للحرب ، وفي الميدان ، وبعد القتال ؛ وهناك الجيوش ، تُعد وتُجمع ، ومنظرها وهي تزحف ثم تتلاقى ؛ والأسلحة وهي مخزنة معبأة ، أو مُعدّة مهيأة ، ومنظرها في الميدان ، وحركاتها وهي تروح وتجيء ، أو تعلو وتهوي ، في تداخل واختلاط ، وكأن العين تتبعها صعوداً وهبوطاً ، أو يمنة ويسرة ، أصواتها تملأ المكان ، وصدى جرسها يرن في الآذان .

ومع أن كل ما حاول الشعراء وصفه جاء تصويره على العموم دقيقاً متقناً ، فإن الخيل قد فاقت في التصوير كل ما عداها ، ويبدو واضحاً في الشعر ، أنها حظيت من الشعراء بعناية فائقة واهتمام كبير ، فقد صوروها تصويراً

دقيقاً : في حركاتها وسكناتها ، وتتبعوا أجسامها جزئية جزئية ، ولم يقتصروا على أعضائها الظاهرة ، صغیرها وكبیرها ، بل تحدثوا كذلك عن بعض أجزاء باطنية لا تراها العين كالنسا والشظا . وقد مر تفصيل ذلك كله في تحليل الشعر . وربما كان سبب هذه الخطوة للخیل ، أن العرب كانوا ولا يزالون - يهيمون بالخیل ، ويعتزون بها اعتزازاً كبيراً حتى أنها كانت تعامل معاملة خاصة تم عن حب العربي لها وتعلقه الشديد بها ، لدرجة أنه كان لا يفارقها ، فكانت تحت سمعه وبصره وحسه ، ولا عجب ، حينئذ ، أن هيا لهم ذلك فرصة طيبة لتتبّعها في حركاتها وسكناتها ، وتفحصها جزئية جزئية ، فجاء تصويرهم لها بالغ الدقة والإتقان .

ويظهر من الشعر كذلك أن انفعال العربي بالخیل كان عظيماً ، وأنها كانت مصدر وحي وإلهام لا ينفد ، فكثيراً ما نجد الشاعر يطيل الحديث في تصوير فرسه ، ثم يتبعه بصورة أخرى للحصان ، مع أنه ليس هناك فرق بين الأنثى والذكر في هذا التصوير ، اللهم إلا في الألفاظ والعبارات . ولئن قيل في تعليل ذلك أن الشاعر كان يقصد أن يبين أن لديه خيلاً كثيرة من ذكور وإناث ، أو نحو ذلك ، فإن هذا ، بجانب ذلك كله ، يدلنا على شدة تعلق العربي بالخیل وكثرة تأمله فيها ، وقوة تأثر عواطفه وإحساساته بها ، حتى دفعه ذلك إلى محاولة التنويع في التصوير .

٤ - السائد في الوصف هوالتصوير الحسي الذي يراد منه إدراك الموصوف بإحدى الحواس ؛ كتصوير الحرب بالنار ، أو الناقة الضروس ، أو اللاقح ، أو المكشرة عن أنيابها ، أو الرحى ، أو المرض المعدي ، أو الطعام الوبيل ، المر ؛ وتصوير المغيرين بأسراب الجراد ، والأبطال بالأسد والنمر ، والخیل بالذئاب : ومن المعروف أن الأشياء الحسية أقوى ظهوراً ، وأسرع إدراكاً ، وأقرب منالاً ، ولا تحتاج في إدراكها إلى تعب عقلي ، أو كد ذهني ، وهذه أنسب الأمور للعقلية التي لم تمرن على التعمق في التفكير ، أو إجهاد العقل في البحث والتأمل .

هـ - الناحية المادية ظاهرة في الوصف ظهوراً واضحاً . فأوصافهم كلها تدور حول ما تؤدي إليه من كسب مادي ، أو نفع عملي حقيقي ؛ فمثلاً ما وصفت به الحرب والغارة يعني أن كلا منهما كان وسيلة لتدمير العدو ، والحصول على الثروة ؛ فالحرب أو الغارة تهلك الأعداء وتطحنهم ، فيخلو الجو المنتصرين ، فتتسع لهم رقعة السيادة والخير ، وهي تسوق الأنعام ، وتجيء بغنائم وأسلاب تغني الفقير ، وتزيد ثروة الغني ، وسبايا جميلات الأجسام ، رشقات القوام ؛ ووصف البطل أو الخيل كان يدور حول تصوير القوة وشدة البأس في الحرب ، وما ينتجه ذلك من غنم مادي ؛ وتتجلى المادية في الحديث عن الإبل ، وبخاصة عندما تأخذ أسلاباً وغنائم ، فتصويرها كله حول الكثرة ، والضحامة ، ووفرة اللبن .

لكن بجانب هذه المادية النفعية الواضحة في الوصف هنا ، نجد شيئاً من النواحي المعنوية كحديثهم عن النصر بأنه شرف عظيم :

لو أن كلَّ معدٍّ كانَ شارَكنا في يومٍ ذي قارٍ ما أخطأهمُ الشَّرَفُ

واعتقادهم أن الهزيمة عار وخزي ، والدفاع عن النفس والشرف مجد ، والأخذ بالثأر شفاء وراحة ، وحماية الجار واللاجيء ، وتأمين الخائف دون انتظار مقابل شهامة وبطولة ، والموت في سبيل الحرية والسيادة عزة وكرامة .

٦ - يفهم من حديثهم عن الجيش والأسلحة أن : الجيوش لم يكن لها نظام معين تسير عليه ، وإنما هم أفراد القبيلة ، وحدهم ، أو معهم حلفاؤهم ، ويسرون في غير ترتيب محدد بالضبط . وفي غير تقسيمات معينة ؛ ولم يكن هناك تعليمات عسكرية ثابتة تُلقَّن وتعلم للنشء ، وإنما هي خبرات يحصل عليها القوم بالتجربة والمران . مع بعض إرشادات ونصائح من الكبار ، أو الشيوخ ؛ ولم تكن الأسلحة والمعدات الحربية تصنع في بلاد العرب ، اللهم إلا القوس والسهم ، فيبدو واضحاً أن أشجارها كانت تنبت في شبه الجزيرة ،

وكانت صناعاتها موجودة في ذلك الوقت ، حتى اشتهر بعض القوم بهذا ، كما اشتهر آخرون بتثقيف الرماح ، وصقل السيوف والأسنة .

ثانياً : الفخر :

١ - إذا نظرنا في جدول الموضوعات الشعرية نجد أن ما قيل في الفخر قد بلغ ٢٣٤٠ بيتاً بنسبة ٤٦ ٪ من مجموع ما اخترناه ، أي ما يقرب من نصف المجموعة التي بين أيدينا من شعر قيل في الحرب . وهذا يدل على أن العربي في ذلك العصر كان يميل بطبعه إلى الفخر .

والفخر ، عادةً ، يكون بادعاء أشياء للنفس ليست في متناول جميع القوم كأن يدعي الشاعر أن قومه أشجع الناس ، وأقواهم عدداً وعدة ، وأمنعهم ذماراً ، وتخشى الجبايرة أصغرهم ، ويهرب الأبطال لقاءهم . ومن هذا يتبين أن العربي كان يجب أن يظهر نفسه بمظهر التفوق التام على الآخرين . وأن يشاع عنه أنه أعلى شأنًا من غيره في كل شيء . ويظهر من شعر الحرب أن الميل إلى الإعجاب الشديد بالنفس كان متسلطاً على العرب في الجاهلية لدرجة عظيمة ، حتى إن الشاعر في بعض الأحيان كان يفخر بتفوق فرعه على بقية فروع قبيلته الآخرين ، فيدعي أنه نال من الأجداد والبطولة والفوز ما لم يستطع الآخرون أن يصلوا إليه . وأظهر مثل ذلك ، قول عمرو بن كلثوم :

وَكُنَّا الْأَيْمَنِينَ إِذَا التَّقَيْنَا وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينَا
فَصَالُوا صَوْلَةَ فَيَمَنَ يَلِيهِمْ وَصَلْنَا صَوْلَةَ فَيَمَنَ يَلِينَا
فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا

فقومه هم الأيمنون ، في حين أن بقية عشيرته من غير فرعه كانوا أهل الشمال وبيننا رجع هؤلاء من الحرب بالنهاب والسبايا ، عاد قومه وقد أسروا ملوك الأعداء ورؤساءهم ، وقد صفدوهم بالقيود والأغلال .

٢ - من هذه المجموعة الكبيرة التي قيلت في الفخر نرى أن ما قيل في الناحية القبلية يكاد يكون ثلاثة أضعاف ما قيل في الناحية الشخصية . وهذا معناه أن الناحية القبلية ، والعصبية القومية ، والروح الجماعية كانت سائدة في ذلك الحين . حتى استولت على نفوس الشعراء وسيطرت إلى حد كبير على مشاعرهم ، فناها معظم شعرهم .

ولكن هذا يدلنا من ناحية أخرى على أن الشاعر - في وسط هذا الشعور الجماعي المتسلط ، وهذا النظام السائد - ما كان لينسى نفسه : كفرد قائم بذاته ، وكشاعر له إحساسه الخاص وشعوره الخاص ، فكان يتحدث عن نفسه ، ويفتخر بشخصيته ، وبطولته ، وقوته ، في حرية تامة ، وكيفما شاء .

ويمكن أن يتخذ ذلك دليلاً على أن الشعراء ، أو كثيراً منهم ، كانوا يشتركون في القتال ، فيكابدون مشاق الحرب ، ويدوقون ما فيها وما يعقبها من شدائد وآلام ، وأن هؤلاء الشعراء أحسوا ميلاً إلى التغني بآثرهم الحربية ، رغبة في المزيد من المتعة بلذة الفرح ونشوة النصر . وتخليداً لما قاموا به من أعمال البطولة والشهامة ، فجاء شعرهم في ذلك ، فخراً شخصياً .

٣ - ومن الرسم البياني السابق للصفات التي افتخر بها الجاهليون في الناحية الحربية نرى أن الشعراء قد أكثروا من تكرار الفخر بالبطولة والإيقاع بالعدو والشجاعة والقوة .

وهذا معناه أن كل قبيلة كانت تحب أن ينتشر عنها بين الناس ، أنها ذات بأس شديد ، ولها خبرة واسعة بالقتال ، وهي على أتم استعداد لمواجهة الخطر ، ولا شك أنهم يرمون بذلك إلى إضعاف الروح المعنوية للأعداء ، وتحذير كل من قد تحدّثه نفسه بالاقتراب منهم ، أو التفكير في الهجوم عليهم . وهذا يؤيد أن القوم كانوا في ذلك العصر يعيشون عيشة ، محفوفة بالأخطار ، لا اطمئنان فيها ولا استقرار .

٤ - وأقل الصفات دوارناً في الفخر كأن الصبر، وحب القتل، والرئاسة. وذلك يوحي أن عامة الشعراء - فيما يتصل بهذه الصفات الثلاثة - كانوا صادقين فلم يدّع جميعهم ذلك، ولم ينسب كل واحد من الشعراء لنفسه أو لقومه أنهم كانوا يثبتون في أماكنهم وقت الخطر، وأنهم مشتاقون للقتل، وأنهم رؤساء. فمن افتخر بذلك، لا بد أنهم كانوا قلة من بين الشعراء، مما يجعلنا نعتقد صدق هؤلاء فيما يدّعون، وأمانة الأكثرية في عدم إدعائهم لأنفسهم ما لم يحدث. فعدم الإكثار من الفخر بالرئاسة دليل الصدق، لأنه ليس معقولاً أن يكون القوم كلهم رؤساء، فالرؤساء قلة بين الناس، ومعظم ما ورد فيه تكرار الفخر بالصبر وحب القتل كان في الحديث عن مواقف يتحتم فيها الثبات والتضحية بالنفس حتى ينال الإنسان مأربه، كالقتال أخذاً بالثأر، أو دفاعاً عن الشرف، أو النفس. وربما كان عدم الإكثار من الفخر بهاتين الصفتين دليلاً على استعمالهم الحكمة والعقل ساعة الخطر، فالوقوف أمام موت محقق، حمق، وجهل، خصوصاً إذا كان في الإمكان إهلاك العدو بعدم مواجهته في وقت معين، وتركه مؤقتاً إلى أن تحين الفرصة المناسبة، وذلك بعد الاستعداد التام، واتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة للقضاء عليه.

ثالثاً : الهجاء والتوبيخ

١ - من إحصائية هذا الموضوع نجد أن عدد المرات التي وُجّه فيها الذم للأجانب أكثر من مرات التوبيخ للأقارب. وهذا معناه أن ما كان يحدث من خلاف أو نزاع بين فروع العشيرة الواحدة أقل مما كان يحدث بين الجماعات الذين لا توجد صلة بين بعضهم وبعض. ولعل هذا راجع إلى أن العصبية القبلية كانت ذات تأثير كبير في نفوسهم لدرجة التغاضي عن كثير مما كان كفيلاً بقيام الحروب لولا مراعاة القرابة وصلة الرحم.

ولكننا مع ذلك نرى أن الأبيات التي قيلت في توبيخ الأقارب ولو أنها تقل عما قيل في ذم الأبعد، فإن هذه القلة لا تتناسب مع قلة مرات التوبيخ عن مرات الهجاء، بحيث لو قسم عدد أبيات كل منها على عدد مراقه لوجد

أن الشاعر ، في المتوسط ، كان يقول في مرة التوبيخ لأقاربه أكثر مما يقول في مرة الهجاء لأعدائه ممن لا يمتون له بصلة ، وربما كان هذا لأن الشاعر كانت تنفعل نفسه ، وتثور عاطفته ، ويتأثر بسبب أقاربه أكثر من غيرهم ؛ إذ يتوقع منهم تعاوناً تاماً ، وإخلاصاً حقيقياً ، وحباً صادقاً ؛ لا نزاعاً ، وخصاماً ، وقتالاً ؛ فجعله ذلك يطيل في تعنيفهم ، وتوبيخهم ، لعل ذلك يردهم إلى صوابهم ، ويخفف عنه ألمه ومضضه وأحزانه .

٢ - أكثر الصفات التي رُمي بها الأجانب كانت الخسائر التي لحقتهم في حروبهم ، وتجردهم من البطولة ، وضعفهم ، وهكذا عكس الصفات التي رأينا الشعراء أكثرها من ترديدها في الفخر . أما الأقارب فقد رموا في هذا المقام بتجردهم من البطولة والمروءة التي تتنافى مع واجبات القرابة وآدابها من التعاون والاتحاد والتآلف .

٣ - يلاحظ أن الهجاء ، وإن كان مشيراً أو مهيجاً ، كان على العموم عفيفاً فلم يكن بصفة عامة مقذعاً ، ولم ينزل إلى الحضيض والسفاهة ، والسب الجارح أو الشتم القبيح . وتوبيخ الأقارب ، في جملة ، أخف من هجاء الأجانب ، وذلك طبعاً ، واضح السبب ؛ وبعضه كان يقال بأسلوب التلميح أو التعريض ، لا التصريح كتلك الأبيات التي تنسب إلى سعد بن مالك في حرب البسوس^(١) ، وأكثره كان مجرد لوم خفيف ، وفيه دعاء عليهم أن يجازيهم الله بفعلتهم ، وما ارتكبوا ضد قومهم وعشيرتهم^(٢) .

وأعنف ما وجد من شعر في هذا الموضوع كان لحسان بن ثابت في هجاء بني الأوس^(٣) ، مع أننا لا نجد نظيراً لقوله في شعر منافسه قيس بن الخطيم حين يهجو الخزرج - ولعل ذلك راجع إلى طبيعة حسان الشخصية ، فقد اعترف هو نفسه بأن له لساناً « لو وضع على حجر لفلقه ، أو زرع لحرقه » .

(١) شعراء النصرانية : ص ٢٦٤ .

(٢) الحصين بن الحمام : المفضليات ، ص ١٠٠ .

(٣) ديوان حسان : ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

وأشد ما يكون الهجاء عنفاً عندما يكون رداً على منتصر ، أو هاج سابق (١) .

رابعاً : الاعتذار :

١ - أبيات الاعتذار ومرآته قليلة بالنسبة إلى غيره من الأغراض الأخرى فما السبب ؟ أكان ذلك لقلة دواعي الاعتذار ، بمعنى أنه لم يكن يحدث ما يستوجب الاعتذار إلا قليلاً ؟ ربما كان ذلك غير صحيح ، إذ لا شك أن كل موقعة كانت تنتهي بنصر فريق وهزيمة آخر ، والمهزوم أولى بالإفصاح عما يبرر مسلكه كي يحافظ على كرامته . أو يخفف من نفسه .

أم كان ذلك لعدم وجود شاعر في كل موقعة ؟ ولكن إذا لم يكن المنهزم شاعراً أفلم يكن في قبيلته شاعر يتحدث بلسانه ؟ ربما كان ، ولكن الشاعر لم يعبأ ببيان السبب .

أم يكون ذلك لأن الجاهلي كان يعتز بنفسه ، ويعجب بها ، ويحب أن يشاع عنه القوة والبطولة والمهارة الحربية ، فلم يرض أن يسجل على نفسه اعترافاً بهزيمة أو التقصير في حادثة ما ؟ قد يكون ذلك قريباً من المعقول ؛ خصوصاً إذا علمنا أن الشعر كان كثير التداول ، سريع الانتقال . كما كان يعتبر سجلاً خالداً لحوادثهم ، ومن الطبيعي ألا يحفل الإنسان بتسجيل نقيصة على نفسه في أي شيء . وربما كانت الملاحظات التالية تؤيد هذا التعليل .

٢ - يلاحظ أن الشاعر ما كان يعتذر عن شيء وقع منه إلا تحت ضغط ظروف قاهرة ، كما شاهدنا في دوافع الاعتذار من رد على عدو منتصر يفتخر ، أو هاج ، أو لائم ، في حادثة كثر الحديث عنها ، رغبة منه في الدفاع عن شرفه ، أو المحافظة على كرامته ، أو كرامة قومه .

٣ - أكثر الاعتذار هنا جاء من قوم اشتهروا بالبطولة الفائقة والشجاعة

(١) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١١١ ، قصيدة رقم ٨ .

النادرة كعامر بن الطفيل ، ودريد بن الصمة ، وعبيد بن الأبرص ، وقد يكون ذلك راجعاً إلى اعتاد هؤلاء وأمثالهم ، على ما لهم من شهرة حربية ، وشيوع خبرتهم بالقتال ، كأن بطولتهم أمكن وأرسح من أن تززعها أمثال هذه الحوادث التافهة النادرة على أنهم في كثير من الأحيان كانوا ينسبون لها للحظ ، أو القدر ، أو شيء خارج عن طوق إرادتهم ، كأن الواحد منهم كان ينبغي ألا يؤاخذ على شيء لم يكن في مقدوره .

٤ - كانت أبيات الاعتذار يصحبها ، في العادة ، فخر بأعجاد حربية سابقة ؛ وتهديد للعدو بحرب شعواء . كأن المعتذرين كانوا يقصدون أن يبرهنوا على أنهم ليسوا ضعفاء ولا جبناء . وأنهم واثقون من أنفسهم ؛ معتمدون على قوتهم وبأسهم مما سيكون له أعنف الآثار في الأعداء . كما كان الاعتذار في بعض الأحيان يتضمن هجاء يجمع مساويء العدو ، رغبة في إضعاف الروح المعنوية للأعداء والتقليل من شأنهم .

خامساً : الوعيد :

١ - بالنظر في جدول الموضوعات السابق نجد أن عدد أبيات الوعيد ٣٨٦ بيتاً ، وإذا لاحظنا عدد المرات التي كرر فيها الوعيد كان هذا معقولاً بالنسبة للمجموعة الشعرية المختارة ، خصوصاً إذا تذكرنا أن ذلك كان لا يحدث إلا في حالات العداوة المكشوفة التي يجاهر فيها الشخص عدوه بالاستعداد للهجوم والقتال في أقرب فرصة ، وكان من شأن الجاهلي ألا يعلن عن نيته فيما يتصل بالحرب كي تكون الفرصة في جانبه أكثر .

وربما كان ذلك دليلاً على كثرة المنازعات بين الجاهليين ، لأنه إذا كان هذا هو عدد المرات التي يجاهرون فيها بالعداوة ، فما بالك بعدد ما حفظ سراً مكتوماً ولعل تصريح الجاهلي بهذا راجع إلى أن ذلك ، عادة ، يكون تالياً لجريرة ارتكبت ، فكان مضطراً للإعلان عن موقفه بصراحة وشجاعة وقوة ، محافظة منه على شرفه وكرامته .

٢ - كان أكثر نقط الوعيد تكرار العقاب الذي يهدد به الأعداء ، وصفات الأبطال الذين سيقومون بتوقيع هذا العقاب . وهذا طبيعي ، لأن الوعيد إنما هو التهديد بإنزال الجزاء الشديد على الأعداء ، وذلك يؤدي إلى الحديث عن يتولى تنفيذ هذا الجزء ، ولا بد من أن يكون موصوفاً بالشدة والحزم وقوة العزيمة .

٣ - كان الوعيد يقال في صيغة قوية ملتبهة ، وفي صيغة التأكيد المبالغ فيه ، كأنما يريد الشاعر أن يبين للعدو أنه مصمم كل التصميم على تنفيذ وعيده مهما كلفه الأمر ، ومهما كانت النتيجة ، خصوصاً إذا كان الوعيد للأخذ بالثأر ، وكانت الحال تصل ببعضهم إلى درجة أنه كان في وعيده يطلب من عدوه الذي يوجه إليه الوعيد ، أن يقتله إذا هو لم يثار بصاحبه (١) .

٤ - نجد بعض الشعراء الذين لم يكونوا من أرباب الحرب - بجانب وعيدهم الأعداء بحروب تشنها جيوش قومهم الكثيرة - كانوا يتوعدون الأعداء كذلك بقصائدهم وأشعارهم ، كما صرح النابغة الذبياني في بعض أبياته ، كقوله :

فَلْتَأْتِيَنَّكَ قَصَائِدُ وَلَيْدْفَعَنَّ جَيْشُكَ إِلَيْكَ قَوَادِمَ الْأَكْوَارِ (٢)

فكان الشعر سلاحاً للنيل من الأعداء وتهديدهم وتخويفهم .

سادساً : الرثاء

١ - من إحصائية هذا الموضوع نجد أن أبياته ومراثيه قليلة بالنسبة إلى الأغراض الأخرى . فهل كان ذلك لقلة الأشخاص الذين قتلوا؟ إن صح هذا كان معناه أن عدد القتلى في حروب العرب الجاهليين كان قليلاً، وإن كان عدد المنازعات والمناوشات كبيراً . وهذا يؤيد أن الحروب التي كانت تحدث بينهم لم تكن حروباً كبيرة تضم أعداداً ضخمة من الجيوش والمحاربين، والحقيقة أنها

(١) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٢ .

(٢) العقد الثمين : ديوان النابغة ، رقم ١٠ ص ١٣ .

كانت خصومات ومشاجرات كتلك التي تحدث في القرى المصرية الآن ، بين عدد قليل من الناس ، ومعظمها ينجلي بدون إراقة دماء ؛ أو بقتل شخص ، أو نفر يعدون على أصابع اليد . وقد يدعم هذا أن أكبر عدد ذكر في رثاء كان أربعة ^(١) ، أو خمسة ، وأغلب قصائد الرثاء تكون حول فقيد واحد ، أو اثنين فقط .

وقد يكون السبب في قلة شعر الرثاء وقلة عدد من ذكر فيه من الضحايا راجعاً إلى أن الشاعر كان يذكر في شعره الرؤساء أو الممتازين الظاهرين فقط .

وربما كان هذا لأن الشاعر لم يكن يرضى أن يذكر أسماء الكثير ممن قتلوا من عشيرته ، لكيلا يسجل على قومه أن القتل فيهم كثير . ولكن هل يستطيع الشاعر أن يمنع نفسه من الإشادة بأبطال ضحوا بأنفسهم ، وكان لهم أثر كبير في نفسه وفي قبيلته ؟

٢ - أكثر الصفات دوراناً في الرثاء هنا هي بطولة الفقيد ومروءته ، وما أثره الحربية . وتلك هي النقط التي شاع الفخر بها ، وكثر الهجاء بضدها . مما يدل على عظم قيمة هذه الصفات ومبالغة القوم حينئذ في تقديرها ، وهذا معناه أن الحياة في ذلك العصر كانت تعتمد اعتماداً كبيراً على البطولة والخبرة بالحرب .

٣ - يلاحظ أن رثاء المقتول في الأخذ بالثأر كان أشد وأقوى من رثاء غيره كأن شعور القوم نحوه أنه صدّ الخطر عنهم بنفسه ، ففضله لا ينسى ، ويستحق أن يخلد . وكثيراً ما كان الشعراء في هذا المقام يقارنون بين القتيل الأول ومن قتل في الأخذ بثأر هذا القتيل ، وكانوا بطبيعة الحال يفضلون الثاني على الأول من ذلك مثلاً ما قاله عنتره العبسي حين قتلت بنو العشراء من مازن قرواش بن هانيء العبسي . وكان قرواش قتل حذيفة بن بدر الفزاري ، فلما أسرته

(١) طفيل : ديوانه . ص ١٧ ، القصيدة رقم ٢ .

بنو مازن قتلته بحذيقة ، فقال عنتره العبسي في ذلك (١) :

هَدِيْكُمْ خَيْرَ أَبَا مِنْ أَيْيَكُمْ أَعَفْتُ ، وَأَوْفَى بِالْجَوَارِ ، وَأُحْمَدُ
وَأَطْعَنُ فِي الْهَيْجَا إِذَا الْخَيْلُ صَدَّهَا غَدَاةَ الصَّبَاحِ السَّمْهَرِيِّ الْمَقْصَدُ

٤ - كثيراً ما يجمع الشاعر في قصيدته رثاء لأكثر من شخص واحد ، فيعدد أسماء الذين قتلوا من قومه . وإن لم يكونوا قد قتلوا كلهم في معركة واحدة (٢) . وهذا يوحى بأن ذكرى الأبطال الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الشرف والكرامة ما كانت لتغيب عنهم ، بل كانت دائماً ماثلة أمامهم ، وحاضرة في مخيلتهم ، ويتحينون الفرص الملائمة للحديث عنها والإشادة بها .

٥ - مما يلفت النظر أن المراثي لم يرد فيها ، على العموم ، شيء عن خيل الفقيه وأسلحته اللهم إلا نادراً ، وإن ذكرت ففي اقتضاب واختصار . ويبدو أن المقام ما كان يستدعي ذلك ، فالمهم في الرثاء تعداد مناقب الفقيه ، وما كان يتحلى به من صفات البطولة والشهامة ، وما سجله من أجداد وماثر خالدات ، ثم وصف مشاعر القوم نحو فقدته ، وما ينوون عمله بسبب ذلك .

سابعاً : المدح :

١ - أغلب الشعر هنا من نتاج النابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، والأعشى وهم الشعراء الذين شاع عنهم التكسب بالشعر في الجاهلية . والختار من شعرهم هنا هو ما تحدثوا فيه عن الناحية الحربية لممدوحهم ، وهو بعض مدائحهم الطويلة التي قالها كل منهم فيمن يمدحه . أما الأقلية الباقية من شعر المدح فمن إنتاج قلة من الشعراء ، قال كل منهم شيئاً في مناسبة معينة خاصة ، على خلاف الحال عند هؤلاء الثلاثة . وإذا امتثنينا من شعر المدح ما قاله

(١) العقد الثمين : ديوان عنتره ، ص ٣٧ ، قصيدة رقم ٩ .

(٢) راجع في ذلك مثلاً : قصيدة طفيل الغنوي ، ص ١٧ ، قصيدة رقم ٢ . وقصيدة

دريد بن الصمة : الحماسة ج ١ ص ٤٣٠ .

هؤلاء الشعراء الثلاثة ، كانت نسبة المدح في شعر الحرب قليلة في عدد الشعراء وعدد الأبيات الشعرية ، وقد سبقت الإشارة إلى ما يحتمل أن يكون السبب في هذا .

٢ - كان الحديث عن صفات البطولة والمروءة والإيقاع بالأعداء صاحب النصيب الأوفى في شعر المدح . وذلك هو بعينه ما وجدناه في كل من الفخر والرثاء ، وضد ما في الهجاء . وذلك أيضاً يرينا كيف كان العرب في ذلك العصر يقدرّون هذه الصفات ، ومدى أهميتها لهم في حياتهم ومعيشتهم .

٣ - هناك فرق واضح بين مدح الشعراء الذين لم يخصصوا أنفسهم لمدح شخص معين ، ومدح هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين اشتهروا بالمدح والتكسب بالشعر . فمع أن جميعهم يشتركون في المدح بالشجاعة والقوة والحزم والحكمة في الحرب والصبر على الشدائد ، وغير ذلك من صفات الشهامة والبطولة فإن من عدا هؤلاء الثلاثة كانوا يسرون سيراً طبيعياً في المدح من الاعتراف بالفضل والثناء عليه ، أما أولئك الشعراء الثلاثة فإنهم كانوا يبالغون مبالغة ظاهرة في مدائحهم . كأن يتحدثوا عن الممدوح بأنه كالأسد ، ثم يخلعون على هذا الأسد من الأوصاف ما شاء لهم الخيال ، وأحياناً كان الواحد منهم يسترسل في وصف هذا الأسد حتى إن السامع قد يظن أن الشاعر يتحدث عن أسد حقيقي خاص ، أو أن الممدوح يلبس درعين ، ويحمل سيفين ، وغاراته لا تنقطع ، ما ينتهي من واحدة إلا ويدخل في أخرى ، وهو يشنها في أوقات الشدة ، ويصل الشتاء بالربيع في الغارات ، وينهك خيله حتى إنها لترمي أفلاءها في الطريق ، ونصره في حروبه مؤكداً حتى إن الطير لتتبعهم واثقة من الرزق الواسع المضمون بقتل الأعداء .

ولعل هذه المبالغات لا تكون عجيبة ، فللمال أثره الذي لا ينكر في دفع الإنسان إلى محاولة إظهار البراعة في التفكير ، والانتساع في الخيال .

٤ - في المدح الذي يقال طمعاً في هدية ، أو تحقيق رغبة نجد التملق

ظاهراً واضحاً ، كقصيدة علقمة التي مدح بها الحرث بن جبلة الغساني طمعاً في إطلاق سراح أخيه ، وقصيدة النابغة الذبياني التي مدح بها النعمان بن وائل بن الجلاح لإطلاق سراح عقرب بنت النابغة ، وقصائده التي يمدح بها النعمان ابن المنذر ، وعمرو بن الحارث الغساني .

هـ - كان للفضائل الخلقية حيز كبير في شعر المدح ، فمدحوا بعدم الاعتداء على الأقارب واللاجئين ، والزهد في الغنائم ، وتوزيعها على الفقراء ، والسعي في الصلح بين المتخاصمين ، وبذل الأموال رغبة في أن يسود السلام ، وإجابة المستغيث ، وتأمين الخائف ، والوفاء بالعهد ، وعدم التنكيل بالعدو ، وعدم إهانة الأسير ، وإطلاق سراحه بدون فدية لا خوفاً من عقاب ، ولا طمعاً في ثواب .

والآن ، يحق لنا أن نقارن بين الفخر والمدح والثناء في شعر الحرب ، إذ أن كلا من هذه الثلاثة إشادة بالمحامد من صفات الأبطال وأعمالهم . فإذا نظرنا الى ما قيل في كل منها نرى ما يأتي :

١ - تشترك الأغراض الثلاثة في تمجيد الشجاعة ، والحزم والاتزان ، والإباء ، والدفاع عن الحمى والشرف ، وتأمين الخائف ، وإجابة المستغيث ، والوفاء بالعهد ، والخبرة بالحرب والقتال .

٢ - وبما أن الفخر والمدح يكونان لأشخاص أحياء ، بعكس الرثاء ، فهو لميت ، فقد أكثر الشعراء في الأولين من الإكثار من ترديد الصفات التي توحى بالقوة وتبعث الرهبة والخوف في قلوب الأعداء ، كتأم الاستعداد ، وكال القوة الحربية ، وواسع الخبرة الحربية ، وجودة الخيل والأسلحة التي يملكها المفتخرون والممدوحون ، والإكثار من الغارات . أما في الرثاء فقد اهتموا بالصفات التي تصور القتل بأنه كان بطلاً عظيماً : ملاذاً لقومه ، وملجأ

للمضطرين ، ولا نظير له بحيث لا يوفي به قتيل . ولعل ذلك كان لاستشارة شعور القوم للأخذ بثأره عن طريق غير مباشرة .

٣ - كل المعاني التي قيلت في الفخر قيلت كذلك في المدح ؛ إلا أن المداحين المحترفين زادوا عليها ، ووسعوا فيها : فشن الغارات وقيادتها زيد عليه بأن جعلت الغارات كل عام ، وتشن في زمن الشدة ، فيطول زمنها ، فيوصل الشتاء بالربيع ، ويمتد خطرها فتوغل في الجهات النائية حتى تستولي على إبل المعزاب ، وغنائمها كثيرة ، يعم خيرها حتى تجعل الفقراء المعدمين من ذوي الثراء العريض ، والخييل في الغارات لا تبذل مجهوداً كبيراً فحسب ، بل تنهك قواها ، فتغزو سماناً ، ثم تعود خوص العيون ، هزيلة ، تلقي أفلاءها في الطريق ؛ والبطل الممدوح ليس شجاعاً فقط ، أو كالليث العادي ، بل ليث صفته كذا وكذا وكذا ، وجيوش الممدوحين ليست قوية فقط ، بل نصرها محقق مؤكد ، وأسلحتهم ليست حادة فحسب ، بل ذات تاريخ مجيد تغوص في اللحم وتقطع العظام ، وتكسر الجماجم ، وتتعدى الأجسام إلى الصخور فتفتتها ، وتطير منها الشرر . فالمبالغة لدى محترفي المدح ظاهرة واضحة .

٤ - المدح والفخر طبيعيان في شعر القوم الذين لم يتخصصوا في المدح ، فشعر هؤلاء في هاتين الناحيتين عادي ، بل إننا نلمس أن شعرهم في المدح قد يقل في المستوى عن شعرهم في الفخر ، فإذا رجعنا مثلاً إلى قصيدة عامر بن الطفيل التي يمدح فيها خذام بن زيد الذي أجار عامراً من الموت ، وقارناها ببعض قصائده في الفخر ظهر لنا الفرق في المستوى واضحاً . وكذلك قصيدة طفيل الغنوي التي يمدح فيها بني الحرث بن كعب مستواها أقل من مستوى شعره في الفخر .

أما الذين تخصصوا في المدح فالحال عندهم مختلفة ؛ يرتفع مستوى مدحهم عن مستوى فخرهم . فهم في المدح يولدون الأفكار ، ويبالغون ويتأنقون في طريقة العرض . وباعهم في الفخر ، على العموم ، قصير ، وليس فيه لهم إلا

أبيات قليلة ، في حين أننا نجد دواوينهم تكاد تغص بشعر المدح . على أن ما ورد لهم من شعر في الفخر ، يقل في مستواه عن مستوى الفخر لدى غيرهم من الشعراء . وهذا يدلنا على أن الخبرة وكثرة المراتب في ناحية معينة لهما أثر كبير في تقوية الموهبة في هذه الناحية . هذا ، ولا يغيب عن خاطرنا أثر المنح والمكافآت في شحذ العقل وإعمال التفكير ، وتنشيط الخيال .

ولكن أليس الوازع القبلي يفوق المادي أو يعادله على الأقل ؟ إنا نشك في صحة هذا المقياس لدى قوم مثل هؤلاء الشعراء الذين اختلطوا بغير قومهم من الرؤساء والعظماء وانقطعوا لهم ، فاجتذبتهم مخالطة هؤلاء ، وأغرتهم المادة ، وانسلخوا من البادية ، فقلبت لديهم العاطفة القبلية التي يقوينا اعتماد الفرد على القبيلة ، وارتكانه على دفاعها عنه ، وحمايتها له .

فهؤلاء المداخون ارتموا في أحضان بعض العظماء الذين كفلوا لهم متعة الحياة ، ونعمة الراحة في سعة ورغد دون مشقة أو كد ، فلا عجب حينئذ أن ينقطع الشاعر من هؤلاء لولي نعمته ، ويخصه بشعره ، حتى إن الواحد منهم كان يفقد رشده ، وتظلم الدنيا في عينه ، ويفقد كل أمل في الحياة إذا غضب عليه المدوح . ولا عجب كذلك إن تفتن أولئك المداخون في مدحهم ، وقصر باعهم في الفخر ببطولة قومهم .

هـ - لم تعط آثار السلف ، والأيام السابقة للآباء والأجداد في شعر المدح ، من الاهتمام مثل ما أعطيت في الفخر ، بل تكاد تكون معدومة الذكر في المدح ، وقد يكون السبب في ذلك رغبة المادحين في إظهار المدوح عظيماً في نفسه بنفسه هو وحده .

ثامناً : الآثار :

١ - عدد الأبيات هنا قليل ، وأوردنا في تحليل الشعر بعض احتمالات قد تكون السبب في هذا .

٢ - من هذا الموضوع ، نرى أن الآراء في كل عشيرة ، كانت تختلف ،

وأن وجهات النظر أحياناً كانت تتضارب - كما هو شأن كل مجتمع . فكان الشعراء يحاولون بشعرهم ترجيح أحد الآراء ، أو تقوية اتفاق تم بين العشيرة ، رغبة في مضاعفة الهمم ، وبذل أكبر قسط من النشاط والجهد .

٣ - كانت المقطوعات الشعرية في هذا الموضوع ، على العموم ، قصيرة ، خصوصاً تلك التي تنشد ساعة القتال .

٤ - كان للنساء عمل ظاهر الأثر في الإنشاد ساعة القتال ، أو قبيل البدء فيه .

٥ - قد لعب المكر والدهاء هنا دوراً خطيراً ، ويتجلى ذلك في إهانة القوم المقصودين بالإثارة أحياناً باستعمال أسلوب التورية ، والإشادة بشجاعة قوم آخرين وبطولتهم .

تاسعاً : الانذار :

١ - أشرنا فيما سبق إلى قلة عدد الأبيات في هذا الموضوع . وأوردنا هناك ما قد يكون توجيهاً لذلك .

٢ - الشعر في هذا الموضوع يدلنا على شدة إخلاص الشخص لقومه ، مهما كانت صلته بالمعادين لهم ، ومهما كان حبهم له ، وثقتهم فيه ؛ فكان يكلف نفسه عناء التعب ، ومشاق السفر ، ويتحمل الآلام والمصاعب ، حتى يصل إلى قومه لينذرهم ، ويخبرهم بما يببته ضدهم قوم اعتقدوا فيه الإخلاص التام لهم ، ووثقوا به .

وفي الشعر نرى فلسفة الشعراء بما يؤكد الإخلاص الشديد للعشيرة ، والتفاني في المحافظة عليهم وعلى شرفهم ، مهما كلف الواحد منهم ذلك ، ولو أودى بحياته .

٣ - ويدلنا هذا الشعر كذلك على أنه كان هناك بعض القوم ، من قصر النظر والبلاهة بمكان لدرجة أن كانوا يتوقعون من الشخص أن يتواطأ معهم على

قُومَه ، فيدبرون الشر على مرأى منه ومسمع ، ويتركون أخبار عداوتهم لقومه والاستعداد للهجوم عليهم تصل إليه ، ثم لا يحيطونه بسائر الضمانات التي تكفل لهم عدم اتخاذه أية وسيلة لتبليغ قومه .

٤ - قد بالغ الشعراء أحياناً في وصف قوة القوم الذين ينوون الهجوم . وربما كان ذلك لكي يتخذ قوم الشاعر من أنواع الاستعداد والخطط والاحتياطات ما يكفل لهم النصر ، ورد كيد الأعداء في نحورهم بإهلاكهم والقضاء عليهم .

عاشراً : النصيح والتحذير :

١ - رأينا في تحليل الشعر أن ما قيل في هذا الموضوع قليل ، وهو يدل على أن المنازعات كانت تحدث بين الأهل ، والأقارب والأصدقاء والخلفاء ، ولكن هذه القلة ربما تشير إلى أن مثل هذه المنازعات كانت قليلة الوقوع ، وإن كان يحتمل أن قلة الأبيات في هذا الموضوع ربما توحي بأنه لم يكن من عادة الناس في ذلك الوقت أن ينصحوا بالرجوع عن القتال عن طريق استعمال الحكمة والمنطق ، وأنهم كثيراً ما كانوا يندفعون إلى الدخول في الحرب دون روية أو تدبر .

٢ - وعلى كل حال فهذه الأشعار التي قبلت في هذا الموضوع دليل على أن القوم في بعض الأحيان كانوا يستعملون العقل والحكمة قبل الاندفاع في الشر ، فيبصرون المعتدين بحقيقة الأمر ، وينصحونهم باتبع الرشدهم ، ويعطونهم فرصة للتفكير ومراجعة أنفسهم ، حتى لا تقع مسؤولية العاقبة إلا عليهم وحدهم .

يُلَامُ الْمَفْرُطُ فِي أَمْرِهِ إِذَا صَرَّحَ الْأَمْرُ لِلْمُعْذِرِ

٣ - والشعر في هذا الموضوع ، وإن كان يدل على حدوث منازعات بين الأقارب والأصحاب ، فإنه يدل كذلك على مدى احترام القوم حينئذ لصلات

القربى والرحم ، والصداقة ، وأنهم كانوا يحبون أن يحاسبوا أنفسهم قبل الشروع في عمل لا يتناسب مع ما تقتضيه القربى والأخوة .

٤ - قد ذكرنا فيما سبق أن النصيح كان يصحب عادة بالتحذير ، وقد قلنا أن الشعراء ربما كانوا يفعلون ذلك لئلا يظن القوم المنصوحون أن الناصحين ضعفاء ، أو خائفون . ولكن ألم يكن هذا التحذير مثيراً للنفس ، شديد الوقع ، بحيث يستثير الشعور أكثر مما يهدىء الخاطر ؟ ربما كان ذلك جائزاً إذا كان التحذير شديد اللهجة ، ولكن إذا كان معتدلاً ، يتجلى فيه الاتزان ، والرغبة الحقيقية في تجنب الشر ، فلا شك أنه يكون جديراً بالقبول والتقدير .

وإذا نظرنا إلى ما قيل من شعر في هذا الموضوع ، نجد أن بعضه كان شديد اللهجة ، وبعضه كان يقال في طريقة مقبولة لا تثير الشعور . وذلك تبعاً لحالة القوم المنصوحين ، وما قاموا به من أعمال ، فكان الكلام على حسب مقتضى الحال . ولكل مقام مقال .

حادي عشر : في المتنوعات :

١ - من الوصايا العربية في ذلك الوقت . نستطيع أن نستنتج أن التربية الحربية كانت من أهم الأشياء التي يوصي بها الرجل ابنه . ولكننا لم نعثر في الشعر على ما يدل على أنه كانت هناك دروس ، أو تمارين عملية تعطى في ذلك . بل كل ما يشير إليه الشعر هنا هو الحث على التمسك بالمروءة والبطولة والشجاعة وملاقة الشدائد في الحروب وغيرها بعزيمة وجلد وثبات . ويبدو واضحاً أن الشخص كان يكتسب المعرفة الحربية بالاشتراك الفعلي في القتال ، وكلمة « مجرب » أو « مجرب » يقصد بها الخبرة العملية الفعلية لا التدريب والتمرين . وكانت طرقهم في الحرب والقتال بدائية ، ولم يكن بينها أشياء هامة ، أو تعليمات ضرورية كثيرة تحتاج إلى شرح وتفكير وتدريب .

٢ - ومما قيل في صنع الجميل يتبين أنهم كانوا يقدرون المعروف ،

ويكبرون فاعله ، وأن الملامة كانت من نصيب من لا يفعل الجميل مع القدرة عليه .

٣ - ونفهم من توسط العظماء لدى أمثالهم في أمرهم أو لغيرهم ، أن هؤلاء كانوا يحبون أن تكون الصلات بينهم قوية وعلى أساس من الحب والوفاء ، ويرحبون بالقيام بمعروف أو جميل يحمده له صاحبه ، ويكون له ذخراً عنده ينفعه وقت الشدة .

٤ - أما قتال الأقارب ، فيرينا ما قيل فيه من شعر أن الحمية الجاهلية كانت قوية وخطيرة لدرجة أن العربي في ذلك الوقت ، لم يكن لديه : أحياناً من القدرة على ضبط النفس ما يمنعه من الدخول في حرب مع بعض أفراد قبيلته ، حينما يثور وينفعل .

ولكن ، مع ذلك ، يبدو انه عندما تهدأ ثائرة العربي بعد القتال ، كان يعاوده الصواب ؛ فيفكر فيما حدث ، فيعتريه حزن شديد ، وشعور كله أسف عميق ، بسبب ما حدث لقومه ، الذين هم عضده ، ولا خلف له منهم .

على أننا رأينا في موضوع « النصيح والتحذير » أن القوم حينئذ كان فيهم من يترث قبل الإقدام على أية خطوة شريرة ، فيفكر ، ثم ينصح ويرشد . ومن كثير من الأمثلة يتضح أن القوم ما كانوا يقدمون على مثل هذا القتال إلا بعد أن يظهر التادي في الغي والظلم ، وتصبح الحرب ضرورية لوقف الجور والطغيان .

وعلى كل ، فهذا يرينا أن الروح العصبية كانت قوية ، والمحافظة على وشائج القربى كانت متينة ، ولئن ظهرت الحمية الجاهلية وطفعت في بعض الأحيان ، فأسدلت على عيون القوم غشاوة أعمتهم عن احترام القربى ، ومراعاة ما للعصبية الدموية من حقوق وواجبات فإن هذه الحمية كانت سرعان

ما تُخَبِّو نارها ، و تُحَوِّر رماذاً ، فتنجلى الأمور على حقيقتها ، ويعود الرشد
ويصلح التفكير .

٥ - وفيما قيل من شعر في تهدئة المتحاربين ، أو الصلح بين المتنازعين .
نرى أن الروح الطيبة التي تحب السلم ، وتدعو إلى الأمن والخير كانت موجودة
بين ذلك المجتمع الذي عرف بالحمية الشديدة ، والثورة العنيفة لأتفه الأسباب ،
فكان هناك العقل والحكمة والتفكير السليم بين أفراد عصر وصم بالجهل والظلمة
والفساد .

* * *

الفصل الثاني

العاطفة

العاطفة إحدى عناصر الأدب ، وهي القوة الخفية التي تحرك الأديب ، فتفحص بسببها نفسه ، ثم يترجم أفكاره وأحاسيسه إلى أصوات ذات مقاطع وحروف في نتاجه الأدبي .

والعاطفة ، وإن كانت قوة خفية ، فلا بد لها من أسباب تحركها وتثيرها ، وما لا شك فيه أن العاطفة في شعر الحرب تثيرها الحروب ، وما يتصل بها من ظواهر مختلفة ، اللهم إلا في مجموعة المدح من هذا الشعر ، فإن المثير لها مباشرة لدى الشعراء المداحين هو الرغبة في الحصول على الجوائز والهدايا ، لكن لا بد مع هذا أن يخلق الشاعر لنفسه في تلك الحال جواً من الصراع والقتال يتخيله ، ثم يحاول أن يجعل نفسه تنفعل به ، كي يثير عواطفه ، ويحرك وجداناته ، فيجىء شعره قوياً مؤثراً ، فيه خصائص الأدب الصحيح .

وقد رأينا في تحليل الشعر أن الحرب أمدت الشعراء بميدان فسيح ، مملوء بالأغراض ، فجاء شعر الحرب في موضوعات شتى . ولا شك أن العواطف في شعر الحرب وإن كان المثير العام لها هو الحرب أو ما يتصل بها ، فقد كانت هناك حوافز مباشرة تثير العاطفة بحسب الغرض الذي يتحدث فيه الشاعر ، وتختلف

هذه الحوافز باختلاف الأغراض ؛ فالعاطفة التي تهيج الشاعر فتجعله ينشد فخراً . غير تلك التي تجعله ينشد هجاء ، أو ينشد رثاء ، وإن كان المثير العام في هذه الأغراض واحداً وهو الحرب .

لذلك ينبغي أن نتحدث عن العواطف المختلفة في كل موضوع على حدة ، ثم نتبع ذلك بملاحظات على العاطفة في هذه المجموعة الشعرية على العموم . وحيث إن الوصف مندرج ومبعثر في الأغراض الأخرى ، فلن نفرده بحديث خاص كما حدث في الكلام عن الأفكار .

وقبل كل شيء يجب أن نعرف أن العاطفة تختلف باختلاف الشعراء ، وتختلف في الشاعر الواحد باختلاف الأغراض التي يتحدث فيها ، وتختلف عنده كذلك في الحديث عن غرض واحد باختلاف الأحوال والظروف التي تحيط به في وقت نشاطه الأدبي . فتورة العاطفة تتوقف درجتها على مدى تأثير نفسية الأديب بالسبب الذي يثير العاطفة ، فقد تكون استجابته لهذا المثير في وقت ما أقوى منها في وقت آخر . ومن ثم تختلف درجة العاطفة قوة وضعفاً تبعاً لاختلاف الشعراء ، واختلاف الأحوال لدى الشاعر الواحد ، لهذا سيكون حديثنا عن العواطف هنا مقصوراً على السمات العامة للعاطفة في هذا النوع من الشعر ، وسنحاول أن نضرب بعض الأمثلة بدراسة العاطفة في بعض النصوص الشعرية توضح الحقائق السابقة .

* * *

فإذا نظرنا في المجموعة الشعرية التي اخترناها لنعرف العواطف المختلفة ومثيراتها في الأغراض السابقة نجد أنه يمكن إجمال ذلك فيما يلي :

في الفخر تسيطر عاطفة العجب والفرح والتعالي ؛ ويثير هذه العاطفة نشوة النصر ؛ أو الثورة بسبب ما قد يوهم طمعنا في الشرف كالمعاملة غير الشريفة ، أو المقابلة بما لا يليق من الاحترام والإجلال ؛ أو اللوم في غير موضعه ؛ أو كفران البلاء ؛ أو عدم الاعتراف بالجميل والشكر عليه ؛ أو استنكار الهيئة

والمظهر ؛ أو الرغبة في التغني بالبطولة القبلية أو الشخصية ؛ إظهاراً للشرف أو تخليداً للمجد أو استرضاء للمحبوبة وكسباً لعطفها ورضاها .

وفي الهجاء والتوبيخ عاطفة الكراهية والأسف والغيرة والحقد والتعالي ؛ ويشيرها : حلق المعتدي ، وابتهاج الشاعر بما نال العدو من الهزيمة ، وخذلان القوم ، والقعود عن نصره الأهل أو الأصدقاء ، وفخر متقدم ، وهجاء سابق ، وانثلام اتحاد العشيرة ، وكفران المجهود ، والتسابق في المجد ، والتنافس في الشرف .

وفي الاعتذار عاطفة حب التعالي والترفع عن المخازي ، ويشيرها : الرغبة في الدفاع عن الشرف ، والتبرئة من ظن سيئ ، والرد على متعال متطاول ، أو مفتخر .

وفي الوعيد تسود عاطفة الغضب ؛ وحب السيطرة والرفعة ، ويشيرها : قتل قريب ، أو هزيمة وفخر العدو بسببها ، أو نصر طمعاً في نصر أعظم ، أو تدبير مكيدة ، أو ثورة على متوعد ، أو منتقص للشرف والكرامة .

وفي الرثاء تظهر عاطفة الحزن واللوعة ، ويشيرها : عظم وقع المصيبة ، والوفاء للفقيد ، والألم الشديد لفقده ، ومحاولة التخفيف من وقع الكارثة ، وتعزية المصابين .

وفي المدح تسيطر عاطفة الرغبة والطمع ؛ ويشيرها : الشوق والتلهف إلى صنع معروف أو جميل ، أو الميل إلى تمكين الصلة ، وتوطيد الصداقة ، ونيل جائزة أو هدية ، أو الاعتراف بجميل والثناء للقيام بعمل جليل .

وفي الإثارة عاطفة الغضب وحب السيطرة والرفعة ، وكان يشير بها محاولة السيطرة أو مس الشرف ، وخشية أخذ الدية ، والشعور بالظلم ، والتأكد من وقوع الحرب ، واستحثاث القوم للقتال .

وفي الإنذار تظهر عاطفة الحب والإخلاص وحب السيطرة ، ويشيرها حب القبيلة ، والإخلاص للمشيرة ، وتمني النصر والمجد لهم .

وفي النصيح والتحذير عاطفة الغضب مع الحذب والإشفاق وحب السيطرة؛
وكان يثيرها : التحامل على القوم ، ومحاولة الاعتداء ، والطغيان ، والرغبة
في تجنب الحرب ، والميل إلى تسوية الأمور بطرق سلمية ، والتألم من سلوك
الآخرين ، والحرص على دوام المودة والصفاء .

وتتجلى في الوصية عاطفة الحب والرغبة في التعالي وحب الظهور ، وفي
نزاع الأقارب الغضب والحزن مع الحب والإخلاص ، وفي تهدئة المتحاربين
حب الخير والسلام .

والعاطفة في شعر الحرب في العصر الجاهلي عاطفة جماعية قبلية ، على
العموم ، فهي تتصل بنواحي القبيلة في شتى نواحيها ، وتعبّر عن مشاعرها ،
إحساسه ، ويتنفس أنفاسه ، وتفيض نفسه بمشاعره وعواطفه . وشعر الحرب
وتتجه بآمالها وميولها إلى جهة توحد غاياتها ، وتربط أواصرها ، وتجعل
منها وحدة متماسكة ، وتصف إحساساتها في شتى المناسبات .

وإن كنا نجد الشاعر في بعض الأحيان يتحدث عن عاطفة خاصة به في
الفخر ، أو الهجاء ، أو الاعتذار أو المدح لمن صنع به جيلاً ، فإن ذلك لم
يكن كثيراً ، على أن معظم ما قيل في هذا الشأن كان على لسان الرؤساء ،
أو القادة ، أو العظماء ، والواحد من هؤلاء إذا تكلم بلسانه فكأنه يتكلم بلسان
جميع أفراد القبيلة ، فهو وليهم ، يتولى شئونهم ، ويرعى أمورهم ، وله الحق في
أن يتحدث بلسانهم . ثم إن هذه الأمثلة الشخصية تعطينا دليلاً قوياً على أن
الشاعر لم يكن يعيش تحت حكم قبلي دكتاتوري ، وإنما كان حراً ، يقول ما
يشاء ، ويعبر عن عواطفه في أية صورة من الصور ، شخصية أم قبلية ؛ كما أنها
تدل على أن الشعراء في معظم أشعارهم كانوا يعبرون عن مشاعر قبائلهم ،
ويترجمون عواطفهم ، لا بحكم قانون ملزم ، يطيعونه قهراً عنهم ، ولكن كان
ذلك عن طواعية ورضا وإيمان ، وبمقتضى طبيعتهم وسجيتهم ، إذ كانوا
يرون أن ميولهم قبلية ، وروحهم عصبية بمحض إرادتهم ، فلئن تحدثوا عن

مشاعر جماعاتهم ، فقد كان ذلك تحقيقاً لرغبات متمكنة في نفوسهم وإرضاء
لنوعات ثابتة في أرواحهم .

وفي شعر الحرب نجد العاطفة صادقة ، أي منبعثة عن سبب صحيح ، غير
زائف ولا مصطنع . فهذه المثيرات التي سردناها آنفاً كان لها تأثير قوي في نفوس
الشعراء ، فأثارت وجداناتهم وألهبت مشاعرهم ، فنبعت هذه العواطف من
حنايا صدورهم ، ومن حبات قلوبهم ، وسبب ذلك نظام حياتهم ومعيشتهم
الذي جعل في كل قطرة من دم الشخص إخلاصاً شديداً لأهله ، وحباً قوياً
لقبيلته ، وعهداً وثيقاً لرفع شأنها ، وإعلاء كلمتها . ومن ثم كان انتصارها
يشعر به قلبه ، فيثير عواطفه ، فينطلق لسان الشاعر فخراً بها وتمجيداً لها ؛
وهزيمتها غم يظلم عينيه ، وحزن يثير مشاعره ، فينسج أبياتاً تخفف آلامه
باحثاً عن سبب يتمسح فيه ، أو هاجباً ، أو متوعداً ؛ وفقد عزيز مصاب
جلل يبعث الحزن الشديد والألم العميق ، فتفيض عبرات الشاعر حسرة
ولوعة ، في شعر كله بكاء حار ، ووعيد بإبادة المعتدين ، فإذا ما أخذ
بالتأثر سرت النشوة في نفسه مسرى الدم في شرايين جسمه ، فأحس الراحة
والطمأنينة ، وغنى غناء الفرح الطروب ؛ والخطر الذي يتهدد قبيلته خطر
شخصي ضده ، يؤجج مشاعره ، ويلهب إحساساته ، فيصوغ من شعره ما
يفيض حماسة وحمية وغيرة . وهكذا نجد العاطفة ، في جميع الأغراض ،
صادقة صحيحة ، تنبئ عن أنها نابعة من شعور حقيقي ، وإحساس عميق ،
صادرة من سويداء القلوب ، وأعماق النفوس .

كما أن العاطفة ، على العموم ، تتجلى قوية ، فهي تثير مشاعر القارئ
والسامع ، وتجعل كلاً منها يتجاوب معها وينساق في تيارها ، فتهاتز أوتار
قلبه ، وتنبض شرايين جسمه ، وتخفق طيات صدره ، ويعتريه إحساس
عجيب ، يحجب عينيه عن مظاهر حياته العادية الرتيبة ويفتحها على مظاهر
أخرى عجيبة فينقله من عالم الحس المادي إلى عالم الوحي الروحي ، فإذا هو

يسبح مع الشعراء في أجواء المتعة والجمال ، ويصير كأنه هو الشاعر ؛ يحس احساسه ويتنفس انفاسه وتفيض نفسه بمشاعره وعواطفه وشعر الحرب في العصر الجاهلي مملوء بالأمثلة القوية الرائعة التي تؤيد هذا كله .

فَمَنْ مِنَّا يقرأ مثلاً قصيدة مزرد فيما أعده للحرب ، ثم لا يحس أن الإعجاب بالفرس قد ملك عليه نفسه ، ولا يصير كأنه يقلّب بصره ، ويتبعها في حركاتها وسكناتها ، ويتنقل في جسمها من عضو إلى عضو ، ولا يوافق صاحبها على الاعتقاد بأن الوجود ليس فيه نظيرها ، فيأخذ على نفسه عهداً بالآل يفرض فيها ولا يفارقها مدى الحياة ؟ .

أو يقرأ قصيدة أوس بن حجر في أسلحته الحربية ، ثم لا يحس زهود . وبهيجته بالرمح والسيف ، ولا يشعر بما تكبده من عناء ومشقة في سبيل الوصول إلى شجرة القوس ، فلا يرى ما كان بينه وبينها من صعاب وأهوال : جبال ، وهضاب ، وصخور ، فيها شقوق وصدوع ، ولا يتبعه وهو يصعد القمم العالية ، ويتسلق الصخور الملساء كأنها طليت بدهن ، وينتقل بين الشقوق الواسعة ، والصدوع الهاوية ، ثم لا يحس في أثناء ذلك أن روحه تضيق ، وضربات قلبه تزداد ، وأنفاسه تتضاعف ، وريقه يقل ، ولا يرى إلا نفسه كأنها تقوم بهذه الرحلة الشاقة المضنية ، وهو في منتهى الحرص والوجل خشية أن تزل قدمه فيسقط في تلك المهاوي السحيقة وتقطع أوصاله ؟

أو يسمع ما يقوله قيس بن الخطيم في طعنته التي ثار بها لوالده ولا يحس بهولها وشناعتها ، إذ كانت نافذة واسعة ، يرى الناظر منها ما خلفها ، ثم لا يشعر كأنه هو الموتور وقد أرضته هذه الطعنة ، وشفته مما كان يعاني من ألم ، فسرت النشوة في جسمه ، ثم لا يملك نفسه من أن يندفع معه قائلاً :

مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا تَبْقَ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا
وَكَانَتْ شَجَاً فِي الْخَلْقِ مَا لَمْ أُبَوِّ بِهَا فَأُتِ بِنَفْسِي قَدْ أَصَبْتُ دَوَاءَهَا؟

وأين ذلك الشخص الذي يقرأ عمرو بن كلثوم في معلقته مفتخراً بالناحية الحربية وما يتصل بها ، ثم لا يحس أن نفسه قد غمرها التعالي والعجب والخلاء ؟ أو يقرأ معظم ما قاله من شعر في الحرب كل من عبيد بن الأبرص وعامر بن الطفيل ولا يشعر بالبطولة والشهامة ؟ أو قصائد عنتره ولا يرى الفروسية والشجاعة ؟ أو قصيدة أوس بن غلفاء التي يهجو فيها يزيد بن الصعق وأصحابه المنهزمين ، وقصيدة سلمة بن الخرشب في هجاء بني عامر ثم لا يحس قوة في الإهانة والتحقير ؟ أو معلقة الحارث بن حنظلة ولا يحس فيها قوة الثقة بالنفس ، وشناعة التعريض بالخصوم ؟ أو رثاء مهمل لكليب ثم لا يحس ناراً تأكل صدره ، وحقداً يغلي في قلبه ، وقوة تدفعه لالتهام الأعداء ؟ أو قصيدة الحارث بن عباد حينما قتل التغلبيون بجيرا ، ولا يحس بخطب الفجيرة وهول المصاب ، ثم لا يراه وهو يهيب نفسه للدخول في نيران الحرب المشتعلة حين يصرخ :

قَرَّبَا مَرِيطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتْ حَرْبُ وائِلٍ عَن حِيَالِ

ولا يتبعه ببصره ، وهو يمتطي صهوة جواده ، ويعدو بها مصمماً على تنفيذ وعيده حين يعلن :

قَرَّبَا مَرِيطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَيْسَ قَوْلِي يُرَادُ لَكِنِ فَعَالِي^(١) ؟

ومن ذا الذي يقرأ مدح زهير لصاحبيه اللذين أصلحا بين عبس وذبيان ، وتحملتا ديات القتلى من أموالهما الخاصة ، ولا يشارك زهيراً في الإعجاب بما قاما به ، وما ضحيا به في سبيل الصلح والسلم ، ثم لا يوافقهما على أنها خير الناس ، ويمنع نفسه من أن يهتف معه :

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجَالُ بَنَوِهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمُ

(١) شعراء النصرانية ، ص ٢٧٢ .

مِمَّنَا لَنَعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرِمٍ
 تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ
 وَقَدْ قَلْتُمَا إِنْ نَذَرِكِ السَّلْمَ وَاسْعَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمَ
 فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ
 عَظِيمَيْنِ فِي عُليَا مَعَدِّيْ هُدَيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِحُ كَنْزًا مِنْ الْمَجْدِ يَعْظُمُ؟

أو قصيدة لقيط الإيادي التي ينذر فيها قومه ، ولا يرى كلماته تتدفق
 حباً وإخلاصاً ، وتفيض بالحنان والإشفاق ؟

أين هؤلاء الأشخاص الذين يكونون على هذه الأحوال ، مع تلك الأمثلة
 وغيرها من شعر الحرب التي تتجلى فيها قوة العاطفة ، وعمق الإحساس ؟
 أغلب الظن أنه لا وجود لهؤلاء إلا من كان يتعمى عن الحق ، أو من كان
 النور القوي يكاد يخطف بصره فيعرض عنه ثم يدّعي أنه لا يرى شيئاً ، أو
 من يحاول أن يشل ما في طبيعته من قوة ذواقة للمتعة ، حساسة للجمال .
 فقوة العاطفة في هذه الأمثلة ونظائرها الكثيرة من شعر الحرب في العصر
 الجاهلي ظاهرة بيّنة ، لا يملك الإنسان نفسه إزاءها ، بل تجرفه في تيارها ،
 وتحمله إلى آفاق رائعة من عالم الشعر الحلو الجميل . ولا شك أن هذا دليل
 على عمق إحساس الشعراء وقوة شعورهم .

ومن هذه المجموعة الشعرية يتضح أن عواطف الشعراء - كما سبقت الإشارة
 إلى ذلك - تختلف في القوة باختلاف الشعراء تبعاً لأخلاق الشاعر ، وما أثر
 عنه من سلوك وعادات ، وتبعاً لما أحاط به من ظروف ومناسبات .

وإذا أردنا مثلاً لذلك فليكن مقارنة بين أشعار الحروب لكل من
 امرئ القيس الذي قُتِل أبوه حجر ، والمهلهل الذي قُتِل أخوه كليب .

لقد قتلت حجراً أبا امرئ القيس قبيلة أسد قوم عبيد الأبرص ، وذلك لأن حجراً حاول أن يفرض سيادته على أسد . وأما كليب فقد قتله بكر أبناء عمومته لطغيانه وغطرسته في سلوكه نحوهم . فأمرؤ القيس والمهمل يكادان يتفقان في الظروف ، بل إن الأول تكاد ظروفه تكون أشد وأقسى لأن قتل الأخ ليس في الهول والجرم كقتل الأب ، ولأن اعتداء الأجانب وهم بنوا أسد على أبي امرئ القيس أشد وأعنف وأقسى على المرء من اعتداء الأقارب على بعض أقاربهم كما في حال كليب أخيه المهمل فلننظر الآن كيف كانت عواطف كل من شاعرنا هذين ، ومدى قوة كل منها العاطفية .

فعند ما قُتل والد امرئ القيس نرى ابنه الشاعر يتحدث عن ذلك فيقول ^(١) :

أَتَانِي وَأُصْحَابِي عَلَى رَأْسٍ صَيْلَعٍ حَدِيثُ أَطَارِ النَّوْمِ عَنِّي فَأُنْعَمَا
فَقُلْتُ لِعَجَلٍ بَعِيدٍ مَا بِهِ أَبْنُ لِي وَبَيْنَ لِي الْحَدِيثِ الْمُجْمَعَا
فَقَالَ: أَيْتَ اللَّعْنِ، عَمْرُو وَكَاهِلُ أَبَا حَا حَمَى حُجْرٍ فَأَصْبَحَ مُسْلِمَا

ففي هذه الأبيات يذكر أن الخبر قد أطار النوم عنه ، فحسب ، ومن ثانيا البيت الثاني نستطيع أن نلمح الارتباك النفسي الذي اعتراه ، حيث وقع فيما لا حول له فيه ولا قوة له على استقباله ، حتى دعا على العجلي الذي أبلغه الخبر بالألا يرجع ولا يعود ، وهو مع ذلك في البيت الثالث لا ينسى الغرور والحق في هذه اللحظة فيدعو لنفسه - على لسان مخبره - بقوله : «أبيت اللعن» : ثم يتوعد قاتلي أبيه في كلمات مقتضبة ، منها :

تَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلًا ^(٢)

(١) العقد الثمين ، ص ١٥٦ ، القصيدة رقم ٥٦ . وديوانه (دار المعارف) ص ٣٤٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٤٣ ، القصيدة ٤٤ . وديوانه (دار المعارف) : ص ١٣٤ .

وهو هنا يصف في أبيات قصيرة وجيزة ما أعده من الخيل والرماح
والأقوام التي ستساعده حتى لا يذهب أبوه باطلا . وفي موضع آخر يهدد ،
فيقول :

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نَخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدِ
وَإِنْ تَقْتُلُونَا نُقَتِّلَكُمْ وَإِنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدُ^(١)

فالضعف النفساني ظاهر في هذين البيتين ، حيث يعلق قتلهم على قتالهم
إياه ، ومحاربتهم على بعثهم الحرب ضده !

فالعاطفة الشعرية هنا غير قوية كما ينبغي أن تكون في مثل هذه الحالة ،
تنقصها الحمية الشائنة ، والثورة الهائجة ، والشعور الملتهب المأثور عن عادة
البدو الجاهليين . وذلك على ما يظهر راجع إلى 'خلق امرئ القيس نفسه ؛
فكل أشعاره لا تنبئ عن أنه كان صاحب سلاح وقتال ؛ بل صاحب خلاعة
وفجور وهو ، لا بطولة ورجولة وجد ، حتى لقد اعترف هو بنفسه على
نفسه ، إذ قال إن عجبه ولهوه وخلاعته كانت هي التي أضرت وأسقطته
وسط المجتمع ، وذلك في بيته :

لَعُمْرِكَ مَا إِنْ ضَرَّنِي وَسْطَ حِمِيرٍ وَأَقْوَا لَهَا غَيْرُ الْمَخِيلَةِ وَالشُّكْرِ^(٢)

وهو في أشد أيام محنته وشقائه كان لا ينسى لهوه وخلاعته ، ففي قصيدة
له يصف فيها ما أحاط به من الشدة والبلايا بسبب موت أبيه ، وتجشمه
الصعاب لمحاولة الأخذ بثأره يقول :

(١) المرجع السابق : ص ١٣٣ ، القصيدة رقم ١٤ . وديوانه (دار المعارف) : ص ١٨٦ .
يقال : خَفَيْتُ الشيء ، أي : أظهرته .

(٢) المرجع السابق : قصيدة ١٧ ، البيت ١٢ ، ص ١٢٥ .

وَلَمْ يُنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيتُ ظَعَانَنَا وَخَمَلًا لَهَا كَالْقَرِّ يَوْمًا مُخَدَّرًا^(١)

ولشدة اشتهاؤه بالخلاعة وعدم ميله للحروب وأهوالها ، هجاء منافسه عبيد بن الأبرص شاعر بني أسد قاتلي أبيه في كثير من أشعاره بهذا ، ومما قاله في ذلك^(٢) :

وَأَنْتَ أَمْرُو أَلْهَاكَ دُفٌّ وَفَيْنَةٌ فَتُصْبِحُ مَخْمُورًا وَتُنْسِي كَذَلِكَ
عَنِ الْوَتْرِ حَتَّى أَدْرِكَ الْوَتَرَ أَهْلُهُ وَأَنْتَ تُبْكِي إِثْرَهُ مُتَهَاكَا
فَلَا أَنْتَ بِالْأَوْتَارِ أَدْرَكَتْ أَهْلَهَا وَلَمْ تَكُنْ إِذْ لَمْ تَنْتَصِرْ مُتَاسِكَا
وَرَكْضُكَ لَوْلَاهُ لَقِيتَ الَّذِي لَقُوا فَذَاكَ الَّذِي أَنْجَاكَ مِمَّا هُنَاكَ
ظَلَلْتَ تُغْنِي إِنْ أَصَبْتَ وَلَيْدَةً كَانَ مَعَدًّا أَصْبَحْتَ فِي حَبَالِكَ

وفي أبيات أخرى لعبيد يتهم به ، فيقول^(٣) :

سَقَيْنَا أَمْرًا الْقَيْسَ بْنَ حُجْرٍ بْنِ حَارِثٍ
كُؤُوسَ الشَّجَا حَتَّى تَعَوَّدَ بِالْقَهْرِ
وَأَلْهَاهُ شَرْبُ نَاعِمٍ وَقِرَاقِرُ وَأُعْيَاهُ ثَارُ كَانَ يَطْلُبُ فِي حُجْرٍ
وَذَاكَ لَعَمْرِي كَانَ أَسهَلَ مَشْرَعًا عَلَيْهِ مِنَ الْبَيْضِ الصَّوَارِمِ وَالسُّمْرِ

ولعل من الأسباب في ضعف المـاطفة عند امرئ القيس هنا ، بجانب ميوله الخاصة التي ليست حربية ، أن الظروف الخارجية التي أحاطت به في

(١) المرجع السابق : قصيدة ص ١٢٩ . وديوانه (دار المعارف) : ص ٦٢ .

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص : ص ٥٣ ، الأبيات ١٤ - ١٨ .

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص : ص ٨٣ .

هذه المناسبة لم تكن من شأنها أن تساعد في هذه الناحية : فوالده قتله قوم كان يريد أن يسيطر عليهم ، ويفرض عليهم سيادته ، وهو غريب عن قبيلتهم ، هذا إلى أنه كان يَمَنِّي الأصل ، وقاتلوه من عرب الشمال البدو ، فلم يجد شاعرنا أعواناً يشدون أزره ، ويقوونه ، مما أضطره إلى أن يلجأ إلى طرق أبواب متعددة عكسه يوفق لصديق مخلص ، أو عون صادق ، ولكنه يحكى أنه كان كلما وجد صاحباً تبين أنه يعوزه الصدق والإخلاص في معونته ، حتى إنه بكى ذلك في بعض أبياته ، فقال (١) :

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدَرَضِيَّتُهُ وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخِرًا
كَذَلِكَ جَدِّي مَا أَصَاحِبٌ صَاحِبًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

ومثل هذا ولا شك ، له أثر سيء في نفس صاحبنا ، فجعله في النهاية يزهد في الدنيا وما فيها ، وبقنع بما هو فيه ويقعد عن أية محاولة ، ويركن إلى الفلسفة التي تنتهي به إلى أن الحياة لا تساوي كل ما يتخيله المرء فيها ، فما لها عاقبة إلا الموت والهلاك ، وأنه سيكون من نصيب التراب ، أو الضباع والطيور تأكل لحمه ، وذلك حيث يقول (٢) :

فَقَدْ طَوَّفْتُ بِالْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ
أَبْعَدَ الْحَرثِ الْمَلِكِ ابْنَ عَمْرٍو وَبَعْدَ الْخَيْرِ حُجْرٍ ذِي الْقِيَابِ
أَرْجِي مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لِينًا وَلَمْ تَغْفُلْ عَنِ الصَّمِّ الْهَضَابِ
وَأَعْلَمُ أَنِّي عَمَّا قَلِيلٍ سَأَنْشَبُ فِي شَبَابٍ ظَفَرٍ وَنَابِ
كَمَا لَأَقِي أَبِي حَجْرٌ وَجَدِّي وَلَا أَنْسَى قَنِيلاً بِالْكُلَابِ

(١) العقد الثمين : ص ١٢٩ ،

(٢) العقد الثمين : ص ١٢٠ . القصيدة رقم ٥ .

أما شاعرنا الآخر ، وهو المهلهل ، فقد كان الشعور غنده على أشد ما يكون ؛ فنعي أخيه أهاج نفسه ، وأظلم الدنيا في عينيه ، فانهالت دموعه ، واستولى عليه الهم والنغم ، وطال عليه الليل كأن ليس له نهار ، وتطايير الشرر بين جنبيه ، ودار مغشياً عليه ، كما يدور المخمور المخبول :

أرى طولَ الحياةِ وقد تَوَلَّى كما قد يُسَلَبُ الشيءُ المَعَارِ
كَأني إذ نَعَى النَّاعِي كَلِيباً تَطَايَرَ بَيْنَ جَنْبَيَّ الشَّرَارِ
فَدُرْتُ وَقَدْ عَشَا بَصْرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعَقَارِ

فذهب عنه الهدوء والاستقرار ، وأخذ على نفسه العهد الأكيد بتحريم لذات الحياة ، فهجر الغانيات ، وامتنع عن شرب الخمر ، وآلى على نفسه أن يديم لبس الدرع والسيف حتى يبيد بكرأ ولا يبقى لها أثراً :

خُذِ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَيَّ عَمْرِي بَتْرَكِي كُلَّ مَا حَوَتْ الدِّيَارِ
وَهَجْرِي الْغَانِيَاتِ وَشُرْبَ كَأْسِ وَلُبْسِي جُبَّةً لَا تُسْتَعَارِ
وَلَسْتُ بِخَالِعِ دِرْعِي وَسَيْفِي إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلَ النَّهَارِ
وِإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سَرَاةُ بَكْرٍ فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبْدَأُ أَثَارِ

وفي قصيدة أخرى يذكر أن الدنيا بعد أخيه ، لا خير فيها ، وأنه عندما بلغه الخبر ماتت به الأرض ، وتمنى أن لو تقع السماء على من تحتها . وتغور الأرض بمن فيها :

كَلِيبُ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِنْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فَيَمَنْ يُخَلِّيهَا
كَلِيبُ أَيُّ فَتَى عَزِيزٍ وَمَكْرُمَةٍ تَحْتَ السَّفَاسِفِ إِذْ يَعْلُوكُ سَافِيهَا

نَعَى النِّعَاةُ كُلَّيْبًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ

مَا دَتِ بِنَا الْأَرْضُ أَمْ مَا دَتِ رَوَاسِيهَا

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ

وَحَالَتِ الْأَرْضُ ، فَانْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا

إلى غير ذلك من قصائده في رثاء أخيه وتوعد الخصوم ، مما يفيض حرارة وقوة وينبئ عن عمق إحساس الشاعر ، وعنف ثورته بسبب قتل أخيه ، وقد بلغ من شأنه أنه لم يرض ، في موقفه هذا ، بهجر الغانيات ، وتحريم الشراب فقط ، بل ترك المزاح حتى مع حليته ، وذلك لانصراف همه إلى محاربة الأعداء استمع إليه يقول :

إِنَّ فِي الصَّدْرِ مِنْ كُلِّبٍ شَجُونًا هَاجِسَاتٍ نَكَانَ مِنْهُ الْجِرَاحَا
أُنْكَرْتُني حَلِيلَتِي إِذْ رَأَتْنِي كَاسَفَ اللَّوْنِ لَا أُطِيقُ الْمَزَاحَا^(١)

وشغل نفسه بطلب الثأر لأخيه ، وإثارة الحرب ضد أعدائه حتى ترك كل شيء واستنكر أن يصدر منه شعر في بكاء الأطلال أو ذكر الحبيبة مع ما كان فيه من الهم والألم :

أَزْجُرُ الْعَيْنَ أَنْ تَبْكِي الطُّلُولَا إِنَّ فِي الصَّدْرِ مِنْ كُلِّبٍ فَلِيلَا
إِنَّ فِي الصَّدْرِ حَاجَةً لَنْ تَقْضَى مَا دَعَا فِي الْغُصُونِ دَاعٍ هَدِيلَا
كَيْفَ يَبْكِي الطُّلُولُ مَنْ هُوَ رَهْنٌ بَطْعَانَ الْأَنَامِ جِيلًا فَجِيلَا^(٢)

فالمهلل كان يمتلىء حماسة وحمية ، بعكس صاحبنا امريء القيس الذي كان

(١) شعراء النصرانية : ص ١٧٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٨ .

منهمكاً في الخلاعة واللغو منذ صغره ، تاركاً أحوال الحياة وما فيها من اضطراب ، وأحوال الحروب وما فيها من مأس وويلات ، لغيره ممن كانوا أهلاً لذلك . إلى أن قتل أبوه ، فكان ذلك مفاجأة له وكان بحكم العادة والعرف ، حينئذ ، مضطراً لاستخلاص دمه الموتور ، فرأى نفسه في مأزق حرج ، وموقف غريب لم تألفه نفسه من قبل ، والحادث ، وإن كان جللاً ، فإنه لم يثر شاعرية امرئ القيس إثارة قوية ، لأنه لم يكن مما تألفه نفسه ، ولم يكن لامرئ القيس في الشعر فيه خبرة أو مجال معتاد ، فجاء شعره فيه هادئاً بارداً .

أما المهلهل ، وإن كان يحكى عنه أنه كان زير نساء ، فبحسب ما يترأى له من شعر في الحرب ، يبدو أنه لم يكن منهمكاً في غيه وفجوره كامرئ القيس فلقد كان يجوار أخيه كليب سيد قبيلته ، شخصاً مهاباً بين العرب كلهم ، على ما تحكي لنا الروايات ، ولم تكن أحوال الحرب جديدة ، أو غريبة ، على المهلهل ، كما كانت على امرئ القيس ، هذا إلى أن الظروف كانت تختلف مع المهلهل ، عنها مع امرئ القيس ؛ فكما قدمنا كان والد امرئ القيس قد قتل بيد قوم يطلبون المحافظة على الحرية والسيادة ، ويحاربون الاستعباد والخضوع لأجنبي عنهم ، فلم يكن عجباً ألا يلقي امرؤ القيس معارضة أو مشاركة وجدانية من كثير من القبائل ، حتى من تطوع لمعاونته كان إلى وقت قصير ، وذلك لنقص الشعور الداخلي الذي يدفعهم إلى الإخلاص والصدق في المعونة . ولا شك أن هذا كله خليق بأن يؤثر في عاطفة امرئ القيس الشاعرية في هذا النوع من الشعر ، فلم يصل إلى درجة شاعريته القوية التي نجددها في الأوج في الغزل والنسيب وبكاء الأطلال ، ووصف الخيل ومناظر الطبيعة وغير ذلك من الأشياء التي شغف بها منذ الصغر ، فملكته عليه نفسه وحسه ، فقويت شاعريته فيها ، وظهرت في عاطفته القوية في هذه النواحي ، لا في ناحية الحرب الغريبة عنه وعن مألوفه . أما ظروف المهلهل فالقبيلة كلها كانت تشاركه نفس الشعور ؛ ثورة لشرفها المهان لقتل

رئيسها ، وحمية وحماسة ملتزمة الأخذ بثأر عظيمها ، ولا شك أن ذلك
جدير أن يكون له أثر عظيم في نفس المهلهل ، مما يلهب عاطفته الشعرية في
هذه الناحية ، ويجعلها تظهر في شعره قوية مثيرة . ومن المعروف أن شدة
انفعال القارئ أو السامع بالنص الأدبي ، دليل على قوة العاطفة فيه ، ولكي
تكون عاطفة الأديب المؤلف قوية يجب أن يكون انفعاله بالمشير شديداً ،
وذلك لا يتحقق إلا إذا كان هذا المؤثر المشير قد ملك عليه حسه وروحه^(١).

* * *

(١) أنظر : Lascelle Abercrombie; Principles of Literary Criticism. P. 46 .

الفصل الثالث

الخيال

الخيال هو القوة النفسية التي تقوم بتصوير الفكرة الأدبية تصويراً أدبياً مؤثراً ؛ فيها يستطيع الأديب أن يضع في مخيلته صورة عقلية مثيرة لما يريد أن يعرضه على قرائه وسامعيه . والأديب عادة - كالمهندس - يضع تصميماً عقلياً لكل ما يبني القيام به من مشروعات ، ويكون ذلك في بادئ الأمر يعمل إطار يرسم فيه الخطوط العريضة التي تعطي شكلاً عاماً ، ثم يقوم بعمل الجزئيات الدقيقة التي تؤدي في النهاية إلى صورة حقيقية كاملة لمشروعه ، وبعد ذلك يخرجها إلى عالم الوجود المادي . فالقوة التي تقوم بهذا كله هي الخيال .

وهي بطبيعة الحال قوة كامنة في النفس غير مرئية ، وإنما تظهر آثارها في الأدب في شكل القطعة الأدبية العام ، وكيفية ترتيب أجزائها ، وطريقة عرضها . وتتجلى المهارة هنا فيما يستعمله الأديب من وسائل تجعل الشكل العام أكثر ظهوراً ووضوحاً ، أو تزيده جمالاً ومتعة ، وذلك عادة يكون باستخدام الصور الشعرية ؛ أو فيما تخلقه وتبدعه نفسه عندما تسبح في أجواء الخيال الفسيحة الأرجاء ، وهذا يظهر فيما ينتجه الأديب من قصص ، وروايات ، وأساطير ، ومن هذه الناحية ينتج شعر الملاحم .

أما أثر الخيال في الشكل العام للقطع الأدبية التي معنا، فسوف يكون في الحديث عن الأسلوب ما يكفي في هذه الناحية . وأما الصور الشعرية فسنحدث عنها بالتفصيل على ضوء ما رأيناه في التحليل . ثم نعقب على ذلك بملاحظات عامة على الخيال . وبعدها نقول كلمة موجزة عن شعر الحرب والملاحم .

الصور الشعرية :

« الصور الكلامية التي يستخدمها الشعراء إن أجيد استخدامها كانت أداة مفيدة في أيديهم ، فبفضلها تشخص المعاني المجردة ، وتصب في صورة مرئية محسوسة ، وبذلك تكسب قوة ونصوعاً »^(١) . وإذا كان للصور الكلامية أشكال مختلفة في الأدب^(٢) فنحن نقصد « بالصور الشعرية » في بحثنا هذا ما استخدمه الشعراء من تشبيه واستعارة فيما اخترناه لهم من أشعار تتصل بالحرب في العصر الجاهلي . ومن المعروف أن التشبيه والاستعارة « من أهم الطرق التي يستخدمها الشعراء في أداء المعاني : وللاستعارة قيمة خاصة في الشعر بحيث يكاد يستحيل أن يكون الشعر شعراً بدونها »^(٣) . وقد خصصناها بالبحث والدراسة لأن لهما أثراً عظيماً في توضيح الفكرة ، وعرضها عرضاً جميلاً مما يجعلها أعظم تأثيراً في النفوس ، وأشد إثارة للعواطف والإحساسات وليس هناك من فرق بين التشبيه والاستعارة إلا « أن الأول يحتفظ بالمشبه والمشبّه به بذاتيهما ، وكل ما يفعله أن يربط الصلة بينهما ؛ وأما الاستعارة فتدمج الواحد في الآخر وتجعلها شيئاً واحداً » . « فالتشبيه أقرب إلى تصوير الواقع ، أما الاستعارة فأعمق في الخيال »^(٤) .

وإذا نظرنا في المجموعة المختارة لشعر الحرب في العصر الجاهلي والتي يبلغ

(١) أنظر : H. B. Charlton : The Art of Literary Study والترجمة

للأستاذ زكي نجيب محمود ، ص ٧٩ .

(٢) راجع : Poetic Images by Day Lewis .

(٣) فنون الأدب (ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود) .

(٤) المرجع السابق .

عددها ٥٠٨٠ بيتاً ، نجد أن هناك من بينها ٨٦٦ بيتاً فيها ٨٣٨ صورة شعرية ، منها ٥١٩ صورة فيها أداة التشبيه مذكورة أو مفهومة ، أما الصور الباقية وقدرها ٣١٩ فليست كذلك .

عدد الصور	الموضوع	والجدول المقابل يبين عدد الصور الشعرية التي وردت في كل موضوع من موضوعات الوصف التي سبق تحليلها ، مرتبة حسب ترتيبها هناك . ومنه نرى أن أكبر مجموعة من الصور الشعرية كانت من نصيب الخيل ، لكن إذا اعتبرنا الجيش والبطل موضوعاً واحداً ، كانت مجموعتها أكبر المجموعات ، ثم يلي بعد ذلك صور العدد الحربية ، وما حدث للأعداء ومن الواضح أن أقل مجموعة من الصور كانت من نصيب الإبل .
٩٩	الحرب	
١١	الغارة	
١١٨	البطل	
١٩٣	الخيـل	
٨	الإبل	
١٤٢	الاسلحة والمعدات الحربية	
١١٣	الكتيبة والجيش	
٤٦	الموقعة	
١٠٨	ما حدث للأعداء	
٨٣٨	المجموع	

وعدد الأبيات الشعرية التي جاءت فيها هذه الصور ٨٦٦ بيتاً . ومعنى هذا أن هناك بعض الصور جاءت كل منها في أكثر من بيت واحد . وهاك تفصيلها :

١٤ صورة كل منها في بيتين . وأرقامها : ١٢ - ٧٨ - ١٣٨ - ١٨٧ - ٢٠٢ - ٣٤١ - ٥١٠ - ٦٢٠ - ٦٩٥ - ٧١١ - ٧٦٠ - ٧٧١ - ٧٧٤ - ٧٩٧ .

٣ صور كل منها في ثلاثة أبيات وأرقامها : ١١٠ - ٢٠٣ - ٣٤٦ .

٢ صورتان كل منهما في أربعة أبيات ، وهما : ٢٠٤ - ٨٠٣ (١) .

١ صورة واحدة في ستة أبيات ، هي : ٢٠٥ .

١ صورة واحدة في عشرة أبيات ، هي ٢٠٦ .

كما أن هناك أبياتاً مفردة يحتوي كل منها على أكثر من صورة واحدة .

وبذلك يتبين أن معظم الصور الشعرية كان يأتي كل منها في بيت واحد ، وهذا معناه ان الشاعر كان من شأنه أن يجعل الصورة كاملة تامة في البيت الواحد ، وإن كان بعضهم قد نجح في أن يجمع في بيت واحد أكثر من صورة واحدة .

وإذا بحثنا صلة هذه الصورة الشعرية بالحواس نجد أنها على النحو الآتي : -

٧٥٢ صورة بصرية ، ٢٩ صورة ذوقية ، ٢٤ صورة سمعية ، ٢٣ صورة

لمسية . ولم يوجد فيها ما يتصل بحاسة الشم .

ومعنى هذا أن الشعراء كانوا يتجهون في تصويرهم إلى الأشياء الحسية التي يمكن رؤيتها بالعين أكثر مما يتجهون إلى ما يدرك بغيرها من الحواس .

مصادر الصور الشعرية :

بدراسة المصادر التي أخذت منها هذه الصور الشعرية ، وجد أنه يمكن

تقسيمها خمسة أقسام رئيسية ، هي : -

١ - الإنسان ؛

بيئته ، طعامه ، شرابه ، ملابسه ، أنواع الزينة ، ألماجه ، أدواته المنزلية . ومن الصور الشعرية التي يبلغ مجموعها ٨٣٨ وجد أن هناك ٢٢٩ صورة تندرج تحت هذا القسم .

(١) أما الرقمان ٨٠ ، ٨١ وإن كان كل منهما أربعة أبيات إلا أن كلا منهما فيه أكثر من صورة .

٢ - الحيوان :

والطيور ، والحشرات ، ومن هذا القسم أخذت ٢٨٩ صورة .

٣ - السماء والارض :

وما فيها من ظواهر الطبيعة : الشمس ، القمر ، النجوم ، النور ، الظلام ، الجبال ، الصخور ، الرمال ، البحر ، الماء ، المطر ، السحاب ، الرعد ، البرق ، النباتات ، الأشجار ، الخشب ، النار ، الريح ... الخ . ومن هذا المصدر جاءت ٢٥٦ صورة .

٤ - المعدات الحربية :

وقد أخذوا منها ٣٥ صورة .

٥ - متنوعات :

كالجن ، الفول ، المرض ، الدواء ، الشفاء . الخ ، وعدد الصور المأخوذة من هذا القسم ٢٩ صورة .

لكن إذا أردنا تفصيلاً لهذه المصادر نجد أن مجموعها ١٧٣ مصدراً ، منها ما استغل مرة واحدة ، ومنها ما استغل أكثر من مرة . والجدول المرفق يوضح عدد المصادر ، وعدد المرات التي استخدم فيها كل مصدر ، مرتبة حسب مرات استخدامها .

والذي يسترعي النظر أن هناك سبعين مصدراً من مصادر الصور الشعرية قد استخدم كل منها مرة واحدة ليعطي صورة واحدة لشيء واحد. وظاهر أن الإبل كمصدر للصور الشعرية قد استخدمت ٤٦ مرة ، والنار ٥٥ مرة ، والأسد ٦٣ مرة .

وهنا يجب أن نشير إلى أن المصدر الذي استغل أكثر من مرة يجوز أن يكون قد أخذت منه صور متعددة إما في موضوع واحد ، وإما في أكثر

عدد المصادر	مرات استخدامها	عدد الصور
٧٠	١	٧٠
٢٨	٢	٥٦
١٠	٣	٣٠
١٣	٤	٥٢
٢ : القوس والشهاب	٥	١٠
٨	٦	٤٨
٥ : الصقر والكلب والليل واللاقح والعوان	٧	٣٥
٩	٨	٧٢
٨	٩	٧٢
٤ : القطا والقاب والنخل والشطن	١٠	٤٠
٣ : الضيف والرمح والجراد	١١	٣٣
٢ : الرحي والمطر	١٢	٢٤
١ : الخمر	١٣	١٣
١ : الذئب	١٤	١٤
٣ : السابح والبرق والجبل	١٥	٤٥
٢ : الغدير والبَرَد	١٨	٣٦
١ : السحاب	٢٤	٢٤
١ : الإبل	٤٦	٤٦
١ : النار	٥٥	٥٥
١ : الأسد	٦٣	٦٣
١٧٣ المجموع		٨٣٨

من موضوع ، فمثلاً النار قد أخذت منها صور متعددة في موضوعات : الحرب ، والغارة ، والبطل ، والخيال ، والأسلحة ، والجيش ، والموقعة . وبعض هذه المصادر قد أخذت منه صور كثيرة متشابهة لشيء واحد ، جاءت على لسان شعراء متعددين مختلفين ، أو شاعر واحد ^(١) .

ومن ناحية أخرى نجد الشاعر الواحد في بعض الأحيان يستخدم أكثر من مصدر واحد ليعطي صوراً مختلفة لشيء واحد ؛ من ذلك مثلاً : أبوقيس ابن الأسلت يصور الحرب بالمذاق المر (١) وبالغول (٤٧) ؛ وطفيل الغنوي يشبه التراب الذي تثيره سنابك الخيل بالدخان (٢٤٨) وبالقطن المندوف (٣٠٢) ؛ وساعدة بن جؤية يمثل سقوط العدو بعد قتله بالجرف المنهار (٧٤٠) والإبل المذبوحة (٧٧٥) .

أما عن تكرار الصور الشعرية ، فقد نجد الشاعر أحياناً يستعمل الصورة في مكان ، ويستعملها هي نفسها في مكان آخر بالفاظها كما في (٧٦٦) . (٢٤٤-٢٤٣) ، (٦٣٩-٦٣٨) ؛ أو يحوّر في الألفاظ تحويراً طفيفاً ، كما في (٥٦٢-٥٦١) ، (٦٩٤-٦٩٣) . وهذه الملاحظة ظاهرة كذلك في صور شعرية كثيرة استعملها أكثر من شاعر واحد ، مثل (١٥٠-١٤٩) ، (٢١٢-٢١٣) ، (٣٦١-٣٦٠) ، (٦٣٨-٦٣٧) ومثل (٤٦-٤٧-٤٨-٤٩) ، (٥٢-٥١) ، (١١٩-١١٨) ، (١٩٣-١٩٢) ، (٢٨٦-٢٨٥) .

وجدير بالانتباه والملاحظة أن بعض الصور كان الشاعر أحياناً يعيد استخدامها ، مع إضافة بعض الملامح أو الظواهر إليها ، فمع أن المصدر الذي أخذت منه واحد فإن هذه الإضافة تجعل كل صورة كأنها تختلف عن كل واحدة من أخواتها التي تشترك معها في نفس المصدر . فمثلاً نجد الأعشى مرة يشبه الحرب بالرحى الدكوك (١٠) ومرة يشبهها بالرحى العضاضة

(١) أنظر ملحق الصور الشعرية : الأرقام : ١٠ - ١١ ، ٢٥ - ٢٦ ، ٥٢ - ٥٣ ، ٥٤ ، ١٨٣ - ١٨٤ ، ٣٣٤ - ٣٣٥ ، ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ ، ٧٨٢ - ٧٨٣ .

(١١) ، ويمدح زهير فيشبهه بمدوحه مرة بليث في خدره ، ورد ، مهاب ، يصيد الرجال (٢٠٠) ، ومرة يشبهه بليث ورد ، يصيد الرجال حديد الناب ، له أشبال صغار ، لا تنقطع عنها المعونة والذخيرة (٢٠٣) ؛ والأعشى في الصورتين (٢٠٤) ، (٢٠٦) اللتين يصوّر فيها بمدوحه بالأسد ، يبالغ في الصورة الثانية ، فيكثر من أوصاف الأسد لدرجة تجعلنا نتوهم أنه قد انصرف عن المدح إلى تصوير أسد مخيف ، والاختلاف ظاهر كذلك بين صورتَي الأعشى هاتين ، وصورتيه (١٩٩) ، (٢٠١) . ومن هذه الملاحظة نستطيع أن نستنتج أن الشاعر إذا استخدم مصدراً واحداً لعدة صور ، كان يحاول بقدر ما يستطيع أن يحدث تغييراً ، أو تحويراً في كل صورة بحيث تبدو كأنها مختلفة عن صورة مماثلة سبقت له .

ويلاحظ كذلك أن كثيراً من الشعراء المختلفين الذين يتفقون في استخدام مصدر واحد لصورهم الشعرية ، قد حاولوا أن تختلف صورهم بعضها عن بعض لكي تتميز صورة كل منهم عن صور الآخرين . وتوضح لنا هذه الملاحظة بدراسة الصور المتعددة التي استعملها شعراء مختلفون ، وقد أخذت من مصدر واحد لتصوير شيئاً واحداً ، وذلك مثل صور الحرب المستمدة من الرحى (١٠ - ١٧) : فهي في (١٠) رحي دكوك ، وفي (١١) رحي تعض ، وفي (١٢) رحي حرب مشيبة للفتى ، وفي (١٣) رحي تدور بالفرسان ، وفي (١٤) رحي تدور بالمنايا ، وفي (١٥) رحي تدور بذات اللظى ، وفي (١٦) رحي تدور فتطحن الأعداء طحناً ، وفي (١٧) رحي تطحن الأعداء وثفالها يغطي مساحة واسعة من الأرض ، ولهوتها قبيلة بأسرها .

وصور الحرب المأخوذة عن النار (١٨ - ٣٦) ، فهي مثلاً في (٢٤) نار تستعر ، وفي (٢٥) نار تستعر فتلتهب لهباً شديداً ، وفي (٢٦) تشب وتستعر إذا لم توقد ، وفي (٢٧) نيران تستعر مرة بعد أخرى ، وفي (٢٨) نار تشبها الأكف المساعر ، وفي (٢٩) نار يضررها رائد الحرب ، وفي (٣٠) نار شب وقودها بضرام وفي (٣١) نار جحمة الضرم وفي (٣٢) نار توقد بعد إبرادها ،

وفي (٣٣) نار منتشرة ساطعة، وفي (٣٤) نار منتشرة ساطعة تتوهج... الخ.
وصورت الحرب باللاقح (٥٣ - ٥٥) ، وباللاقح عن حيال (٥٦ - ٥٧) ،
وبالعوان (٦٠ - ٦١) ، وبالعوان اللاقح (٦٢ - ٦٣) ، وبالعوان التي أبدت
نواجذها (٦٧) .

وكذلك صور البطل المأخوذة من الأسد (١٥٥ - ٢٠٦) ؛ وصور الخيل التي
أخذها الشعراء من الرمح (٢١٢ - ٢١٩) ، والمأخوذة من السابح (٢٠٧ -
٣٢٠) والمأخوذة من الذئب (٣٨٥ - ٣٩٨) ، وصور الرمح التي مصدرها
الشطن (٣٣٩ - ٣٤٧) ، وصور السيف المستقاة من البرق (٤٩٨ - ٥٠٤)
وصور الدرع التي أخذت من الغدير (٥٢٩ - ٥٤٣) ، وصور الجيش التي من
الليل (٥٥٨ - ٥٦٤) ، وغير ذلك من الصور التي جاء بها شعراء مختلفون
لتصور شيئاً واحداً وقد أخذت من مصدر واحد ، مما يدل دلالة واضحة على
أن الشاعر منهم كان يحاول أن يتجنب إعادة صورة بعينها قد استخدمها
شاعر غيره .

ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن الصورة إذا دخلها تغيير أو تحوير
فإن ذلك يستلزم حتماً أن يحدث نظيره في المصور^(١) ، وهذا ما كان يحدث
فعلاً ، فإن الشاعر ، وإن كان يستغل في تصوير الحرب مثلاً مصدراً قد اشترك
معه غيره من الشعراء في استغلاله ، فإنه كان يحاول أن يستغله في تصوير
ظاهرة أو حالة من ظواهر الحرب أو أحوالها غير تلك التي صورها شاعر
آخر . كما رأينا فيما سبق الحديث عنه من تصوير الحرب بالرحى والنار .

وعلى كل حال ، إذا تذكرنا أن هناك سبعين مصدراً من مصادر الصور
الشعرية لم يُستخدم كل منها في التصوير إلا مرة واحدة فإن ذلك يرينا بوضوح
كيف أن الشعراء كانوا يبذلون كل ما في جهودهم لإبداع صور شعرية جديدة ،
كلّ يريد أن يأتي بصور لم يسبقه إليها غيره .

* * *

(١) راجع Literary Taste; by Arnolb Bennett وترجمة الدكتور علي الجندي.

ومن دراسة هذه الصور الشعرية نجد أن الغرض منها كان أحد الأمور الآتية :

١ - تصوير المعنويات :

بأشياء تدرك بإحدى الحواس؛ كالحرب مثلا صورت بالطعام المر، والوبيل، والكلأ المستوخم (١ - ٣) ، والرحى (١٠ - ١٧) والنار (١٨ - ٣٦) ؛ والغارة بالصباح (٨٢ - ٨٥) . وكتشبيه ما نال الأعداء بالشرب (٧١٥ - ٧٢٠) ، وما لحقهم من الخزي الظاهر بخواطم الأنوف (٧١٤) .

٢ - وصف المنظر العام :

كتصوير كثرة الفوارس والعتاد بالسواد المظلم (١١٢) ، ونحافة البطل مع صلابته بأشلاء اللجام (١٢٥) ، والقوم عندما يلبسون معدات الحرب بالقروم (١٤٨) ، واكتناز الخيل بالحجر (٢٣٨) ، وعرقها الذي يعم جسمها بنضح المزايدة (٢٥٨) ، وكتشبيه القوم المغيرين بجراد الريح (٨٦) ، والخيل المنتشرة المسرعة بجداول الزرع المرسلّة المسبطرة (٢٥٧) ، ومنظر إبل الغنائم بمور الجهام (٤١٠) ، والرمح بالшطن (٤٣٩ - ٤٤٢) ، ومنظر الرماح الكثيرة بالأجم (٤٥١) ، ولمعان السنان بالشهاب (٤٥٨) ، وسكون القوم من شدة الخوف بسكون الحمار (٧٠٨) .

٣ - وصف الحركة :

كتصوير المحارب باللاعب (١١٤ - ١١٦) ، وهجومه في عنف وشدة بانقضاض الصقر (١١٨ - ١١٩) ومعاردته الكر بالراجم (١٢٠) وبإعادة القدح المشهر (١٢١) ، وإسراعه إلى لقاء العدو بسرعة الجمال المصاعب (١٤٩ - ١٥٠) ، وكتصوير سرعة الخيل بسرعة الطائر (٢٢٩) ، وسرعة العقاب (٣٤٣ - ٣٤٧) وتشبيه حركة اهتزاز الرمح بجري الثعلب (٤٥٣) وحركة الثعبان الباحث عن مأوى (٤٥٤) ، وسرعة الفارين في خوف بجري النعام (٧٩٨ - ٨٠٣) .

ملاحظات عامة عن الخيال :

١ - الخيال هنا من نوع الخيال الحضورى ، وهو الذي يستعيد الصور الذهنية التي ترتسم على صفحات العقول ، وتخزن في الذاكرة من غير تبديل أو تغيير ^(١) ، فنرى مثلاً الحرب تستعيد صورة الرمح التي تطحن الحب ، لأنها تهلك الناس وتفتتهم فكأنها تطحنهم ، وصورة السوق التي يتبادل الناس فيها السلع ، وذلك لتبادل المتحاربين الطعنات والضربات ، وصورة الإنسان المشمر ، والحيوان المكشر عن أنيابه ، والناقة الضروس . ونرى البطل في قوته ورهبته يجعلهم يستحضرون في ذواكرهم صورة الأسد ، وفي ثباته ورزاقته يمثل لهم صورة الجبل ، وهو في شدة هجومه يوحى إليهم بمنظر الصقر المنقض . وهكذا في جميع الصور .

أما الخيال الابتكاري ، وهو الذي يُحوّر ، أو يُغيّر ، ويُبدّل في الصور التي في الذاكرة بحيث يبرزها كأنها شيء جديد ، فذلك غير موجود هنا . ولا يمكننا أن نقول إن استخدام صور الجن والغول والسعالي خيال ابتكاري لأن الشاعر لم يزد عن أن يذكر اسمها فقط ، دون أن يبين فيها جزئياتها أو أحوالها بحيث تظهر لكل منها صورة دقيقة واضحة .

٢ - خيال الشعراء هنا في غاية السهولة والبساطة ، وليس فيه شيء من التعقيد والتداخل ، وهو في نطاق تجارب الناس وحياتهم ، ولا يوجد فيه ما يظهر أنه متأثر بالحضارة والمدنية ، أو المعارف الراقية ، أو الفلسفة العميقة مما يحتاج إلى بذل مجهود كبير في إدراكه وتصوره .

٣ - والخيال هنا خيال تصويري غرضه إما التوضيح وإما التحسين ، فهو يصور الحقائق تصويراً يهدف إلى رسمها وإجادة إبرازها ، أو تحسينها وتجميلها ، فمثلاً الحرب تصور بصورة مختلفة تؤدي كلها إلى إظهار فكرة التخريب والتدمير والإهلاك والإيلام ، وحافر الفرس يصور بكوب الوليد في الصغر والدوران ، والدرع تصور بصفحة الغدير حين تهب الريح عليه ،

(١) راجع كتاب الأصول الفنية للأدب ؛ للأستاذ عبد الحميد حسن .

وهذه صورة موضحة ، ويشبه ظهر الحصان بالذهب في اللون وصفائه وبريقه
وثدي السبايا بالرمان ، ووجوههن بشمس الضحى ، وهذه صور يقصد بها
إظهار الحسن والجمال .

٤ - قد استطاع كثير من الشعراء أن ينجحوا في عرض صور دقيقة لما
يريدون تصويره ، فجاء تصويراً محكماً متقناً وأصبحت صورهم هذه أكثر تأثيراً
وأعظم حيوية ، كتصوير المحارب بالسيف في الميدان بصورة اللاعب بالنخراق
في ساحة الألعاب ، وتشبيه صهيل الخيل بمزامير الشاربين تجاوبها الجلاجل ،
وتصوير اللواء بصورة الطائر المتقلب ، وتشبيه شدة اللمعان الذي في سنان
الرمح بتوهج مصباح الرهبان في ليلة الفصح ، وتصوير أثر السيف واهتزاز
الأشعة عند سقوطها عليه لشدة بريقه ولمعانه ، بحركة النمل الصاعد إلى الرُّبَا ،
والذر الهابط خوف البرد ، وتشبيه الربيثة في جلوسه مختبئاً يرقب حركات
الأعداء ويتسمع حركاتهم ، بالصقر الذي يكن في مكان مرتفع وقد أهدأ بصره
وأرهف سمعه ، وغير ذلك من الصور . ولا شك أن هذا دليل على قوة الملاحظة
وحضور البديهة ، وحسن استغلال الصور المختزنة في الخيال في أحسن مواضعها
وخير مناسباتها .

٥ - الصور الشعرية مستقاة من البيئة التي كان يعيش فيها الجاهليون ،
ولذلك نستطيع أن نكوّن منها عامة صورة لكثير من نواحي الحياة وظواهر
البيئة في العصر الجاهلي :

ففيها نرى البدوي يرعى الماشية ويدود عنها الذئاب من الوحش والبشر ،
ونراه يغترف الماء من البئر ، ويجمع الحطب ، ويهيئ طعامه ، ويعدّ خيامه
وخبائه ولباسه وأثاث بيته ، ويكرم ضيفه ، ويحمي جاره ، ويشور لشرفه
وكرامته وحرите ، ونراه وهو غضبان يلتهب غيظاً . وتكاد العداوة تأكل
صدره ، وعندما يدخل الحرب تتجلى بطولته وشجاعته . وفيها الكثير عن
المرأة فتاة وربة بيت ، وأماً ، ومحاربة ، متزينة ، وحزينة ، حرة وأمة .
كما نجد في الصور الشعرية شيئاً عن ملاعبهم ، وبعض ألعابهم كالخذف

والمخراق ، وحفلات العرس ، وإسراع الغواني إليها ، وآلات الموسيقى والطرب ،
وكؤوس الشراب والخمر . والأدوات المنزلية من الرحي والمصباح ، والدلو
والمزادة والقعب والقرية . والقارورة ، والعصا ، والحبل ، والسير ، والحصير ،
والمبرد ، والسندان ، وأنواع الحلى والزينة من الذهب والفضة والسوار والسبيكة
والقرط والمداك والدهان والأصباغ .

وفي الصورة الشعرية نرى من الحيوان : الأسد ، والنمر ، والذئب ، والثعلب ،
والفيل ، والكلب ، والبقر ، والتمسك ، والثور والحيل ، والإبل ، والغنم ،
والحمار ، والظبي والمها ، والنعام ، والوعل ، والحمام ، والجراد ، والقطا ،
والحدأة ، والصقر ، والعقاب ، النسر ، والنحل ، والنمل ، والذر ، والثعبان ،
والسمك .

ومن النبات : الخشب والأشجار والغاب والأجم والنخل والجذع والسلاء
والنوى والقطن والهشيم والقتاد والبقل والبهمي والحنظل والكراث والرمان
والشريان والشوحط والسراء والنبع والكلأ والعشب والحصاد .

ومن الصحراء : الجبال والهضاب والقمم والتلال والوديان والوهاد والرمال
والأحجار والصخور والعيون والآبار والقلل والغدير والطحلب .

ومن ظواهر الطبيعة : الشمس والقمر والنجوم والكواكب والنور والظلام
والليل والنهار والسحاب والرعد والبرق والمطر والبزد والسيل والسراب
والرياح والهواء .

وفيها غير ذلك كثير كالماء والنار والدخان ، والأسلحة والمعدات
الحربية والحصون في المدن والقنوات والأصنام والأقداح والزراعة والنسيج
والزيوت والجن والسعالى والغول .

كل هذا يدل على أن الشعراء الجاهليين في جملتهم قد استطاعوا أن يعرفوا
الكثير عما في بيئتهم من ظواهر مختلفة ، ثم استغلوا معارفهم هذه وملاحظاتهم
في الناحية الفنية الأدبية ، فأفادوا الأدب من ناحية ، ومن ناحية أخرى أفادوا

الأجيال التالية لهم في معرفة الكثير عن ظواهر الحياة في عصرهم .

٦ - ومن الصور الشعرية يمكن أن نستنتج أنهم عرفوا بعض خصائص الحيوانات كالخيل والإبل والذئب والأسد والثعبان والنمل والقطا والجراد .

ومنها يتبين أنه كانت هناك زراعة في هجر (٥٨٢) ، وحقول القمح أو الشعير (٥٤٤-٥٤٥) ، وحصاد السنابل بالمناجل (٦٩٦) ؛ وحداثة : تثقيف الرماح ، وصقل السيوف ، وصناعة الحصر (٤٨٧) ، ونسج الثياب (٦٨٩) .

وتدلنا الصور الشعرية كذلك على وجود المسيحية بينهم ، وعبادة الأوثان كذلك . وعلى أنهم عرفوا شيئاً عن الطبيعيات كأثر ريح الجنوب في السحاب وصلة المطر بالكواكب والنجوم كالثرثريا (٥٩٨) ونشاص المرزم السجم (٦١١) ؛ وأنهم كانوا يعرفون شيئاً من أخبار بعض القبائل القديمة كعاد وثود (٧٧٥-٧٧٨) .

شعر الحرب والملاحم :

شعر الملاحم Epic poetry من أثر الخيال في الأدب ، والملحمة عبارة عن قصيدة طويلة جداً تبدأ آلاف الأبيات ، في موضوع واحد يتجلى فيها عمق الخيال وتحتوي في الغالب على كثير من الإشارات إلى الآلهة وسلوكها وصفاتها ، ومعظم الملحمة يدور حول الحرب . ولكن يبدو أن الحرب ليست كل شيء تتطلبه الملحمة ، بل لا بد من ظروف وعوامل تساعد الشعراء على القيام بمثل هذا العمل الأدبي ، فمع أن الحروب كانت كثيرة بين العرب في العصر الجاهلي وقد قال فيها الشعراء الجاهليون الكثير من روائع الشعر ، فلم نعثر في أشعارهم هذه على شيء يمكن أن يقال عنه إنه من شعر الملاحم . وقد يكون ذلك راجعاً إلى الأسباب التي نلخصها فيما يلي : -

١ - لم يتهيأ للشعراء الجاهليين من ظروف البيئة والمعيشة ما يساعدهم على أن يوجد فيهم الخيال الذي يمكنهم به أن يقولوا شعر الملاحم . فقد كان شعراء

الجاهلية كبقية الجاهليين ، من سكان البادية ، عاشوا فيها وخيم عليهم الفقر ، واعتمدوا على حيواناتهم التي شغلهم كثيراً في البحث عن الكلأ والماء لها . وكانوا يعيشون في بيئة غير متغيرة ، ولا متقلبة ، بل هي هي ، شأنها اليوم شأنها بالأمس ، يجبالها ، ورمالها ، وسمائها وشمسها ، وحيواناتها ، وإنسها . والاختلاط الاجتماعي كان محدوداً . حتى في المدن والقرى . والمعيشة بدائية ، والحياة سهلة بسيطة ، ليس فيها تعقيد واضطرابات . فلم تتوافر الأسباب القوية التي تبعث على الإغراق في الخيال العميق وأهمها هدوء البال ، والاستقرار والطمأنينة في الحياة الشخصية الفردية ، والتفرغ كلية لبحث مشاكل الحياة الخارجية المعقدة ، وما إلى ذلك ، مما يتيح للشاعر فرصاً تساعد على أن يسبح مع خياله في أجواء فسيحة مترامية الأطراف ، ويخلق في عوالم أخرى بعيدة عن العالم الذي يعيش فيه غيره من الأشخاص العاديين .

ومع أن الظروف التي تحدث عنها هومر في الأوديسا كانت مشابهة للظروف التي كانت محيطة بالعرب في العصر الجاهلي فإن هومر نفسه قد عاش في ظروف مخالفة لظروف الشعراء الجاهليين ؛ ذلك أن هومر تحدث في الأوديسا عن حوادث وقعت قبله بحوالي ألف^(١) سنة . وفي عهده كانت اليونان قد خطت خطوات واسعة في التقدم والمدنية ، وكان في وسع هومر أن يتفرغ للخيال العميق ، فاستطاع أن ينتج في شعر الملاحم . بخلاف الشعراء الجاهليين إذ لم يكن لديهم من سعة العيش والظروف ما يساعدهم على التعمق في الخيال ، وهذا ظاهر من الصور الشعرية التي درسناها . فقد رأينا أنها كانت بدائية ، غير معقدة ولا متنوعة ؛ سهلة بسيطة كحياتهم .

٢ - للآلهة دخل كبير في الملاحم ، فهي تلعب الدور الأساسي في الملحمة ففيها يتحدث الشاعر عن آلهة متعددة ، وينسب إليها أعمالاً مختلفة ، ويخلق عليها كثيراً من الصفات وأنواع السلوك الإنساني ، حتى كأنه يعيش بينهم

(١) أنظر : Encyclopaedia Britannica ; Article «Homer»

ويعرفهم معرفة تامة . وما كان الشعراء الجاهليون ليصلوا إلى مثل هذا النوع من الخيال . وإذا كان الجاهليون قد عبدوا أصناماً متعددة واعتبروها آلهة لهم ، فما كانوا يتحدثون عن صفاتها وأعمالها وتضارب آرائها ، وتعارض مصالحها على النحو الذي نراه في شعر الملاحم ، بل إن الجاهليين مع عبادتهم لهذه الأوثان . كانوا يعتقدون في الله وأنه مدبر هذا الكون وما كانت هذه الآلهة في نظرهم إلا لتقربهم إلى الله زلفى .

٣ - وهناك عامل أدبي فني لا شك في أنه كان له دخل كبير في عدم مجيء شعر الملاحم للشعراء الجاهليين ؛ ذلك هو تقديسهم العظيم للقوانين الشعرية الخاصة بالوزن والقافية . فقد كانوا يتمسكون تمسكاً تاماً بوحدة الوزن والقافية في القصيدة الواحدة من أولها إلى آخرها ، مهما كان طول القصيدة . وحيث أن الملحمة عادة ، تكون قصيدة طويلة . فيها آلاف الأبيات ، فمن الواضح أن هناك صعوبة ، ما أعظمها ؛ في المحافظة على وزن واحد فيها ، وفي استحالة الحصول على آلاف من الكلمات تختلف لفظاً ، وتتحد قافية .

الفصل الرابع

الأسلوب

الأسلوب هو القالب الذي يصب فيه الأديب أفكاره ، فهو الصورة التي يظهر فيها النص الأدبي في النهاية ، وغني عن البيان أن نذكر أن الذي يهمننا الآن هو دراسة الصورة أو الطريقة التي استخدمها الشعراء في عرض أفكارهم وإظهار عواطفهم ومشاعرهم نحو الحرب وما يتصل بها في العصر الجاهلي ومن ثم ستكون مهمتنا هنا أن نبين ماذا كان يتبعه الشعراء في ذلك منذ البدء حتى النهاية ، على ضوء المجموعة الشعرية التي اخترناها .

فإذا نظرنا في هذه المجموعة نجد أن الناحية الحربية ، وإن كانت ذات شأن خطير لدى العرب ، وبخاصة الشعراء ، في الجاهلية ، فإنها لم تنفرد في الشعر بقصيدة خاصة إلا نادراً وفي مقطوعات قليلة بسيطة . فقد كانت القصيدة الجاهلية تشتمل على عدة أغراض كالغزل ، ووصف الرحلة ، والشرب ، والصيد ، والحرب وما يتصل بها . فكانت الناحية الحربية تمثل جزءاً من الأجزاء المتعددة التي تتألف منها القصيدة .

وفما عدا شعر الرثاء كان الشعراء ، عادة ، يفتتحون قصائدهم بالغزل ثم يتحدث الواحد منهم بعد ذلك عن الموضوعات التي يريد الحديث عنها ، واحداً واحداً إلى أن ينتهي مما يريد . وكثيراً ما كانت الناحية الحربية من بين الموضوعات المختلفة التي يتحدث عنها الشاعر في قصيدته الواحدة ، لكن لم يكن

لها مكان معين بالذات بين هذه الموضوعات . والشاعر في حديثه عن هذه الموضوعات المتعددة في القصيدة الواحدة ، كان أحياناً ، ينتقل من موضوع إلى آخر فجأة بدون تمهيد ، وأحياناً كان يحسن الانتقال ، مثال ذلك ، في الحرب مثلاً ، أن يتحدث الشاعر عن قبيلة غير قبيلته ، ثم يقارن بينها وبين قومه ، فيجبره ذلك إلى ذكر أيامها وأمجادها الحربية ^(١) . لكن بالملاحظة وجد أن هناك بعض كلمات أو تعبيرات معينة كثر استعمالها بدءاً للدخول في الحديث عن الناحية الحربية ، هي :

١ - صيغة من مادة « السؤال » ؛ وذلك مثل : « فإن تسأل » ؛ أو « اسأل » ؛ أو « اسألوا » ^(٢) ، « أيها السائل عنا » ^(٣) ، وأكثر ما كان الشعراء يستعملون صيغة توجه إلى الحبيبة أو الزوجة ، مثل : « فإن تسأليني » ^(٤) ، أو « هلا سألت » ^(٥) ، أو « اسألي » ، فكأن الشاعر كان يتخذ ذلك كاستعلام عن أمجاد قومه ، ثم يشرع في الحديث عنهم من الناحية الحربية .

٢ - صيغة من « التبليغ » أو « الإبلاغ » مثل : « بلغ » ^(٦) ، أو « ألا أبلغ » ^(٧) ، أو « ألا أبلغا » ^(٨) ، أو « من مبلغ » ^(٩) ، أو « ألا من مبلغ » ^(١٠) ، أو « ألم يبلغك » . وكانت تقال في صورة أمر أو رجاء لتبليغ رسالة .

-
- (١) انظر قصيدة الأخفص بن شهاب . المفضليات ، قصيدة رقم ٤١ .
(٢) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٦ . ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، وطرفة بن العبد : العقد الثمين ، ص ٧٠ ، قصيدة رقم ١٤ .
(٣) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ٧٢ ، بيت ٩ .
(٤) عبدالمسيح بن عسلة : المفضليات ص ٦٠٦ .
(٥) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٠١ بيت ١ . وعنترة في العلقمة .
(٦) المفضليات ، ص ٤٣٥ .
(٧) زهير بن أبي سلمى : ديوانه : (طبعة دار الكتب) ، ص ١٨٤ .
(٨) عميرة بن طارق : النقائض (طبعة مصر) ج ١ ص ٥١ .
(٩) المفضليات : ص ٣٢ .
(١٠) شعراء النصرانية ، ص ٤١٥ .

وقد يكون الغرض منها الاعتراف بنعمة ، أو الشكر على جميل^(١) ، أو إثارة القوم للحرب^(٢) ، أو التوبيخ أو الإنذار ، أو النصح والتحذير .

٣ - « أعددت^(٣) للأعداء ، أو للحرب » ؛ أو « عندي^(٤) » . وهذا كان يستعمل ، في العادة ، عندما كان الشاعر يريد أن يتحدث عن عدده الحربية .

٤ - « أتى » في صيغة الماضي ، مثل « ألا هل أتى^(٥) » ، وذلك عند ما يشرع الشاعر في الحديث عن أخبارهم الحربية .

٥ - « قد » ، مثل : « قد أقود^(٦) » ، أو « قد أشهد^(٧) » ، وذلك حينما كان الشاعر يقصد أن يعدد شجاعته ومآثره الشخصية .

٦ - « واو رُبّ » ، بمعنى « كثير » ، مثل : « وغارة^(٨) » . وأحيانا كانت تستعمل كلمة « رُبّ^(٩) » نفسها .

٧ - « كم » ، بمعنى « كثير » ؛ مثل : « كم غارة^(١٠) » .

(١) شعراء النصرانية ، ص ١٦٠ .

(٢) شعراء النصرانية ، ص ١٢٨ ، ص ٢٤٤ .

(٣) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات . ص ٥٦٧ ، وأوس بن حجر : شعراء النصرانية ، ص ٤٩٤ . وامرؤ القيس : العقد الثمين ، قصيدة ١٤ بيت ١١ ص ١٢٣ .

(٤) مزرد : المفضليات ص ١٦٤ .

(٥) شعراء النصرانية ، ص ٤٩١ .

(٦) علقمة : العقد الثمين ، ص ١١٣ ، بيت ٤٧ .

(٧) امرؤ القيس : شعراء النصرانية ص ٣٧ .

(٨) ثعلبة بن صعير : المفضليات ص ٢٦١ ، بيت ٢٠ .

(٩) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٣١ ، ١ .

(١٠) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٥٨ .

و « كم » ، و « رب » ، و « واو رُب » ، كانت تستعمل حينما كان الشاعر يدعي أنه قام بأشياء كثيرة عديدة ، ولا يريد أن يذكر كلا منها على حدة .

٨ - « فِدَى » ، وذلك عندما كان الشاعر يقصد أن يشيد ببطولة قوم أو إنسان ، مثل ، « فدى لقومي ^(١) » .

٩ - في الهجاء والتوبيخ ، كان الشاعر في معظم الأحيان يلعن من كان السبب فيما يقوله من هجاء ، أو توبيخ ، مثل . « لحا الله الفوارس من سليط ^(٢) » ، أو « ألا قبح الله البراجم كلها ^(٣) » .

هذا من حيث البدء ، أما من حيث الختام ، فلم نلاحظ أنه كان هناك ختام معين ينهي به الشاعر الحديث عن الناحية الحربية في قصيدته . كذلك لم تكن هناك طريقة خاصة معينة يلتزمها الشاعر في عرض أفكاره في أثناء القصيدة . فكان الشاعر يرتب جزئيات موضوعه عن الحرب ، وأفكاره عنها ، كما يحب ، وكيفما شاء .

وبدراستنا للمجموعة الشعرية المختارة ، لاحظنا في الأسلوب على العموم ، ما يأتي :

١ - كثيراً ما تبدو الأبيات في غير نظام ، لا من جهة المنطق ، ولا من جهة الفكرة وطريقة عرضها ؛ ففي معظم الأحيان نرى الأفكار والأبيات غير مرتبة ترتيباً منطقياً معقولاً ، فنجد الجزئيات تتسلسل تسلسلاً كان يحسن غيره ، والأفكار عن كل منها يتداخل بعضها في بعض ، فترى الأبيات التي تتحدث عن نقطة معينة مبعثرة في أنحاء القصيدة ، هنا وهناك ، بين الأبيات التي تتحدث عن نقطة أو نقط أخرى ؛ وإليك بعض الأمثلة :

(١) محرز بن المكعب : المفضليات ، ص ٥١٠ .

(٢) مالك بن نويرة : النقائض (مصر) ج ١ ص ٢٢ .

(٣) امرؤ القيس : المفضليات ص ٤٣٧ .

في القصيدة الأولى لطفي الغنوي في ديوانه^(١) نجد وصفاً للغارة وما حدث للأعداء مختلطاً بوصف الخيل ، ويظهر أن الأبيات ٣٩-٤٢ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ليست في مواضعها الحقيقية . وفي القصيدة الثالثة نجده يخلط وصف الخيل والسهم بوصف الغارة وما حدث للأعداء ، ويغلب على الظن أن البيتين السادس عشر والسابع عشر^(٢) في غير موضعيهما .

وفي القصيدة السابعة لعنترة من ديوانه في العقد الثمين^(٣) نرى أن البيتين الخامس عشر والسادس عشر ينبغي أن يكونا في موضعي البيتين الثالث عشر والرابع عشر .

وفي معلقة عنتره كذلك نراه يخلط أبياته الحربية بأبياته في الغزل والشراب . والحارث بن حنظلة في معلقته يمزج أبياته في مدح الملك بأبياته التي ينصح فيها ويحذّر ، والتي يهجو فيها ويوبخ ، وبأبياته التي فيها يفتخر . وقد يكون ذلك راجعاً إلى الشاعر نفسه إذ كان يؤلف قصيدته ارتجالاً ، فيجوز أنه كان يقول بعض أبيات عن فكرة ما ، ثم تعرض له بعض أشياء عن فكرة أخرى فيقول فيها أبياتاً ، ثم تردّ إلى خاطره بعض أشياء عن الفكرة السابقة فيعود إليها ، دون أن يكلف نفسه مشقة الرجوع إلى ما قال من قبل ، ويرتب كلامه كله ، ويضع كلّاً في مكانه المناسب ، وإذا صح هذا الاحتمال ، كان معناه أن الشاعر ما كان يضع صورة نهائية لنصه الأدبي في مخيلته قبل أن يخرج من عالم الإدراك المعنوي أو الخيال ، إلى عالم الحس الخارجي الذي يقرأ فيه هذا النص أو يسمع ، أي كان يخرج كل جزئية من هذه الصورة أولاً بأول دون انتظار لاستكمال الصورة في الباطن والخيال . وقد يقوى هذا الاحتمال أنا لا نجد هذه الظاهرة منتشرة في شعر الشعراء الذين اشتهروا بإطالة الوقت في صنع قصائدهم، وإعادة النظر فيها مراراً وتكراراً ،

(١) ديوانه ، ص ٥ - ١٦ .

(٢) ديوانه ، ص ٢٢ .

(٣) العقد الثمين ، ص ٣٦ .

حتى سموا بعبيد الشعر ، لكثرة ما كانوا يبذلون من جهد ووقت في تهذيب قصائدهم وتجويدها ، وترتيب أبياتها وأفكارها .

وقد يكون سبب هذا الخلط راجعاً إلى الرواة ، فنحن نعرف أن الشعر الجاهلي كان يحفظ ويتناقل عن طريق المشافهة والرواية . والرواة كانوا يعتمدون على الذاكرة . والذاكرة عرضة للنسيان أو الخلط ، ولذلك ليس غريباً أن يخلط الراوي في أبيات القصيدة الواحدة خصوصاً إذا كانت طويلة أو أن ينسى بعض أبياتها خصوصاً إذا كان يحفظ في ذاكرته شيئاً كثيراً ، وقد يكون هذا تفسيراً لما نجده من اختلافات كثيرة بين الرواة في عدد أبيات القصيدة الواحدة .

ولا شك أنه مما ساعد على هذا الخلط والمزج قانون الشعر العربي القديم الذي يوجب التمسك بوحدة البيت لفظاً ومعنى أي يكون كل بيت مستقلاً في المعنى وفي كل شيء عن سابقه وعن لاحق ، والخروج على هذا القانون خطأ يسمى « التضمين » يؤاخذ عليه الشاعر .

وعلى كل حال ليس هذا مجال الحديث بإفاضة عن شرح هذه الظاهرة وأسبابها لأنها ظاهرة عامة في الشعر الجاهلي كله ، لا شعر الحرب فقط فمكانها عند الكلام عن تاريخ الشعر الجاهلي العام . وإنما أحببنا أن نشير إلى بعض احتمالات لهذه الظاهرة بمناسبة الحديث عنها في المجموعة التي اخترناها .

٢ - كان بعض الشعراء يشيرون إلى أمثلة وحوادث تاريخية تؤيد المعنى الذي يتحدثون عنه في قصائدهم ، من ذلك ما كان من ابن عنقاء بعد أن تم الصلح بين عبس وذبيان إذ يقول :

بَاءَتْ عَرَارٍ بِكَحْلِ وَالرِّفَاقِ مَعَا فَلَا تَمَنُّوا أَمَانِيَّ الْأَضَالِيلِ

وعرار وكحل ثور وبقرة كانا في بني إسرائيل ، فعُقِرَ كحل ، فعُقِرَت

به عرار فوقعت الحرب بينهم حتى قفانوا ^(١) .

وما كان من العباس بن مرداس حين وجّه الحديث إلى كُليب بن عهمة ،
أخي بني سليم بن منصور ، حيث جحدَ ولدَ مرداسٍ شركَ مرداسٍ في
القرية ، فقال العباس يحذر كليباً أن يلقي مثل ما لقي كليب بن وائل :

أَكْلِبُ مَا لَكَ كُلَّ يَوْمٍ ظالماً والظلم أنكدُ ، وجههُ ملعُون
أَفْعَلْ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلٍ بومَ الغدير سميكَ المطعوت
وَإِخَالُ أَنْكَ سَوْفَ تَلْفَى مِثْلَهَا في صفحتيك سِنَانُهَا المَسْنُون

وما كان من النابغة الذبياني في ذكر قصة الحية وحليفها ^(٢) ؛ والمتلمس
في ذكر قصة قصير وبَيْتِهمس اللذين قام كل منهما بأشياء غريبة حتى ثار لشرفه
وكرامته ^(٣) ؛ والأعشى حين يشير إلى قصة السموءل بن عاديا حين ضحى
بابنه ليذبح وفاء بعده ^(٤) .

٣ - نجد الشاعر أحياناً يستطرد ، فيذكر في ثنايا موضوعه أشياء يطنب
في وصفها ، أو الحديث عنها ، لأدنى مناسبة ، كما حدث من النابغة الذبياني
عند ما كان يصف قومه ، إذ أخذ يتحدث عن نبل النساء وجمالهن ^(٥) ؛
وإذ أخذ يتحدث عن وصف النخل الذي سيتولّى قومه الدفاع عنه ؛ وكما
حدث من الأعشى في وصف المجهود الذي يبذله من يصقل السيف ^(٦) ؛ ووصف
الأسد الذي يشبه به الممدوح ^(٧) ؛ ووصف النساء وجمالهن في ثنايا الحديث
عن الجيش ^(٨) .

٤ - يجانب ما استعمله الشعراء من التشبيه والاستعارة قد استعملوا كذلك

(١) النقائض ، ص ١٠٧ . (٢) العقد الثمين ، ص ١٧ .
(٣) شعراء النصرانية ، ص ٣٣٥ . (٤) ديوانه ، قصيدة رقم ٢٥ .
(٥) العقد الثمين ، ص ١٣ . (٦) ديوانه ، قصيدة رقم ٢٧ .
(٧) ديوانه ، قصيدة رقم ٢٨ .
(٨) ديوانه ، قصيدة رقم ٦٢ . وفي معلقة عمرو بن كلثوم .

الجناس والطباق والترصيع . ولكن من الواضح الجلي أن الشعراء لم يكونوا يتكلفون ذلك ، أو يبذلون مجهوداً في استعمال هذه المحسنات .

هـ - هناك كلمات وتعبيرات تكرر استعمالها من شعراء متعددين ، أو من شاعر واحد في قصيدة واحدة ، أو عدة قصائد ، مثل : « سما إلى الحرب »^(١) ، فقد استعمل هذا التعبير عبيد بن الأبرص^(٢) ، وعامر بن الطفيل^(٣) ، وزهير ابن أبي سلمى^(٤) ، والأعشى^(٥) . وقد استعمل عامر بن الطفيل الفعل « لاقى » ست مرات في القصيدة الثانية من ديوانه^(٦) ؛ وفي نفس القصيدة استعمل الفعل « تركنا » أربع مرات^(٧) ؛ والأعشى قد استعمل القسم كثيراً ، وبخاصة في أبيات الوعيد^(٨) .

(١) يجوز أن يكون هذا التعبير يشير إلى أن كثيراً من القبائل كانوا في قت الخطر يتخذون أماكنهم في أعلى الجبال ، ليتحصنوا بها ، وليكونوا في مكان يستطيعون فيه أن ينالوا من العدو المهاجم حين يصعد إليهم ، وإلى ذلك أشار زهير بن أبي سلمى في بعض أبياته إذ يقول (ديوانه ، طبعة دار الكتب : ص ١٨٤) :

إلى قلبي تكون الدار منا إلى أكناف دومة فالحجون
بأودية أسافلهم روض وأعلاها إذا خفنا حصون

ومن ثم يكون الصعود إلى قتال القوم في هذه الأماكن العالية مخاطرة عظيمة ، لا يقوم بها إلا الشجاع العظيم ، ويكون القيام بها من دواعي الفخر ، ومن هنا جاء تعبيرهم « بالسمو إلى الحرب » ويجوز أن يكون المقصود بهذا التعبير أن الحرب كانت عملاً خطيراً ، وفعلًا غير عادي ، ليس في متناول الجميع ، فلا يستطيعه إلا القوم الطموحون الذين يسمون إلى العلا ، ويتطلعون إلى الرفعة والمجد ، فلذلك وصف من يجرؤ على فعله بأنه « يسمو إليه » .

(٢) ديوانه ، ص ٢٤ ، بيت ٩ .

(٣) ديوانه ، ص ١٠٣ ، قصيدة ٤ ، بيت ١ .

(٤) العقد الثمين ، قصيدة ١٧ ، بيت ٣ ، ص ٥٩ .

(٥) ديوانه . ص ١١٨ ، بيت ٣٠ .

(٦) ديوانه ، ص ٩٣ - ١٠٠ ، الأبيات : ٧ - ٨ - ١٠ - ١٨ - ٢٠ - ٢٣ .

(٧) الأبيات : ٦ - ١١ - ٢٥ - ٢٧ .

(٨) انظر ديوانه ص ٤٨ ، البيت ٦٢ - ٦٣ ، ص ٥٨ بيت ٢٣ ، ص ١٢٣ البيتين

١٦ - ١٧ ، ص ٢٠٧ ، قصيدة ٣ ، بيت ٥٩ .

٤ - لقد نُكرر بعض الشعراء أنصاف أبيات أكثر من مرة في القصيدة الواحدة ، فمثلاً ورد أن المهلهل في إحدى قصائده ، كرر قوله : « على أن ليس عدلاً من كليب ^(١) » إحدى عشرة مرة ، وفي قصيدة أخرى كرر قوله : « ذهب الصلح أو تردوا لي كليباً ^(٢) » خمس مرات ؛ وفي قصيدة ثالثة كرر قوله : « قرباً مربوط المشعر مني ^(٣) » أربع عشرة مرة ، وفي قصيدة رابعة كرر قوله : « يا خليلي ناديا لي كليباً ^(٤) » ثلاث مرات . والحارث بن عباد كرر في إحدى قصائده قوله : « قرباً مربوط النعامة مني ^(٥) » أربع عشرة مرة ؛ وقيس بن زهير العبسي كرر في قصيدة له : « أخي والله خير من أخيك ^(٦) » ثلاث مرات .

وفي بعض قصائد الوعيد ، ورد تكرار ألفاظ ، مثل « وَيَحْكُمُ وَيَحْكُمُ ^(٧) » و « أَوْلَى لَكَ فَأُولَى ^(٨) » .

مثل هذا التكرار كان يستعمل على ما يظهر للتأكيد ، وكان يستحسنه كثير من النقاد العرب ^(٩) .

الوزن :

وجد أن الأوزان الشعرية التي ورد استعمالها في المجموعة الشعرية التي اخترناها أحد عشر وزناً ؛ هي : الطويل - الوافر - الكامل - البسيط - المتقارب - الخفيف - الرجز - المنسرح - السريع - الرمل - الهزج .

(١) شعراء النصرانية ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) شعراء النصرانية ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣) شعراء النصرانية ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٤) شعراء النصرانية ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٥) شعراء النصرانية ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٦) شعراء النصرانية ، ص ٩٣١ .

(٧) شعراء النصرانية : ص ٢٠٩ .

(٨) المفضليات ، ص ٦٠٩ .

(٩) أنظر كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (طبعة ١٣١٩) ص ١٤٤ .

والجدول (١) التالي يرينا عدد أبيات كل بحر من هذه المجموعة .

(١) جدول الأغراض الشعرية وأوزانها

الأغراض	الفخر	الهجاء والتوبيخ	الممدح	الوعيد	النصح والتحذير	الرثاء	الإثارة	الإنذار	الاعتذار	متنوعات	المجموع
الطويل	٨٩٨	٢٥٧	١٩٧	١٦٦	٢٠	٩٤	٤٢	٤٤	٤٥	١٥١	١٩١٤
الوافر	٤١١	١١٣	٦٦	٣٤	٧١	٣٣	٣٢		٧	٨٤	٨٥١
الكامل	٣١٣	٧٨	٤٧	١٦	١٣٦	٣١	١٠		١٦	٣٤	٦٨١
البسيط	٢٤٠	٣٧	٨٣	٨١	١٢	١٧	١٦	٤٨		٢٢	٥٥٦
المتقارب	١٥١	١٥	٩٧	٢٩	١٢	٥	١٠		١١	١٢	٣٤٢
الخفيف	١١٦	٣٤	٣٨	١٣	٦	٣٠			٢	١١	٢٥٠
الرجز	٥١	٨		٦		٢٠	٢٧		٣	٩	١٢٤
المنسرح	٣٧	١٠	٨		٢٢		١٨			٢٦	١٢١
السريع	٤٥	٢		٢١	١١	٣٦				٥	١٢٠
الرمل	٦٧	٥	٧	١						٣	٨٣
الهمزج	١١			١٩						٨	٣٨
المجموع	٢٣٤٠	٥٥٩	٥٤٣	٣٨٦	٢٩٠	٢٦٦	١٥٥	٩٢	٨٤	٣٦٥	٥٠٨٠

ومن هذا الجدول يتبين أن أكثر هذه البحور استعمالاً كان الطويل ، ففيه ١٩١٤ بيتاً ، ثم يليه الوافر والكامل ، وأقلها استعمالاً الهمزج ، فله ٣٨ بيتاً ، وقد خص الرمل ٨٣ بيتاً .

ونرى في هذا الجدول أن الطويل، قد جاء في جميع الأغراض، وقد فاز كذلك بأكثرية الأبيات في جميع الأغراض إلا في النصيح والتحذير والإنذار. ولم يستعمل البسيط في الاعتذار، كما أن كلاً من الوافر أو الكامل لم يستعمل في الإنذار، إذ أن هذا لم يجرى إلا من بحرَيّ الطويل والبسيط. ويلاحظ أن كل بحر قد استعمل في موضوع الفخر أكثر من غيره إلا الهزج، فقد استعمل في الوعيد أكثر.

القافية :

فيما لدينا من أشعار نجد أن عشرين حرفاً من حروف الهجاء جاءت قوافي في المجموعة التي اخترناها، والجدولان المرافقان (ب ، ج) يبينان عدد كل قافية من هذه القوافي في كل من الأغراض الشعرية والبحور. ومن هـذين الجدولين نجد ما يأتي :

١ - هناك حروف ثمانية من حروف الهجاء العربي لم تستعمل قوافي في هذه المجموعة، وهي : ث - خ - ذ - ش - ص - ظ - غ - و .

٢ - أكثر الحروف استعمالاً هي : م - ر - ل ثم يليها : ب - د .

٣ - أقل الحروف استعمالاً هي : ز - ص - ج - ه - ط - ثم يليها : ك - ت .

٤ - قد استعمل كل من : ل - م - في كل غرض .

٥ - واستعمل كل من : ب - ر - ن - في كل غرض ما عدا الإنذار، في حين أن - ع - لم تستعمل في النصيح .

٦ - واستعملت الحروف : ج - ط - ه - في الفخر فقط، وحرف - ز - في المتنوعات، وحرف - ص - في المدح فقط .

٧ - لقد كان للفخر من بين جميع الأغراض أكثرية استعمال هذه القوافي،

فقد استخدمت فيه كل القوافي ما عدا : ز ، ص ،

٨ - كان نصيب الفخر في كل قافية من هذه القوافي أكثر من نصيب أي غرض فيها ما عدا - ي - فإنها استعملت في الرثاء أكثر .

٩ - كل أبيات الإنذار جاءت قافيتها من : ع ل - م .

١٠ - كانت - ل - هي القافية الوحيدة التي استعملت في كل البحور .

١١ - استعملت - م - قافية في كل البحور ما عدا الهزج .

١٢ - استخدم كل من : ز - ص - ه - في بحر واحد فقط .

التقاليد والوحدة في الأسلوب :

الأسلوب هنا بسيط وواضح ، فليس معقداً ولا غامضاً ، يعبر عن أفكارهم وعواطفهم تعبيراً سهلاً سلساً ، لا يحتاج إلى كد في الذهن ، أو جهد في التصوير والخيال ، ويبين ما في نفوسهم ، ويكشف مشاعرهم وإحساساتهم في صراحة وصدق ، وفي قوة وجمال .

وكلماته مختارة منتقاة ، وكل منها قد وضع في مكانه المناسب المطلوب ، على العموم ؛ فلا تبدو كلمة قلقلة في موضعها ، أو لا ضرورة لها . وهذه الكلمات بالنسبة لنا تعتبر قديمة ، ولكن مجيئها في هذا الشعر دليل على أنها كانت مستعملة ومفهومة ، بل ولها تقدير عظيم لدى القوم في ذلك الوقت . وإذا وجدنا الآن في بعضها شيئاً من الصعوبة ، فذلك راجع إلى أنها غير مألوفة لنا لعدم استعمالنا لها ، بدليل أننا نفهم من كلماتهم ما ظل شائع الاستعمال إلى وقتنا الحاضر . ولعل هذه الألفاظ صعبة لأنها كانت مما يستعمله البدو الذين يعيشون في الصحراء وعلى كل حال فبمجرد أن نعرف المعنى المقصود بهذه الكلمات ، فإن الفكرة تظهر في غاية الوضوح ؛ وفي منتهى البساطة والسهولة .

ويبدو أن بعض القبائل كانت لهم ألفاظ معينة خاصة ، وقد وضحت لنا هذه الظاهرة في شعر الهذليين الذي جمعه الأقدمون في ديوان خاص ، فقد

ظهر لنا مما اخترناه أن لهم ألفاظاً كثيرة لم يرد استعمالها في بقية المجموعة التي اخترناها للدراسة .

وأسلوب الشعراء هنا ، في نسجه ، يسير على نظام واحد في اللغة والكلمات والتعبير ، ويتبع قانوناً عاماً في درجة عالية من الدقة والإتقان ، فقد نسج الشعراء جميعاً على منوال لغوي واحد ، واتبعوا تقاليد فنية متوارثة رسمت حتى صارت لها قوة القانون ، فالتزموها وحافظوا عليها ، بالرغم من البعد الشاسع الذي كان يفصل الواحد منهم عن الآخر . ولا شك أن هذا يشير إلى محاولات كثيرة ، ودراسات طويلة سابقة ، وتثقيف عظيم في فن التعبير ، وثروة لغوية واسعة ، ومقدرة فنية ممتازة .

وبجانب هذه الوحدة في النسيج واتباع تقاليد فنية ، فإن هناك وحدة بين الشعراء في الموضوعات كذلك ، وفي طريقة عرضها ، والسير فيها . ولعل محافظتهم على هذه الوحدة والتقاليد الفنية راجعة أولاً : إلى قوة هذه التقاليد وما رأوا فيها من ملاءمة لذوقهم الفني وميولهم الأدبية ، فحافظوا عليها بدافع من أنفسهم حباً لها ، وإعجاباً بها ؛ وثانياً : إلى طريقة عرض الشعر ، والسرعة الفائقة التي كان الشعر ينتشر بها في جميع أنحاء شبه الجزيرة . فالقبائل المنفردة كانت تجتمع من وقت لآخر تنشد الشعر وتناقشه ، وكانت هناك اجتماعات أكبر للعرب في الأسواق السنوية التي كانت مركزاً للإنشاد والنقد الأدبي والمباراة بين الأدباء ، وما كان يقال اليوم في السوق ، كانت كل الجزيرة تردده في اليوم التالي . ومن الطبيعي أن يتبع الشعراء النموذج والأسلوب والطريقة التي كانت هذه المجتمعات ترقضيها ، لكي يفهمها كل فرد ، ويكتسب إنتاجهم شهرة واسعة وصيتاً ذائعاً .

(ب) جدول القافية في الأغراض الشعرية

القافية	الفخر	الهجاء	المدح	الوعيد	النصح	الرشاء	الإثارة	الإنذار	الاعتذار	مبتوعات	المجموع
ا	٦٧	٢٤	٦	—	١١	٢	—	—	—	٤	١١٤
ب	٤٠٦	٧٥	٥٢	١٦	٢٢	٢٣	٢	—	٥	٦٣	٦٦٤
ت	٤٤	٢	—	—	٣	—	٤	—	—	٥	٥٨
ج	١٠	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٠
ح	٥٥	١٥	١٠	٨	—	—	٢١	—	—	١٢	١٢١
د	١٨٨	٤٠	٧١	٦٧	٢٠	٢٦	١٣	—	—	٤٥	٤٧٠
ر	٣٠١	١٥٠	٨٦	٧٩	٤٨	٥٢	٢٤	—	٣٢	٦٣	٨٣٥
ز	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٣	٣
س	٢٠	—	—	١٣	١١	٩	٢٠	—	—	١٣	٨٦
ص	—	—	٣	—	—	—	—	—	—	—	٣
ط	٣٤	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٤
ع	٩٠	١٠	٢٤	٦	—	١	٣	٤٨	٦	١٢	٢٠٠
ف	٣٩	١٢	—	—	٢٢	٥	٢٠	—	٦	١٧	١٢١
ق	٥٢	—	١٥	٤٥	—	٣٦	٢	—	١٠	—	١٦٠
ك	٣١	١٣	٣	—	—	—	—	—	—	—	٤٧
ل	٤٠٩	٦٠	١٢٢	٥٦	٥٧	٣٥	١٥	٢٧	٥	٣٣	٨١٩
م	٣٦٣	١١٠	١١٣	٦٢	٨٣	٢٠	٢٠	١٧	١٧	٦٩	٨٧٤
ن	١٨٩	٣٩	٣٥	٢٦	١٣	٢٦	٢	—	٣	٢٠	٣٥٣
هـ	١٥	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٥
ي	٢٧	٩	٣	٨	—	٣١	٩	—	—	٦	٩٣
المجموع	٢٣٤٠	٥٥٩	٥٤٣	٣٨٦	٢٩٠	٢٦٦	١٥٥	٩٢	٨٤	٣٦٥	٥٠٨٠

(>) جدول القافية في البحور

القافية	الطويل	الوافر	الكامل	البسيط	المتقارب	الخطيف	الرجز	المنسرح	السريع	الرمح	الهزج	المجموع
ا	٤	٣٠	٩	—	—	٧١	—	—	—	—	—	١١٤
ب	٣٤٣	٩٤	٦٨	٦٤	١٣	٤١	٨	٢٠	١٣	—	—	٦٦٤
تا	٣٨	٣	—	٣	—	١٠	٤	—	—	—	—	٥٨
ج	—	—	٢	٨	—	—	—	—	—	—	—	١٠
ح	٢٤	٥٦	١٧	٨	—	٩	—	—	—	٧	—	١٢١
د	٢٢٨	٦٩	٨١	٥٥	٢٧	—	٥	—	٥	—	—	٤٧٠
ر	٢٧٥	١٨٤	١١٨	٩٥	١١٨	—	٨	٨	٧	٢٢	—	٨٣٥
ز	—	—	—	٣	—	—	—	—	—	—	—	٣
س	٥٠	—	١٨	٤	٥	—	٩	—	—	—	—	٨٦
ص	—	—	—	—	٣	—	—	—	—	—	—	٣
ط	٧	١٧	—	١٠	—	—	—	—	—	—	—	٣٤
ع	٥٣	١٠	٩	٧٩	—	—	٢٢	١٥	—	١٢	—	٢٠٠
ف	٢٧	—	٥	١٨	٥	—	٧	٥٩	—	—	—	١٢١
ق	٧٥	—	١٨	١٣	—	٢	٢	٤	٤٦	—	—	١٦٠
ك	٣٦	—	—	٣	—	—	—	—	—	٨	—	٤٧
ل	٣١٠	٥٧	١١٤	٥٧	٥٩	١٠٢	٣٥	٥	٣٨	١٣	٢٩	٨١٩
م	٣٥٠	١٤٦	١٥٦	٨٦	٧٠	١٥	٩	١٠	١١	٢١	—	٨٧٤
ن	٤٩	١٨٠	٥١	١٤	٤٢	—	٨	—	—	—	٩	٣٥٣
هـ	—	—	١٥	—	—	—	—	—	—	—	—	١٥
ي	٤٥	٥	—	٣٦	—	—	٧	—	—	—	—	٩٣
المجموع	١٩١٤	٨٥١	٦٨١	٥٥٦	٣٤٢	٢٥٠	١٢٤	١٣١	١٢٠	٨٣	٣٨	٥٠٨٠

الفصل الخامس

ملاحظات عامة

١ - إن المجموعة الشعرية المختارة تدل على أنها لم تكن من أول ما قاله العرب من شعر ، لما فيها من نظم فنية تدل على تطور كبير ومحاولات كثيرة في أزمان طويلة سابقة ؛ كما أن ما فيها من الحديث عن موضوعات شتى ، وأفكار متقدمة ، لا تصدر عن الإنسان البدائي ، يدل على أن هذا الشعر يصور طوراً من أطوار الحرب غير ما يتصوره الإنسان عن أول حرب وقعت بين بني الإنسان على ظهر الأرض . فمن المؤكد ، إذن ، أنه قد كان هناك حروب سبقت تلك التي تحدث عنها شعراؤنا في مجرعتنا هذه ، ويغلب على الظن ، أنه لا بد قد كان هناك شعراء تحدثوا عن الحرب وشئون القتال ، قبل الزمن الذي قيل فيه هذا الشعر الذي ندرسه فقالوا شعراً ما ، على نظام الشعر الذي معنا الآن ، أو على نظام غيره ، ولكن هذا الشعر لم يصلنا ، وربما يكون ذلك الشعر قد ضاع ضمن الجزء الأعظم الذي ضاع من تراث العرب الأدبي القديم . ومن ثم فليس هذا أول شعر قاله العرب في الحرب ، لا من الناحية الفنية الأدبية ، ولا من ناحية ما يصوره من أفكار وعواطف . ومن المستحيل أن نتعقب التطور الذي حدث في هاتين الناحيتين قبل الزمن الذي قيل فيه هذا الشعر الذي بين أيدينا .

٢ - ترينا هذه المجموعة الشعرية أن الحروب التي تحدث عنها الشعراء كانت حروباً داخلية ، وقعت في أرض الجزيرة العربية ، فلم يتحدثوا عن أية موقعة خارج حدودها . وتبين لنا كذلك أن هذه الحروب كانت تحدث بين الأفراد أو القبائل العربية ، وفي أمثلة قليلة كانت الحرب تحدث بين بعض القبائل العربية ، وبعض قوات أجنبية غير عربية . ولم نعثر في هذه المجموعة على شيء يشير إلى حدوث حرب بين العرب كلهم كأمة واحدة ، وغيرهم من الأمم الأخرى ، فلم يرد ذكر لحرب اتحدت فيها جميع القبائل العربية كأمة واحدة لتحارب ضد أمة أخرى ، حتى حينما حاربت قيم في يوم المشقر ، وقبائل بكر في يوم ذي قار ضد الفرس لم نسمع - فيما قيل حولها من شعر - عن شيء يدل على وحدة عربية تامة حدثت بين العرب في ذلك الوقت ، بل إن شعر الشعراء فيها يدل على قيام قوم معينين بالقتال دون بقية جميع القبائل العربية الأخرى ، وحينما أنذر لقيط الأيادي قومه ليتخذوا العدة ضد تدبير الفرس للهجوم عليهم ، لم يحاول أن يشير العرب كلهم ليقفوا كأمة عربية واحدة ضد أمة غير عربية . ومهما قيل ، أو يقال ، في ذلك ، فإن شعر الحرب لم يشير إلى أن الأمة العربية في الجاهلية بأسرها حاربت قوماً أجنبياً غير عرب ، حرباً أمة ضد أمة .

٣ - ويدلنا هذا الشعر على أن هذه الحروب الداخلية كانت على العموم ، من نوع المشاحنات والمشاغبات التي تحدث بين الأسرات أو الأفراد بعضهم وبعض ، يشنها القوم فجأة ، أو بعد أهبة واستعداد ؛ لا من نوع الحروب العظيمة الواسعة التي تضم أعداداً كثيرة من المحاربين ، وعُدداً ضخمة من العتاد ، وإنما هي اشتباكات مسلحة أو غير مسلحة ، بين أفراد أو قبائل ، قليلة أو كثيرة ، تحدث في يوم أو بعض يوم . وحرب هذه صفتها ، وتلك مدتها ، وجنودها كذلك ، ماذا يكون عدد رجالها ؟ لا بد قليل .

لكن مع ذلك ، ما جاء في الشعر من تصور وتصوير للشهامة والشجاعة والبطولة يدل دلالة قاطعة على أن العربي كان إذا اضطر إلى القتال ، اقتحم

الخطر كالصقر ، وحارب كالأسد ، وصمد صمود الجبل ، ولم يرد في شعر الحرب كله ، حتى الهجاء إشارة إلى حالة استسلام أو تسليم دون مقاومة ، مما يؤكد وجود أمثلة رائعة للبطولة الفذة ، وتقدير عظيم لأربابها .

على أن حديث الجاهليين عن اشتباكاتهم هذه ، وشعر أدبائهم فيها يدل على أن انفعال الإنسان بالشيء لا تتوقف درجته وقوته على ضخامة هذا الشيء في ذاته ، وعظم منزلته في نظر الآخرين ، بل على مبلغ أهميته للإنسان ، ومدى صلة هذا الشيء بحياة الإنسان وشرفه ومصالحه .

٤ - وهذا الشعر يرينا أن العربي كان يُحارب أو يُغِير ، بدافع البحث عن الرزق له ولماشيته ، أو الأخذ بالثأر والدفاع عن الحمى والشرف ، أو الطمع في الآخرين ، عن طريق القوة والظلم ، رغبة في الثروة أو السيادة أو الشهرة والصيت .

وكانوا في قتالهم ودفاعهم يستخدمون الأسلحة والمعدات الحربية التي سبق الحديث عنها ، غير أن شعراء المدن كقيس بن الخطيم ، وحسان بن ثابت ، ذكروا أن أهلها كانوا يبنون الحصون ليحتموا فيها وقت الشدة ، أما البدو فكانت حصونهم ظهور خيلهم وأسنة أسلحتهم ، وقمم الجبال ، وأعلى الهضاب .

٥ - وشعر الحرب يؤكد أن العربي كان لا يحب الحرب ، ولا يتمنى الاشتراك فيها ؛ فوصفهم لها بأنها جناية منكرة ، وجريمة شنعاء ، وأنها كلاً مستوخم ، وطعام وبيل مر ، كلها عقوق وإثم ، ومحن وبلايا وآلام ؛ وحديثهم عن الغارة ، وتمنّى الواحد منهم أن لو ألتسهم عدوه لقمة سائغة دون أن يلقي مقاومة ، أو يخسر شيئاً ، ولعنهم الحرب ومن تسبّب فيها ؛ وتأوّه الأبطال منها ، والتملص من مسئوليتها ، والدعوة إلى السلم ، والصلح بين المتنازعين وإكبار من يسعى في ذلك وتقديره أعظم تقدير ؛ كل هذا يدل دلالة قاطعة على أن العربي كان يبغض الحرب ، ويكره القتال ، ولا يحب أن يشترك فيه ، وفوق هذا ، فالعربي الجاهلي إنسان ، والإنسان بحكم إنسانيته :

لا يتصور أن يكون في قلبه مثقال ذرة من حب لعمل هذا شأنه ، أو ميل إلى أمر هذه آثاره ونتائجه ، اللهم إلا إذا كان مضطراً له ، وذلك حين لا ينجي من الشر سواه ، ولا يشفي من الداء غير هذا الدواء المر .

ولئن كثرت الحديث في الشعر ، خصوصاً في الفخر والمدح ، بادعاء أنهم أبناء الحرب ، أو إخوتها ، فإن ذلك كان من قبيل ذر الرماد في العيون ، وإظهار أنفسهم لغيرهم بأنهم ذوو خبرة في الحرب ، مجربون ؛ لا أنهم مبالغون للحرب ، أو محبون لها .

٦ - ومن المجموعة الشعرية التي درسناها نستطيع أن نلم بكثير من أحوال الحياة الاجتماعية في ذلك العصر .

ففي الشعر نرى أن القبيلة كانت وحدة مستقلة قائمة بذاتها ، وكانت الصلة الدموية في نظر العربي أعظم الصلات وأقواها ، لا في البادية فحسب ، بل في المدن كذلك . وكل ما كان يؤثر على القبيلة لم يكن يقابل من كل فرد من أفرادها إلا بالاهتمام الشخصي العظيم ، فالمحافظة على شرف القبيلة كان واجباً لا يجوز التغافل عنه ، ولا ينبغي أن ينظر معه إلى مكافأة أو شكر ؛ والفرد من ناحية أخرى كان يعتمد على قبيلته في الدفاع عنه حينما يتعرض لخطر شخصي ، فكان الواحد منهم يتوعد عدوه بهجوم القبيلة كلها . وقد ظهر الإخلاص للقبيلة واضحاً في شعر الفخر ، والفرح بالنصر ، والإنذار ، والهجاء . حتى في أبيات الفخر الشخصي ، ما كان الشاعر لينسى أبطال القبيلة وعظماؤها . ولئن كان هناك نزاع داخلي بين العشيرة الواحدة ، فقد كان ذلك يحدث قليلاً ، وكان يترك في القلوب أثراً عميقاً ، كله أسى ولوعة .

وفيه نرى أن القبيلة ، ما كانت تحترم غيرها إلا على أساس القوة والبطش فكل واحدة من القبائل الكثيرة المنتشرة في أرجاء شبه الجزيرة ، كانت تنظر إلى غيرها بمن لا صلة بينهم ، نظرة ليس فيها تقديس لحرمااتهم وحماتهم ، ولا رعاية لأمكناتهم ومنازلهم ، ولا احترام لممتلكاتهم وأموالهم ، إلا إذا كانوا ذوي قوة وبطش . فالقوة هي التي كانت صاحبة الشأن في كل شيء .

وكان العرب إما أصدقاء مخلصين ، أو أعداء ألداء ، ففي الصداقة كان العربي يقوم بما تحتمه عليه من التزامات ، وفي العداوة ، كانت نياط قلبه تكاد تقتطع ، ولا يشفيه منها إلا إراقة الدماء وإهلاك الأعداء .

ومع أن القوم كانوا في زمن الجاهلية ، قد أشادوا بكثير من الفضائل والأخلاق النبيلة ، كالشجاعة والمروءة ، وإغاثة الملهوف ، وإعانة الضعيف ، وحماية الخائف واللاجئ ، وتخفيف آلام المصابين جسمى ونفسياً ، وإطلاق سراح الأسرى والسبايا دون فدية ، وحب السلم ، ودوام المودة والصفاء .

٧ - وفي مجموعتنا الشعرية المختارة أشياء كثيرة عن النساء ، ففيها نرى أن النساء كن يحظين من القبيلة بأوفى نصيب من الرعاية والدفاع ، وأية إساءة لهن كانت اعتداء على شرف القبيلة بأسرها ، وعاراً يوصمون به جميعاً لا يغسله إلا دم المعتدي ، فكانت حماية النساء مجالاً للفخر والمدح ، والتهاون في ذلك كان سبباً للذم والهجاء .

وفي الشعر الحربي نقرأ أن النساء في وقت الهجوم المفاجئ ، كان يحدث لهن فزع واضطراب ، فكن يخرجن في خوف وهلع ، ولم يكن يعطين لأنفسهن فرصة ليلبسن فيها الثياب المناسبة ، أو يغطين وجوههن ، بل يولين هاربات غير محجبات ، وحاسرات ، رافعات ثيابهن عن سيقانهن ، ليستطعن الجري في سرعة وسهولة ، خشية أن يسبيهن المعتدون ، فيلطخوا شرف القبيلة بعار لا ينسى .

أما في أثناء القتال ، فإن النساء كن يظلمن في الديار ، أو يقفن خلف الرجال ، ويصورهن الشعر، بأنهن في تلك الحالة كانت قلوبهن تخفق وتضطرب وكن يثرن الشجاعة في الرجال بترديد الأناشيد الحماسية ، ويهيئن الأسلحة ، ويمعدن الزاد والطعام ، ويضمنن الجرحى . وليس هناك بيت من الشعر يشير إلى أن النساء قد أخذن دوراً حقيقياً في القتال مباشرة بأن حملن الأسلحة بجانب الرجال ، فإذا ما انتصر قومهن على أعدائهم كن يعانقنهم ، ويظهرن مرحهن وابتهاجهن ، ويخففن من آلامهم ومتاعبهم ، ويشنين عليهم ، ويظهرن

إعجابهم بما قاموا به من أعمال ، وما أظهروه من شهامة وشجاعة . لكن إذا فُقد بعض الأبطال فإنهم كن يحزنون ، ويذرفن الدمع ، ويشقن الثياب ، ويهجرن الزينة ، ويلبسن الثياب السوداء .

وإذا حدث أن أُخذن سبايا ، فإن كل أبيات الشعر تؤكد أنهن كن يركبن ، ولا يمشين ، كما كان الرجال الأسرى يساقون . وأبيات الشعر الحربي ترينا كذلك أن السبايا في أثناء الأسر كن يظلمن حزينات ، باكيات على الدوام ، ويغشاهن الحزن والألم ، ويتطلعن في أسى ولوعة إلى إنقاذهن أو فداءهن . حتى في شعر الهجاء لا نجد بيتاً واحداً يهجو فيه الشاعر أعداءه بأن واحدة من السبايا رغبت في البقاء مع أسرها تفضيلاً لهم على ذويها . وهذا يرينا إلى أي مدى كان النساء ينظرن في علو وكبرياء إلى شرف أقوامهن وكرامتهم .

وكثيراً ما نجد الشعراء يعرضون آثار شجاعتهم وبطولتهم لحبيباتهم ؛ فكما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، كان الشاعر يبدأ هذا العرض بأن يطلب من حبيبته أن تعرف حقيقته وتسال عن أمره وشأنه ، ثم تتوالى أبياته ، سرداً لأجاده ومفاخره وتجيئاً لشهامته وبطولته . فلماذا كان الشاعر يفعل هذا ؟

كلنا نعرف أن الشاعر في ذلك الوقت كان يبدأ قصيدته بالغزل ، والنسيب وهيامه بالحبيبة ، ثم ينتقل منه إلى الموضوع الذي ينوي الحديث فيه من مدح أو وصف أو حماسة أو غير ذلك ، وتظهر مقدرة الشاعر في حسن الانتقال من الغزل إلى موضوعه الأصلي . فهل هذا الأسلوب الذي رأيناه في شعر الحرب استعمله الشعراء لكي يحسنوا الانتقال إلى حديث الشجاعة والبطولة ! قد يكون ذلك توجيهاً مقبولاً ، لولا أننا نجد في بعض الأحيان أن ذلك يأتي في آخر القصيدة ^(١) ، اللهم إلا أن يقال إن ذلك كان بداية لحديث طويل عن الشجاعة ، سقط من القصيدة لسبب ما .

(١) راجع مثلاً القصيدة رقم ١٥ لعامر بن الطفيل ، في ديوانه ص ١٢٧ .

لكن يغلب على الظن أن الشاعر كان يتخذ هذا الأسلوب لحاجة في نفسه ، كبطل من العشاق : فالملاحظ في مثل هذا النوع من الشعر ، أن الشاعر كان يتحدث عن هجر الحبيبة له ، وإعراضها عنه ، فكأنه أراد أن يبرهن لها على أنه لا يستحق منها هذا الصد ، وذاك الإعراض . لأنه من الشجعان الأبطال ، لا يستعصي عليه إنسان مهما كان قوياً ؛ قادر على أن يحمي ، ويدافع عن العرض والشرف ، ويقي شريكته كل مكروه ، فهو جدير أن ترضى عنه ، وتصله ، وتقبله حبيباً وفيماً ، وشريكاً مخلصاً ، تقديراً لشجاعته وبطولته ، وحرصاً على شرفها وسعادتها .

ويرجع هذا التوجيه أن الرغبة في سبي النساء والاستيلاء على الطعائن كانت سائدة ، وأن المرأة كانت تعتبر ضعيفة ، تحتاج إلى رجل قوي وشجاع ، يصمد للشدائد ، ويدود عنها الأعداء ، ولهذا لن يكون عجباً أن تبحث في الرجل عن القوة والشجاعة والبطولة ، وإذا كان إكبار الشجاعة والبطولة أمراً يستحق الإعجاب والتقدير من كل شخص ، رجلاً كان أو امرأة ، فإن إعجاب المرأة به يجب أن يكون أشد ، وتقديرها له أعظم ، لحاجتها الشديدة إلى من يعولها ، ويعنى بشأنها ويدافع عنها بقوة وجلد ، خصوصاً ، في عصر كانت فيه القوة وحدها هي صاحبة السيادة والسلطان .

فالأعمال المجيدة في الحرب كانت أكبر دليل على الشجاعة والبطولة ، وخير الوسائل وآكدها لكسب قلوب الحبيبات . وبهذا كانت النساء ، من ناحية ، أقوى حافز لإظهار الشهامة والرجولة ، والقيام بأخطر الأعمال ، ومن ناحية أخرى كن أعظم مثير لعاطفة الأدباء وأروع الأشعار .

٨ - ومع أن المجموعة الشعرية المختارة - على العموم - في مستوى عال من الفن الشعري ، فإن بعض أبيات منها ، يظهر فيها ضعف ، أو عيب ، في الفكرة أو الأسلوب ، وفيما يلي أمثلة منها :

(أ) قال مزرد في وصف الحصان :

طوالُ القَرَا قَدْ كَادَ يَذْهَبُ كَاهِلًا جَوَادُ الْمَدَى وَالْعَقَبِ ، وَالْخَلْقُ كَامِلُ

قال الأصمعي : يستحب من الفرس قصر ظهره وطول بطنه ، ولذلك روى هذا البيت : قصير القرا ...

(ب) وقال أيضاً في نفس القصيدة عن الدرع :

موشحةٌ بيضاءُ دانٍ حبيكها لها حلقٌ بعد الأناملِ فاضلٌ

وحكي عن الأصمعي أنه قال : لئن أجاد في صفة الدرع لقد عاب من يلبسها ، وذلك لأن الفرسان لا يتبجحون بسبوغ الدرع .

(ج) وقال امرؤ القيس :

وأركبُ في الرّوع خيفانةً كسا وجهها سعفٌ منتشرٌ

فشبه ناصية الفرس بسعف النخل لطولها ، وإذا غطى الشعرُ العينَ لم يكن الفرس كريماً ^(١) .

(د) وقال علقمة في مدح الحرث بن جبلة ^(٢) :

فوالله لو لا فارسُ الجونِ منهم لآبوا خزايا والإيابُ حبيبٌ

فهذا وإن كان مدحاً للحرث إلا أن فيه طعنًا وخزيا لجيوشه . ومن هذا بيتان لزهير بن أبي سلمى في مدح الحرث بن ورقاء :

لولا ابنُ ورقاء ، والمجدُ التليدُ له

كانوا قليلاً ، فما عزّوا ولا كثّروا

(١) كتاب الصناعتين : ص ٧٠ .

(٢) المفضليات : ص ٧٧٩ .

الْمَجْدُ فِي غَيْرِهِمْ لَوْلَا مَا ثَرُهُ وَصَبْرُهُ نَفْسَهُ وَالْحَرْبُ تَسْتَعِيرُ^(١)

ولعل زهيراً قال هذا لأن ابن ورقاء أبى أن يقتل يساراً غلام زهير، حين أشار عليه بنو أسد بقتله، بل كساه وردة. وعلى كل حال، كان الأحسن أن يسكت عنهم في هذا المقام.

(هـ) وقال علقمة في نفس قصيدته: -

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا أَسِيرُهُ مُسَاوٍ، وَلَا دَانَ لِذَلِكَ قَرِيبُ

فهو وإن كان يصف الممدوح بأنه لا يذل أسيره ولا يهينه، بل يشرفه ويعزه، فإنه يساوي الممدوح بأسيره، وهذا لا يتناسب في مقام المدح، خصوصاً إذا كان للملك. ولذلك يروى هذا البيت برواية أخرى فيها: «إلا قبيله» بدل «إلا أسيره». وقد يكون ذلك مكرراً من الشاعر ودهاء دفعه إليه أنفته وكبرياؤه حتى في هذا المقام.

و - وقال زهير في مدح هرم بن سنان^(٢):

القائد الخيل منكوباً دوابرها منها الشُّنُونُ ومنها الزَّاهِقُ الزَّهِيمُ

ثم يستمر في أبياته يصف ضعف الخيل وهزالها وتعبها، فالشاعر هنا، وإن كان يريد أن يصف ممدوحه بالقوة وكثرة الغارات حتى إن خيله لتصبح هزيلة متعبة منهكة... الخ، لكن ذلك لا يؤدي معنى قوة الممدوح حقاً، لأن الصورة يظهر أمامنا فيها أنه يقود خيلاً هزيلة بلغ منها الإعياء مبلغاً عظيماً فكيف تكون حال غارة خيلها هكذا، وخير من هذا للشاعر أن يقول إنه قادها قوية سمينة سريعة، ثم عاد بها ضعيفة هزيلة كما قال في قصيدة أخرى:

(١) العقد الثمين: ص ٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٨.

عُزَّتْ سِيَانًا: فَأَبَتْ ضُمًّا خُدْجًا من بعد ما جنبوها بُدْنًا عُقْقًا^(١)

ز - قصيدة النابغة الذبياني التي يمدح فيها النعمان بن الجلاح بسبب ما من به على النابغة من إطلاق سراح ابنته وأسرى بني ذبيان بعد أن أسرهم في غارته على ذبيان - هذه القصيدة - فيها غرابة وُبعد عما ينبغي أن يقوله البدوي ، فهي بلا شك جميلة في المدح ، ولكنها تمس شرف بني ذبيان قوم النابغة ، فهي تصفهم بأنهم أصبحوا عبيداً للممدوح ، وأنه يفوق كل معدة في الحرب والنكاية ، ثم إن النابغة يعرض نساء قومه في صورة من لا أمل عندهن في أن يلحق بهن قومهن ليسعوا في تخليصهن . هذا إلى أنه يفتح القصيدة بمدح من أغار على قومه ، مما يتنافى مع إباء البدوي وأنفته .

ح - والقصيدة الرابعة لعبيد بن الأبرص^(٢) ، يتجلى فيها الضعف الشعري خصوصاً في الأبيات من الرابع عشر إلى السادس عشر :

ففي البيت الرابع عشر يقول :

وَلَقَدْ قَتَلْتَهُمْ ، وَكَمْ مِنْ سَيِّدٍ عَكَفْتُ عَلَيْهِ خِيُولُنَا وَهُمَامٍ

فكلمة « وهمام » قلقة في موضوعها - وظاهر أنه لم يأت بها إلا للقفية -

وفي البيت الخامس عشر يقول :

إِنَّا إِذَا عَضَّ الثُّقَافُ قَنَاتَنَا حَالَتْ ، وَرَامَتْ ثُمَّ خَيْرَ مَرَامٍ

فجملة « ورامت ثم خير مرام » يتضح فيها فتور النفس والضعف الشعري في موضع يستحق القوة .

(١) المرجع السابق : ص ٨٤ . ضمراً : مهازيل . خدج : قد ألفت أولادها لغير تمام . عقق : جمع عقوق وهي التي عظمت بطونها .

(٢) ديوانه : ص ١٩

وفي البيت السادس عشر :

نَحْمِي حَقِيقَتَنَا وَنَمْنَعُ جَارَنَا وَنَلْفُ بَيْنَ أَرَامِلِ الْإِيْتَامِ

فقوله : « ونلف بين أراميل الأيتام » . فيه أن كلمة « نلف » مكررة في البيت التالي ، ولذلك يقترح « لايل » مكانها « ونلم » . وظاهر أن الشاعر يفخر بأنه يجمع الأراميل ويقوم عليهم ، وكان يحسن أن يأتي بفكرة فيها أنهم « يخلطونهم بهم » . ثم إن التعبير فيه قصور ، لأن هؤلاء النساء لسن أراميل للأيتام . ولكن أراميل ذوات أيتام ، ومراده : الأراميل وأيتامهن ، ولكن الشاعر قصر نفسه فوضعها هكذا .

ط - وقال عبيد بن الأبرص (١) :

وَيَوْمَ الرُّبَابِ قَدْ قَتَلْنَا هُمَامَهَا وَحُجْرًا قَتَلْنَاهُ ، وَعَمْرًا كَذَلِكَ
وَنَحْنُ قَتَلْنَا جَنْدَلًا فِي جُمُوعِهِ وَنَحْنُ قَتَلْنَا شَيْخَهُ قَبْلَ ذَلِكَ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ أَهْلَاكَ دُفٌّ وَقَيْنَةٌ فَتَصْبِحُ مَخْمُورًا وَتُمْسِي كَذَلِكَ

فكلمة « كذلك » في البيتين الأول والثالث غير مستساغة ذوقاً ، هذا إلى أن تكرارها عيب ، وبخاصة مع تقارب التكرار ، وكلمة « ذلك » في البيت الثاني نافرة قلقة ، خصوصاً مع تكرار كلمة « كذلك » قبلها وبعدها . على أننا إذا دققنا النظر نجد أن كلمة « ذلك » كررت في هذه الأبيات الثلاثة على التوالي . وذلك مما يباه الذوق الشعري السليم .

ي - وقال عامر بن الطفيل (٢) :

أَسْرَنَّا حَاجِبًا فَشَوَى أَسِيرًا وَلَمْ نَتْرُكْ لَأَسْرَتِهِ سَوَامًا

(١) ديوانه : ص ٥٢ الأبيات من ١٤ - ١٦ .

(٢) ديوانه ص ٩٨ .

كلمة « أسيراً » هنا لم تأت بمعنى جديد ، فهي تكرار لمعنى « أسرنا حاجباً » ولو ادعى أنها للتوكيد لما كان لها معنى كذلك لأنه لا ضرورة تستدعي التأكيد هنا . ولو قال مثلاً : « فتوى ذليلاً » لكان حسناً ولذلك روى هذا البيت « ... فتوى بقيد » وهي طبعاً أحسن من « أسيراً » ولكنها تبدو ضعيفة في موضع يستحق قوة لأن المقام مقام فخر للشاعر وقومه ، وذنم لحاجب وقومه .

ك - وقال عامر بن الطفيل أيضاً (١) :

فَلَوْ كَانَ جَمْعاً مِثْلَنَا لَمْ يَبْزَنَا وَلَكِنْ أَتَتْنا أُسْرَةٌ ذَاتُ مَفْخَرٍ

فجملته « لم يبزنا » ضعيفة في موضعها ، لأن الموضوع هنا يحتاج إلى قوة ، فكان يحسن أن يقول مثلاً : « لَأَبْدَنَاهُمْ » . مما يناسب مقام الدفاع عن القوم ، والفخر بقوتهم . ولهذا روي بدلاً منها : « لم نُبأ لهم » وذلك على كل حال أحسن ، لكنها لا تبلغ درجة القوة التي كان ينبغي أن تكون هنا . والعجيب أن هذا الشطر روي بهذا الشكل أيضاً في قصيدة أخرى ، إذ يقول (٢) :

فَلَوْ كَانَ جَمْعاً مِثْلَنَا لَمْ يَبْزَنَا وَلَكِنْ أَتَانَا كُلُّ جِنٍّ وَخَابِلٍ

على أن الشطر الثاني في كل من البيتين غير جميل ؛ لأنه يعترف فيه أن هناك قوماً أقوى منهم . وكل ما فيه أنه مطابق للحقيقة والواقع ، ولكن أذلك هو ما يتطلبه الفن الأدبي ، وبخاصة الشعر ، ليستكمل كل نواحي الجمال ؟ .

(١) ديوانه ص ١٢٠ .

(٢) ديوانه ص ١١٥ . والبز : السلب . والخابل : الشيطان .

ل - وقال عامر بن الطفيل كذلك :

وَنَحْنُ الْأُولَى قَدْ نَا الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَا

كَمَا لَوْحَ الْقَوَاسِ نَبْعًا وَسَأْسَمًا^(١)

ومراده من قوله : « كما لوح القواس نبعا وسأسما » أن الخيل ضمر كالقسي في يابسها . فطول الكلام فيه : ومثله قول ساعدة بن جؤية^(٢) :

فَتَعَاوَرُوا ضَرْبًا وَأَشْرَعَ بَيْنَهُمْ أَسْلَاتُ مَا صَاغَ الْقُيُونُ وَرَكَبُوا

أَرَادَ « أَسْلَاتُ الرماح » فطول كذلك . ومن الواضح أن هذا لسبب الروي والوزن .

م - وقال عبيد بن الأبرص^(٣) :

هَذَا ، وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَيْكَ رِمَاحُ قَوْمِي مَا أَنْتَهَيْنَا

حَتَّى تَنْوَشَكَ نَوْشَةً عَادَاتِهِنَّ إِذَا أَنْتَوَيْنَا

فكلمة « هذا » في البيت الأول غير مستحسنة يأبأها الذوق الشعري .

ن - وقال علقمة^(٤) :

تَخْشَخْشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ كَمَا خَشْخَشَتْ يُبْسُ الْحَصَادِ جَنْوَبُ

وتخصيص ريح الجنوب بالذكر ليس له معنى أكثر من طلب القافية ، إذ

(١) ديوانه ، ص ١٢١ . والوجا : أن يتشكى الفرس حافره . السأسم : شجر الأبنوس .

(٢) ديوان الهذليين : ص ١١ .

(٣) ديوانه ص ٢٨ .

(٤) المفضليات : ص ٧٧٩ .

أن الحصاد اليابس له حفيف : حينما تهب عليه الريح أياً كانت ، لا فرق بين جنوبية ، أو شمالية . أو غيرها .

س - جاء لعلقة في قصيدة له قوله (١) :

وَنَحْنُ جَلْبُنَا مِنْ ضَرِيَّةَ خَيْلِنَا نَكْلِفُهَا حَدَّ الْإِكَامِ قَطَائِطًا
سِرَاعاً يَزِلُّ الْمَاءُ عَنْ حَجَبَاتِهَا نَكْلِفُهَا غَوْلًا بَطِينًا وَغَائِطًا
يُحْتُ يَبِيدُ الْمَاءُ عَنْ حَجَبَاتِهَا وَيَشْكُونُ آثَارَ السَّيَاطِ خَوَائِطًا

فكرر كلمة « نكلفها » في البيتين الأول والثاني ، وكرر « عن حجباتها » في البيتين الثاني والثالث . وهذا ، ولا شك ، غير جيد .

ع - وجاء لعامر بن الطفيل في بيتين متوالين قوله (٢) :

بَقَرْنَا الْحَبَالِي مِنْ شَنْوَةٍ بَعْدَمَا خَبَطُنْ بِفَيْفِ الرِّيحِ نَهْدًا وَخَشَعَمَا
مُجَنَّبَةٌ قَدْ لَاحَبَا الْغَزْوُ بَعْدَمَا تُبَارِي مَرَاخِيهَا الْوَشِيجَ الْمُقَوَّمَا
فكرر كلمة « بعدما » في نهاية الشطر الأول من كلا البيتين . وثقل ذلك ظاهر ، وبخاصة أن ذلك في بيتين متتاليين .

ف - قال قيس بن الخطيم في البيت الخامس والبيت الرابع عشر في قصيدته الأولى في ديوانه (٣) :

ضَرَبْتُ بِذِي الرُّزَّيْنِ رُبْقَةَ مَالِكٍ فَأُتْتُ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ شِفَاءَهَا
وَكَانَتْ شَجًّا فِي الْحَلْقِ مَا لَمْ أُبْوَ بِهَا فَأُتْتُ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ دَوَاءَهَا

(١) العقد الثمين : ص ١١٠ .

(٢) ديوانه : ص ١٢١ . البيتان ٧ - ٨ .

(٣) ديوان قيس بن الخطيم : ص ٣ - ٤ .

وظاهر أن الشطر الأخير من كل من البيتين واحد في المعنى ، وفي اللفظ لولا أنه غيّر « شفاءها » إلى « دواءها » .

ص - وقال قيس أيضاً في البيتين السادس والسابع من قصيدته الرابعة في ديوانه (١) :

دعوتُ بني عوفٍ لحقنِ دِمائِهِمْ فَلَمَّا أَبُو سَامِحَتْ فِي حَرْبِ حَاطِبِ
وَكُنْتُ أَمْرًا لَا أَبْعَثُ الْحَرْبَ ظَالِمًا فَلَمَّا أَبُو أَسْعَلْتُهَا فِي كُلِّ جَانِبِ
فكرر كلمة « فلما أبوا » في الشطر الثاني لكلا البيتين .

ق - الإقواء : وهو أن يختلف إعراب القوافي ، فتكون قافية مرفوعة مثلاً ، وأخرى مجرورة . من ذلك قول عامر بن الطفيل (٢) :

لَقَدْ تَعَلَّمَ الْحَرْبُ أَنِي ابْنُهَا وَأَنِي الْهَمَامُ بِهَا الْمُعَلِّمُ
وَأَنِي أُحِلُّ عَلَى رَهْوَةٍ مِنَ الْمَجْدِي الشَّرَفِ الْأَعْظَمِ

وقول بشر بن أبي خازم (٣) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طُولَ الدَّهْرِ يُسْلِي وَيُنْسِي مِثْلَ مَا نُسِيَتْ جُذَامُ
وَكَانُوا قَوْمَنَا فَبَغَوْا عَلَيْنَا فَسُقْنَاهُمْ إِلَى الْبَلَدِ الشَّامِي

ويقول قدامة بن جعفر في الإقواء : « وهذا في شعر الأعراب كثير جداً » (٤) .

(١) ديوانه : ص ١١ .

(٢) ديوانه : ص ١٢٤ ، والرهوة : المكان المرتفع .

(٣) المفضليات : ص ٦٥٨ .

(٤) نقد الشعر : ص ٧٠ .

ر - التضمين : وهو اعتماد البيت على لآحقه بحيث لا يستقيم معنى البيت بذاته .

ومنه قول عامر بن الطفيل (١) :

تركتُ صريعاً بالعراءِ مُجدلاً
طمرٌ، وزيدُ الخيلِ قد نالَ طعنةً
ضبيعةً إذ نجى شتيرُ بنِ خالدٍ
إذ المرءُ زيدٌ جائرٌ غيرُ قاصدٍ

وقول عبيد بن الأبرص (٢) :

لما رأونا والمغاولُ وسطهم
ولوا وهنٌ يحلنُ في آثارهم
والخيلُ تبدو تارةً وتغيبُ
شلاً وبالطناهم فتككبوا

وقول النابغة الذبياني (٣) :

وهم وزدوا الجفارَ على تميمٍ
شهدتُ لهم مراطنَ صادقاتٍ
وهم أصحابُ يومٍ عكاظٍ إني
أتيتهم بُود الصَّدرِ مِنِّي

٩ - وفي شعر الحرب في العصر الجاهلي نجد إشارات إلى الله : فورد فيه ذكر الله لتوكيد القسم (٤) ، وأنه المدبر للكون ، وهو الذي يضر وينفع :
أبناء قومٍ تأوؤكم على حنقٍ لا يشعرون أضراً الله أم نفعاً (٥)

(١) ديوانه : ص ١٣٥ . طمر : فرس وثوب ، وهو فاعل نجى في البيت السابق .

(٢) ديوانه : ص ١٦ ، البيتان ٢٥ - ٢٦ . والمغاول : جمع مغول وهو الذي يكون في السوط شبه السيف . ويقال إن المغاول حراب صغار مثل النبل . بالطناهم : جالدهم بالسيوف تككبوا : اجتمعوا .

(٣) العقد الثمين : ص ٣٠ .

(٤) المفضليات : ص ٥١٣ بيت ٩ ، ص ٦١٠ بيت ٤ ، ص ٧٨٠ بيت ٢٤ .

(٥) لقيط الإيادي : مختارات ابن الشجري .

وأنه يعلم المجهول الخفي :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا جَهِلْتُ بِعَقْبِهِمْ وَتَذَكَّرِي مَا قَاتَ أَيُّ أَوَانٍ^(١)

وهو الذي يسيّر الأمور بحكمة وإتقان^(٢) ، وأنه الذي يُعين على النصر فيُحمد ويُشكر :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْبَذْيَةِ إِذْ أُمَسْتُ دُحِيٍّ قَدْ أَثْنَيْتَ غَلَبًا^(٣)

وهو الذي يوجه إليه الدعاء لينزل بالأعداء شر العقاب ، ويجازي الأبطال الشجعان خير الجزاء وحسن الثواب .

(١) عبيد بن الأبرص . ديوانه ص ٥٠ بيت ١٠
(٢) طفيل الغنوي ديوانه ص ١٩ بيت ٧ .
(٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٣٠ بيت ١٢ .

الخاتمة

لقد ظهر لنا من هذه الدراسة لذلك العدد الكبير من الأبيات الشعرية المختارة من إنتاج الجاهليين الأدبي ، أن الحرب كانت كثيرة بين القبائل ؛ وأن مظاهرها وما يتصل بها من أمور عديدة كان لها أثر عظيم في الناس بعامية ، وفي الشعراء بخاصة ، فكانت مجال الحديث والسمر ، ومصدراً من مصادر الإلهام الشعري ، حرّكت نفوس الشعراء ، فأثارت فيهم أحاسيس مختلفة ، وعواطف متباينة ، ثم انسابت على ألسنتهم فيضاً غزيراً ، ملأ مساحة واسعة في ميدان القول ، وأرضى فن التعبير ، وعشاق الجمال في التصوير .

ورأينا في هذه الدراسة كيف أن ظاهرة واحدة مما يعرض للإنسان في أثناء حياته ، وربما كانت ظاهرة بغیضة ممقوتة ، قد تكون كقيلة بالسيطرة على الإنسان روحاً وحسّاً ، فيرى صورها وأشباحها في كل ما يحيط به في عالمه من أشياء مختلفة ؛ حية ، أو هامدة ، ساكنة أو متحركة ؛ فقد تبين لنا من دراستنا هذه أن الحرب - وهم يبغضونها - جعلت الشعراء يجدون في مظاهر الحياة والبيئة المحيطة بهم ما يحقق رغبتهم في التعبير عن الحرب ، ويرضي ذوقهم في إجادة تصويرها . وبذلك ترك الشعراء لنا سجلاً صادقاً للعرب ، وما كان يحيط بهم في العصر الجاهلي ، فاستطعنا بدراستنا هذه ، أن نعرف - من هذا السجل - الكثير عن حياة العرب ، وعاداتهم ، وأفكارهم وسلوكهم ، قبل أن يصبحوا أمة واحدة متحدة ، حينما كانوا قبائل مفككة الأوصال مبعثرة في الصحراء بين الهضاب والرمال ، لا وشيجة تجمعهم ، ولا صلة روحية تلم شملهم ، واستطعنا أن نعرف كذلك شيئاً غير قليل عن كثير

من الحيوانات والطيور والحشرات التي كانت تشاركهم العيش في الصحراء .
وقد تبين أن هذه المجموعة مملوءة بالصور الشعرية التي حاول الشعراء بها
أن يظهروا أفكارهم في دقة ووضوح ، أو يخلعوا عليها مزيداً من الحسن
والجمال . وقد لمسنا من دراسة هذه الصور ما كان لدى الشعراء من مهارة في
عرض صورهم بحكمة وإتقان . ورأينا إلى أي مدى كان كل شاعر يحاول جهد
نفسه أن تكون له شخصية مستقلة بارزة في تعبيره وتصويره .

ومن هذه الدراسة رأينا أن أفكارهم كانت نابعة من بيئتهم ، متأثرة
بظروفهم وأحوال معيشتهم ؛ وعواطفهم كانت على العموم صادقة صادرة من أعماق
القلوب قوية مثيرة ، لكنها كانت تختلف باختلاف الشعراء والظروف المحيطة
بكل منهم ؛ وخيالهم غير عميق ، وأسلوبهم قوي النسيج محكم رصين . وقد
ظهر لنا ، أنه مع أن هذا الشعر من إنتاج قوم مجيدين ، بوجه عام ، فقد
وجد فيه بعض هفوات في التعبير والتصوير ، وكثير منها كان لفحول الشعراء
وليس في هذا عجب ، جل من لا يسهو ، ولكل جواد كبوة .

ومن الواضح الجلي أن الفضل في جميع النتائج التي استنبطناها في أثناء
البحث يرجع إلى طريقة الإحصاء التي أقمنا على أساسها هذه الدراسة ، فالجداول
الإحصائية الموجودة في هذه الدراسة تضع أمام القارئ تلخيصاً موجزاً وافياً
حقيقياً للموضوعات التي توضحها ، وتنطق من تلقاء نفسها بما فيها من حقائق
 ونتائج . وإنا لنترجو أن تستغل هذه الإحصائيات في دراسات أوسع ، فيكون
فضلها أكبر وخيرها أتم .

والمجموعات الشعرية التي درسناها ، قطعة رائعة من الشعر الغنائي ،
وليس فيها شيء من الملاحم ، لكن الإنسان يستطيع ، حقيقة ، أن يقول
إنها وثائق ممتازة ، تتحدث عن ظاهرة اجتماعية خطيرة من شتى نواحيها ،
وهي في الوقت ذاته تصور ، في غير تزويق ولا تمويه ، ولكن في حيوية
وصدق ، كثيراً من أحوال الحياة ومظاهرها وأثرها الأدبي في شبه الجزيرة
العربية في الفترة التي سبقت الإسلام .

المُلحقات

الصُّور الشِّعرية

١ - الحرب

صورة من المذاق :

١ - مَنْ يَذُقِ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرًّا وَتَحْبِيسُهُ يَجْعَلُهُ بِجَعًا

صورة من الطعام :

٢ - نُحْزِي الْحَيَاةَ وَحَرْبَ الصَّدِيقِ وَكَلَّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا

صورة من المرعى :

٣ - فَقَضُّوا أَمْنًا يَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلَّا مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِّمٍ

(١) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ، ص ٥٦٦ . بيت ٣ .

(٢) بشامة بن عمرو : المفضليات ، ص ٨٨ .

(٣) زهير بن أبي سلمى : ديوانه (طبعة مصر) ص ١١ . ومستوبل : سيء العاقبة .

متوخم : غير مريء .

صورة من السجل :

٤- أَتَذْكُرُ أَمْرًا لَمْ تَنْلُهُ وَإِنَّمَا تَنَاوَلَ سَجَلَ الْحَرْبِ مَنْ كَانَ أَنْجَدًا

صورة من الينبوع :

٥- رَعَوْا ظِمَاءَهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوهَا

غَمَّارًا تَفَرَّى بِالسَّلَاحِ وَبِالدَّمِ

صور من السوق :

٦- نُقِيمُ لَهَا سُوقَ الْجَلَادِ وَنَغْتَلِي بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُوجِّهَ خَالَهَا

٧- نُقِيمُ لَهَا سُوقَ الضَّرَابِ وَنَغْتَصِي بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُوجِّهَ خَالَهَا

٨- وَلَكِنهَا سُوقٌ يَكُونُ صِفَاقُهَا سُرِيحَةً قَدْ أَرْهَفَتْهَا الصِّيَاقُلُ

صورة من الحمل الثقيل :

٩- أَصْبَحَتْ وَائِلٌ تَعِيجُ مِنَ الْحَرِّ بِ عَجِيجِ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ

صور من الرحي :

١٠- وَإِنْ أَجْلَبَتْ صِهْيُونُ يَوْمًا عَلَيْكُمْ

فَإِنَّ رَحَى الْحَرْبِ الدَّكُوكِ رَحَاكُمَا

(٤) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٤١ بيت ٤ .

(٥) زهير بن أبي سلمى : المعلقة .

(٦) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٦٠ بيت ٣ .

(٧) الأعشى : ديوانه . قصيدة ٧٢ بيت ٧ .

(٨) عميرة بن طارق : النقائض (مصر) ج ١ ص ٥٢ .

(٩) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٢ .

(١٠) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٤٢ بيت ٤ .

١١- وَلَا كُشِفَ قَنَسَامَ حَرْبِ قَوْمٍ إِذَا أَزَمَتْ رَحَى لَهْمُ رَحَانَا

١٢- وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الْمُشِيبَةِ لِلْفَتَى

وَهَالَتْ ذَوِي الْأَلْبَابِ تِلْكَ الْمَوَاقِفُ

١٣- فَدَارَتْ رَحَانَا بِفُرْسَانِهِمْ فَعَادُوا - كَأَن لَمْ يَكُونُوا - وَمِمَّا

١٤- وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْمَنَايَا عَلَيْهِمْ

بِلُيُوثٍ مِنْ عَامِرٍ وَجَنَابٍ

١٥- كَأَنَّهُمْ حِينَ اسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ

بِذَاتِ اللَّظَى وَأَذْرَكَ الْقَوْمَ لَاعِبٍ

١٦- طَوْرًا نَدِيرٌ رَحَانَا ثُمَّ نَطَحْنُهُمْ طَحْنًا وَطَوْرًا نُلَاقِيهِمْ فَتَجْتَلِدُ

١٧- مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا

يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُحُوتُهَا قُضَاعَةُ أَجْمَعِينَا

صور من النار :

١٨- دُعُوا مَنِبَتِ السَّيْفَيْنِ إِنَّهُمَا لَنَا إِذَا مُضِرُّ الْحِمَارِ شَبَّتْ حُرُوبُهَا

(١١) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٢٨ بيت ١٣ .

(١٢) البراق : شعراء النصرانية ، ص ١٤٦ .

(١٣) ربيعة بن مقروم : المفضليات ، ص ٣٦١ .

(١٤) زهير بن جناب . شعراء النصرانية ، ص ٢٠٩ .

(١٥) مالك بن خالد الهذلي : ديوان الهذليين ج ١ ص ١٧١ .

(١٦) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٧ .

(١٧) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(١٨) بشر بن أبي خازم : المفضليات ٤٧٦ .

- ١٩- لَا عَرَفَنَّكَ إِنْ جَدَّ النَّفِيرُ بِنَا وَشَبَّتِ الْحَرْبُ بِالطُّوَّافِ وَاحْتَمَلُوا
- ٢٠- وَشَبَّتِ طَيِّبُ الْجِبَلَيْنِ حَرْبًا تَهْرُ لَشَجْوِهَا مِنْهَا صَحَارُ
- ٢١- وَحَشُوا الْحُرُوبَ إِذَا أَوْقَدَتْ رِمَاحًا طَوَالًا وَخَيْلًا فُحُولًا
- ٢٢- وَكُنْتَ امْرَأًا لَا أُبْعَثُ الْحَرْبَ ظَالِمًا
- فَلَمَّا أَبَوَا أَشْعَلْتُهُمَا فِي كُلِّ جَانِبِ
- ٢٣- إِنْ بَنَى الْأَوْسُ حِينَ تَسْتَعِرُّ الْحَرْبُ لَكَ النَّارُ تَأْكُلُ الْحَطَبَا
- ٢٤- الْمَجْدُ فِي غَيْرِهِمْ لَوْلَا مَا ثَرُهُ وَصَبْرُهُ نَفْسُهُ وَالْحَرْبُ تَسْتَعِرُّ
- ٢٥- يُطِيلُونَ لِلْحَرْبِ تَكَرَّارَهَا إِذَا أَهْبَتَ لَهَا تُسْعَرُ
- ٢٦- وَأَنَا ابْنُ حَرْبٍ لَا أَزَالُ أَشْبَهَا سَعْرًا وَأَوْقَدُهَا إِذَا لَمْ تُوقَدْ
- ٢٧- تُلَاقِينَ قَيْسًا وَأَشْيَاعَهُ يُسْعَرُ لِلْحَرْبِ نَارًا فَنَارًا
- ٢٨- وَقَوْمِي رُؤُوسُ النَّاسِ وَالرَّأْسُ قَائِدُ
- إِذَا الْحَرْبُ شَبَّتْهَا الْأَكْفُ الْمَسَاعِرُ

-
- (١٩) الأَعشى : ديوانه . قصيدة ٦ بيت ٤٨ .
- (٢٠) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٦٨ .
- (٢١) بشامة بن عمرو : المفضليات ص ٨٩ ، بيت ٣٤ .
- (٢٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ١١ . ب ٧ .
- (٢٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣١ . ب ١٩ .
- (٢٤) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، ص ٨٣ . ب ٥ .
- (٢٥) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٢٣ . ب ٧ .
- (٢٦) عامر بن الطفيل . ديوانه ص ١٤٥ ، بيت ١٠ .
- (٢٧) الأَعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٥ بيت ٢٩ .
- (٢٨) زيد الخيل ، الأغاني ج ١٦ ص ٥٤ .

- ٢٩- وَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ ذِي مَهَابَةٍ يُهَابُ إِذَا مَا رَأَيْدُ الْحَرْبِ أَضْرَمَا
 ٣٠- وَسَقَيْتُ تَيْمَ اللَّاتِ كَأْسًا مَرَّةً كَالنَّارِ شُبُّ وَقُودُهَا بِصِرَامِ
 ٣١- نَحْنُ حَبَسْنَا بَنِي جَدِيلَةَ فِي نَارٍ مِنَ الْحَرْبِ جَحْمَةِ الضَّرَمِ
 ٣٢- وَإِنْ حَرُّهُمْ أَوْ قَدْتُ بَيْنَهُمْ فَحَرَّتْ لَهُمْ بَعْدَ إِبْرَادِهَا
 ٣٣- ثُمَّ التَّقِينَاوْ نَارُ الْحَرْبِ سَاطِعَةً وَسَمَّهَرِيَّ الْعَوَالِي يَدْنُنَا قِصْدَ
 ٣٤- مَالِي أَرَاكُمْ نِيَامًا فِي بُلْهَنِيَّةٍ وَقَدْتَرُونَ شَهَابَ الْحَرْبِ قَدْسَطَعَا
 ٣٥- تُسَعَّرُ نَارُهَا وَهَجًا وَجَاءَتْ إِذَا خَمَدَتْ كَنِيرَانِ الْفِصَّاحِ
 ٣٦- أَذُوا ذِمَامَةَ حِصْنٍ ، أَوْ خُذُوا بِيَدِ

حَرْبًا تُخَشُّ الْوُقُودَ الْجَزْلَ وَالضَّرَمَا

صورة من القول :

- ٣٧- أَنْكَرْتَهُ حِينَ تَوَسَّمْتَهُ وَالْحَرْبُ غُولٌ ذَاتُ أُوجَاعِ

-
- (٢٩) الخصفي المحاربي : المفضليات ص ٦٢٨ بيت ١٩ .
 (٣٠) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٤ .
 (٣١) بعض بني بولان : الحماسة ج ١ ص ٤٦ .
 (٣٢) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٨ ، بيت ٤٤ .
 (٣٣) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية : ص ٢٧٧ .
 (٣٤) لقيط الأيادي : مختارات ابن الشجري .
 (٣٥) جساس بن مرة : شعراء النصرانية ص ٢٤٧ .
 (٣٦) شبيم بن خويلد : النقااض ج ١ ص ٩٧ .
 (٣٧) أبو قيس بن الأسلت المفضليات ص ٥٦٥ .

صورة من الألم :

٣٨- تَرَى الرَّجَالَ قُعُودًا يَأْنُحُونَ لَهَا دَابَّ الْمُعْضَلُ إِذْ ضَاقتْ مَلَأَ قِيهَا

صورة من المرض :

٣٩- الْحَرْبُ يَلْحَقُ فِيهَا الْكَارُهُونَ كَمَا
تَذُنُو الصَّحَّاحُ إِلَى الْجَرْبَى فَتُعْذِرُهَا

صورة من الشرب :

٤٠- وَحَالَتْ عَوَادِي الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَحَرْبٌ تُعِلُّ الْمَوْتَ صِرْقًا وَتُنْهِلُ

صورة من المشمر والمتجرد :

٤١- فَإِنْ شَمَرْتَ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَوَيْهَا رِبِيعٌ فَلَا تَسْأَمُوا
٤٢- كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنْ الشَّرِّ الصَّرَاحُ

(٣٨) مجهول : الحماسة ج ١ ص ١٥٤ . ويأنحون : من أنح يأنح من باب ضرب يضرب إذا زفر وزحر من الغم والغضب فخرج له صوت كأنه يتنحنج ولا يبين . والدأب : العادة والمعضل التي نشب الولد في رحمها . والملاقي : المراد بها ملاقي الرحم : والمراد أن الرجال يلقون من الشدة في الحرب مثل ما تلقى هذه المرأة إذا عسر عليها خروج ولدها .

(٣٩) المرجع السابق .

(٤٠) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٧٨ .

(٤١) قيس بن زهير : شعراء النصرانية ، ص ٩٢٧ .

(٤٢) سعد بن مالك : شعراء النصرانية ص ٢٦٥ .

٤٣ - جَرَوْا عَلَى أَدَبٍ مِنِّي بَلَا تَزَقِ وَلَا إِذَا شَمَّرَتْ حَرْبٌ بِأَغْمَارِ

٤٤ - إِنِّي رَأَيْتُ الْحَرْبَ إِنْ شَمَّرَتْ دَارَتْ بِكَ الْحَرْبُ مَعَ الدَّائِرِ

٤٥ - فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ حَرْباً تَجَرَّدَتْ

لَبِستُ مَعَ الْبُرْدَنِ ثَوْبَ الْمُحَارِبِ

صور من المكشر عن النواجذ والأنياب :

٤٦ - وَهُمْ إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ نَوَاجِذَهَا

مَثَلُ اللَّيْثِ وَسُمُّ عَاتِقِ نَقْعَا

٤٧ - فَمَا وَجَدْتُكَ الْحَرْبُ إِذْ فُرَّ نَابُهَا

عَلَى الْأَمْرِ نَعَّاساً عَلَى كُلِّ مَرْصَدٍ

٤٨ - فَمَنْ يَكُ مِعْزَالُ الْيَدَيْنِ مَكَانَهُ

إِذَا كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا الْحَرْبُ ، خَامِلُ

٤٩ - وَصَاحِبِيهِ فَلَا يَنْعَمُ صَبَاحُهَا إِذْ فَرَّتِ الْحَرْبُ ، عَنْ أَنْيَابِهَا الرُّوقُ

(٤٣) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٢٥ بيت ١٣ .

(٤٤) الأعشى : ديوانه قصيدة رقم ١٨ بيت ٤٧ . دارت بك الحرب مع الدائر : أي مغلوب مدوخ .

(٤٥) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ١٢ ، بيت ١٠ .

(٤٦) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٣ بيت ٤٥ .

(٤٧) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٢٨ ، بيت ١٥ .

(٤٨) مزرد : المفضليات ص ١٦٣ بيت ١٢ .

(٤٩) بشر بن عمرو : المفضليات ص ٥٥٢ بيت رقم ٢ . وفرت : من « من فر الدابة »

وهو كشفها عن أسنانها . الروق : جمع روقاء : وهي الناب الطويلة .

- ٥٠- أَيْ قَوْمُنَا أَنْ يَقْبَلُوا الْحَقَّ فَانْتَهُوا
إِلَيْهِ وَأَنْيَابُ مِنْ الْحَرْبِ تَحْرِقُ
٥١- وَإِنِّي أَمْرٌ أَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ بَعْدَمَا
رَأَيْتُ لَهَا نَاباً مِنْ الشَّرِّ أَصْلاً
٥٢- إِذْ غَابَ مَنْ غَابَ عَنْهُمْ مِنْ عَشِيرَتِنَا
وَأَبَدَتِ الْحَرْبُ نَاباً كَالِحاً عَصِلاً

صورة من اللاقح :

- ٥٣- أَنْخُو الْحَرْبَ إِذْ لَقِحتُ بَازِلاً سَمًا لِلْعُلَا وَأَحْلَ الْإِحْمَارَا
٥٤- كَفَاهُ الْحَرْبَ إِذْ لَقِحتُ إِيَّاسُ فَأَعْلَى عَنْ نَمَارِقِهِ فَقَامَا
٥٥- فَاصْبِرْ لِبَكْرِ فَإِنَّ الْحَرْبَ قَدْ لَقِحتُ
وَعِزُّ نَفْسِكَ عَمَّنْ لَا يُوَالِيهَا
٥٦- قَرَبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ

(٥٠) زهير بن جناب: شعراء النصرانية، ص ٢٠٧ .

(٥١) أوس بن حجر: شعراء النصرانية ص ٤١٤ .

(٥٢) حاتم الطائي: شعراء النصرانية ص ١٢٨ .

(٥٣) الأعشى: ديوانه قصيدة ٥ بيت ٣٧ . بازلا: من البعير إذا بزل نابه أي شق وظهر وبزل الأمر والرأي استحکم . الحمار: قبائل ضبة وعبس والحوث بن كعب. وأحل: استباح حمام وأحله .

(٥٤) الأعشى: ديوانه ، قصيدة ٢٩ . بيت ٣٤ .

(٥٥) جساس بن مرة: شعراء النصرانية ص ٢٥٠ .

(٥٦) الحارث بن عباد: شعراء النصرانية ص ٢٧٢ .

٥٧- قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ النُّهْيِ يَوْمًا إِذَا أُلْقِيَتْ الْحَائِلُ
٥٨- وَتَغْلِبُ إِذْ حَرُّهَا لَاقِحُ تُشَبُّ وَتُسَعْرُ نِيرَانُهَا

صورة من العقيم :

٥٩- هُمْ جَرَّدُوا أَحْكَامَ كُلِّ مُضِلَّةٍ مِنَ الْعَقْمِ لَا يُلْفَى لَأَمْثَالِهَا فَضْلُ

صور من العوان :

٦٠- فَهَلَّا لَدَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ صَبْرُكُمْ لَوْ قَعَتْنَا وَالْيَأْسُ صَعْبُ الْمَرَآكِبِ

٦١- وَقَالَتْ مَعَاشِرُ : مَنْ ذَا لَنَا بِحَرْبِ عَوَانٍ وَتَطْرَادِهَا

٦٢- وَعِنْدِي إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ تَلَقَّحَتْ

وَأُبْدَتْ هَوَادِيهَا الْخُطُوبُ الزَّلَازِلُ

٦٣- أَبْلِغْ بَنِي جَجْجَبِي فَقَدْ لَقِيحَتْ حَرْبُ عَوَانٍ ، فَهَلْ لَكُمْ سَدَفٌ

٦٤- وَنَسِيرٌ لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ إِذَا بَدَتْ حَتَّى نَلْفُ ضَرَامِهَا بِضِرَامِ

(٥٧) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٧٣ .

(٥٨) سلامة بن جندل : النقااض ج ١ ص ١٣٥ .

(٥٩) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، ص ٩٠ بيت ٢٣ . والمضلة : الحرب التي تضل الناس . وجعلها عقيماً فكأنما بإملاكها الأبطال لا تلد .

(٦٠) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٥ .

(٦١) الأعشى : ديوانه قصيدة ٨ بيت ٤٦ .

(٦٢) المزرد : المفضليات ص ٦٤ ، بيت ١٥ .

(٦٣) مالك بن عجلان . جمهرة أشعار العرب . والسدف : المحن والوقاية .

(٦٤) عبيد بن الأبرص ، ديوانه ص ٢٢ بيت ١٧ .

٦٥- وَفِي الْحَرْبِ مِنْهُ بَلَاءٌ إِذَا عَوَانُ تَوَقَّدُ أُجْذَاهَا

٦٦- مَا كُنْتَ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانُ مُغْمَرًا

إِذْ شَبَّ حَرْهُ وَقَوْدُهَا أُجْزَاهَا

٦٧- بِهِ أَشْهَدُ الْحَرْبِ الْعَوَانُ إِذَا بَدَتْ نَوَاجِذُهَا وَاحْمَرَّتْ مِنْهَا الطَّوَائِفُ

صورة من الدوائب :

٦٨- وَاسْأَلْ حُذَيْفَةَ حِينَ أَرَّشَ بَيْنَنَا حَرْبًا ذَوَا ثُبَّهَا بِمَوْتٍ تَخْفِقُ

صور من الناقة :

٦٩- فَلَسْنَا مِنْ بَنِي جَدَّاءَ بِكُرٍ وَلَكِنَّا بَنُو جَدِّ النَّقَالِ

٧٠- أَبْنَاءُ حَرْبٍ : الْحَرْبُ ضَرَسْنَا أَبْكَارُهَا وَالْعُونُ وَالشُّرْفُ

٧١- وَلَا تَبْعَثُوهَا بَعْدَ شَدِّ عِقَالِهَا ذَمِيمَةَ ذِكْرِ الْغَبِّ فِي الْمَتَعَقِّبِ

(٦٥) الأعشى : ديوانه قصيدة ٢١ بيت ٣٥ . والعوان : الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، وأصله الناقة التي ولدت بعد ولادتها الأولى . والأجذل : جمع جذل بكسر الجيم ، وهو ما عظم من أصول الشجر .

(٦٦) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٣ بيت ٣٣ . والأجزاء : جمع جزل « بفتح فسكون » . وهو ما عظم من الحطب ويبس .

(٦٧) ثعلبة بن عمرو : المفضليات ص ٦٣ بيت ١٢ . والطوائف : النواحي .

(٦٨) عنتره العبسي : شعراء النصرانية ص ٨٠٧ .

(٦٩) قبيصة بن جابر : ديوان الحماسة ج ١ ص ٢٩٤ . الجدء : الناقة المقطوعة الثدي ..

ر كنى بالبكر الجدء عن الحرب الضعيفة . النقال : تكرار الولادة .

(٧٠) مالك بن عجلان : جمهرة أشعار العرب . والشرف : المسنة .

(٧١) مجهول ، الحماسة ، ج ١ ص ١١٣ . تبعثوها : تشيروها . الغب : العاقبة والغاية ..

٧٢- فإني في الحربِ الضروسِ موكَّل

بأقدامِ نفسٍ ما أريدُ بقاءَها

٧٣- نشدُ عصات الحربِ حتى ندرَّها

إذا ما نفوسُ القومِ طالعتِ الشَّعْرُ

٧٤- وإنا إذا ما مُمْتَرُو الحربِ بَلَّحُوا

نقيمُ بأسادِ العرينِ لواءَها

٧٥- ونلقحُها مَبْسُورَةً ضَرْزَنِيَّةً

٧٦- فبعضَ الوعيدِ إني قد تكشَّفتُ

لأشياءِها عن فرجِ صرَماءِ مُذكر

٧٧- وعُدْوَةٌ قد حَكَّتْ بِها الحربُ بَرْكها

وأَلَقَتْ عَلَى كَلْبِ جِرَانَا وَكَلْكَلا

(٧٢) قيس بن الخطيم . ديوانه ص ٣ . بيت ١١ .

(٧٣) عامر الطفيل : ديوانه ص ١٣٩ ، بيت رقم ٥ . نشد عصاب الحرب : مثل ، وأصل ذلك أن الناقة إذا امتنعت عن الحلب عصب فخذها فتدر .

(٧٤ ، ٧٥) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٤ ، البيتان ١٦ ، ١٧ ، ممترو الحرب : الذين يستدرونها ، وهذا مثل يقال : مريت الناقة إذا مسحت ضرعها باليد لتدر . بلحوا : أعيوا .

(٧٦) مالك بن خالد الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ١٦٠ بيت ٤ .

(٧٧) خراشة بن عمرو العبسي : المفضليات ص ٨٢٦ بيت ١٣ . والبرك : الصدر . والجِران : العنق . والكلكل : الصدر ، يريد أن الحرب بركت عليهم .

٧٨- وَإِنَّ الْحَرْبَ أُمْسَى فَخَلَّهَا فِي النَّاسِ مُخْتَلِمًا
حَدِيدًا نَابَهُ مُسْتَدًّا لِقَاءَ مُتَخَمِّطًا قَطِيمًا

صورة من المشمر واللاقح العوان :

٧٩- وَقَدْ شَمَرَتْ بِالنَّاسِ شُمُطَاءُ لَا قِحْ عَوَارُ شَدِيدُ هَمْزَهَا فَأَضَلَّتْ

صورة من العوان اللاقح الضروس والنار :

٨٠- إِذَا لَقِيتَ حَرْبَ عَوَانٍ مُضِرَّةً ضُرُوسٌ يَهْرُ النَّاسَ أَنْيَابُهَا عُصْلُ
قُضَاعِيَّةٌ أَوْ أُخْتَهَا مُضَرِّيَّةٌ يُحَرِّقُ فِي حَافَاتِهَا الْحَطَبُ الْجَزْلُ
تَجِدُهُمْ عَلَى مَا خِيلَتْهُمْ إِزَاءُهَا وَإِنْ أَفْسَدَ الْمَالَ الْجَمَاعَاتُ وَالْأَزْلُ
يَحْشُونَهَا بِالْمُشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَا ضِعَافُ وَلَا عُزْلُ

(٧٨) الأعشى: قصيدة رقم ٥٦ ، البيتان ٣ ، ٤ الفحل : الجمل والذكر من كل حيوان .
احتلم الصبي : أدرك وبلغ مبلغ الرجال . حديد نابه . حاد . ودلق البعير شقشقته : أخرجها ،
والشقشقة (بكسر الشين) شيء كالرثة يخرج به البعير من فمه إذا هاج وهدر . خط البعير :
هدر . قطم : هائج .

(٧٩) الأعشى : ديوانه ، قصيدة وقسم ٤٠ بيت ٦ . الشمطاء : العجوز ، والأشمط هو
الذي خالط بياض رأسه سواد . همزه : ضغطه ، وعصره ، وصرعه .

(٨٠) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ص ٩٠ . ضروس : عضوض سيئة الخلق . تهر
الناس : تجعلهم يكرهونها . عصل : عوج قضاعية : نسبة إلى قضاعة . الجزل : ما غلظ من الخطب . إزاءها :
أي الذين يقومون بها ، أي مدبريها وسائسيها . الجماعات : القوم يجتمعون في مكان واحد . الأزل :
حبس المال وعدم إرساله للمرعى . يحشونها : يوقدونها .

صورة من الحيوان المتوحش والرحى والنار والولود والدخل :

٨١- مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذِمِيمَةً وَتَضُرَّ إِذَا ضُرَّيْتُمُوهَا فَتَضُرَّمْ

فَتَعْرِكُمْ عَرَكَ الرَّحَى بِشِفَاهَا وَتَلْقَحُ كِشَافًا ثُمَّ تُنْتِجُ فَتُنْتِجُ

فَتُنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانًا أَشَامَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتُفْطِمُ

فَتُغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيرٍ وَدِرْهَمٍ

٢ - الغارة

صورة من الخمر :

٨٢- فَصَبَّحَهُمْ بِهَا صَهْبَاءٌ صَرْفَاءُ كَأَنَّ رُغُوسَهُمْ بَيْضُ النَّعَامِ

٨٣- فَذُقْ غِيبًا مَا قَدَّمْتَ إِنِّي أَنَا الَّذِي

صَبَحْتُكُمْ فِيهِ السَّهَامُ يُرْجَدَا

٨٤- صَبَحْنَا الْحَيَّ مِنْ عَبَسٍ صَبُوحًا بِكَأْسٍ فِي جَوَانِبِهَا ثَمِيلٌ

٨٥- وَلَتُصْبِحَنَّكَ كَأْسُ سُومٍ فِي عَوَاقِبِهَا مَرَارَةٌ

(٨١) زهير بن أبي سلمى : المعلقة .

(٨٢) النابغة الذبياني . العقد الثمين : ص ٢٩ بيت ٢٧ .

(٨٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٤١ بيت ٥ .

(٨٤) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٣٣ بيت ١ .

(٨٥) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٢٠ بيت ٦٦ .

صور من الجراد :

٨٦- وَمُغِيرَةٌ سَوَّمَ الْجَرَادِ وَزَعَتْهَا

قَبْلَ الصَّبَاحِ بِشَيْئَانِ ضَامِرِ

٨٧- وَغَارَةٌ كَجَرَادِ الرِّيحِ زَعَزَعَهَا

مِخْرَاقُ حَرْبٍ كَنَصْلِ السِّيفِ يَهْلُولُ

٨٨- رَأَوْا غَارَةً تَحْوِي السَّوَامَ كَأَنَّهَا جَرَادٌ ضَحِيًّا سَارِحٍ مُتَوَرِّقٍ

٨٩- عَلَى حَنْقٍ صَبَّحَتْهُمْ بِمُغِيرَةٍ كَرَجُلٍ الدَّبَا الصَّيْفِيُّ أَصْبَحَ سَائِمًا

صورتان من اللدقح والبارك :

٩٠- تَنْسَى تِلَاثِي إِذَا مَا غَارَةٌ لَقِحتُ

تَخْرُجُ مِنْهَا الطُّوَالَاتُ السَّرَاعِيفُ

٩١- فَذَاقَ الْمَوْتَ مَنْ بَرَكَتْ عَلَيْهِ وَبِالنَّاجِينَ أَظْفَارُ دَوَامِ

صورة من النار :

٩٢- وَنَصْدُقُ فِي الصَّبَاحِ إِذَا التَّقِينَا وَلَوْ كَانَ الصَّبَاحُ جَحِيمَ جَمْرِ

(٨٦) ثعلبة بن صعير ، المفضليات ص ٢٦١ . المغيرة : القوم يغيرون . وزعتها : كففتها ورددتها . الشيطان : الشديد النظر الكثير الاشتراف .

(٨٧) طفيل الغنوى : ديوانه ص ٣٣ بيت ٢٠ .

(٨٨) متمم بن نويرة : النقائض ج ١ ص ٢٩٥ (مصر) .

(٨٩) أبو جندب الهذلي : ديوان الهذليين ص ٨٥ ، بيت ٥ .

(٩٠) عنزة العبسي : العقد الثمين ، ص ١ ، قصيدة ١٦ . الطوالات : يقصد الخيل .

السرايعف : السراع ، واحدتها سرعوفة .

(٩١) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٩ بيت ٢٨ .

(٩٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣٣ ، بيت ١١ .

صورتان من الحصن :

- ٩٣- كَأَنِّي غَدَاةَ الصُّمْدِ حِينَ دَعَوْتُهُ تَفَرَّعْتُ حِصْنًا لَا يُرَامُ مُرَدًّا
٩٤- مَعَا قَلْبُهُمْ آجَامُهُمْ وَنَسَاوُهُمْ ، وَأَيَّمَا نُنَّا بِالمُشْرِفِيَّةِ مَعْقِلُ

من الدرع والمجن :

- ٩٥- فَهُمْ دِرْعِي الَّتِي اسْتَلَّامْتُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ وَهُمْ مَجْنِي
٩٦- فَهُمْ دِرْعِي الَّتِي اسْتَلَّامْتُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ وَهُمْ مَجْنِي

من الرمح :

- ٩٧- فِيهَا فَوَارِسُ مُحَمَّدٍ لِقَاوُهُمْ مِثْلُ الْأَسْنَةِ لَا مِيلٌ وَلَا كُشْفُ
٩٨- فَتَى مِثْلُ نَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كَعَالِيَةِ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ أُرْوَعَا

من السيف :

- ٩٩- فَتَى مِثْلُ نَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كَعَالِيَةِ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ أُرْوَعَا

(٩٣) عبدالله بن عنمة : النقائض (مصر) ص ٥٤ .

(٩٤) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٢٤ .

(٩٥، ٩٦) النابغة الذبياني : العقد الثمين . قصيدة رقم ٢٩ بيت ١٥ ص ٣٠ .

(٩٧) الأعشى : ديوانه رقم ١٦٤ ، بيت ٤ ، ص ٢٤٩ .

(٩٨، ٩٩) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٦٧١ . وكرر البيت برقمين لأن فيه

صورتين . من الدرع ومن السيف .

١٠٠- وَغَارَةٍ كَجَرَادِ الرِّيحِ زَعَزَعَهَا

مَخْرَاقُ حَرْبٍ كَنَصْلِ السَّيْفِ بَهْلُولِ

١٠١- ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبُهُمْ وَبَقِيَتْ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا

١٠٢- عَجِبْتُ عُبَيْلَةً مِنْ فَتَى مُتَبَذِّلٍ عَارِي الْأَشَاجِعِ شَاحِبِ كَالْمُنْصُلِ

١٠٣- فَقَلَّدَ الْأَمْرَ بَنُو هَاجِرٍ مِنْهُمْ رَئِيسًا كَالْحَسَامِ الْبَرِيقِ

١٠٤- وَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ لَمْ يُوسَّدْ كَانَ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ

١٠٥- كَالْمُنْدُؤَانِي لَا يُخْزِيكَ مَشْهُدُهُ

وَسَطَ السُّيُوفِ إِذَا مَا تُضْرَبُ الْبُهُمُ

١٠٦- كَصَدْرِ السَّيْفِ أَخْلَصَهُ صَقَالٌ إِذَا مَا هُزَّ مَشْهُورًا حُسَامًا

(١٠٠) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٣٣ بيت ٢٠

(١٠١) عمرو بن معد يكرب . الحماسة ج ١ ص ٦٢ . فردا : لا صاحب لي يعينني على الأمور ، كالسيف لا ثاني له في غمده .

(١٠٢) عنزة العبسي : العقد الثمين ، قصيدة رقم / ٢٠ . متبذل : لابس المبذل وهو الثوب الخلق . الأشاجع : عروق ظاهر الكف ، وعاريها : أي ليس عليها لحم كثير . شاحب : متغير اللون .

(١٠٣) المهلهل : شعراء النصرانية ص ١٧٣ .

(١٠٤) عبدالله بن عنمة الحماسة ج ١ ص ٤٣١ ، والألاءة : شجرة معروفة . وشبه وجهه بالسيف الصقيل لصفائه ووضاءته . وذلك من سمات الشعبان .

(١٠٥) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين قصيده ١٧ ، ص ٩٨ . والبهمة : الجماعة ويقال للبطل بهمة (بضم الباء) وهو الذي لا يدري كيف جهة قتاله .

(١٠٦) الأعشى : قصيدة ٢٩ بيت ٣٧ . والصقال : الجلاء .

من المذاق :

١٠٧ — أَمَرٌ عَلَى أَفْوَاهٍ مِّن ذَاقَ طَعْمَهَا

مَطَاعِمُنَا يَمْجُجْنَ صَابًا وَعَلَقًا

من السم :

١٠٨ — وَهُمْ إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ نَوَاجِذَهَا

مِثْلُ اللَّيْثِ وَسُمُّ عَاتِقٍ نَقَعَا

صورة من القار :

١٠٩ — وَمَسَاعِرُ صَدِّ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طَلِي الْوُجُوهُ بِقَارِ

من الجبل :

١١٠ — وَكَأَنَّ الْمُنُونَ تَرْدِي بِنَا أُرْ عَنْ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ

مُكْفَهَرًا عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرُ تُوهُ لِلدَّهْرِ مُؤَيِّدُ صَمَاءِ

إِرْمِيٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتْ الْخَيْلُ فَأَبَتْ لِحْصَمِهَا الْأَجْلَاءُ

(١٠٧) حساس بن نشبة التيمي : الحماسة ج ١ ص ١٢٥ . الصاب : عصارة شجر مُمر والعلقم : الحنظل .

(١٠٨) الأعشى : ديوانه قصيدة ١٣ بيت ٤٥ .

(١٠٩) الربيع بن زياد : شعراء النصرانية ٧٩٣ .

(١١٠) الحارث بن حلزة : المعلقة . تردي : ترمي . أرعن له رعن - والجون هنا : الأسود ، العماء : السحاب . الاكفهرار : شدة العبوس . الرتو : الشد والإرخاء . المؤيد : الداهية العظيمة . الصماء : الشديدة ، إرمي : نسبة إلى إرم جد عاد . والأجلاء : جمع جلا ، والجلا : الأمر المنكشف .

من الصخرة : أو الهضبة :

١١١- حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْتِمِينَ بِكَبْشٍ
قَرَضِيَّ كَأَنَّهُ عِبْلَاءُ

من الظلام :

١١٢- مِنَّا بِشَجْنَةٍ وَالذُّنَابُ فَوَارِسُ
وَعَتَائِدٍ مِثْلُ السَّوَادِ الْمُظْلِمِ

من الضبي :

١١٣- كَمِ مِنْ فَتَى فِيهِمْ أَخِي ثَقَّةٍ حُرٍّ
أَغْرَّ كَغُرَّةِ الرُّثَمِ

من اللاعب :

١١٤- أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا
كَأَنَّ يَدَيَّ بِالسَّيْفِ مَخْرَاقُ لَاعِبٍ
١١٥- كَأَنَّ سُيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ
مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

(١١١) الحارث بن حلزة : المعلقة . قيس : يقصد قيس بن معديكرب . استلأم : لبس اللامة ، وهي الدرع . والقرظ : شجر يدبغ به الأديم . وقرظي نسبة إلى بلاد القرظ وهي اليمن . عبلاء : هضبة ، أو صخرة .

(١١٢) سنان بن أبي خارثة : المفضليات ، ص ٦٨٧ . وهذه أعلام كلها . مواضع .
(١١٣) عنزة العبسي : العقد الثمين ، قصيدة ٢٢ ص ٤٩ . أغر : خالص من العيوب كغرة الرثم : كصفاء لون الظبي .

(١١٤) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٣ بيت ٢١ .

(١١٥) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

١١٦- كَانَهُمْ حِينَ اسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ

بِذَاتِ اللَّظَى ، وَأَذْرَكَ الْقَوْمَ ، لَا عِبُ

من الصقور :

١١٧- وَعَلَى الْجِيَادِ الْمُضْمَرَا تِ فَوَارِسُ مِثْلُ الصُّقُورِ

١١٨- فَأَنْقَضَ مِثْلَ الصَّقْرِ يَقْدُمُهُ جَيْشُ كَغْلَانِ الشَّرِيفِ لِهِمْ

١١٩- فَعَلَيْهِ أَقْتَحِمُ الْهِيَاجَ تَقَحُّمًا فِيهَا وَأَنْقَضَ أَنْقِضَاضَ الْأُنْجَدِلِ

من الطواف :

١٢٠- تَعُودُ عَلَيْهِمْ وَتَمْضِيهِمْ كَمَا طَافَ بِالرُّجْمَةِ الْمُرْتَجِمُ

من القدح

١٢١- وَقَدْ عَلِمَ الْمَزْنُوقُ أَنِّي أَكْرُهُ عَشِيَّةَ فَيْفِ الرِّيحِ كَرَّ الْمَشَهَرِ

من الأصنام :

١٢٢- وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي أَكْرُهُ عَلَيْهِمْ عَشِيَّةَ فَيْفِ الرِّيحِ كَرَّ الْمَدُورِ

(١١٦) مالك بن خالد الهذلي : ديوان الهذليين ص ١٧١ .

(١١٧) المنخل اليشكري : شعراء النصرانية ص ٤٢٢ .

(١١٨) المرقش الأكبر : المفضليات ص ٤٩٠ بيت ٢٢ ، الغلان : جمع غال بتشديد اللام ، وهي أودية فيها شجر . الشريف : مكان بنجد . لهم : يلتهم كل ما يمر به .

(١١٩) عنتره العبسي : العقد الثمين ؛ قصيدة ٢٠ ص ٤٣ .

(١٢٠) الأعشى : قصيدة ٤ بيت ٣١ . والرجمة : حجارة كانوا ينصبونها على القبر ، ويطوفون حولها في الجاهلية .

(١٢١) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١١٦ بيت ٢ .

(١٢٢) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١١٩ بيت ٩ . والمدور : الذي يطوف بالدوار ، وهو صنم كانوا يطوفون حوله في أعيادهم .

من الشروق :

١٢٣ — فَاَنْفَرَجْتُ عَنْ وَجْهِهِ مُسْفِرًا مُنْبَلِجًا مِثْلَ انْبِلَاجِ الشُّرُوقِ

من الهلال :

١٢٤ — تَقُولُ هِلَالٌ خَارِجٌ مِنْ غَمَامَةٍ إِذَا جَاءَ يَجْرِي فِي شَلِيلٍ وَقَوْسٍ

من اللجام :

١٢٥ — وَإِنِّي كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ وَلَنْ تَرَى

أَخَا الْحَرْبِ إِلَّا سَاهِمَ الْوَجْهِ أَغْبَرَا

١٢٦ — مُطِلُّ كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ أَكَلَهُ أَلْ غَوَارُ وَلَمَّا تُكْسَ مِنْهُ الْجَنَاجِنُ

من الجذع :

١٢٧ — أَنَاسُ بَرْتَنَا الْحَرْبُ حَتَّى كَأَنَّنَا

جِذَالٌ حِكَاكٌ لَوَحْتَهَا الدَّوَاكِجُنُ

من النار :

١٢٨ — فَاتَّبَعْنَآذَاتُ أُولَانَا الْأُولَى مُوقِدَى الْحَرْبِ وَمُوفِي بِالْحَبَالِ

(١٢٣) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٣ .

(١٢٤) سنان بن أبي حارثة : المفضليات ص ٦٨٧ بيت ٤ .

(١٢٥) حاتم الطائي : شعراء النصرانية ، ص ١٢٨ .

(١٢٦) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٥٦ بيت ١٨ .

(١٢٧) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ص ١٥٧ بيت ٢١ .

(١٢٨) عبيد بن الابرس : ديوانه ص ٦٠ بيت ١٨ .

- ١٢٩- وفوارس كأوار حار النار أحلاس الذكور
 ١٣٠- يمشون والمادي فوقهم يتوقدون توقد الفحم
 ١٣١- إني وجدت بني سعد يفضّلهم كل شهاب على الأعداء مشبوب

من الجن :

- ١٣٢- وخمر كأقداح مسومات
 ١٣٣- عليها فوارس مخبورة
 ١٣٤- فأسمع فتياناً كجنة عبقر
 ١٣٥- أعيرتني إن نلت مني فوارساً
 ١٣٦- بخيل عليها جنة عبقرية
 ١٣٧- سريكين من صدأ الحديد كأنهم
 تحت السنور جنة البقار

(١٢٩) المنخل الدشكري : شعراء النصرانية ص ٤٢٢ .
 (١٣٠) عنبرة : العقد الثمين ص ٤٩ . المادي : الحديد كله ، وهو الدرع والمغفر والسلاح
 أجمع .
 (١٣١) سلامة بن جندل : المفضليات ص ٢٤٠ بيت ٣٠ ، والشهاب : أصله الشعلة الساطعة
 من النار .

- (١٣٢) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، قصيدة ٢٩ بيت ٢١ .
 (١٣٣) خفاف بن عمير : الأغاني ج ١٦ ص ١٤٠ .
 (١٣٤) متمم بن نويرة : النقائض (مصر) ج ٢ ص ٢٧٥ .
 (١٣٥) الحارث بن ظالم : أيام العرب ، ص ٢٤٣ .
 (١٣٦) زهير بن سلمى : العقد الثمين ، قصيدة ١٤ ص ٩٠ .
 (١٣٧) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، قصيدة ١٠ بيت ١٣ ص ٩ .

١٣٨- فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ جِبَالَ أُنُوبَى غَدَاةً تَسْرَبُلُوا حَلَقَ الْحَدِيدِ

إِذَا لَظَنَنْتَ جَنَّةَ ذِي عَرِينٍ وَآسَادِ الْغَرِيفَةِ فِي صَعِيدِ

١٣٩- بَيْضِ الْوُجُوهِ، غَدَاةَ الرَّوْعِ تَحْسِبُهُمْ

جَنَّانُ عَيْنٍ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالزَّعْفُ

من الثعبان :

١٤٠- أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ

نَحْشَاشٌ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ الْمَتَوَقِّدِ

١٤١- جَوَادَا إِذَا مَا النَّاسُ قَلَّ جَوَادُهُمْ

وَسَفَا إِذَا مَا صَارِخُ الْقَوْمِ أَفْزَعَا

١٤٢- مَتَى تَلَقَّوْا رَجَالَ الْأَوْسِ تَلَقَّوْا

لِبَاسَ أَسَاوِدٍ وَجُلُودَ نَمْرٍ

١٤٣- يَرَى النَّاسُ مِنَّا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِحٍ

وَفَرَوَةَ ضَرْغَامٍ مِنَ الْأُسْدِ ضَيْغَمٍ

(١٣٨) المثقب العبدى : شعراء النصرانية ، ص ٤١٥ .

(١٣٩) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٦٤ ص ٢٤٩ .

(١٤٠) طرفة بن العبد : المعلقة .

(١٤١) معقل بن خويلد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٢٢ بيت ٣ .

(١٤٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٣٣ بيت ١٠ .

(١٤٣) جابر بن حني : المفضليات ص ٤٤١ بيت ٢٧ .

- ١٤٤- يَعْكَفُنْ مِثْلَ أَسَاوِدِ التَّنُورِ لَمْ تَعْكَفْ بِزُورِ
 ١٤٥- كَحَيَّةِ سَلْعٍ مِنَ الْقَاتِلَاتِ تَقْدُّ الصَّرَامَةَ عَنْكَ الْقَمِيصَا
 ١٤٦- إِنْ يَغْضِبُوا يَغْضَبُ لَذَاكَ كَمَا يَنْسِلُ مِنْ خِرَاشَاتِهِ الْأَرْقَمِ
 ١٤٧- حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَرَبْدٌ لَا تَنْفَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْسُهُ رَاقٍ

من الابل :

- ١٤٨- بَنُو الْحَرْبِ يَوْمًا إِذَا اسْتَلَّامُوا
 حَسِبْتَهُمْ فِي الْحَدِيدِ الْقُرُومَا
 ١٤٩- إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا
 إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالَ الْجِمَالِ الْمَصَاعِبِ
 ١٥٠- رَجَالٌ مَتَى يُدْعَوْنَ إِلَى الْمَوْتِ يُرْقَلُوا
 إِلَيْهِ كَارْقَالِ الْجِمَالِ الْمَصَاعِبِ
 ١٥١- وَإِنَّا أَنَاسٌ يَعْتَدِي الْبَاسَ خَلَفْنَا
 كَمَا يَعْتَدِي الْمَاءُ الظِّهَاءَ الْحَوَائِمُ

- (١٤٤) المنتخل الإشكري : شعراء النصرانية ، ص ٢٢٢ .
 (١٤٥) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٣١ بيت ١٣ .
 (١٤٦) المرقش الأكبر : المفضليات ص ٤٩٠ بيت ٢٣ . الخرشاء : جلد الحية .
 (١٤٧) المهلهل : شعراء النصرانية ص ١٧٨ .
 (١٤٨) ربيعة بن مقروم : المفضليات ص ٣٦٠ بيت ٢٨ .
 (١٤٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٣ بيت ١٦ .
 (١٥٠) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٢ بيت ١٣ .
 (١٥١) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٩ بيت ١٩ . يعتدي البأس : يتسابق إليه . خلفنا :
 نسلنا وذريتنا .

١٥٢— يَمْشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْأَرْوَاحِ كَمَا
تَمْشِي جِجَالُ مَصَاعِبُ قُطُفُ

صورتان من النمر :

١٥٣— مَتَى تَلْقُوا رِجَالَ الْأَوْسِ تَلْقُوا لِبَاسَ أَسَاوِدٍ وَجُلُودَ نُمُرٍ
١٥٤— قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقَدًّا

صور من الأسد :

١٥٥— كَمَا تَمْشِي الْأَسُودُ فِي رَهْجِ السَّمَوَاتِ إِلَيْهِ ، كَلَّهْمُ لَيْفُ
١٥٦— وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْمَنَائِيَا عَلَيْهِمْ
بَلْيُوثٍ مِنْ عَامِرٍ وَجَنَابِ
١٥٧— بِكُلِّ مَجْرَبٍ كَالْيَثِ يَسْمُو عَلَى أَوْضَالِ ذِّيَالٍ رِفْنٍ
١٥٨— وَهُمْ إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا
مِثْلُ اللَّيُوثِ وَسُمُّ عَاتِقُ نَقَعَا

(١٥٢) مالك بن عجلان : أيام العرب ص ٦٤ . والقطف : البطيئة الخطو .

(١٥٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣٣ بيت ١٠ .

(١٥٤) عمرو بن معديكرب : الحماسة ج ١ ص ٥٠ . والحلق : الدرع المنسوجتين حلقتين
حلقتين . والقدر : اليلب ، وهو شبه درع كان يتخذ من الجلد غير المدبوغ .

(١٥٥) مالك بن عجلان : أيام العرب ص ٦٤ . والرهج : الغبار .

(١٥٦) زهير بن جناب : شعراء النصرانية ص ٢٠٩ .

(١٥٧) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٣١ .

(١٥٨) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٣ بيت ٤٥ .

- ١٥٩- وَكُلَّ جَرْدَاءٍ مِثْلَ السَّهْمِ يَكْنُفُهَا
 مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ لَيْثٌ لَهُ حَسَبٌ
 ١٦٠- أَكْنَفُهَا كُلُّ فَارِسٍ بَطَلٍ أَغْلَبَ كَاللَّيْثِ عَادِيًا حَرَبًا
 ١٦١- قَوْلًا لِدُودَانَ عَبِيدِ الْعَصَا مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ
 ١٦٢- أَسَدٌ فِي اللَّقَاءِ وَرَدُّهُمُوسٌ وَرَبِيعٌ إِنْ شَمَرَتْ غُبْرَاءُ
 ١٦٣- وَكَانُوا كَأَنْفِ اللَّيْثِ لَا شَمَّ مُرْغَمًا
 وَلَا نَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى تَعَفَّرَا
 ١٦٤- فِي أُسْرَةٍ يَوْمَ الْحَفَاطِ مَصَالِتِ
 كَالْأَسَدِ لَا يُنْمَى لَهَا بِفَرِيسِ
 ١٦٥- سَعَالِيٌّ يَحْمِلُنَ مِنْ تَغْلِبِ فِتْيَانِ صَدَقَ كُلُّوْثِ الطَّرِيقِ
 ١٦٦- فِتْيَانِ حَرْبٍ فِي الْحَدِيدِ وَشَامِرِينَ كَأُسْدٍ غَابَهُ

- (١٥٩) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٧ .
 (١٦٠) السموأل بن عاديا : ديوانه ص ١٩ .
 (١٦١) امرؤ القيس : العقد الثمين ، قصيدة ٥١ .
 (١٦٢) الحرث بن حلزة : المعلقة . الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة . الهمس : صوت القدم ، وجعل الأسد هموساً لأنه يسمع من رجليه في مشيه صوت . غبراء : سنة شديدة لا غبار الهواء فيها .
 (١٦٣) جساس بن نشبة التيمي : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٢٥ .
 (١٦٤) عبید بن الأبرص : ديوانه ص ٤٣ بيت ٢٠ . والأسرة : الجماعة والعشيرة . مصالت : أي أصلتوا سيوفهم وأخرجوها من أغمادها . والفريس : ما افترسته وهو دق العنق .
 (١٦٥) المهلهل : شعراء النصرانية ص ١٧٤ .
 (١٦٦) أحيحة بن الجلاح : أيام العرب ص ٦٩ .

١٦٧— أُسْدُ غَابٍ، فَإِذَا مَا فَرَّعُوا غَيْرُ أَنْكَاسٍ وَلَا أُهْوجٍ هُذُرُ

١٦٨— وَفَتِيَّةٍ كَلْيُوثُ الْغَابِ مِنْ أُسْدٍ

مَا لِلنَّدَى عَنْهُمْ نَزْحٌ وَلَا شَحَطُ

١٦٩— بِشَبَابٍ وَكُهُولٍ نُهْدٍ كَلْيُوثُ بَيْنَ عَرَّيسِ الْأَجَمِ

١٧٠— وَأَنِّي أَكْرُهُ إِذَا أُحْجِمُوا بِأَكْرَمٍ مِنْ عَطْفَةِ الضَّيِّعِ

١٧١— يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا

خَبَبَ السَّبَاعِ بِكُلِّ أَكْلَفٍ ضَيِّعِ

١٧٢— يَرَى النَّاسُ مِنَّا جِلْدَ أُسُودَ سَالِحٍ

وَفَرُوقَ ضِرْغَامٍ مِنَ الْأُسْدِ ضَيِّعِ

١٧٣— وَطِمْرَةٌ كَالسَّيِّدِ يَغَاوُفُوقَهَا ضِرْغَامَةٌ عَبْلُ الْمَنَاكِبِ أَغْلَبِ

١٧٤— ثُمَّ ابْتَعَشْنَا أُسُودَ عَادِيَةٍ مِثْلَ السَّعَالِي قَدْ آنَسَتْ فَرَاعَا

(١٦٧) طرفة بن العبد : العقد الثمين ، ص ٦٢ . النكس : الضعيف . الأهوج : الأحمق . الهذر : الكثير الكلام .

(١٦٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٦٤ بيت ١٨ .

(١٦٩) طرفة بن العبد : العقد الثمين ، ص ٧٠ . نهـد : متعاونون . العريس والعريسة : موضع الأسد من الأجمة .

(١٧٠) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٢٥ بيت ٤ .

(١٧١) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٨١ بيت ١٢ .

(١٧٢) جابر بن حني : المفضليات ص ٤٤ بيت ٢٧ .

(١٧٣) عبيد بن الأبرص : ص ١٥ بيت ١٧ .

(١٧٤) ذو الأصبع العدواني : شعراء النصرانية ، ص ٦٣٢ .

١٧٥ — كَالْغَيْثِ مَا اسْتَمَطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ

وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ الْمُسْتَأْسِدُ الضَّارِي

١٧٦ — وَشُوشَا مِنْ بَنِي جُشَمٍ تَرَاهَا غَدَاةَ الرَّوْعِ كَالْأُسْدِ الضَّوَارِي

١٧٧ — عَلَيْهَا أُسُودٌ ضَارِيَاتٌ لَبُوسُهُمْ

سَوَابِغُ بَيْضٌ لَا تُخْرِقُهَا النَّبْلُ

١٧٨ — فَاهْضُرْ كَهْضُرِ اللَّيْثِ خَضْبَ مِنْ فَرِيَسَتِهِ التَّلِيلَا

١٧٩ — وَقُلْتُ يَا قَوْمُ إِنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ

عَلَى بَرَاثِنِهِ لِلْوَثْبَةِ الضَّارِي

١٨٠ — فَلَمَّا اسْتَقَلَّ كَلَيْثِ الْعَرِيفِ زَانَ الْكَتِيَّةِ أَعْوَانُهَا

١٨١ — إِذَا لَطَنْتَ جَنَّةَ ذِي عَرِينٍ وَأَسَادَ الْغَرِيفَةِ فِي صَعِيدِ

١٨٢ — مِنْ كُلِّ سَابِجَةٍ وَأَجْرَدَ سَابِحٍ تَرْدِي بِأُسْدٍ خَفِيَّةٍ وَصَعَادِ

١٨٣ — تَغْدُو بِأَكْلَفٍ مِنْ أُسُو دِ الرُّقْمَتَيْنِ حَلِيفِ زَارِهِ

(١٧٥) الأعشى : قصيدة رقم ٢٤ بيت ٤ .

(١٧٦) البراق : شعراء النصرانية ص ١٤٣ ،

(١٧٧) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ص ٩٠ .

(١٧٨) ذو الأصبغ العدواني : شعراء النصرانية ، ص ٦٣٣ .

(١٧٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ١٤ قصيدة ١١ بيت ٢ .

(١٨٠) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٩ بيت ٨ .

(١٨١) المثقب العبدى : شعراء النصرانية ص ٤١٥ .

(١٨٢) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٦ بيت ٤٢ . والصعود : جمع صعدة ، وهي : القناة

المستقيمة .

(١٨٣) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٢٠ بيت ٥١ . والزارة : الأجمة . والرقمتان : روضتان

بناحية الصمان . والرقمة : جانب الوادي أو مجتمع مائه .

١٨٤— إِذَا مَا سَمِعْتَ الزَّجَرَ يَمْنَنُ مُقَدَّمَا

عَلَيْهَا أَسْوَدُ الرَّقْمَتَيْنِ الضَّرَاغِمِ

١٨٥— لَيْثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

١٨٦— كَلَّا أَخَوَيْنَا ذَوْرَ جَالٍ كَأَنَّهُمْ أَسْوَدُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ ضَيْغَمِ

١٨٧— فَإِنَّ الْمُوْعِدِيَّ يَرَوْنِ دُونِي أَسْوَدَ خَفِيَّةَ الْغُلْبِ الرَّقَابَا

كَأَنَّ عَلَى سَوَاعِدِهِنَّ وَرْسًا عِلَا لَوْنِ الْأَشَا جَعِ أَوْ خِضَابَا

١٨٨— بِأَسَدٍ مِنَ الْفِرْزِ غُلْبِ الرَّقَابِ

مَصَالِيَتَ لَمْ يُخْشَ إِذْ هَانُهَا

١٨٩— فَقُلْ لِبَنِي عَمِّي فَقَدْ— وَأَبِيهِمْ—

مُنُوا بِهَرِيَّتِ الشَّدَقِ أَشْوَسَ أَغْلَبَ

١٩٠— لَمَّا أَحْسَبَ أَنَّ الْوَرْدَ مُدْرِكُهُ وَصَارَ مَا وَرَيْطَ الْجَاشِ ذَا لُبْدِ

١٩١— لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدَّفِ

لَهُ لِبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقْلَمَ

(١٨٤) الأعرشى : قصيدة ٩ بيت ١٥ .

(١٨٥) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، ص ٨٥ بيت ٣٠ .

(١٨٦) بعض بني أسد : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٨٧ . والشرى : مأسدة .

(١٨٧) ربيعة بن مقروم : الحماسة ج ١ ص ٢١١ . خفية مأسدة . ومعنى البيت الثاني :

أن هذه الأسود دائمة الافتراس ، لا يفارق الدم سواعدها .

(١٨٨) سلامة بن جندل : النقائض (مصر) ج ١ ص ١٣٥ . والفرز : سعد بن زيد مناة .

(١٨٩) مجهول : الحماسة ج ١ ص ١١٣ . الهرية : الواسع . الأشوس : الغضببان المتكبر .

(١٩٠) زيد الخيل : الأغاني ج ١٦ ص ٥٤ .

(١٩١) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، ص ٩٦ .

١٩٢- كَلَيْثِ أَبِي شَبْلِينَ يَحْمِي عَرِينَهُ

إِذَا هُوَ لَاقَى نَجْدَةً لَمْ يُعَرِّدْ

١٩٣- لِيُوثُ لَهَا الْأَشْبَالَ تَحْمِي عَرِينَهَا

مَدَاعِيسُ بِالْخَطِّ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

١٩٤- كَانَهُمْ أَسَدٌ لَدَى أَشْبَلٍ يَنْهَتَنِ فِي غِيلٍ وَأَجْزَاعٍ

١٩٥- أَمَّا إِذَا كَانَ الضَّرَابُ فَإِنَّهُمْ أَسَدٌ لَدَى أَشْبَاهِنَ حَوَانِي

١٩٦- غُرٌّ جَحَاجِحَةٌ بَيْضٌ مَرَازِبَةٌ أَسَدٌ تَرَبَّتُ فِي الْغَيْطَانِ أَشْبَالًا

١٩٧- وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةٍ إِذْ يَقَعُ الصُّرَاخُ وَلُجَّ فِي الذُّعْرِ

١٩٨- وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةٍ إِذْ تُشَدُّ الْمَنَاطِقُ تَحْتَهَا الْخَلْقُ

١٩٩- وَأَحْلَمُ مِنْ قَيْسٍ وَأَجْرًا مُقَدَّمًا

لَدَى الرَّوْعِ مِنْ كَيْثٍ إِذَا رَاحَ حَارِدًا

(١٩٢) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، ص ٨٠ .

(١٩٣) حسان بن ثابت : ديوانه ص ١٣١ .

(١٩٤) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ص ١٧٠ بيت ١٤ . ينهتن : يزأرن . الأجزاء :

الجوانب .

(١٩٥) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٥٠ بيت ٧ .

(١٩٦) أمية بن أبي الصلت : شعراء النصرانية ، ص ٢٣٢ .

(١٩٧) المسيب بن علس : ديوان الأعشى ، ص ٣٥٣ .

(١٩٨) المسيب بن علس : ديوان الأعشى ، ص ٣٥٦ .

(١٩٩) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٧ بيت ١٥ . حارد : غضبان .

- ٢٠٠- فما مُخْدِرُ وَرْدٍ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ يَصِيدُ الرِّجَالَ كُلَّ يَوْمٍ يُنَازِلُ
- ٢٠١- وما مُخْدِرُ وَرْدٍ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ أَبُو أَشْبِلٍ أَمْسَى بِخَفَّانٍ حَارِدَا
- ٢٠٢- وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ فِي الْأَعَادِي كُلِّهَا مِنْ مُخْدِرٍ لَيْثٍ مُعِيدٍ وَقَاعِ
- يَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ الْكَثِيرِ سِلَاحَهُمْ فَيَبِيتُ مِنْهُ الْقَوْمُ فِي وَغَوَاعِ
- ٢٠٣- وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ حِينَ تَتَّجُهُ أَلْ أَبْطَالُ مِنْ لَيْثٍ أَبِي أَجْرٍ
- وَرْدٍ عَرَاضِ السَّاعِدَيْنِ حَدِيدِ النَّابِ بَيْنَ ضَرَاغِمٍ غُثْرٍ
- يَصْطَادُ أَحْدَانِ الرِّجَالِ فَمَا تَنْفَكُ أَجْرِيهِ عَلَى ذُخْرِ
- ٢٠٤- مَا مُشْبِلٌ وَرْدُ الْجَبِينِ مُهَرَّتُ الشُّدْقَيْنِ بَاسِلُ
- الْقَادِسِيَّةُ مَا لَفَ مِنْهُ فَأَوْدِيَّةُ الْغَيَاطِلِ
- يَدْعُ الْوَحَادَ مِنَ الرِّجَالِ لِيَعْتَمِي جَمْعَ الْمَحَافِلِ
- يَوْمًا بِأَصْدَقَ حِمْلَةٍ مِنْهُ عَلَى الْبَطْلِ الْمَنَازِلِ

- (٢٠٠) زهير بن أبي سلمى : مختارات ابن الشجري ص ٦٤ . والخدر : الأسد الملازم خدره ، وهو أدعى للهيبة منه .
- (٢٠١) الأعشى : ديوانه ، قصيدة رقم ٧ بيت ١٤ .
- (٢٠٢) المسيب بن علس : ديوان الأعشى ، ص ٣٥٥ .
- (٢٠٣) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين : ص ٨٢ ، القصيدة رقم ٤ . تتجه الأبطال : يتقابلون في الحرب وجهاً لوجه . أجر جمع جور ، وهو ولد الأسد . ورد : تعلو لونه حمرة . والعراض كالعريض الواسع ، حديد الناب : حاده . غثر : غبر .
- (٢٠٤) الأعشى ، ديوانه ، قصيدة رقم ٧٠ الأبيات ١٤ - ١٧ . مشبل : أسد أبو أشبال . مهرة الشدقين : واسعهما . باسل : كرية الوجه . القادسية : قرية قرب الكوفة . مالف : اسم مكان من ألف المكان إذا تعوده وأنس به . الغياطل : جمع غيطل (على وزن جعفر) وهو الأجمة والشجر الكثيف الملتف . يعتمي : يختار ويقصد . المحافل : جمع محفل وهو مجتمع القوم ، أي يترفع عن مهاجمة الأفراد ولا يهاجم إلا الجماعات .

٢٠٥ — فَمَا خَادِرٌ مِنْ أَسَدٍ حَلِيَّةٍ جَنَّهُ

وَأَشْبَلَهُ ضَافٍ مِنَ الْغِيلِ أَحْصَدُ
أَرَكَ وَأَثْلٌ قَدْ تَحَنَّتْ فُرُوعُهُ
إِذَا احْتَضَرَ الصَّرْمُ الْجَمِيعُ فَإِنَّهُ
وَقَامُوا قِيَامًا بِالْفِجَاجِ وَأَوْصَدُوا
يَقْضُمُ أَعْنَاقَ الْمَخَاضِ كَأَنَّمَا
بِمَفْرَجِ لَحْيَيْهِ الزَّجَاجِ الْمَوْتَدُ
بَأَصْدَقَ بَأْسًا مِنْ خَلِيلِ ثَمِينَةٍ
وَأَمْضَى إِذَا مَا أَفْلَطَ الْقَائِمَ الْيَدُ
٢٠٦ — فَمَا مُخْدِرٌ وَرَدُّ كَأَن جَبِينَهُ
يَطْلِي بَوْرْسٍ أَوْ يُطَانُ بِمُجْسَدٍ

(٢٠٥) ساعدة بن جؤبة : ديوان الهذليين ، ص ٢٣٨ . خادر ومخدر واحد والأحصد : المكتنز ، الغيل : ما كشف من الشجر ، يكون من الطرفاء والبردى والقصب . تحنت : تشنت . أسلوب : طريقة . طوال : أي من شجر طوال . يقول : هو نبت منه شجر طوال ، ومنه قصار ليس بالطوال . الصرم : الجماعة من البيوت ليس بالكثير . واحتضر الصرم : أي رجعوا بمواشيهم . ينهد : ينهض إليهم وينتهي إليهم . أي إذا رجعوا بمواشيهم هجم عليهم . أوصدوا : أغلقوا أبوابهم . يتورد : يغشاهم في بيوتهم . يقضم يكسر . مفرج لحية : متفتح لحية ، يريد فاه . الزجاج : يقصد زجاج الرماح . الموتد : أي كأن زجاج الرماح في أنيابه ، أي كأنها رماح وتدت . أي ثبتت كما يثبت الموتد . ثينة : بلد . و خليل ثينة : صاحب هذا البلد . أفلطه : فاجأه مفاجأة . القائم : قائم السيف .

(٢٠٦) الأعشى : ديوانه . قصيدة ٢٨ الأبيات ٢١ - ٣٠ . بورس : نبات كالسمسم أصفر يزرع في اليمن ويصبغ به . الجسد : الزعفران . ثوب مجسد : مصبوغ بالزعفران . يطان : يطل . القريتان : مكة والطائف القطيفة : نوع معروف من النسيج له وبر . تزند : غضب وضاق صدره . التبان : سراويل صغيرة يلبسها الفلاحون والمصارعون (فارسي معرب) . النبط : جيل كان يسكن العراق . محصد : زرع حان حصاده . الأثل والغرقد : نوعان من الشجر . السعير : النار . دنيا : مؤنث أدنى من الدنو وهو القرب . الممتد : الممدد والمهيا . أتبع : هبى ، وقدر . ما في غد : خبر المبتدأ الذي هو مرجاة . وغد الثانية توكيد للأولى ، أي إن رجاءهم لما في غد قد حملهم على الهزار . الرهينة : الأسير . المساك : الاحتباس والثبات والاعتصام . أسمع أولى الدعوتين : صاح صيحة واحدة ثم لم يمهله الأسد ليصيح صيحة ثانية . قد : اسم فعل بمعنى يكفي . البأس : القوة . النجدة : إغاثة المستغيث . خام : نكس وجبن .

كَسَتْهُ بَعُوضُ الْقَرِيتَيْنِ قَطِيفَةً مَتَى مَا تَنَلْ مِنْ جِلْدِهِ يَتَزَنَّدُ
 كَانَ ثِيَابَ الْقَوْمِ حَوْلَ عَرِينِهِ تَبَايُنُ أَنْبَاطٍ إِلَى جَنْبٍ مُخَصَّدُ
 رَأَى ضَوْءَ نَارٍ بَعْدَ مَا طَافَ طَوْفَةً يُضِيءُ سَنَاها بَيْنَ أَثَلٍ وَغَرَقَدُ
 فَيَا فَرَحاً بِالنَّارِ إِذْ يَهْتَدِي بِهَا إِلَيْهِمْ وَإِضْرَامِ السَّعِيرِ الْمُوقَدُ
 فَلَمَّا رَأَوْهُ دُونَ دُنْيَا رِكَابِهِمْ وَطَارُوا سِرَاعاً بِالسَّلَاحِ الْمَعْتَدُ
 أُتِيحَ لَهُمْ حُبُّ الْحَيَاةِ فَأَذْبَرُوا وَمَرَجَاةُ نَفْسِ الْمَرْءِ مَا فِي غَدِ غَدِ
 فَلَمْ يَسْبِقُوهُ أَنْ يُبْلَاقِي رَهِينَةً قَلِيلَ الْمَسَاكِ عِنْدَهُ غَيْرُ مُتَدِي
 فَأَسْمَعَ أَوَّلَى الدَّعْوَتَيْنِ صَحَابَهُ وَكَانَ آتِي لَا يَسْمَعُونَ لَهَا قَدِ
 بِأَصْدَقَ بَأْساً مِنْكَ يَوْماً وَنَجْدَةً إِذَا خَامَتِ الْأَبْطَالُ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

صور الجبان من الشحمة والكلب والقصب :

٢٠٧ — وَلَكِنِّي لَا أَبْعَثُ الْحَرْبَ ظَالِماً
 وَلَوْ هَجَّتْهَا لَمْ أَفْ شَحْمَةً آكِلِ
 ٢٠٨ — وَلَا نُشَبَّهُهُ بِالْكِلَا بِ عَلَى الْمِيَاهِ مِنَ الْحَرَارَةِ
 ٢٠٩ — شَهِدْتُ طَرَادَهَا فَصَبَرْتُ فِيهَا إِذَا مَا هَلَّلَ النَّكْسُ الْيَرَاعَ

(٢٠٧) أيام العرب : ص ٣٤٦ .

(٢٠٨) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٢٠ بيت ٦٢ ، يقصد أننا لا نستدل ولا نطرد على المياه كما تطرد الكلاب ، بل نفرض أنفسنا على المياه ، ونردها أول الواردين .

(٢٠٩) ربيعة بن مقروم : المفضليات ص ٣٧٥ بيت رقم ١٠ . هلل : جبن ورجع .
 النكس : الوغد من الرجال . واليراع : الجبان الذي لا جرأة له ولا صبر في الحرب ، شبه باليراعة وهي القصة المحوفة ، فكأنه لا قلب له .

٤ — الخيل

صورتان من الحصن :

٢١٠ — مَا لَنَا فِيهَا حُصُونٌ غَيْرُ مَا لَا مُقَرَّبَاتِ الْجُرُودِ تَرُدِّي بِالرَّجَالِ

٢١١ — خُرُوجُ أَضَامِيمٍ وَأُحْصَنُ مَعْقِلٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْجِيَادُ مَعَاقِلُ

صورة من الرمح :

٢١٢ — نَطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرُودَ كَالْقَنَا
وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْعَرِيَّ الْمُقَوِّمًا

٢١٣ — لَقِينَاهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْخَيْلَ كَالْقَنَا
وَيَسْتَسْلِبُونَ السَّمْعَرِيَّ الْمُقَوِّمًا

٢١٤ — يُوَاغِلُ جُرْدًا كَالْقَنَا حَارِثِيَّةً عَلَيْهَا قَنَانٌ وَالْحِمَاسُ وَرَعْبَلُ

٢١٥ — فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةً بِلِجَامِهَا وَإِلَّا طِمِرُ كَالْقَنَاءِ نَجِيبُ

(٢١٠) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٦٠ بيت ١٦. المقربات : الخيل تقرب إليهم في البيوت.

(٢١١) مزرد : المفضليات ص ١٦٦ بيت ٦٠.

(٢١٢) الحصين بن الحمام : المفضليات ص ١٠٦ بيت ٩.

(٢١٣) زيد الخيل : الأغاني ج ١٦ ص ٥٥.

(٢١٤) يزيد بن عبد المدان : شعراء النصرانية ، ص ٨٧.

(٢١٥) علقمة الفحل : العقد الثمين ، قصيدة رقم ٢ بيت ٣٥ ص ١٠٧.

٢١٦- وَتَسْتَلِبُ الْحَوْءَ الْعَوَائِسَ كَالْقَنَا

سَوَاهِمَ يَحْمِلُنَ الْوَشِيجَ الْمُقَوِّمًا

٢١٧- جَرْدَاءُ كَالصَّعْدَةِ الْمُقَامَةِ لَا قُرُؤَ زَوَى مَتْنَهَا وَلَا حَرِمُ

٢١٨- بَرَا وَقَعَهَا الصَّوَّانَ حَدَّ نُسُورِهَا

فَهْنٌ إِطَافٌ كَالصَّعَادِ الذُّوَابِلِ

٢١٩- أَمَّا إِذَا أَسْتَقْبَلْتَهَا فَكَأَنَّهَا ذُبُلْتُ مِنَ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ يَبُوسِ

صور من القوس :

٢٢٠- وَعُوجٌ كَأَحْنَاءِ السَّراءِ مَطَّتْ بِهَا

مَطَارِدُ تَهْدِيهَا أَسِنَّةٌ قَعُضَبِ

٢٢١- بِشُعْثٍ مَعَطَّلَةٍ كَالْقِسِيِّ غَزُونٌ مَخَاضًا وَأُذَيْنَ حَوْلًا

(٢١٦) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٤٢ بيت ٣ . الحو : جمع أحوى والأنثى حواء : والاسم الحوة ، وهي كدرة تضرب إلى السواد . سواهم : متغيرة . الوشيح : الرماح وشبه الخيل بها لدقتها وضمورها وطولها .

(٢١٧) الجيـح الأسدي : المفضليات ص ٤٦ بيت ٦ . والصعدة : القناة . زوى متنها : قبضه وشنجه . حرم : حرمان . يقصد أنها كانت في عناية وحسن تعهد ولم تحرم حسن الغذاء فتهازل .

(٢١٨) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، قصيدة ٢٠ بيت ٢١ ص ٢٢ .

(٢١٩) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٣ بيت ١٥ .

(٢٢٠) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٥ بيت ١٧ .

(٢٢١) زهير بن أبي سلمى . معطلة : لا أرسان عليها . مخاض : حوامل . حولاً : ألقين ما في بطونهن . أدين : رددن إلى أهلن .

٢٢٢- وَنَحْنُ الْأُولَى قَدْ نَا الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَى

كَمَا لَوْحِ الْقَوَاسِ نَبْعًا وَسَاسًا

٢٢٣- وَجَرْدَاءِ مُرَاحِ نَبِيلِ حَزَامِهَا طُرُوجِ كَعُودِ النَّبْعَةِ الْمُتَنَخَّبِ

٢٢٤- وَجِيَادًا كَأَنَّهَا قُضِبُ الشَّوْ حَطِ تَغْدُو بِشِكَّةِ الْأَبْطَالِ

صور من السهم ،

٢٢٥- وَكُلَّ جَرْدَاءٍ مِثْلَ السَّهْمِ يَكْنُفُهَا

مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ لَيْثٌ لَهُ حَسَبُ

٢٢٦- أَثَرْنَ عَجَاجَةً فَخَرَجْنَ مِنْهَا كَمَا خَرَجْتَ مِنَ الْغَرَضِ السَّهَامُ

٢٢٧- تَحْتِ مُضَبَّرَةٍ جَرْدَاءٍ عَجَلِزَةٍ كَالسَّهْمِ أَرْسَلَهُ مِنْ كَفِّهِ الْغَالِي

٢٢٨- بِأَسْرَعَ مِنْهَا ، وَلَا مِزْعُ يُقْمَصُّهُ رَاكِضُهُ بِالْوَتَرِ

٢٢٩- الْقَائِدُ الْخَيْلَ الْجِيَا دَ ضَوَامِرًا مِثْلَ الْمَغَالِي

(٢٢٢) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٢٨ بيت ٥ .

(٢٢٣) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٥ بيت ١٥ .

(٢٢٤) الأعشى : ديوانه . قصيدة رقم ١ بيت ٤٨ . الشكة : السلاح .

(٢٢٥) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٧ .

(٢٢٦) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٥٧ بيت ٢٦ .

(٢٢٧) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٢٤ بيت ١٠ . والمضبرة : المدججة . العجلزة :

الشديدة . الغالي : الذي يغلو بالسهم أي يباعده .

(٢٢٨) أبي بن سلمى بن ربيعة : ديوان الحماسة (مصر) ج ١ ص ٢٨٦ . المنزع :

السهم ؛ يقمص : يحري . والركض : تحريك الفارس وجليه على الفرس عند الاستحثاث ، وجعل

للكرض للوتر لأنه هو الذي يدفع السهم .

(٢٢٩) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ٧١ بيت ٣ . والمغالي : جمع مغلاة (بكسر فسكون)

وهو السهم الذي يغلى به أي يرمى به إلى أقصى الغاية .

٢٣٠ - وَضُمِرَ كَالْقَدَاحِ مَسُومَاتٌ عَلَيْهَا مَعْشَرُ أَشْبَاهِ جَنٍّ
٢٣١ - أَهْ طُحِرُ عَوْجٌ كَانَ مَضِيغَهَا قِدَاحٌ بَرَاهَا صَانِعُ الْكَفِّ نَابِلٌ

صورة من الملعب والخنروف :

٢٣٢ - مِنَ الْغَزْوِ وَأَقْوَرَّتْ كَانَ مَتُونَهَا

زَحَالِيفُ وَلِدَانٍ عَفَتْ بَعْدَ مَلْعَبِ

٢٣٣ - أَبْنَتْ فَمَا تَنْفَكُ حَوْلَ مَتَالِيعِ لَهَا مِثْلُ آثَارِ الْمُبَقَّرِ مَلْعَبِ

١٣٤ - يَذِيْقُ الَّذِي يَعْلُو عَلَى ظَهْرِ مَتْنِهِ ظِلَالٌ خَذَارِيفٍ مِنَ الشَّدِّ مَلْهَبِ

٢٣٥ - إِذَا قِيلَ نَهْنَهْنَهَا وَقَدْ جَدَّ جَدُّهَا

تَرَامَتْ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ الْمُثَقَّبِ

صورة من الصخرة والحجر :

٢٣٦ - نَهْدُ الْقَطَاةِ كَأَنَّهَا مِنْ صَخْرَةٍ

٢٣٧ - وَسَلْمَبَةٌ تَنْضُو الْجِيَادَ كَأَنَّهَا رَدَاةٌ تَدَلَّتْ مِنْ فُرُوعِ يَأْمَلَمِ

(٢٣٠) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٣ .

(٢٣١) المزرد : المفضليات ص ١٦٦ . بيت ٢٦ .

(٢٣٢) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٨ . بيت ٢٨ .

(٢٣٣) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٢٢ بيت ١٧ .

(٢٣٤) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٥ بيت ١٤ .

(٢٣٥) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٦ بيت ١٨ .

(٢٣٦) عنبرة العبسي : العقد الثمين . قصيدة رقم ٢٠ . نهد القطاة : عظيم العجز

يغشاها : يغطيها . محفل الماء : مجتمعه . يصف كثرة العرق على عجز الفرس من شدة العدو .

(٢٣٧) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٤٦ بيت ٣٠ .

٢٣٨ - سَبُوحٌ إِذَا اعْتَرَضَتْ فِي الْعُنَانِ

مَرْوَحٌ مَلَمَلَمَةٌ كَالْحَجَرِ

٢٣٩ - تَثِيقٌ كَجَامُودٍ الْقِذَافِ وَنَثْرَةٌ

ثَقْفٌ ، وَعَرَّاصُ الْمَهْزَةِ عَاتِرٌ

٢٤٠ - وَلَهُ حَوَافِرٌ مُوثِقٌ تَرْكِيْبُهَا صُمُّ النَّسُورِ كَأَنَّهَا مِنْ جَنْدَلٍ

٢٤١ - وَحَوَافِرٌ تَقَعُ الْبَرَّاحَ كَأَنَّمَا أَلْفَ الزَّمَاعِ بِهَا سِلَاحٌ صُلْبٌ

صور من الأنصاب :

٢٤٢ - وَالْعَادِيَاتُ أَسَابِي الدِّمَاءِ بِهَا كَأَنَّ أَعْنَاقَهَا أَنْصَابٌ تَرْجِيْبٌ

صورتان من البئر :

٢٤٣ - بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنْ حَيْثُ جَالَتْ رَكِيَّةٌ سُنْبُكٍ فِيهَا أَنْهِيَارٌ

(٢٣٨) أبي بن سلمى : الحماسة ج ١ ص ٣١٥ . اعترضت في العنان : جمعت . المروح : من المرح وهو التبخر . الململة . المجموعة الصلبة .

(٢٣٩) ثعلبة بن صعير : المفضليات ص ٢٦١ . والتثق : المتلىء من النشاط . جلمود القذاف : صخرة تطبق حملها وتقذف بها . النثرة : الدرع السابغة . العاتر : الصلب الشديد .

(٢٤٠) عنزة العبسي : العقد الثمين ، ص ٤٤ ، قصيدة ٢٠ بيت ٢٧ .

(٢٤١) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٨٦ . تقع : تفرع . البراح : المستوي من الأرض . الزماع : الشعرات اللواتي يكن خلف الحافر . السلام : الحجارة يقصد كأنما لزم الزماع حجارة مكان الحوافر .

(٢٤٢) سلامة بن جندل : المفضليات . ص ٢٢٨ بيت ١٢ . العاديات : الخيل . الأسابي : الطرائق . ترجيب : تعظيم ، أو الذبح على الأنصاب في رجب .

(٢٤٣) بشر بن أبي خازم : المفضليات قصيدة ٩٨ . بيت ٤٨ . القرارة : ما اطمأن من الأرض . السنبك : مقدم الحافر . وركيته : أثره في الأرض ؛ والركية : البئر .

٢٤٤ - بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنْ حَيْثُ جَالَتْ رَكِيَّةٌ سُنْبُكَ فِيهَا انْثِلَامٌ

صور من الريح والنار والدخان :

٢٤٥ - صَبَحْنَا كُمُ الْعُوجِ الْعَنَاجِيحَ بِالضُّحَى

تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الرِّيحِ السَّوَاهِكِ

٢٤٦ - سَبُوحاً جُمُوحاً وَإِحْضَارَهَا كَمَعْمَعَةِ السَّعْفِ الْمَوْقَدِ

٢٤٧ - كَانَ عَلَى أَعْرَافِهِ وَلِجَامِهِ سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرْفَجٍ يَتَلَهَّبُ

٢٤٨ - إِذَا هَبَّتْ سَهْلًا كَانَ غُبَارُهُ بِجَانِبِهِ الْأَقْصَى دَوَاخِنُ تَنْضُبُ

صور من السحاب والصاعقة والبرد والمطر :

٢٤٩ - فَتَرَى سَوَا بَقْمَا يُثْرِنُ عَجَاجَةً مِثْلَ السَّحَابِ إِذَا قَفَوْتَ زِعَالَهَا

٢٥٠ - وَخَوَافِرُ الْخَيْلِ الْعِتَاقِ عَلَى الصَّفَا

مِثْلُ الصَّوَاعِقِ فِي قِفَارِ الْقَدْفِ

(٢٤٤) بشر بن أبي خازم : المفضليات ، قصيدة ٩٧ بيت ٢٩ .

(٢٤٥) عبد الله بن مرداس : العقد الفريد ج ٣ ص ٧٨ .

(٢٤٦) امرؤ القيس . العقد الثمين ص ١٢٣ قصيدة ١٤ بيت ١٢ ، والمعمعة هنا :

صوت الحريق .

(٢٤٧) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٩ بيت ٣٨ . ص ٢٣ بيت ٢٠

(٢٤٨) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٩ بيت ٣٢ .

(٢٤٩) الأعشى : قصيدة ٣ بيت ٤٦ . العجاج : الغبار . قفا الشيء : تتبعه وسار على أثره .

والرجال : جمع رعدة ، وهي القطعة من الخيل .

(٢٥٠) عنتره : شعراء النصرانية ، ص ٦٣٦ .

٢٥١ - وَهَضْنَ الْحَصَا حَتَّى كَانَ رُضَاضُهُ

ذَرَا بَرْدٍ مِنْ وَابِلٍ مُتَحَلِّبٍ

٢٥٢ - لَهْنٌ بِشُبَّاكِ الْحَدِيدِ تَقَاذُفٌ هَوِيَّ رَوَاحٍ بِالْجُنَّةِ يُعْجِبُ

٢٥٣ - وَالْحَيْلُ فِي وَسْطِ الْمَضِيقِ تَبَادَرَتْ

نَحْوِي كَمِثْلِ الْعَارِضِ الْمُتَفَجِّرِ

صور من الدلو ، والينبوع ، والمجداول ، والمزادة ، والمائع :

٢٥٤ - فِي كُلِّ قَائِمَةٍ مِنْهُ إِذَا اندَفَعَتْ مِنْهُ أَسَاوٍ كَفَرَاغِ الدَّلْوِ أَثْعُوبِ

٢٥٥ - أُجِيتَ كَمَرٌ ذُنُوبِ الْقَرَى فَأَلْوَى بِمَنْ حَانَ إِشْعَالُهَا

٢٥٦ - يَجْمُ جُجُومَ الْحَسَنِ جَاشَ مَضِيقُهُ

وَجَرْدُهُ مِنْ تَحْتِ غِيلٍ وَأَبْطَحُ

(٢٥١) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٩ بيت ٣٤ .

(٢٥٢) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٢٤ بيت ٢٢ .

(٢٥٣) عنبرة : شعراء النصرانية ، ص ٤٨١ .

(٢٥٤) سلامة بن جندل : المفضليات ، ص ٢٣٢ بيت ١٦ . الأساوي : الدفعات من الجري ،

شبهها في كثرتها بانصباب الدلو بالماء في السهولة . الأثعوب : السائل .

(٢٥٥) الأعشى : قصيدة ٢١ بيت ٤١ . الذنوب : الدلو فيها ماء . والقرى : كل ما حبس

الماء كالخوض . وقرى الماء في الخوض جمعه ، ألوى : ذهب . حان : هلك ودنت منيته .

(٢٥٦) المرقش الأصغر : المفضليات ص ٤٩٨ بيت ١٩ . يجم : يجتمع . الحسي :

رمل على صلد يستقر الماء في أسفله ، فإذا حفر نبع منه للماء جاش : غلا . فإذا كان الحسي ضيقاً

كان الماء أشد جيشاً ، وارتفاعاً . الغيل : المساء الكثير . الأبطح : الحصى . جرده : كشفه

وعراه من الشجر .

٢٥٧ - ولما رأيتُ الخيلَ زُهِراً كأنها

جدّاولُ زرعٍ أُرْسِلَتْ فاسْبَطَرَتْ

٢٥٨ - يَنْضَحْنَ نَضْحَ الْمَزَادِ الْوَفْرِ أَتَاقَهَا

شَدُّ الرُّوَاةِ بِمَاءٍ غَيْرِ مَشْرُوبِ

٢٥٩ - كَانَ عَلَى أَعْطَافِهِ ثَوْبٌ مَا تَحِ . وَإِنْ يُلْقَى كَلْبٌ بَيْنَ لَحْيَيْهِ يَذْهَبُ

صورتان من القلت والطحلب :

٢٦٠ - إِذَا الْخَيْلُ مِنْ غِبِّ الْوَجِيفِ رَأَيْتَهَا

وَأَعْيُنُهَا مِثْلُ الْقِلَاتِ حَوَاجِلِ

٢٦١ - كَانَ خَيَالِ السَّخْلِ فِي كُلِّ مَنْزِلِ

يَضَعْنَ بِهِ الْأَسْلَاءَ أَطْلَاءَ طَحْلِبِ

صور من الخمار وحاشية الثوب والسندس :

٢٦٢ - يَظَلُّ يُعَارِضُ الرُّكْبَانَ يَهْفُو . كَانَ بَيَاضَ غُرَّتِهِ خِمَارِ

(٢٥٧) عمرو بن معد يكرب : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٤٤ . زورا : مائلة من وقع الطعن فيها . الجدول : النهر الصغير . اسبطرت : امتدت .

(٢٥٨) النابغة الذبياني : العقد الثمين . قصيدة ٢ بيت ٦ ص ٤ .

(٢٥٩) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ١٠ بيت ٣٠ .

(٢٦٠) المزود : المفضليات ص ١٦٧ بيت ٦٣ .

(٢٦١) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٥ بيت ٧٠ .

(٢٦٢) بشر بن أبي خازم : المفضليات ٦٧٧ بيت ٤٨ . يعارض الركبان : يباريهم .

يهفو : يسرع .

٢٦٣- كَمِيتًا كَحَاشِيَةِ الْأَتْحَمِيِّ لَمْ يَدْعِ الصَّنْعُ فِيهَا عُوَارًا
٢٦٤- وَدَاوَيْتُهَا حَتَّى شَتَّتْ حَبَشِيَّةً كَانَ عَلَيْهَا سُندُسًا وَسَدُوسًا

صور من الخباء والخيام والحصير والقعب والقربة :

٢٦٥- تَقُولُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ وَهُوَ قَائِمٌ خَبَاءٌ عَلَى نَشْزٍ أَوْ السَّيِّدُ مَائِلٌ
٢٦٦- لَهَا كَفَلٌ مِثْلُ مَثْنِ الطَّرَا فِي مَدَدٍ فِيهِ الْبِنَاءُ الْحَتَارَا
٢٦٧- وَقَلَقَلْتُهُ حَتَّى كَانَ ضُلُوعَهُ سَفِيفٌ حَصِيرٌ فَرَجَّتْهُ الرِّوَامِلُ
٢٦٨- لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيِّ دِ يَتَّخِذُ الْفَارُ فِيهِ مُغَارَا
٢٦٩- وَأَمَكَنَ أَطْرَافَ الْأَسْنَةِ وَالْقَنَّا

يَعَاسِيْبُ قُوْدُ كَالشَّنَانِ خُدُودُهَا

(٢٦٣) عوف بن عطية التيمي : المفضليات ص ٨٣٩ . بيت ١١ . الاتحامي : ضرب من البرود منسوب إلى أتحم باليمن . الصنع : الدواء والعناية بها للضرر . عوار : عيب .
(٢٦٤) يزيد بن الحذاق : المفضليات ص ٥٩٧ بيت ٢ . الدواء : الصنعة للضرر . شتت : دخلت في الشتاء . حبشية : اخضرت من العشب . السندس : ضرب من الديباج . والسدوس : الطيلسان الأخضر .

(٢٦٥) المزرد : المفضليات ص ١٦٥ بيت ١٩ .

(٢٦٦) عوف بن عطية التيمي : المفضليات ص ٨٤١ بيت ١٥ . الطراف : بيت الأدم . شبه كفلهما في اكتناز لجه وملاسته بمثن الطراف . الحتار ، الطرة التي في أسفل البيت يجعل فيها الأطناب القصار ثم يمد يقول : ليس كفلهما بضرب ولكنه مثل الطراف المنسوب .

(٢٦٧) المزرد : المفضليات ص ١٦٧ بيت ٢٤ .

(٢٦٨) عوف بن عطية : المفضليات ص ٨٤١ بيت ١٤ . ويستحب من الحافر أن يكون معقباً فلا يكون رقيقاً منبسطاً . ولا صغيراً منقبضاً .

(٢٦٩) المثقب العبدى : المفضليات ص ٣٠٩ بيت ٢٣ . وأراد باليعاسيب هنا كرام الخيل ، والشنان . القربة البالية . أراد أن خدودها قليلة اللحم .

صور من المعول والمبرد والكير والقرن :

٢٧٠— وَيَخْدِي عَلَى صُمِّ صَلَابٍ مَلَاطِيسٍ

شديداتٍ عَقْدٍ كَيْنَاتٍ مِتَانٍ

٢٧١— جَافِلَاتٍ فَوْقَ عُوجٍ عَجَلٍ رُكْبَتٍ فِيهَا مَلَاطِيسُ شُمُرٍ

٢٧٢— وَفِي كُلِّ عَامٍ لَهُ غَزْوَةٌ تَحْتُ الدَّوَابِرَ حَتَّى السُّفُنَ

٢٧٣— كَانَ حَفِيفَ مَنَخْرِهِ إِذَا مَا كَتَمْنَ الرَّبْوَ كِيرٌ مُسْتَعَارٌ

٢٧٤— تَتَّبَعَ مِنْ أَعْضَادِهَا وَجُلُودِهَا

حَمِيمًا وَأَاضَتْ كَالْحَمَالِيجِ سُودُهَا

صورتان من العنان :

٢٧٥— يَجِدُ فَرَسًا مِثْلَ الْعِنَانِ وَصَارِمًا

حُسَامًا إِذَا مَا هَزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ

(٢٧٠) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ص ١٥٩ قصيدة ٦٣ بيت ٩ . تخدي تسير بسرعة .

(٢٧١) طرفة بن العبد : مختارات ابن الشجري : جافلات : سريعات . الملاطيس : جمع ملطاس وهو معول يكسر به الصخر .

(٢٧٢) الأعشى : قصيدة ٢ بيت ٥٨ ، الدوابر : مآخير الخوافر . تحت : تقشر وتبرد ،

السفن : المبرد ،

(٢٧٣) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٧٥ بيت ٤٤ . الربو ، هنا : النفس

العالي . الكير : منفاخ الحداد . وجعله مستعاراً لأنه أعجل لهم لأنهم يريدون رده .

(٢٧٤) المثقب العبدى : المفضليات ص ٣١ بيت ٢٤ . تتبع : تسيل . الحميم : العروق .

أضت : رجعت وعادت . الحماليج : قرون البقر .

(٢٧٥) حاتم الطائي : شعراء النصرانية ص ١٣٢ .

٢٧٦- وَرَدْنُ دَوَارِعَا وَخَرَجْنَ شُعْنَا

كَأَمْثَالِ الرَّصَانِعِ قَدْ بَلَيْنَا

صور من الحبل :

٢٧٧- مِنْ كُلِّ مُشْتَرَفٍ مُدْمَجَةٍ كَالْكَرِّ مِنْ كُمْتٍ وَمِنْ دُفْمٍ

٢٧٨- كَانَ سَرَائِهِ وَالْخَيْلُ شُعْتُ غَدَاةً وَجَيْفُهُ مَسَدٌ مُغَارٌ

٢٧٩- الْقَائِدُ الْخَيْلِ مَنكُوبًا دَوَابِرُهَا

قَدْ أَحْكَمْتُ حَكَمَاتِ الْقِدِّ وَالْأَبْقَا

٢٨٠- خَاظِي الْبَضِيعِ لَهُ زَوَافِرُ عَيْلَةٍ

عُوجٌ وَمَتْنٌ كَالْجَدِيلَةِ سَلْهَبٌ

صور من العصا :

٢٨١- وَسَلْهَبَةٌ جَرْدَاءُ بَاقٍ مَرِيْسُهَا مُوْتَقَّةٌ مِثْلُ الْهَرَاوَةِ حَائِلٌ

(٢٧٦) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٢٧٧) الجهمي الأسدي : المفضليات ص ٧١٩ بيت ١٠ . والكر : الحبل ، شبه الفرس في اندماجها بالحبل في قتله .

(٢٧٨) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٧٦ بيت ٥٣ . وسرّاته : أعلاه . المسد : الحبل . المغار : الشديد القتل .

(٢٧٩) زهير بن أبي سلمى : منكوبا دوابرها : أي أثرت الأرض في حوافرها وأكلتها . والقيد : سير يقطع من الجلد غير المدبوغ . والأبق : القنب وهو الكتان .

(٢٨٠) ساعدة بن جؤبة : ديوان الهذليين (دار الكتب) ١٨٥ . خاظمي البضيع : ممتلئ اللحم . الزوافر : الضلوع . عيلة : صخمة . الجديلة : حبل مجدول من سيور أو صوف سلهب : طويل .

(٢٨١) المزرد : المفضليات ص ١٦٩ بيت ١٨ .

٢٨٢- سُلاة كَعَصَا النُّهْدِي غُلَّ بِهَا ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانٍ مَعْجُومٍ

٢٨٣- تَهْدِي أَوَانِلَهُنَّ كُلُّ طَمَرَةٍ جَرْدَاءٍ مِثْلَ هِرَاوَةٍ الْأَعْزَابِ

صور من الصبغ والزعفران والدهان والذهب :

٢٨٤- أَسِيلٌ نَبِيلٌ لَيْسَ فِيهِ مَعَابَةٌ

كَمِيتٌ كَلُونِ الصَّرْفِ أَرْجَلِ أَقْرَحِ

٢٨٥- صَنِيعاً كَقَارُورَةِ الزُّعْفَرَا نِ يَمَّا تُصَّانُ وَمَا تَوْثُرُ

٢٨٦- أَمَّا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهَا فَكَأَنَّهَا قَارُورَةٌ صَفْرَاءُ ذَاتُ كَبِيسٍ

٢٨٧- وَأَجْرَدٌ مِنْ فُحُولِ الْخَيْلِ طَرْفِ

كَأَنَّ عَلَى شَوَاكِهِ دِهَانَا

(٢٨٢) علقمة الفحل : العقد الثمين ، قصيدة ١٣ بيت ٤٩ ص ١١٣ . سلاءة : شوكة النخل ، شبه بها الدرس في دقة صدرها وعظم عجزها ، ويستحسن هذا من إناث الخيل . النهدي : شيخ فني وكبير فاستعمل العصا حتى املاست وخفت فشبه الفرس بها ، وقيل هو رجل من نهد ، وهي قبيلة من أهل نجد ، وعيدان نجد أصلب العيدان ، فشبه الفرس بها في الصلابة ، غل بها : ألصق بها نسور صلاب كصلابة النوى . ذو فيئة : أي رجعة يقول : علفت الناقة هذا النوى ، ثم بعرتة صحيحا ، ثم غسل وأعيد للناقة في علفها ، فذلك أصلب . قران : قرية باليامة وكان نوى تمرها أصلب من غيرها . المعجوم : الممضوغ . لآكته الناقة فلم تكسرها لصلابته .

(٢٨٣) لييد العامري : ديوانه ض ١٤٤ .

(٢٨٤) المرقش الأصغر : المفضليات ص ٩٦ بيت ١٣ . والأسيل ، الأملس المستوي . الصرف : صبغ أحمر . أرجل محجل بثلاث قوائم مطلق بواحدة . أقرح : ذو قرحة وهي بياض الوجه ، فاذا كبرت فهي غرة .

(٢٨٥) العباس بن مرداس : أغاني ج ٦ ص ١٣٦ .

(٢٨٦) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٣ بيت ١٦ . والكبيس : ما كبس فيها من الطيب

(٢٨٧) الأعشى : قصيدة ٣٧ بيت ٥ . الطرف : الكريم من الخيل . والشاكلة :

الخصر .

٢٨٨— وَكَمَا مَدَامَةً كَانَ مُتُونَهَا جَرَى فَوْقَهَا وَاسْتَشْعَرَتْ لَوْنٌ مُذْهَبٌ

صور من النخل :

٢٨٩— وَالخَيْلُ عَاكِفَةٌ عَلَيْهِ كَأَنَّهَا سُحْقُ النَّخِيلِ نَأَتْ عَنِ الْجُرَّامِ

٢٩٠— وَأَذْنَابُهَا وَحَفٌ كَانَ ذُيُولُهَا مَجْرُ أَشْيَاءٍ مِنْ شَيْخَةٍ مُرْطَبِ

١٩١— وَلِلْجَامِ فِي رَأْسِ أَجْرَدٍ كَالْجِذِّ عِ طَوَالٍ وَأَبْيَضُ قَصَّالِ

٢٩٢— فَمَا أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقِ

بِأَجْرَدٍ طَاوٍ كَالْعَسِيبِ الْمُشْدَبِ

٢٩٣— يَهْتَزُّ فِي طَرَفِ الْعِنَانِ كَأَنَّهُ جَذْعٌ إِذَا فَرَعَ النَّخِيلَ مُشْدَبِ

٢٩٤— يُرَادَى عَلَى فَأْسِ الْأَجَامِ كَأَنَّمَا يُرَادَى بِهِ مِرْقَاةُ جَذْعٍ مُشْدَبِ

٢٩٥— وَأَنَافَتْ بِهَوَادٍ تُلْعَعِ كَجُذُوعٍ شُدَّتْ عَنْهَا الْقَشْرُ

(٢٨٨) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٧ بيت ٢٤ .

(٢٨٩) عبيد بن الأبرص ديوانه ص ٢١ بيت ١ . سحق : طوال . نأت عن الحرام طالت

عن الذين يجرمونها لا تنالها الأيدي . ومفرد الجرام : جارم .

(٢٩٠) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٨ بيت ٢٩ .

(٢٩١) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٥٧ بيت ٨ .

(٢٩٢) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٥٢ بيت ٥ . والعسيب : السعفة . والمشذب .

الذي أخذ ما عليه من العقد والسلاء والخصوص .

(٢٩٣) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٨٦ . يهتز في طرف

العنان : أي كثير الحركة لشدة نشاطه . فرع النخيل : علاها . مشذب . منقى شذب

عنه سعفه .

(٢٩٤) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١١ بيت ٤٥ .

(٢٩٥) طرفة : العقد الثمين ، ص ٦٣ . أنافت : أشرفت . بهواد : بأعناق . تلعع :

مشرفة طويلة ، شبهها في طولها يجذوع النخل التي ألقي عنها شذبتها فزاد ذلك في طولها .

٢٩٦ — يَفُوتُ طَوِيلَ الْقَوْمِ عِقْدُ عِذَارِهِ

مُنِيفٌ كَجِدْعِ النَّخْلَةِ الْأَجْرَدِ
٢٩٧ — وَكَأَنَّ هَادِيَهُ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ جِدْعٌ أَذِلٌّ وَكَأَنَّ غَيْرَ مُذَلَّلٍ

صورة من السلافة والنوى والقطن :

٢٩٨ — سُلَّامَةٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ بِهَا ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانٍ مَعْجُومٍ

٢٩٩ — وَتَفَرَّى اللَّحْمُ مِنْ تَعْدَائِهَا وَالتَّغَالِي ، فَهِيَ قُبٌّ كَالْعَجَمِ

٣٠٠ — مُقَادُّكَ بِالْخَيْلِ أَرْضَ الْعَدُوِّ

وَجُدَعَانُهَا كَلْفِيزٍ الْعَجَمِ

٣٠١ — سُلَّامَةٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ بِهَا ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانٍ مَعْجُومٍ

٣٠٢ — كَانَ سَدًا قُطْنِ النُّوَادِفِ خَلْفَهَا

إِذَا اسْتَوْدَعَتْهُ كُلُّ قَاعٍ وَمَذْهَبٍ

(٢٩٦) دريد بن الصمة . شعراء النصرانية ، ص ٥٧٩ .

(٢٩٧) عنقرة العبسي . العقد الثمين . ص ٤ قصيدة ٢٠ بيت ٢٤ . هاديه : عنقه : جذع

أزل : يريد أنه هو الذي جعله بهذه المثابة .

(٢٩٨) علقمة : العقد الثمين : قصيدة ١٣ بيت ٤٩ ص ١١٣ .

(٢٩٩) طرفة بن العبد : العقد الثمين ، قصيدة ١٤ ص ٧٠ . تفرى : تقطع ، وذهب .

التغالي : التباري في العدو . العجم : النوى ، شبه الخيل به في صلابتها وضمورها .

(٣٠٠) الأعشى : قصيدة ٤ بيت ٢٥ . جدعان : جمع جذع ، وهو لولد الشاة في السنة

الثانية ، ولذي الحافر في السنة الثالثة ، والإبل في السنة الخامسة . لفيظ : ملفوظ من الفم .

العجم النوى .

(٣٠١) علقمة : العقد الثمين ، قصيدة ١٣ بيت ٤٩ ص ١١٣ .

(٣٠٢) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٨ بيت ٣١ .

صور من السعالى :

٣٠٣— عَلَى جُرْدٍ كَأَمْثَالِ السَّعَالَى وَرَجُلٍ مِثْلِ أَهْمِيَةِ الْكَثِيبِ

٣٠٤— نَحْنُ قَدْ نَا مِنْ أَهَارِضِيبِ الْمَلَا أَلْ

بَخِيلَ فِي الْأَرْسَانِ أَمْثَالِ السَّعَالَى

٣٠٥— تَرَوْحُ جِيَادُهُ مِثْلَ السَّعَالَى حَوَافِرُهُنَّ تَهْتَضِمُ السَّلَامَا

صور من المشعر والسابع :

٣٠٦— وَإِذَا الْخَيْلُ شَمَرَتْ فِي سَنَا الْحَرِّ

بِ وَصَارَ الْغُبَارُ فَوْقَ الذُّوَابِ

٣٠٧— كَمْ رَنَيْسٍ يَقْدُمُ الْأَلْفَ عَلَى أَلْ

أَجْرَدِ السَّابِحِ ذِي الْعَقَبِ الطُّوَالِ

٣٠٨— إِلَّا بِكَلِّ أَحْمَ نَهْدٍ سَابِحِ وَعُلَالَةٌ مِنْ كُلِّ أَسْمَرَ مَذُودِ

(٣٠٣) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٦٩ .

(٣٠٤) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٥٨ بيت ٦ .

(٣٠٥) الأعشى : قصيدة ٢٩ بيت ٣٦ . تروح : تعود آخر النهار . السعالى (جمع

سعلاة (بكسر السين) وهي الغول . السلام : جمع سلمة (يفتح ثم يكسر) وهي الحجارة .

تهتضم : تكسر .

(٣٠٦) عبيد الأبرص : ديوانه ص ٧٤ بيت ١٤ .

(٣٠٧) عبيد بن الأبرص . ديوانه ، ص ٥٩ بيت ١٢ .

(٣٠٨) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٤٥ بيت ٩ . أحمر : فرس يضرب إلى السواد .

نهد : عظيم طويل . سابع : يجري جرياً كأنه يسبح في الماء . علالة كل شيء : شيء بعد شيء

من جري أو طعن أو شرب أو غير ذلك . أسمر : رمح ، وإذا كان أسمر كان أجود له

وأصلب . مذود : يناد به أي يمنع به .

٣٠٩- فَاِنْ فَرَّعُوا طَارُوا إِلَى كُلِّ سَابِحٍ

شَدِيدِ الْقُصَيْرَى سَابِغِ الضَّلَعِ جُرْشَعٍ

٣١٠- صَبْرٌ أَعْدُوا كُلَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ وَنَجِيبَةٍ ذَبَلَتْ وَخَفَّ حَشَاهَا

٣١١- إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى رَحَالَةٍ سَابِحٍ نَهْدٍ تَعَاوَرَهُ الْكَمَاءُ مَكَلَّمٍ

٣١٢- يَعْدُو بِبَزِي سَابِحٌ ذُو مَيْعَةٍ نَهْدُ الْمَرَاكِيلِ ذُو تَلِيلٍ أَقْوَدِ

٣١٣- مِنْ كُلِّ سَابِجَةٍ وَأَجْرَدَ سَابِحٍ تَرْدِي بِأَسَدٍ خَفِيَّةٍ وَصِعَادِ

٣١٤- كَمْ فِيهِمْ مِنْ شَطْبَةٍ خَفِيقٍ وَسَابِغٍ ذِي مَيْعَةٍ ضَابِرِ

٣١٥- إِلَّا عُـلَالَةً أَوْ بُدَا هَتَّ سَابِغٍ نَهْدِ الْجَزَارَةِ

٣١٦- وَنَجَّاكَ يَا ابْنَ الْعَامِرِيَّةِ سَابِحٌ شَدِيدُ النَّسَاوِ الْقَصْرَتَيْنِ عَجِيبِ

٣١٧- سَبُوحٌ إِذَا حَالَ الْحِزَامُ كَأَنَّهُ

إِذَا انْسَابَ عِنْدَ النَّقْعِ فِي الْخَيْلِ أَجْدَلُ

(٣٠٩) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٢٩ بيت ٧ . جرشع : غليظ مرتفع .

(٣١٠) عنتره : العهد الثمين ص ٣٣ بيت ٥ قصيدة رقم ٢ .

(٣١١) عنتره : العهد الثمين ، ص ٤٧ بيت ٥٠ .

(٣١٢) مالك بن حمار : النقائض (أوربا) ص ٧٦٤ .

(٣١٣) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٦ بيت ٤٢ .

(٣١٤) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١٨ بيت ٥٢ . شطبة : فرس طويلة . خفيق : خفيفة

سريعة . ذي ميعه : سريع . ضابر : يجمع قوائمه في الوثب .

(٣١٥) الأعشى : قصيدة ٢٠ بيت ٤٩ . العلالة : البقية من الشيء . البداهة : المفاجأة .

نهد : ضخم . الجزارة : أطراف الجذور ، وهي اليدان والرجلان والرأس ، سميت بذلك لأن
الجزار يأخذها فهي جزارته .

(٣١٦) زيد الخيل : ديوان الحماسة للبحري ، ص ٥٣ ، قطعة ٢٣٥ بيت ١ .

(٣١٧) عبد المدان : شعراء النصرانية ، ص ٨٧ .

٣١٨- فَلَوْ شِئْتُ نَجْتِي سُبُوحُ طِمْرَةٍ
تَحْكُ بِخَدَّيْهَا الْعِنَانُ وَتَمْزَعُ

٣١٩- سُبُوحُ إِذَا اعْتَرَضَتْ فِي الْعِنَانِ
مَرْوَحُ مَلْمَلَمَةٌ كَالْحَجَرِ

٣٢٠- سُبُوحاً جُوحاً وَإِحْضَارُهَا
كَمَعْمَعَةِ السَّعْفِ الْمَوْقَدِ

صور من الشارب والمزامر والرعي والأحوال :

٣٢١- وَكَأَنَّ مِشِيَّتَهُ إِذَا نَهْنَهَتْهُ
بِالنَّكْلِ مِشِيَّةُ شَارِبٍ مُسْتَعْجِلٍ

٣٢٢- أَجَشَّ صَرِيحِي كَأَنَّ صَرِيْلَهُ
مَزَامِيرُ شَرِبٍ جَاوَبَتْهَا جَلِجَلُ

٣٢٣- كَأَنَّهُ يَرْفُثِي نَامَ عَنْ غَنَمِ
مُسْتَنْفَرٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مَذْمُوبِ

٣٢٤- سَلَسُ الْعِنَانِ إِلَى الْقِتَالِ فَعَيْنُهُ
قَبْلَاءُ شَاخِصَةٌ كَعَيْنِ الْأُحُولِ

(٣١٨) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٤٤ بيت ٧ . طمرة : وثابة ، تمزع : تمر مرأً
سريعاً .

(٣١٩) أبي بن سلمى : ديوانه الحماسة (مصر) ج ١ ص ٢١٥ .

(٣٢٠) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ص ١٢٣ قصيدة ١٤ بيت ١٢ .

(٣٢١) عنتره : العقد الثمين ، ص ٤٤ قصيدة ٢٠ ، بيت ٣٠ ، نهنته : زجرته ليسير .

(٣٢٢) مزرد : المفضليات ، ص ١٦٥ ، بيت ١٧ .

(٢٢٣) سلامة بن جندل : المفضليات ص ٢٣٣ بيت ١٠ واليرفثي هنا : الراعي الجافي
نام عن غنمه ، حتى وقعت فيها الذئاب فقام من نومه مذعوراً لذلك فشبه به الفرس لحدته
وطموح بصره .

(٣٢٤) عنتره : العقد الثمين . قصيدة ٢٠ ص ٤٣ ، بيت ٢٩ . سلس العنان : سهل
القياد . عينه قبلاء : القبل : الحول .

صور من المرأة والسوار والمداك :

٣٢٥— وَأَنَا نَقُودُ الْخَيْلَ حَتَّى رَعُوسُهَا

رُعُوسُ نِسَاءٍ لَا يَجِدْنَ فَوَالِيَا

٣٢٦— تَرَاهَا فِي الْغُزَاةِ وَهْنٌ شُعْتُ

كَقَلْبِ الْعَاجِ فِي الرَّشْغِ الْجَدِيدِ

٣٢٧— يَرْقَى الدَّسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ بَتِيع

فِي جُوجُورٍ كَمَدَاكِ الطَّيْبِ مَخْضُوبِ

٣٢٨— وَإِذَا اقْتَنَصْنَا لَا يَجِفُّ خَضَابُهَا

وَكَأَنَّ بَرَكَّتَهَا مَدَاكُ عَرُوسِ

صور من الطير والحمام :

٣٢٩— فَلَوْ أَنَّهَا تَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ أُدْرِكَتْ

وَلَكِنَّهَا تَهْفُو بِتِمْشَالٍ طَائِرِ

-
- (٣٢٥) عنبرة : العقد الثمين ، قصيدة ٢٦٠ ص ٥١ . لا يجدن فواليا ؛ أي لا يجدن من يفلي رءوسهن ويمشطها ، يكنى بذلك عن تلبد شعرها من كثرة الأسفار .
(٣٢٦) خالد بن جعفر : أيام العرب ، والقلب : السوار .
(٣٢٧) سلامة بن جندل : المفضليات ص ٢٣٣ بيت ١١ .
(٣٢٨) عبيد بن الأبرص . ديوانه ص ٤٢ بيت ١٧ . الخضاب : الدم . المداك : الصلاة التي يسحق فيها الطيب .
(٣٢٩) سلمة بن الخرشب : المفضليات ص ٣٦ بيت ٨ .

٣٣٠- دُلِقُ فِي غَارَةٍ مَسْفُوحَةٍ كَرَعَالِ الطَّيْرِ أُسْرَابًا تَمُرُ

٣٣١- إِذَا خَرَجْتُ يَوْمًا أَعِيدْتُ كَأَنَّمَا

عَوَاكِفُ طَيْرٍ فِي السَّمَاءِ تَقْلِبُ

٣٣٢- وَلَقَدْ تَرَكْنَا الْخَيْلَ فِي عَرَصَاتِهَا

كَالطَّيْرِ فَوْقَ مَعَالِمِ الْأَجْرَامِ

٣٣٣- جَلَبْنَاهَا مِنْ جَنُوبِ الْعُودِ جُرْدًا

كَطَيْرِ الْمَاءِ غَلَسَ لِلْوُرُودِ

٣٣٤- يُبَارِينَ الْأَسِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ كَمَا يَتَفَارِطُ الشَّمْدُ الْحَمَامِ

صور من الحداة والصقر والعقاب :

٣٣٥- فَأُورِدُهُنَّ بطنَ الْإِثْمِ شُعْثًا يَصْنُ الْمَشْيَ كَالْحَدَايِ الثَّوَامِ

٣٣٦- وَالْخَيْلُ تُرْدِي بِالْكُمَاةِ كَأَنَّهَا حِدَا تَتَابِعُ فِي الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ

(٣٣٠) طرفة : العقد الثمين ، ص ٦٣ . دلق في غارة : مسرعون إلى الغارة متقدمون فيها . المسفوحة : المصوبة أو الكثيرة . الرعال : قطع الطير والظباء والنساء ، وشبههم في إسراعهم وتفرقهم في الغارة بجاعات طير تمر قطعاً قطعاً .

(٣٣١) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٢٢ بيت ١٥ .

(٣٣٢) المهمل : شعراء النصرانية ص ١٧٥ .

(٣٣٣) هند بن خالد بن صخر بن الشريد : العقد الفريد ، ج ٣ ص ٧٩ .

(٣٣٤) بشر بن أبي خازم : المفضليات ، ص ٦٥٨ بيت ٣٢ . يبارين : أي تباري الخيل أسنة راكبيها بخدودها . يتفارط : يتسابق . الشمد : الماء القليل .

(٣٣٥) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٩ ، قصيدة ٢٧ بيت ٢٤ .

(٣٣٦) عامر بن الطفيل : ديوانه ، ص ١٤٤ بيت ٤ .

٣٣٧- سَبُوحٌ إِذَا حَالَ الْحِزَامُ كَأَنَّهُ

إِذَا انْسَابَ عِنْدَ النُّقْعِ فِي الْخَيْلِ أَجْدَلُ

٣٣٨- عَتِيدٌ لَأَيَّامِ الْحُرُوبِ كَأَنَّهُ إِذَا انْجَابَ رَيْعَانُ الْعَبَاجَةِ أَجْدَلُ

٣٣٩- وَنَجَابَعَتْرَةَ الْأَغْرَمِ الرَّدَى يَهْوِي عَلَى عَجَلٍ هَوِيٍّ الْأَجْدَلُ

٢٤٠- مَتَى يُرَ مَرْكُوبًا يُقَلِّ بِازْقَانِصِ

وَفِي مَشْيِهِ عِنْدَ الْقِيَادِ تَسَاتُلُ

٣٤١- فَمَا سَوْدَنِيْقٌ عَلَى مَرَبٍّ خَفِيفُ الْفُؤَادِ حَدِيدُ النَّظَرِ

رَأَى أَرْنبًا سَنَحَتْ بِالْفَضَا فَبَادَرَهَا وَلَجَاتِ الْخَمَرِ

٣٤٢- مَتَى تَأْتِنَا تَعْدُو بِسَرِّجِكَ لِقْوَةٌ

صَبُورٌ ، تَجَنَّبُنَا ، وَرَأْسُكَ مَائِلٌ

(٣٣٧) عبد المدان : شعراء النصرانية ، ص ٨٧ .

(٣٣٨) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٧٨ .

(٣٣٩) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٣٢ بيت ٤ . والأغر : فرسه . والأجدل : الصقر - ويقال للصقر أيضاً : قطامي (بفتح القاف وضمها) .

(٣٤٠) مزرد : المفضليات ص ١٦٥ بيت ١٨ .

(٣٤١) أبي بن سلمى : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٣١٥ . السوذنبيق : من جوارح الطير وهو الشاهين . خفة الفؤاد : كناية عن النشاط . وحدة النظر : نفوذه إلى مسافة بعيدة . سنح : برز . الوجات : جمع ولجة وهي مواضع الولوج . الحمر : ما وارك من الشجر .

(٣٤٢) الأعشى : قصيدة ٤٧ بيت ٣ . واللقوة (بفتح اللام وكسرها) : العقاب الأنثى وهي طائر سريع يشبه به الفرس ، صبور على المشاق والقتال . ورأسك مائل : أي منكس خزيا ، أو مائل على السرج لجبنه .

٣٤٣- وَنَجَّاكَ يَوْمَ الرُّوعِ إِذْ حَضَرَ الْوَعْيُ

مِسْحُ كَفْتَخَاءِ الْجَنَاحِينَ كَاسِر

٣٤٤- خُدَّارِيَّةُ فَتَخَاءِ أَلْثَقَ رِيشَهَا

سَحَابَةُ يَوْمٍ ذِي أَهَاضِيبٍ مَاطِرٍ

٣٤٥- عَلَى كُلِّ مَحْبُوكٍ السَّرَاةُ كَأَنَّهُ

عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ مَرْقَبٍ إِذْ تَعَلَّتْ

٣٤٦- وَكَلَّ طُمُوحٌ فِي الْعَنَانِ كَأَنهَا إِذَا اغْتَمَسَتْ فِي الْمَاءِ فَتَخَاءُ كَاسِرٍ

لَهَا نَاهِضٌ فِي الْوَكْرِ قَدْ مَهَّدَتْ لَهُ

كَمَا مَهَّدَتْ لِلْبَغْلِ حَسَنَاءُ عَاقِرٍ

تَخَافُ نِسَاءُ يَبْتَزْنَ حَلِيلَهَا مَحْرَبَةً قَدْ أُحْرَبَتْهَا الضَّرَائِرُ

٣٤٧- بِفَتَيَانٍ صَدَقَ فَوْقَ جُرْدٍ كَأَنَّهُمَا

طَوَالِبُ عِقْبَانٍ عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ

(٣٤٣) زيد الخيل حماسة البحري ، ص ٥٢ قطعة رقم ٢٣٤ .

(٣٤٤) سلمة بن الخرشب : المفضليات ، ص ٣٦ بيت ٩ . والعقاب الخدارية : التي يضرب

لونها إلى السواد والغبرة . والفتخاء : اللينة الجناح . الأهاضيب من المطر : دفعات منه . جعل هذه الفرس كالعقاب التي أصابها المطر فهي تبادر إلى وكرها .

(٣٤٥) الأعشى : قصيدة ٤٠ بيت ١٣ . السراة : الظهر . يشبه الفرس في اندفاعه في

القتال بالعقاب حين تنقض على فريستها من مرقبها .

(٣٤٦) المعقر الباقي : النقائص (أوربا) ص ٦٢٦ .

(٣٤٧) عميرة بن طارق ، النقائص (مصر) ج ١ ص ٥٢ .

صور من النحل والقطا والجراد :

٣٤٨— وأمكنَ أطرافَ الأَسنةِ والقنَا

يَعاسيبُ قُودُ كالشَّنانِ نُحدودُها

٣٤٩— وخيلٍ كأَسرابِ القِطا قَدْ وزَعَتْها

لَهَا سَبيلٌ فِيهِ المَنىةُ تَلْمَعُ

٣٥٠— يبادِرُنَ بالفرسانِ كُلُّ ثَنِيَّةٍ

جُنوحاً كَفُرَّاطِ القِطا المتسرَّب

٣٥١— وأقبلتُ مِن أرضِ الحِجازِ بِحَلَبَةٍ

تَغْمُ الفَضاءُ كالقِطا المتبدِّد

٣٥٢— إِذْ هُنَّ أَقْسَاطُ كَرَجِلِ الدِّبَا

أَوْ كَقَطَا كَاظِمَةِ النَّاهِلِ

٣٥٣— القائِدُ الخيلِ تَردي في أَعينِها

وَرَدَ القِطا هَجَرَتْ ظِمًّا إِلَى الثَّمَدِ

(٣٤٨) المثقب العبدى : الفضليات ، ص ٣٠٩ بيت ٢٣ .

(٣٤٩) مجمع بن هلال . الحاسة (مصر) ج ١ ص ٢٩٧ . والأسراب : الجماعات . والقطا : نوع من الطير لا يحب الانفراد . وزعتها : كلفتها . السيل : المطر ، والمراد هنا تتابع الخيل في الغارة كتتابع المطر .

(٣٥٠) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٩ بيت ٣٥ .

(٣٥١) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٢١ بيت ٩ . الحلبة : الجماعة من الخيل . المتبدد : المتفرق ، جاء من هنا وهناك .

(٣٥٢) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ص ١٥١ قصيدة ٥١ بيت ٧ .

(٣٥٣) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٦ بيت ٧ .

٣٥٤ — وَإِنْ رُدُّ مِنْ فَضْلِ الْعِنَانِ تَوَرَّدْتُ

هَوِيَّ قَطَاةً أَتْبَعْتُهَا الْأَجَادِلَ

٣٥٥ — ثُمَّ عُجْنَا هُنَّ خُوصاً كَالْقَطَا إِلَى قَارِبِ الْمَنْهَلِ مِنْ أَيْنِ الْكَالَالِ

٣٥٦ — مُهَارِشَةُ الْعِنَانِ كَأَنَّ فِيهَا جَرَادَةً هَبُوءَ فِيهَا اصْفَرَارِ

٣٥٧ — إِذْ هُنَّ أَقْسَاطُ كَرَجَلِ الدَّبَا أَوْ كَقَطَا كَاطِمَةِ النَّاهِلِ

٣٥٨ — وَمِنْ بَطْنِ ذِي عَاجٍ رِعَالُ كَأَنهَا

جَرَادٌ تُبَارِي وَجْهَةَ الرِّيحِ مُطْنِبُ

٣٥٩ — كَأَنَّ رِعَالَ الْخَيْلِ لَمَّا تَبَدَّدَتْ بَوَادِي جَرَادِ الْهَبُوءِ الْمُتَصَوِّبِ

٣٦٠ — فَطَرْنَا إِلَى جُرْدٍ جِيَادٍ كَأَنهَا جَرَادٌ يُبَارِي وَجْهَةَ الرِّيحِ بَاكِرِ

٣٦١ — وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَتَرَّى كَأَنهَا جَرَادٌ يُبَارِي وَجْهَةَ الرِّيحِ مُغْتَدِ

(٣٥٤) المزرد : المفضليات ص ٧١ بيت ٣٣ .

(٣٥٥) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٥٩ بيت ١٠ والخص : الضامرة الغائرة العيون .
القارب المنهل : الذي يطلب الماء .

(٣٥٦) بشر بن أبي خازم المفضليات ص ٦٧٣ بيت ٤ : المهارشة : المقاتلة . أي تجاذب
العنان من مرحها . الهبوة : الغبار ، وخص جرادة الهبوة لأنها أشد طيراناً . فيها اصفرار :
أراد الذكر وهو أخف من الأنثى .

(٣٥٧) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ص ١٥١ قصيدة ٥١ بيت ٧ .

(٣٥٨) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٢٢ بيت ١١ .

(٣٥٩) طفيل الغنوي ، ديوانه ، ص ٩ بيت ٣٣ .

(٣٦٠) قطية بن سيار : النقائض (أوربا) ص ٥٨٦ .

(٣٦١) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٥٦ .

صور من الإبل والهودج ؛

٣٦٢— وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْخَيْلَ تُشَلَّنُ عَلَيْكُمْ

شَوْلُ الْمَخَاضِ أَبَتْ عَلَى الْمُتَغَبَّرِ

٣٦٣— فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا كُلُّ خَوْصَاءٍ تَدَّعِي

بَذِي شُرُفَاتٍ كَالْفَنِيقِ الْمَخَاطِرِ

٣٦٤— كَانَ يَبِيسَ الْمَاءِ فَوْقَ مَتُونِهَا

أَشَارِيرُ مِلْحٍ فِي مَبَاءَةٍ مُجْرِبِ

٣٦٥— لَهَا شُعَبٌ كَأَيَادِ الْغَبِيطِ فَضَضَ عَنْهَا الْبُنَاةُ الشُّجَارَا

صور من النعام والظبي والتميس ؛

٣٦٦— قُبَّ الْأَيَاطِلِ تَرْدِي فِي أُعْنَتِهَا كَالْخَاضِبَاتِ مِنَ الزُّعْرِ الظَّنَائِبِ

٣٦٧— وَتَرَى الْمُسُومَ فِي الْقِيَادِ كَأَنَّهُ صَعْلٌ إِذَا فَقَدَ السَّبَاقَ يَصُومُ

(٣٦٢) بعض بني تيم الله بن ثعلبه : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٣٥ .

(٣٦٣) سلمة بن الخرشب : المفضليات ص ٣٨ بيت ١٤ . الخوصاء : الغائرة العين من شدة التعب . تدعى : تنتسب . الشرفات : جمع شرفة وهي أعلى الشيء ، يقصد إذا رُئي عنقها عرف به كرمها ، لأن طول الخيل في الأعناق كرم . الفنيق : فحل الإبل . المخاطر : الذي يخاطر الإبل .

(٣٦٤) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٨ بيت ٢٧ .

(٣٦٥) عوف بن عطيه : المفضليات ص ٨٤٠ بيت ١٢ . الشعب : القوائم . إياد الغبيط : خشبه ، وشبه قوائمها بخشب الغبيط لعريها من اللحم ، لأن اللحم على القوائم رهل . فضض : أزال وفرق . البناة : جمع بان . الشجار : ما شجر به سقف الخدر وهو عود .

(٣٦٦) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٤ قصيدة ٢ بيت ٧ .

(٣٦٧) لبيد العامري : ديوانه .

٣٦٨ — جَوَانِحُ يَخْلُجْنَ خَلْجَ الظُّبَا ، يَرُ كُضْنَ مِيلاً وَيَنْزَعْنَ مِيلاً

٣٦٩ — إِذَا ضَمُرَتْ كَانَتْ جِدَايَةً تُحَلِّبُ
أَمِرَّتْ أَعَالِيهَا وَشَدَّ الْأَسَافِلُ

٣٧٠ — وَمُسْتَوْعِبٌ فِي الْجُرْيِ فَضْلٍ عِنَانِهِ
يَمُرُّ كَمَرِّ الشَّادِنِ الْمُتَطَلِّقِ

٣٧١ — كَمَا انْتَفَجَتْ مِنَ الظُّبَاءِ جِدَايَةٌ
أَشْمُ إِذَا ذَكَرَتْهُ الشَّدَّ أَفِيحُ

٣٧٢ — وَتَعْطِيكَ قَبْلَ السَّوْطِ مِلءٌ عِنَانِهَا
وَإِحْضَارَ ظَنِّي أُنْطَأَتْهُ الْمَجَادِفُ

٣٧٣ — بِأَحْقِيهَا الْمَلَاءُ مُحْزَمَاتُ كَأَنَّ جِذَاعَهَا أُصْلًا جِلَامُ

(٣٦٨) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ص ٨٧ ، قصيدة ١١ بيت ١٦ . جوانح : مائلة في العدر . يخجلن : يسرعن . ينزعن : يكففن عن الركض .

(٣٦٩) مزرد : الفضليات ، ص ١٧٢ .

(٣٧٠) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٥ .

(٣٧١) الفضليات : المرقش الأصغر ، ص ٩٨ بيت ١٨ . انتفجت : خرجت نائرة .

الجداية : الشاب من الظباء . أشم : طويل . أفيح : بعيد ما بين الخطوتين .

(٣٧٢) ثعلبة بن عمرو : الفضليات ص ٦١ بيت ٥ . الإحضار : الجري . المجادف :

ما يحدف به أي يرمي به .

(٣٧٣) بشر بن أبي خازم : الفضليات ص ٦٥٧ بيت ٣١ . الأحقى : جمع حقو وهو

معقد الإزار . الملاء : جمع ملاءة وهي الإزار ، يقول ألفت أولادها فحزمت بالملاء لخلاء

أجوافها ليكون أقوى لها وأصلب ، والجذاع : جمع جذع ، وهو الفرس في السنة الثالثة من

عمره . أصل : جمع أصيل وهو العشي . الجلام : جمع جلم وهو الجدي شبهها بها لضمورها .

٣٧٤- سَوَاهِمِ جَذَعَانِهَا كَالْجَلَا مِ أَقْرَحَ مِنْهَا الْقِيَادُ الذُّسُورَا

٣٧٥- شَوَازِبِ كَالْأُجْلَامِ قَدْ آلَ رِمْمَا

سَمَاحِيقُ صُفْرَا فِي تَلِيلٍ وَفَائِلِ

٣٧٦- يَنْعَوْنَ نَضْلَةً بِالرَّمَا حِ عَلَى جُرْدٍ تَكْدُسُ مِشْيَةَ الْعُصْمِ

٣٧٧- كَمَيْتِ كَتَيْسِ الرَّمْلِ أَخْلَصَ مَتْنُهُ

ضَرِيبُ الْخَلَايَا وَالنَّقِيعِ الْمَعْجَلِ

٣٧٨- عَلَى كُلِّ مَنَشَقٍّ نَسَاهَا طِمِرَةٌ وَمُنْجَرِدٌ كَأَنَّهُ تَيْسٌ حُلْبِ

٣٧٩- فَأَصَتْ كَتَيْسِ الرِّبْلِ تَنْزُو إِذَا نَزَتْ

عَلَى رِبْذَاتٍ يَغْتَلِينَ خُنُوسَا

صور من السباع والكلاب :

٣٨٠- يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسَا

خَبِيبَ السَّبَاعِ بِكُلِّ أَكْلَفٍ ضَيْغَمِ

(٣٧٤) الأعرشى : ديوانه قصيدة ١٢ بيت ٥٠ . سواه : ضامرة متغيرة .

(٣٧٥) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، قصيدة ٢٠ بيت ٢٠ .

(٣٧٦) الجميع : المفضليات ، ص ٧١٩ بيت ٩ . ينعون فضلة بالرماح : أي يطعنون

أعداءهم طلباً بثأره . تكدس : تمشي بسرعة . العصم : الوعول .

(٣٧٧) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٧٨ .

(٣٧٨) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٢ بيت ٥٣ .

(٣٧٩) يزيد بن الحذاق : المفضليات ص ٥٩٨ بيت ٤ . آصت : رجعت . الربل :

نبت يتفطر في آخر الصيف فترعاه الأطباء فيتصل لها الربيع والصيف وتيس الربل أنشط من

غيره لما اتصل له من المرعى . تنزو : تشب . وبذات : قوائم خفيفات . يغتلين : يرتفعن في

شدة . خنوساً : يبقين بعض جريهن .

(٣٨٠) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٨٠ بيت ١٢ .

- ٣٨١- تُصَانِعُ أَيْدِيهَا الشَّرِيحَ كَأَنَّهَا
 كِلَابٌ جَمِيعُ غُرَّةِ الصَّيْفِ مُهْرَبٌ
 ٣٨٢- شَمَاطِيطٌ تَهْوِي لِلسَّوَامِ كَأَنَّهَا
 إِذَا هَبَّتْ غُوطًا كِلَابٌ طَوَارِدٌ
 ٣٨٣- تُبَارِي مَرَاخِيهَا الزَّجَاجَ كَأَنَّهَا
 ضِرَاءٌ أَحْسَتْ نَبَأَةً مِنْ مُكَلَّبٍ
 ٢٨٤- مُسْرَعَاتٌ كَأَنَّهُنَّ ضِرَاءٌ سَمِعَتْ صَوْتَ هَاتِفِ كِلَابٍ

صورة من الذئب :

- ٣٨٥- وَرَجَعْنَ نَحْتَبِي الْقَنَافِي ضَمَّرُ
 مِثْلُ الذَّنَابِ سَرِيعَةٍ الْإِقْدَامِ
 ٢٨٦- وَطَمْرَةٌ كَالسَّيْدِ يَغْلُو فَوْقَهَا ضِرْغَامَةٌ عَيْلُ الْمَنَاكِبِ أَغْلَبُ
 ٣٨٧- يُحَارِبُ جُرْدًا كَالسَّرَاحِينِ ضَمَّرَا
 تَرُودُ بِأَبْوَابِ الْبُيُوتِ وَتَصْهَلُ

(٣٨١) طفيل الغنوي : ديوانه ص ١٠ بيت ٤٠ .
 (٣٨٢) ضمرة بن ضمرة : المفضليات ص ٦٨٤ بيت ٣ .
 (٣٨٣) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٧ بيت ٢٦ .
 (٣٨٤) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٧٥ بيت ١٧ .
 (٣٨٥) المهمل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٤ .
 (٣٨٦) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ١٥ بيت ١٧ .
 (٣٨٧) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٧٨ .

٣٨٨ — يَقُودُونَ جُرْدًا كَالسَّرَاحِينَ تَسْتَمِي

صُدُورِ الْعَوَالِي وَأَدُّهَا

٣٨٩ — تَقُولُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ وَهُوَ قَائِمٌ خَبَاءٌ عَلَى نَشْرِ أَوِ السَّيِّدِ مَائِلٌ

٣٩٠ — إِذَا قُلْتُ قَدْ أَذْرَكْتَ فَاَبْسُطْ عِنَانَهُ

تَجَرَّدَ سَيِّدُ أَسْلَمَتَهُ غُيُوبُ

٣٩١ — وَأَجْرَدَ كَالسَّرْحَانِ يَضْرِبُهُ النَّدَى

وَمَحْبُوكَةً كَالسَّيِّدِ شَقَاءٌ صِلْدِمَا

٣٩٢ — كَأَنَّهُ بَعْدَ مَا صَدَّرْنَ مِنْ عَرَقٍ

سَيِّدُ تَطَّرَ جُنْحَ اللَّيْلِ مَبْلُولٌ

٣٩٣ — إِذَا قُلْتَ أَطْرَافُ الرَّمَاكِ يَنْلَنُهُ

يَحْمُ كَسِيرُ حَانٍ بِغَيْضَاءٍ ضَامِرٌ

٣٩٤ — يُفَرِّجُ عَنَا كُلَّ ثَغْرِ نَخَافِهِ مُشِيحُ كَسِيرُ حَانِ الْقَصِيْمَةِ ضَامِرٌ

(٣٨٨) عامر بن الطفيل : ديوانه ، ص ١٤٣ بيت ٩ .

(٣٨٩) المزود : المفضليات ، ١٦٥ بيت ١٩ .

(٣٩٠) زيد الخيل : حماسة البحتري ، ص ٥٣ ، قطعة ٢٣٥ بيت ٢ .

(٣٩١) الحصين بن الحمام : المفضليات ، ص ١٠٧ بيت ١٢ .

(٣٩٢) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٣٣ ب ٢٤ .

(٣٩٣) زيد الخيل : حماسة البحتري ، ص ٥٣ ، قطعة ٢٣٤ .

(٣٩٤) المعقر البارق : العقد الفريد ، ج ٣ ص ٦٥ .

٣٩٥ — وَفِينَا رِبَاطُ الْخَيْلِ كُلِّ مَطَّعٍ رَجِيلٍ كَسِرْ حَانَ الْغَضَا الْمَتَاوِبِ

٣٩٦ — وَكَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مَجْنِبًا كَسِيدِ الْغَضَا نَبْهَتَهُ الْمُتَوَرِّدِ

٣٩٧ — كَسِيدِ الْغَضَا الْغَادِي أَضَلَّ جِرَاءَهُ

عَلَا شَرْفًا مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ

٣٩٨ — فَلَمَّا انْجَلَى عَنِ الظَّلَامِ دَفَعْتُهَا يَشْبَهُهَا الرَّائِي سَرَا حِينَ لُغْبَا

صور من مغتصب الولد والخصم والناذر والخائف :

٣٩٩ — إِذَا نَقَذَتْهُمْ كَرَّتْ عَلَيْهِمْ كَانَ فُلُوقَهَا فِيهِمْ وَبِكُرِّي

٤٠٠ — صَفُوحٍ بِخَدَّيْهَا وَقَدْ طَالَ جَرِيهَا

كَمَا قَلَبَ الْكَفَّ الْأَلْدُ الْمُجَادِلِ

٤٠١ — يَرَى الشَّدَّ وَالتَّقْرِيبَ نَذْرًا إِذَا عَدَا

وَقَدْ لَحِقَتْ بِالصُّلْبِ مِنْهُ الشَّوَاكِلِ

٤٠٢ — يُرَى طَامِحَ الْعَيْنَيْنِ يَرْنُو كَأَنَّهُ

مُوَانِسُ دُعْرِ ، فَهُوَ بِالْأُذُنِ خَاتِلِ

(٣٩٥) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٥ بـ ١٣ .

(٣٩٦) ديوان طرفة بن العبد للدكتور علي الجندي بـ رقم ٨١ .

(٣٩٧) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٢٣ بـ ٢١ .

(٣٩٨) ربيعة بن مقروم : المفضليات ، ص ٧٣٧ ، بـ ١٧ . والسراحين : جمع سرحان وهو الذئب . لغبا : متعبة .

(٣٩٩) يزيد بن سنان : المفضليات ص ١٢١ بـ ٣ .

(٤٠٠) المزرد : المفضليات ، ص ١٧٠ بـ ٣١ .

(٤٠١) المزرد : المفضليات ، ص ١٦٨ بـ ٢٥ .

(٤٠٢) المزرد : المفضليات ، ص ١٦٦ بيت ٢٢ .

صورة من القطا :

٤٠٣ - فَرَا حَتَّ كَأَنَّ الرَّحْلَ حُشٌّ بِجَوْنَةٍ

بِذَاتِ السُّتَارِ أَخْطَأْتُهَا الْحَبَائِلُ

صورة من السندان :

٤٠٤ - وَكَلَّفْتُ مَا عِنْدِي عِلَالَةً رَجِيْلَةً

مِرَاحاً وَفِيهَا جُرْأَةٌ وَتَخَائِلُ

صورة من المرأة في ماتم :

٤٠٥ - كَانَ يَدَيَّهَا إِذَا أَجْدَ نَجَاؤُهَا يَدَا مُعْوِلٍ خَرَقَاءَ تُسْعِدُ مَا تَمَّا

صورة من الدف :

٤٠٦ - تَتَّبِعُ جُونًا إِذَا مَا هُيِّجَتْ زَجَلَتْ

كَأَنَّ دُفًّا عَلَى عَلِيَاءٍ مَهْزُومٍ

(٤٠٣) عميرة بن طارق : النقائض (مصر) ج ١ ص ٥٢ .

(٤٠٤) عميرة بن طارق : النقائض (مصر) ج ١ ص ٥١ .

(٤٠٥) عميرة بن طارق : النقائض (مصر) ج ١ ص ٥٠ .

(٤٠٦) علقمة : العقد الثمين ، قصيدة رقم ١٣ ، ص ١١٣ . تتبع جونا : أي هذه الفرس

تتبع سود الإبل ، أي تقاد وراء الإبل فتتبعها . هيجت : أي للحلب . زجلت : ارتفعت أصواتها وحن بعضها إلى بعض فكان حنينها دف مهزوم ؛ أي مخروق ، فهو أبج للصوت . وقيل المهزوم : ما فيه هزمة كهزمة الرعد أي صوته . علياء : مكان مرتفع ، فذلك أبين لصوته وأرفع له .

صورة من الفيل :

٤٠٧- يَهْدِي بِهَا أَكْلَفُ الْخَدَّيْنِ مُخْتَبَرُ

مِنْ الْجَمَالِ كَثِيرُ اللَّحْمِ عَيْشُومُ

صورة من البقر الوحشي :

٤٠٨- تَمْشِي بِهِمْ أَدَمُ تَنْطُ نَسْوَعَهَا

خَوْصٌ كَمَا تَمْشِي الْهَجَانُ الرَّبْرُ

صورة من الجبل :

٤٠٩- فَجَلَّزُوا بِأَسَارَى فِي زِمَامِهِمْ

وَجَامِلٍ كَحَزِيمِ الطُّودِ مُقْتَسَمِ

صورة من السحاب :

٤١٠- وَاسْتَدْبَرُوهُمْ يُكْفِتُونَ عُرُوجَهُمْ

مَوْرَ الْجَهَامِ إِذَا زَفَتْهُ الْأَزِيبُ

(٤٠٧) علقمة المرجع السابق . يهدي بها : أي يتقدم هذه الإبل ويهديها الطريق .
جل أكلف الخدين . والكلفة : سواد في اللون وغيره . مختبر : مجرب في الأسفار ، كثير
اللحم : عظيم الخلق غليظ . العيشوم : الفيل ، شبه به الجمل في عظمه .
(٤٠٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ١٤ بيت ١٤ . أدم : إبل بيض تنط : تصيح ،
ولا يكون الأطيط للرحل إلا إذا كان جديداً . خوص : غائرة العيون . الربرب : جماعة البقر ،
شبه بها الإبل لبياضها .

(٤٠٩) ساعدة بن جؤبة : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٠٧ . جازوا : مضوا
ومروا . زمامهم : حبالهم . حزيم الطود : وسطه .

(٤١٠) ساعدة بن جؤبة : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٩٠ . استدبروهم :
طردوهم . الكفاء : القلب . العرج : الإبل الكثيرة : ألف ، تسعمائة ، ثمانمائة . موره :
موجه . الجهام من السحاب : الذي هرق مائه . زفته : استخفته . الأزيب ، ريح الجنوب .

٦ - الأسلحة والمعدات الحربية

(١) القوس

صورة من البهمي :

٤١١- عَلَى فَخِذَيْهِ مِنْ بَرَايَةٍ عُوْدِهَا شَبِيهُ سَفَا الْبُهِمَى إِذَا مَا تَفَتَّلَا

صورة من الأضلاع :

٤١٢- إِمَّا تَرَى قَوْسَهُ فَبَيِّنَةَ النَّبْعِ هَتُوفٌ تَخَالُهَا ضِلَعَا

صورتان من السبيكة :

٤١٣- كَالْوَقْفِ لَا وَقَرَ بِهَا هَزْمُهَا بِالْشَّرْعِ كَالْخَشْرَمِ ذِي الْأَزْمَلِ

٤١٤- وَصَفْرَاءُ الْبَرَايَةِ فَرْعُ نَبْعٍ كَوَقْفِ الْعَاجِ عَاتِكَةُ اللَّيَاطِ

صورة من النحل :

٤١٥- كَالْوَقْفِ لَا وَقَرَ بِهَا هَزْمُهَا بِالْشَّرْعِ كَالْخَشْرَمِ ذِي الْأَزْمَلِ

(٤١١) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ص ٤٩٦ .

(٤١٢) ذر الأصبع العدواني : شعراء النصرانية ص ٦٣١ .

(٤١٣) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٨٦ بيت ٢٤ .

(٤١٤) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٩٣ بـ ٣٣ .

(٤١٥) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٨٦ بـ ٢٤ .

صورة من الريح :

٤١٦— وَصَفْرَاءُ مِنْ نَبْعٍ كَانَ عِدَادُهَا

مُزَعْرَعَةٌ تُلْقَى الثَّيَابَ حَطُومَ

صورة من حاشية الإزار :

٤١٧— كَحَاشِيَةِ الْمَحْذُوفِ زَيْنَ لِيَطَّهَا

مِنَ النَّبْعِ أَزْرُ حَاشِكٌ وَكَتُومَ

(ب) السهم

صورتان من سير المجلد :

٤١٨— وَنَبْلٌ قِرَافٌ كَالشُّيُورِ سَلَاجِمَ

وَفَرَعٌ هَتُوفٌ لَا سَقِيٌّ وَلَا نَشَمَ

(٤١٦) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٣١ . مزعزعة : أي كأن حفيفها حفيف ريح حطوم تحطم ما مرت به . عدادها : صوتها .

(٤١٧) ساعدة بن جؤية : المرجع السابق . المحذوف : إزار قصير ، ليطها : لونها . والأزر : يقال قوس ذات أزر إذا كانت صلبة ذات شدة . حاشك : صلب . كتوم : أي ليس فيها صدع ولا شق .

(٤١٨) راشد بن شهاب . الفضليات ص ٦٢٢ ب ٦ . قران : متشابهة . سلاجم : طوال . فرع : قوس أخذت من أعلى الغصن . السقي : ما شرب الماء على الأنهار من الشجر . النشم : شجر ضعيف خوار .

٤١٩- بِكُلِّ هَتُوفٍ عَجَسُهَا رَضْوِيَّةٌ
وَسَمٌ كَثِيرٌ الْحَمِيرِي الْمُؤَنَفُ

صورة من القرط :

٤٢٠- شَنَقْتُ بِهَا مَعَايِلَ مُرَهَفَاتٍ
مُسَالَاتِ الْأَغْرَةِ كَالْقِرَاطِ

صورة من الزعفران :

٤٢١- وَأَصْفَرَ مَشْهُومَ الْفُؤَادِ كَأَنَّهُ
غَدَاةَ النَّدَى بِالزَّعْفَرَانِ مُطَيَّبٌ

صورة من السم :

٤٢٢- وَحَرَمِيَّةٌ مَنَسُوبَةٌ وَسَلَاجِمٌ
خِفَافٌ تَرَى عَنْ حَدِّهَا السَّمَ قَالِيسَا

صور من المطر والبرد :

٤٢٣- لَمَّا رَأَيْتُهُمْ كَأَنَّ نِبَاهَهُمُ
بِالْجَزَعِ مِنْ نَقَرِي نَجَاءٌ خَرِيفٌ

٤٢٤- فَوَلَّوْا تَحْتَ قِطْقِطِهَا سِرَاعًا
تَكْبُهُمُ الْمُهَنْدَةُ الذُّكُورُ

(٤١٩) عنبرة : العقد الثمين قصيدة ١٥ ص ٣٠ . هتوف : قوس مرنة مصوتة .
العجس : موضع الصوت منها . رضوية : منسوبة إلى امرأة تسمى رضوى . الحميري : رجل
منسوب إلى حمير . المؤنف : المقدور على قدر واستواء .

(٤٢٠) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٩٣ ب ٣٤ .

(٤٢١) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٢٧ ب ٤٢ .

(٤٢٢) حسيل بن سجيح : ديوان الحماسة (مصر) ج ١ ص ٢٢٢ . الحرمية : قوس
متخذة من شجر الحرم . سلاجم . قالس : ذو قلس من قلس البحر إذا قذف
ما فيه .

(٤٢٣) مالك بن الهذلي : شعر الهذليين ص ١٦٨ .

(٤٢٤) هلال بن رزين : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٢٦ . والققط : صغار البرد . تكبهم :
تصرعهم . الذكور : ذكر وهو الصلب المتين .

٤٢٥— جَاءَتْ بَنُو الْأَوْسِ عَارِضاً بِرِدَا

تَحْلِيَّةُ الرِّيحِ مُقْبِلًا حَلَبًا

٤٢٦— فَجَاءُوا عَارِضاً بِرِدَا وَجِئْنَا كَهَيْجِ الرِّيحِ تَقْذِفُ بِالْغَمَامِ

٤٢٧— فَجَاءُوا عَارِضاً بِرِدَا وَجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتُ فِي النَّارِ الْوَقُودَا

٤٢٨— فَجَاءُوا عَارِضاً بِرِدَا وَجِئْنَا كَمَثَلِ السَّيْلِ تَرْكَبُ وَازِعِينَا

صورتان من النار :

٤٢٩— وَأُحْصَنَهُ ثُجْرُ الظُّبَاتِ كَأَنَّهَا إِذَا لَمْ يُغَيَّبْهَا الْجَفِيرُ جَحِيمِ

٤٣٠— تُخَيِّرْنَ أَنْضَاءَ وَرُكْبَنٍ أَنْصَلَا

كَجَمْرِ الْغَضَا فِي يَوْمِ رِيحٍ تَزِيلَا

(٤٢٥) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣١ ب ١٧ .

(٤٢٦) معقل بن خويلد : شعر الهذليين ص ١٠٥ ب ٥ .

(٤٢٧) خدّاش بن زهير ، الأغاني ج ١٩ ص ٧٨ .

(٤٢٨) عبد الشارق بن عبد العزيز : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٧٠ . والعارض : السحاب

المعترض في الأفق والوازع : الذي يرتب الجيش يقدم فيه ويؤخر .

(٤٢٩) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٣١ . أحصنه : أي صارت

له كحصن ومعقل يمتنع فيه ، ثجر : عراض النصول . جحيم : نار توقد ، والجفير :

الكنانة .

(٤٣٠) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ، ص ٤٩٦ .

صور من الظباء والنحل والقطا :

٤٣١— كَسَاهَا رَطِيبَ الرِّيشِ فَأَعْتَدَلَتْ لَهَا

قِدَاحٌ كَأَعْنَاقِ الظِّبَاءِ زَفَازِفُ

٤٣٢— سَلَاجِمُ كَالنُّحْلِ أَنْحَى لَهَا قَضِيبَ سَرَاءٍ قَلِيلَ الْأَبْنِ

٤٣٣— كَأَوْبِ الدَّيْرِ غَامِضَةً وَلَيْسَتْ

بِمُرْهَفَةٍ النَّصَالِ وَلَا سِلَاطِ

٤٣٤— إِمَّا تَرَى نَبْلَهُ فَخَشَرَمَ حَشَاءَ إِذَا مُسَّ دَبْرُهُ لَكَعَا

٤٣٥— كَأَنَّ عَرَاقِيبَ الْقَطَا أُطْرُ لَهَا حَدِيثٌ نَوَاحِيهَا يَوْقَعُ وَصُلْبِ

صورة من الغضبان :

٤٣٦— يُرَاقِبُ إِحْيَاءَ الرَّقِيبِ كَأَنَّهُ لَمَّا وَتَرُونِي آخِرَ الدَّهْرِ مُغْضَبِ

صورة من الحصن :

٣٤٧— وَأُحْصَنَهُ تُجْرُ الظُّبَاتِ كَأَنهَا إِذَا لَمْ يُغَيَّبْهَا الْجَفِيرُ جَحِيمِ

(٤٣١) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٢٥ . رطيب الريش : ناعمه . كأعناق الظباء : حسان بيض . زفازف : لها زفرقة . إذا أدبرت بالكف ، أي إذا فطرت على الظفر زفرقت وسمعت لها صوتاً . اعتدلت : قامت فليس فيها عوج .

(٤٣٢) الأعشى : قصيدة ٢ بـ ٧٢ . كالنحل : أي في سرعتها . أنحى : قصد ووجه . السراء : شجر تعمل منه القسي . الأبن : جمع أبنة وهي العقدة .

(٤٣٣) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ص ٩٤ بـ ٣٥ .

(٤٣٤) ذو الأصبع العدواني : شعراء النصرانية ص ٦٣٢ .

(٤٣٥) طفيل الغنوي . ديوانه ص ١٣ بـ ٥٨ .

(٤٣٦) طفيل الغنوي . ديوانه ص ٢٧ بـ ٤٤ .

(٤٣٧) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٣١

صورة من الكراث :

٤٣٨— كَأَنَّ بِلَيْتَيْهَا وَبَلْدَةَ نَحْرِهَا مِنْ النَّبْلِ كُرَّاثَ الصَّرِيمِ الْمَنْزَعَا

(حـ) الريح

صور من الشطن والحبل :

٤٣٩— وَذَا هِبَّةٍ غَامِضًا كَلَمُهُ وَأَجْرَدَ مُطَرِدًا كَالشَّطَنِ

٤٤٠— وَغَيْرَ نَوَافِدٍ يَخْرُجْنَ مِنْهُمْ بِطَعْنٍ مِثْلَ أَشْطَانِ الرُّكِيِّ

٤٤١— كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَشَرٍ لَهَا فِي كُلِّ مُدْلَجَةٍ خُدُودٌ

٤٤٢— يَدْعُونَ عَنْتَرًا وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بَشَرٍ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ

٣٤٣— تَرَاهُنَّ يُخْلَجْنَ خَلَجَ الدَّلَا وَتَخْتَلِجُ النَّزْعَ أَشْطَانُهَا

(٤٣٨) الكلبة اليربوعي : المفضليات ص ٢٢ ب ٤ . والليت بكسر اللام : صفحة العنق . وبلدة النحر : ثغrote وما حولها . الصريم : قطع من الرمل . المنزع : المنزوع ، لأن ساق الكراثة تكون في الرمل . فإذا نزعَت أشبهت السهم . يصف كثرة ما أصاب فرسه من السهام .

(٤٣٩) الأعشى : قصيدة رقم ٢ ب ٧٣ . ذاهبة : يريد السيف . كأن يهب ويستيقظ إذا هزم .

(٤٤٠) عنقرة العقد الثمين ص ٥٢ . الركي : البئر .

(٤٤١) عنقرة : العقد الثمين ص ٥٨ قصيدة رقم ١٠ ب ٦ .

(٤٤٢) عنقرة : العقد الثمين : ص ٤٨ ب ٨٣ .

(٤٤٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٩ ب ٩ . يقول : الأشطان تختلجن أي تجذبن بالنزع . وقال أبو عبيدة : لا يقال للحبل شطن إلا إذا اتخذ للبشر الشطون .

٤٤٤- كَانَهَا بِأَكْفِ الْقَوْمِ إِذْ لَحِقُوا

مَوَاتِحُ الْبِئْرِ أَوْ أَشْطَانُ مَطْلُوب

٤٤٥- وَجَبَّهْنَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا تُنْهَزُ فِي جَمَّةِ الطَّوِيِّ الدَّلَاءِ

٤٤٦- وَمُطَرِّدًا كَرِشَاءِ الْجُرُودِ رِ مِنْ خُلْبِ النَّخْلَةِ الْأَجْرِدِ

٤٤٧- فِي مَجْلَسٍ بِيضِ الْوُجُوهِ يَكْنُتُهُمْ

غَابُ كَأَشْطَانِ الْقَلِيبِ مُنْصَبِّ

٤٤٨- لَمَّا رَأَوْكَ وَبُلْجُ الْبِيضِ وَسَطَهُمْ

وَكُلِّ مُطَرِّدِ الْأَنْبُوبِ كَأَلْسَدِ

صورة من الزيت :

٤٤٩- وَمُطَرِّدُ لَذْنِ الْكُعُوبِ كَأَنَّمَا

تَغَشَّاهُ مُنْبَاعٌ مِنَ الزَّيْتِ سَائِلِ

-
- (٤٤٤) سلامة بن جندل : المفضليات ، ص ٢٣٩ بـ ٢١ . كَانَهَا : أي الرماح .
مَوَاتِحُ الْبِئْرِ : حبال يمتح بها . ومطلوب : بئر معروف ، وقيل بئر بين مكة والشام .
(٤٤٥) الحارث بن حنزة : المعلقة . والجبه : الدفع والردع . والنهز : التحريك . والجمعة :
الماء الكثير المجتمع . والطوى : البئر التي طويت بالحجارة أو اللبن .
(٤٤٦) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ١٢٢ قصيدة ١٤ .
(٤٤٧) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٨٣ . يَكْنُتُهُمْ : يظلمهم
من الشمس . غَاب : أي الرماح كَأَنَّمَا أَجَمَ مِنْ كَثَرَتِهَا . الْقَلِيبُ : البئر . مَنْصَبٌ : مركز .
(٤٤٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ٤٧ بـ ١١ . وَالْمَسْدُ : الحبل من الليف .
(٤٤٩) المزود : المفضليات : ص ١٧٦ بـ ٥٠ .

صورتان من الأجم :

٤٥٠- في مجلس بيض الوجه ه يكُنْهُمْ

غاب كاشطان القلب منصّب

٤٥١- تخال ذوايل الخطي في حافاتها أجم

صورة من الخيزران :

٤٥٢- وإلا كل أثمر وهو صدق كأن الليط أنبت خيزراناً

صورتان من الشلب والشعبان :

٤٥٣- لذ بهز الكف يغسل مثنه فيه كما غسل الطريق الشلب

٤٥٤- أصم إذا ما هز مارت سرائه كما مار شعبان الرمال الموائل

صور من النوى :

٤٥٥- أصم ردينياً كأن كعوبه

نوى القسب عراًصاً مزجاً منصلاً

(٤٥٠) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٨٣ .

(٤٥١) الأعشى : قصيدة ٥٦ ب ١٨ .

(٤٥٢) الأعشى : قصيدة ٢٧ ب ٨ . والليط : شجر يصنع منها القوس والقناة .

(٤٥٣) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٩٠ . يغسل : يضطرب .

(٤٥٤) المزرد : المضليات ، ص ١٧٧ ب ٥١ .

(٤٥٥) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ص ٤٩٤ .

٤٥٦- وَأُسْمَرَ خَطِيًّا كَانَ كُغُوبَهُ

نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعاً عَلَى الْعَشْرِ

٤٥٧- صَدَقَ مِنَ الْهِنْدِيِّ الْأَبْسِ جُبَّةً لَحِقَتْ بِكَعْبٍ كَالنَّوَاةِ مَلِيسِ

صور من الشهاب والنار

٤٥٨- طُوال الساعدين يَهْزُ لَدْنًا يَلُوحُ سِنَانُهُ مِثْلُ الشُّهَابِ

٤٥٩- سَائِلُ سَدُوسَ الَّتِي أَفْنَى كَتَائِبَهَا

طَعَنُ الرَّمَّاحِ الَّتِي فِي رُؤُسِهَا شُهْبُ

٤٦٠- خَرَقَ مِنَ الْخَطِيِّ أَغْمَضَ حَدَّهُ

مِثْلُ الشُّهَابِ رَفَعَتْهُ يَتَلَهَّبُ

٤٦١- وَكُلَّ رُدِّي كَأَنَّ سِنَانَهُ شِهَابٌ بَدَأَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَارِضِحْ

٤٦٢- غَوْدِرَ عِنْدَ الْمَكْرُ سَيِّدُهُمْ فِيهِ سِنَانٌ تَخَالُهُ لَهَبًا

(٤٥٦) حاتم الطائي : شعراء النصرانية ص ١٣٢ .

(٤٥٧) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٣ ب ١٩ في الهامش .

(٤٥٨) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٥٧ ب ٣ .

(٤٥٩) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٦ .

(٤٦٠) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ١٨٩ . خرق : جعله في

الرماح مثل الخرق في الرجال الذي يتخرق في المال والخير . أغمض خده : لطف .

(٤٦١) عنبرة العقد الثمين . ص ٢٧ قصيده ٧ ب ١٦ .

(٤٦٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣٠ ب ١٤ .

٤٦٣- وَمَطَرِدُ الْكُعُوبِ أَحْصَ صَدُوقَ

تَخَالُ سِنَانَهُ بِاللَّيْلِ نَارًا

٤٦٤- فَأُورِدُوا سِرْبًا لَهُ ذُبْلًا كَأَنَّهُنَّ اللَّهَبُ الشَّاعِلُ

٤٦٥- بِذَاتِ الرَّمَثِ إِذْ خَفَضُوا الْعَوَالِي

كَأَنَّ ظُبَاتِهَا لَهَبَانُ جَمْرٍ

٤٦٦- عَبَاتُ لَهُ رُحْمًا طَوِيلًا وَآلَةً

كَأَنَّ قَبَسٌ يُعَلَى بِهَا حِينَ تُشْرَعُ

٤٦٧- يَلُوحُ السِّنَانُ عَلَى مَتْنِهَا كَنَارٍ عَلَى مَرْقَبٍ تَسِيرُ

صور من المصباح والهلل :

٤٦٨- وَكِلَاهُمَا فِي كَفِّهِ يَزْنِيَّةٌ فِيهَا سِنَانٌ كَالْمَنَارَةِ أَضْلَعُ

٤٦٩- وَأَسْمَرُ مَارِنٍ يَلْتَاخُ فِيهِ سِنَانٌ مِثْلُ نِبْرَاسِ النَّهَامِ

(٤٦٣) عنتره العقد الثمين ، ص ٣٨ قصيدة ١١ ب ٦ .

(٤٦٤) عبید بن الأبرص ؛ ديوانه ص ٧٢ ب ١٣ . والذبل : القنا اليابس .

(٤٦٥) يزيد بن سنان : المفضليات ، ص ١٢١ ب ٤ .

(٤٦٦) مجمع بن هلال : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٢٨٩ . عبأت : هيأت . الآلة : السلاح

والقبس : النار .

(٤٦٧) خفاف بن عمرو : الأغاني ج ١٦ ص ١٤٠ .

(٤٦٨) أبو ذؤيب الهذلي : المفضليات ص ٨٨٢ ب ٦٠ . يزنية : قناة منسوبة إلى ذى

يزن . المنارة : المصباح . أضلع : يبرق ، أي لا صدأ عليه .

(٤٦٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٧ . نبراس النهم : مصباح الراهب في الدير .

٤٧٠— عَلَيْهِ كَمِصْبَاحِ الْعَزِيزِ يَشْبَهُهُ لِفَضْخٍ وَيَحْشُوهُ الذُّبَالُ الْمُفْتَتَلُ

٤٧١— لَهُ فَارِطٌ مَاضِي الْغِرَارِ كَأَنَّهُ هِلَالٌ بَدَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ نَاحِلٌ

صورة من المقييل :

٤٧٢— زُرْقًا أَسْنَتُهَا، حُمْرًا ، مُثَقَّفَةً

أَطْرَافُهُنَّ مُقِيلٌ لِلْبِعَاسِيبِ

صور من الناقة والنسر والحيوان المتوحش :

٤٧٣— إِذَا عَضَّ الثَّقَافُ بِهَا شِمَازَتْ وَوَلَّتْهُمْ عَشَوَزَةً زُبُونًا

٤٧٤— تَرَكْتُ الرِّمَحَ يَبْرُقُ فِي صَلَاةٍ

كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرٍ

٤٧٥— فِي كَفِّهِ لَدَنَةٌ مُثَقَّفَةٌ فِيهَا سِنَانٌ مُحَرَّبٌ لَحْمٌ

(٤٧٠) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ، ص ٤٩٤ .

(٤٧١) المزرد : المفضليات ص ١٧٧ ب ٥٢ .

(٤٧٢) سلامة بن جندل : المفضليات ، ص ٢٣٩ ب ٢٠ . وجعل أسنتها زرقاً لشدة صفائها . البعاسيب : الرؤساء ، يريد أنهم يقتلون الرؤساء فيرفعون رؤوسهم على أسنتهم .

(٤٧٣) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٤٧٤) يزيد بن سنان : المفضليات ، ص ١٢٢ ب ٧ .

(٤٧٥) الجهمي : المفضليات ، ص ٤٥ ب ٤ . محرب : مضرب . لحم : القرم إلى اللحم ، ونعت الرمح بهذين الوصفين كناية عن غنائه وبالع أثره .

صور من الالعب والعطشان والصائح ؛

٤٧٦ - سائل بنا حَجَرَ بنَ أمِّ قَطَامٍ إِذْ

ظَلَّتْ بِهِ السَّمَرُ النَّوَاهِلُ تَلْعَبُ

٤٧٧ - سَتَعَلَمُ أَتَيْنَا لِلْمَوْتِ أَذْنَى إِذَا دَانَيْتَ بِي الْأَسَلَ الْحَرَارَا

٤٧٨ - سَائِلُ بِنَا حَجَرَ بنَ أمِّ قَطَامٍ إِذْ

ظَلَّتْ بِهِ السَّمَرُ النَّوَاهِلُ تَلْعَبُ

٤٧٩ - يَحْمِلُنَا وَالْأَسَلَ النَّوَاهِلَا

٤٨٠ - وَلَقَدْ يُحَاوِلُ أَنْ يَقُو مَ وَقَدْ مَضَتْ فِيهِ النَّوَاهِلُ

٤٨١ - ثُمَّ نَزَعْنَا وَمَا انْفَكَّتْ شَقَاوَتُهُمْ

حَتَّى سَقَيْنَا أَنَابِيَا وَخِرْصَانَا

٤٨٢ - وَأَنِّي أَرُدُّ الْكَبْشَ وَالْكَبْشُ بَاجِمَح

وَأَرْجِعُ رَحِي وَهُوَ رَيَّانُ نَاهِل

(٤٧٦) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ١٦ ب ٢٧ . تلعب : أي الأسنة تلعب فيهم لأنها تمزق قلوبهم بالطعن .

(٤٧٧) عنتره : العقد الثمين ، ص ٤٨ قصيدة ١١ ب ٨ .

(٤٧٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ١٦ ب ٢٧ . وجعلها نواهل لأنها رويت من الدم .

(٤٧٩) امرؤ القيس : العقد الثمين ، قصيدة ٤٤ ب ٧ .

(٤٨٠) الأعشى : قصيدة ٧٦ ب ٢١ .

(٤٨١) عامر بن الطفيل : ديوانه ، ص ١٥٠ ب ٤ .

(٤٨٢) المزرد : المفضليات ، ص ١٦٤ ب ١٤ .

٤٨٣- ولما تَدَانُوا بِالرَّمَا حِ تَضَلَّعْتُ

صدورُ القنا مِنْهُمْ وَعَلَتْ نِهَاهَا

٤٨٤- نَجْدُ جَهَاراً بِالسَّيُوفِ رُعُوسَهُمْ

وَأَرْمَا حُنَا مِنْهُمْ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ

صور من الصائح والسم والخصير والسيل :

٤٨٥- تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فِي حَجَبَاتِهِمْ

صِيَا حَ الْعَوَالِي فِي الثَّقَافِ الْمُثَقَّبِ

٤٨٦- وَإِنِّي لِمَنْ قَوْمٍ تَكُونُ رِمَاحُهُمْ

لَأَعْدَائِهِمْ فِي الْحَرْبِ سُمًّا مُقَشَّبًا

٤٨٧- تَرَى قِصْدَ الْمُرَّانِ تَهْوِي مَكَانَهَا

تَذَرُوعَ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوَاطِبِ

٤٨٨- كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ سَيْلٌ مُطِلٌّ وَأَمْسَاكٌ بِأَيْدِي مُورِدِينَا

(٤٨٣) أنيف بن زبان : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٤٩ . تضلعت : امتلأت شبعاً ورياً .

(٤٨٤) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٧٨ .

(٤٨٥) عنبرة العبسي . العقد الثمين ، ص ٣٥ . والحجبات : جمع حجابة ، وهي رأس الورك .

(٤٨٦) ربيعة بن مقروم . الفضليات ، ص ٧٣٧ ب ١٩ .

(٤٨٧) قيس بن الخطيم . ديوانه ص ١٢ ب ١٥ . قصد : كسر . المران : الرماح .

تذرع : قدر ذراع ينكسر . خرصان : جمع خرص (بضم الخاء) وهو كل قضيب أو غصن يابس أو رطب من رمح أو سيف ، والشاطبة من النساء التي تشقق السعف ، وتأخذ قشرها الأعلى تعمل منه الحصر .

(٤٨٨) أمية بن أبي الصلت : ديوانه ، ص ٦٦ .

(د) السيف

صورة من السلاف :

٤٨٩- سُلاَفٌ حَدِيدٌ مَا يَزَالُ حُسَامُهُ ذَلِيقًا وَقَدْتُهُ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

صور من الملح :

٤٩٠- أَحْفِزُهَا عَنِي بِذِي رَوْنَقٍ مُهَنْدٍ كَالْمِلْحِ قَطَّاعٍ

٤٩١- مَنَعْنَا عَلَى رَغَمِ الْقَبَائِلِ ضَيْمَنَا بِمُرْهَفَةٍ كَالْمِلْحِ مُخْلِصَةُ الصَّقَلِ

٤٩٢- كَلُونِ الْمِلْحِ ضَرْبَتُهُ هَبِيرٌ يَتَرُّ الْعَظْمَ سَقَاطٌ سَرَاطِي

٤٩٣- بِذِي شُطْبٍ كَلُونِ الْمِلْحِ صَافٍ

وَنَفْسٍ لَا تَقَرُّ عَلَى الْقَيْحِ

صور من الغدير :

٤٩٤- هَزَمُوا الْعِدَاةَ بِكُلِّ أَسْمَرَ مَارِنٍ

وَمُهَنْدٍ مِثْلَ الْغَدِيرِ يَمَانِي

(٤٨٩) المزرد : المفضليات ، ص ١٧٥ بـ ٤٥ .

(٤٩٠) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ، ص ٦٧ بـ ٧ .

(٤٩١) حسان بن ثابت : ديوانه ص ٣٢٠ .

(٤٩٢) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٩٣ بـ ٣١ .

(٤٩٣) عمرو بن الإطنابة : تاريخ ابن الأثير ، ج ١ ص ٣٠٩ .

(٤٩٤) المهمل : شعراء النصرانية ص ٦١ .

٤٩٥ - أَيْبُضُ كَالرَّجْعِ رُسُوبٌ إِذَا مَا ثَاخَ فِي مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي
٤٩٦ - أَيْبُنَا الدِّيَانَ غَيْرَ بَيْضٍ كَأَنَّهَا فُضُولُ رِجَاعٍ رَقَرَقَتْهَا السَّنَائِنُ

صورة من اللجين :

٤٩٧ - إِذَا سُلَّ مِنْ غَمْدٍ تَأْكُلُ أَثَرَهُ عَلَى مِثْلِ مِصْحَاةِ اللَّجَيْنِ تَأْكُلَا

صور من البرق :

٤٩٨ - شَدَدْنَا عَلَيْهِمُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّهَا بِأَيِّمَانِنَا غَمَامَةٌ تَتَبَسَّمُ
٤٩٩ - وَسَيْفِي كَالْعَقِيقَةِ وَهُوَ كَمَعِي سِلَاحِي لَا أَفَلَّ وَلَا فُطَارَا
٥٠٠ - وَيَبِیْضُ كَأَمْثَالِ الْعَقِيقِ صَوَارِمِ

تُصَانُ لِيَوْمِ الدَّوْخِ فِينَا وَتُخْشَبُ
٥٠١ - كَأَنَّهَا فِي الْأَكْفِ إِذَا لَمَعَتْ وَمِیْضُ بَرْقٍ يَبْدُو وَيَنْكَسِفُ
٥٠٢ - وَأَبِیْضَ هِنْدِيًّا كَأَنَّ غِرَارَهُ تَلَالُؤُ بَرْقٍ فِي حَبِيٍّ تَكَلَّلَا

(٤٩٥) المتنخل الهذلي : شعر الهذليين ، ص ٨٦ ب ٢٨ .

(٤٩٦) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٥٦ ب ١٦ .

(٤٩٧) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ص ٤٩٥ .

(٤٩٨) عمرو بن الحثارم : الفضليات ، ص ١١٤ سطر ١٩ .

(٤٩٩) عنتره : العقد الثمين ، قصيدة ١١ ص ٣٨ . العقيقة : عقيقة البرق : ما انفق منه

أي تسرب في السحاب . كمعي : ضجيعي ، يريد ملازم لي . فطار : فيه صدوع وشقوق .

(٥٠٠) الأعشى : قصيدة ٣٠ ب ٢٧ ، العقيق : البرق الذي يستطيل في عرض السحاب ،

وقد أكثروا من استعارتها للسيوف حتى جعلوها من أسمائها . الدوخ : الذل ، من داخ الرجل

إذا ذل وخضع . تخشب : تصقل .

(٥٠١) درهم بن يزيد الأوسي : ديوان حسان ، ص ٢٨٠ .

(٥٠٢) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ، ص ٤٩٥ .

٥٠٣ - كَأَنَّمَا الْآلُ فِي حَافَاتِ جَمْعِهِمْ وَالْبَيْضُ بَرَقَ بَدَا فِي عَارِضِ بَكِيفِ

٥٠٤ - تَلَوَحُ بِأَيْدِينَا كَمَا لَاحَ بَارِقُ
تَلَالًا فِي دَاجٍ مِنْ اللَّيْلِ حَالِكِ

صور من الشهاب والنار :

٥٠٥ - وَالشُّمْرُ مَطْرُودَةٌ مُثَقَّفَةٌ وَالْبَيْضُ تَزْهِي تَخَالُهَا شُهْبًا

٥٠٦ - تَدْعُو إِذَنْ حَامِي الْكُمَاةِ لَا كَسِيلًا

إِذَا السُّيُوفُ بِأَيْدِي الْقَوْمِ كَالْوَقْدِ
٥٠٧ - تَدَارِكُ لَا يَتَّقِي نَفْسَهُ بِأَبْيَضَ كَالْقَبَسِ الْمَلْتَهَبِ

صورة من الورق :

٥٠٨ - وَكَالْوَرَقِ الْخَفَافِ ، وَذَاتِ غَرْبٍ

تَرَى فِيهَا عَنِ الشَّرْعِ اِزْوَرَارًا

(٥٠٣) الأعشى : ديوانه . قصيدة رقم ١٦٤ ب - ٦ ص ٢٢٩ .

(٥٠٤) عباس بن مرداس : العقد الفريد - ٣ ص ٧٨ .

(٥٠٥) السموأل بن عاديا : ديوانه ص ١٩ ب - ٧ .

(٥٠٦) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٦ ب - ٢ .

(٥٠٧) عنتره : العقد الثمين ، ص ٣٥ . قصيدة ٣ ب - ٤ .

(٥٠٨) عنتره : العقد الثمين ، ص ٣٨ ، قصيدة ١١ ب - ٥ . غرب : حد . الشرع

ما يشرع فيه . ازورار : ميل وانحراف .

صورة من الصبح :

٥٠٩- لَمَّا رَأَوْكَ وَبُلَجُ الصُّبْحِ وَشَطَهُمْ
وَكَلَّ مُطَرِّدِ الْأُنْبُوبِ كَالْمَسَدِ

صورة من النمل والنر :

٥١٠- كَأَنَّ مَدَبَ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَا
وَمَذَرَجَ ذَرٌّ خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلَا
عَلَى صَفْحَتَيْهِ بَعْدَ حِينَ جَلَّاهُ
كَفَى بِالذِّي أَبْلَى وَأَنْعَتَ مُنْصَلَا

صورة من الشبث :

٥١١- تَرَى أَثْرَهُ فِي صَفْحَتَيْهِ كَأَنَّهُ
مَذَارِجُ شِبْثَانٍ لَهْنٌ هَمِيمٌ

صورة من الناقة :

٥١٢- يُعِدُّ لِيَوْمِ الرُّوْعِ زَعْفًا مُفَاضَةً
دِلَاصًا وَذَا غَرْبٍ أَحْذُ ضَرُوسًا

(٥٠٩) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٧ بـ ١١ .

(٥١٠) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ص ٤٩٥ .

(٥١١) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٣٠ . أثر السيف :
فرندة ، وهو وشبه الذي يكون على متنه . والشبثان : جمع شبث (بفتح الشين والباء) وهي
دويبة ذات قوائم ست طوال ، صفراء الظهر وظهور القوائم ، سوداء الرأس ، زرقاء العين .
وقيل هو دويبة كثيرة الأرجل عظيمة الرأس . والهميم : الدبيب .

(٥١٢) يزيد بن الحذاق : المفضليات ، ص ٥٩٨ بـ ٥ . والزغف : الدرع اللينة .
والمفاضة : الواسعة . والغرب : الحد ، وأراد بذلك حد السيف . أحذ : خفيف ، والضروس :
السيء الخلق في الإبل .

صورة من الفصاحة :

٥١٣- بِهَا نَغَمُ الْأَسْيَافِ تَنْطِقُ بِالصَّلَى
فَصِيحَاتُ حَدٍّ ثَائِرَاتُ خَفَائِفِ

صورة من المجنون :

٥١٤- مُنْتَخَبُ اللَّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ
خَذَبَاءُ كَالْعَطِّ مِنَ الْخِدَعِ

صورتان من المخراق :

٥١٥- كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِيْنَا وَفِيهِمْ مَخَارِيقُ
بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

٥١٦- أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا

كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقُ لَاعِبِ

صور من العصا :

٥١٧- إِذَا الْهِنْدُؤَانِيَّاتُ كُنَّ عَصِينَا

بِهَا تَتَأَبَّى كُلُّ رَأْسٍ وَمَفْرَقِ

٥١٨- غَدَوْنَا إِلَيْهِمْ وَالسُّيُوفُ عَصِينَا

بِأَيِّمَانِنَا نَفْلِي بَيْنَ الْجَمَاجِمَا

(٥١٣) البراق : شعراء النصرانية ص ١٤٦ .

(٥١٤) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٨٦ بـ ٢٦ .

(٥١٥) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٥١٦) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٣ بـ ٢١ .

(٥١٧) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٥ .

(٥١٨) عبد المسيح بن عسلة : الفضليات ص ٦٠٧ بـ ٢ .

٥١٩- نُقِيمُ لَهَا سَوْقَ الضَّرَابِ وَنَعْتَصِي
بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُوجِّهَ خَالَهَا

(هـ) الدرع

صورة من السمك :

٥٢٠- دِلَاصَ كَظْهِرِ النُّونِ لَا يَسْتَطِيعُهَا
سِنَانٌ وَلَا تِلْكَ الْحِظَاءُ الدَّوَاحِلُ

صورة من المبرد :

٥٢١- وَمَشْدُودَةُ السَّكِّ مَوْضُونَةٌ تَضَاهِلُ فِي الطِّيِّ كَالْمِبْرَدِ

صورتان من الجراد :

٥٢٢- مُضَاعَفَةٌ يَغْشَى الْأَنَامِلَ فَضْلُهَا
كَأَنَّ قَتِيرَتَيْهَا عُيُونُ الْجَنَادِ
٥٢٣- مُضَاعَفَةٌ تَخَيَّرَهَا سُلَيْمٌ كَأَنَّ قَتِيرَتَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ

(٥١٩) الأعشى : قصيدة ٧٢ ب ٧ .

(٥٢٠) المزرد : المفضليات : ص ١٧٣ بيت ٣٩ .

(٥٢١) امرئ القيس : العقد الثمين ص ١٢٣ قصيدة ١٤ بيت ١٥ .

(٥٢٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٢ بيت ١١ . والقدير : رؤوس المسامير لخلق الدرع .

(٥٢٣) عمرو بن معد يكرب : سمط اللآلى ، ص ٦٣ .

صورة من البقل :

٥٢٤ — مُدَاخَلَةٌ مِنْ نَسْجٍ دَاوَدَ سَكَّهَا

كَحَبِّ الْجَنَّا مِنْ أَبْلَمٍ مُتَفَلَّقٍ

صورة من السيل والماء والغدير :

٥٢٥ — تَفِيضٌ عَلَى الْمَرْءِ أَرْدَانُهَا كَفَيْضِ الْإِثْيِ عَلَى الْجَدُّجِدِ

٥٢٦ — وَالْبَيْضُ حَصْنٌ لَهُمْ إِذَا فَزَعُوا

وَسَايَغَاتٌ كَأَنَّهَا النُّطْفُ

٥٢٧ — إِلَى الصُّرَاخِ وَبِرِّي مُضَاعَفَةٌ

كَأَنَّهَا مُفَرِّطٌ بِالسِّيِّ تَمْطُورٌ

٥٢٨ — فَالْقَوَا لَنَا أَرْسَانٌ كُلُّ نَجِيَّةٍ

وَسَايَغَةٍ كَأَنَّهَا مَثْنٌ خِرْنَقٌ

٥٢٩ — مُدَرَّعًا رَيْطَةً مُضَاعَفَةً كَالنَّهْيِ وَفِي سَرَارِهِ الرَّهْمُ

(٥٢٤) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٥ .

(٥٢٥) امرئ القيس : العقد الثمين ص ١٢٣ ، قصيدة ١٤ بيت ١٦ . والجدجد : الأرض الصلبة .

(٥٢٦) درهم يزيد الأوسي : ديوان حسان ص ٢٨٠ (في الهامش) .

(٥٢٧) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٦٣ . والسبي : الفلاة . ومفرط : من أفرطه إذا ملأه بالماء حتى سال أو فاض .

(٥٢٨) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٥ .

(٥٢٩) الجميع الأسدي : المفضليات ص ٤٧ بيت ٩ . والريطرة : الملاءة ، وأراد بها هنا الدرع . والنهي : الغدير . سراره : وسطه . الرهم : جمع رهمة (بكسر فسكون) وهي المطرة الخفيفة الدائئة . ووفته الرهم : ملأته .

- ٥٣٠ — وَدِلَاصَ كَالنَّهْيِ ذَاتُ فُضُولٍ
- ذَاكَ فِي حَلْبَةِ الْحَوَادِثِ مَالِي
- ٥٣١ — وَبَيْضَاءَ كَالنَّهْيِ مَوْضُونَةٌ لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَيْبِ الْبَدَنِ
- ٥٣٢ — أُعِدَّتْ لِلْأَعْدَاءِ مَوْضُونَةٌ فَضْفَاضَةٌ كَالنَّهْيِ بِالقَاعِ
- ٥٣٣ — لَبِسُوا مِنَ الْمَاضِي كُلَّ مُفَاضَةٍ
- كَالنَّهْيِ يَوْمَ رِيَاحِهِ الرُّقْرَاقِ
- ٥٣٤ — وَأَمْلَسَ حَوْلِيًّا كَنِهِيَّ قَرَارَةٍ
- أَحْسَ بَقَاعِ نَفْحِ رِيحٍ فَأَجْفَلَا
- ٥٣٥ — بَيْضَاءَ مِثْلِ النَّهْيِ رِيحَ وَمَدَّةٍ
- شَايِبُ غَيْثٍ يَحْفِشُ الْأَكْمَ صَائِفِ
- ٥٣٦ — أُعِدُّ لِلْحَرْبِ كُلِّ سَابِغَةٍ فَضْفَاضَةٍ كَالْغَدِيرِ وَالْيَلْبَا

- (٥٣٠) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ٥٧ بيت ٩ .
- (٥٣١) الأعشى : قصيدة رقم ٢ بيت ٧٤ . والقونس : البيضة ، أو المغفر ، وهو زرد ينسج على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة . والجيب : فتحة الرأس . والبدن : الدرع القصير والموضونة : منسوجة حلقتين حلقتين .
- (٥٣٢) أبو قيس بن الأسلت : المفضليات ص ٥٦٧ بيت ٦ .
- (٥٣٣) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٤ .
- (٥٣٤) أوس بن حجر : شعراء النصرانية ، ٤٩٤ .
- (٥٣٥) ثعلبة بن عمرو : المفضليات ص ٥٦٢ بيت ٨ . ريح : أصابته الريح ، شاييب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . يحفش : يقشر . صائف : في الصيف .
- (٥٣٦) السموأل بن عادي : ديوانه ص ١٩ قصيدة ٧

٥٣٧- وَزَغْفٌ دِلَاصٌ كَمَا الْغَدِيرُ تَوَارَتْهُ قَبْلَهُ حَمِيرٌ

٥٣٨- وَكُلٌّ دِلَاصٌ كَالْأَضَاةِ حَصِينَةٌ

تَرَى فَضْلَهَا عَنْ رَبِّهَا يَتَذَبَذَبُ

٥٣٩- وَأَسْمَرٌ خَطِيٌّ وَأَبْيَضٌ بَاتِرٌ وَزَغْفٌ دِلَاصٌ كَالْغَدِيرِ الْمَثُوبِ

٥٤٠- مُضَاعَفَةٌ كَالْأَضَاةِ الْمَسِيَّةِ لِي تَغْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ فَضُولًا

٥٤١- كَانَ غُضُونُهُنَّ مُتُونٌ غُدْرٌ تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا

٥٤٢- كَمَتَنِ الْغَدِيرِ زَهْتُهُ الدُّبُورُ يَجْرُ الْمَدَجُّجُ مِنْهَا فَضُولًا

٥٤٣- سَرَابِيلُنَا فِي الرَّوْعِ بَيْضٌ كَأَنَّهَا

أَضَاةُ اللَّثُوبِ هَزَّتْهَا مِنَ الرِّيحِ شَنَالٌ

صورتان من الريح في الحصاد :

٥٤٤- تَخْشَخَشُ اِبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ

كَمَا خَشَخَشَتْ يُبْسُ الْحَصَادِ جَنُوبٌ

(٥٣٧) خفاف بن عمير : الأغاني ج ١٦ ص ١٤٤ .

(٥٣٨) الأعشى : قصيدة ٣٠ بيت ٢٨ . والاضاءة : غدير الماء . وفضل الدرع : ما فضل

منها وزاد ،

(٤٣٩) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٥٣ بيت ٦ . والزغف : الدرع الرقيقة النسج .

والمثوب : الذي تصفقه الريح فيروح ويحيى ، وهو من ثاب يثوب اذا رجع .

(٥٤٠) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، قصيدة ١١ ص ٨٨ بيت ١٢ .

(٥٤١) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٥٤٢) عبد القيس بن خفاف البرجمي : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٣١٣ . الغدير : القطعة

من الماء يغادرها السيل . زهته : حركته .

(٥٤٣) أوس بن حجر : ديوان عامر بن الطفيل ، ص ١١٥ سطر ٣ .

(٥٤٤) علقمة الفحل : العقد الثمين ، ص ١٠٥ قصيدة ٣ بيت ٣٠ .

٥٤٥- لَهَا جَرَسٌ كَحَفِيفِ الْحَصَا دِ صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحاً دُوراً

(و) البيضة

صورة من المصباح :

٥٤٦- كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ فِي حَجَرَاتِهَا

مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ زَهَتْهَا الْقَنَادِلُ

صورة من النار :

٥٤٧- شُمْ كَأَنَّ سَنَا الْقَوَانِسِ فَوْقَهُمْ

نَارٌ عَلَى شَرَفِ الْيَفَاعِ تَلَهَّبُ

صور من النجوم والكواكب :

٥٤٨- سَوَابِغُهُمْ بَيْضٌ خِفَافٌ ، وَفَوْقَهُمْ

مَنْ الْبَيْضِ أَمْثَالِ النُّجُومِ اسْتَقَلَّتْ

(٥٤٥) الأعشى : قصيدة ١٢ بيت ٤٧ . والجرس : صوتها حين يحنك بعضها ببعض .
الحصاد : النبات الذي جف على سوقه ونضج .

(٥٤٦) المزرد : المفضليات ص ١٧٤ بيت ٤٣ .

(٥٤٧) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ١٤ بيت ١٣ . القوانس : هنا قوانس البيض ،
وهي أوساطها في أعلاها . اليفاع : كل ما ارتفع من الأرض .

(٥٤٨) الأعشى : قصيدة ٤٠ بيت ١٠ ، سوابغهم : دروعهم السابغة أي التي تغطي سائر
الجسد . استقلت : ارتفعت ، يشبه البيض في بريقه فوق رؤوسهم بالنجوم في السماء .

٥٤٩- بِجَأَوَاءَ ، يَنْفِي رِذْهَآ سَرْعَانَهَا

كَأَنَّ وَضِيحَ الْبَيْضِ فِيهَا الْكَوَاكِبُ

٥٥٠- صَبَحْنَا بِهَا الْآطَامَ حَوْلَ مُزَاحِمٍ

قَوَانِسُ أُولَى بَيْضِنَا كَالْكَوَاكِبِ

صورة من الحصن :

٥٥١- وَالْبَيْضُ حِصْنٌ لَّهُمْ إِذَا فَزَعُوا وَسَابِغَاتُ كَأَنَّهَا النُّطْفُ

(ز) الترس

صورة من الشمس :

٥٥٢- وَجَوْبٌ يُرَى كَالشَّمْسِ فِي طَخِيَّةِ الدُّجَا

وَأَبْيَضُ مَاضٍ فِي الضَّرِيَّةِ قَاصِلُ

(٥٤٩) الأخنس بن شهاب : المفضليات ص ١٩٤ بيت ٢٣ . والجأواء : الكتيبة الكثيرة الدروع . الورد : ما ورد الماء منها . سرعانها : المتسرعون منها الى الماء ، المتقدمون : أي من ورد بعد السرعة طرده عن الماء مخافة أن يضيق عنهم لكثرتهم . وضريح البيض : ما ظهر منها . (٥٥٠) قيس بن الخطيم ، ديوانه ، ص ١٣ بيت ٢٦ ، ومزاحم : أطم من أطامهم . (٥٥١) درهم بن يزيد الأوسي : ديوان حسان ، ٢٨٠ (في الهامش) . (٥٥٢) المزرد : المفضليات ص ١٧٤ بيت ٤٤ .

٧ - الكتيبة والجيش

صورة من النجوم :

٥٥٣- قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ كَانَهُمْ
في البيضِ وَالْحَلَقِ الدَّلَاصِ نُجُومٌ

٥٥٤- وَإِذَا دَعَوْا بَنِي رَبِيعَةَ شَمَرُوا

بِكَتَيْبَةٍ مِثْلِ النُّجُومِ تَلْمَعُ

٥٥٥- بِكِتَابٍ تَرْدِي تَعَوَّدَ كَبْشَهَا نَطَحَ الْكِبَاشِ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ

٥٥٦- وَرَجْرَاجَةٌ مِثْلُ لَوْنِ النُّجُومِ مِثْلُ لَوْنِ النُّجُومِ لَا الْغَزْلُ فِيهَا وَلَا الْحُسْرُ

٥٥٧- بَأَنَّ بَنِي الْوَخْمِ سَارُوا مَعًا بِجَيْشٍ كَضَوْءِ نُجُومِ السَّحَرِ

صور من الليل :

٥٥٨- فَانْتَجَعْنَا الْحَارِثَ الْأَعْرَجَ فِي جَحْفَلٍ كَاللَّيْلِ خَطَّارِ الْعَوَالِي

(٥٥٣) قتادة بن مسلمة : الحماسة (مصر) ج ١ ، ص ٣٢٢ .

(٥٥٤) حمصيصة الشيباني : العقد الفريد ج ٣ ص ٩٢ .

(٥٥٥) لبيد بن ربيعة : ديوانه ، ص ١٠٤ .

(٥٥٦) العباس بن مرداس : الأغاني ج ١٦ ص ١٤٠ .

(٥٥٧) المرقش الأكبر : المفضليات ، ص ٤٨٢ بيت ٢ . وبنو الوخم : بنو عامر بن

ذهل بن ثعلبة . وخص نجوم السحر لأن النجوم التي تطلع في آخر الليل كبار النجوم ودراريها .

(٥٥٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ٥٩ ب ٨ .

٥٥٩- أَوْ تَزْجُرُوا مُكْفَرًا لَا كِفَاءَ لَهُ

كَاللَّيْلِ يَخْلُطُ أَضْرَامًا بِأَضْرَامٍ

٥٦٠- كَأَنَّمَا الْأُسْدُ فِي عَرِينِهِمْ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ فِي قَتْمِهِ

٥٦١- لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ يَقْدُمُهُمْ مُطَبِّقُ الْأَرْضِ يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدَفُ

٥٦٢- كُنْ كَالسَّمَوَاتِ إِذْ سَارَ الْهَامُ لَهُ

فِي بَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ

٥٦٣- بِبَحْفَلٍ كَبِيرٍ اللَّيْلُ مُنْتَجِعٌ

أَرْضَ الْعَدُوِّ لُحَامٍ وَافِرِ الْعَدَدِ

٥٦٤- ذَاكَ وَقَدْ عَنَّا لَّهُمْ عَارِضٌ كَجُنْحٍ لَيْلٍ فِي سَمَاءِ بَرُوقٍ

صور من الجبل :

٥٦٥- يَوْمَ سِرْنَا إِلَى قَبَائِلِ عَوْفٍ بِجُمُوعٍ زُهَاوْهَا كَالْجِبَالِ

(٥٥٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٧ قصيدة ٢٦ ب ٦ .

(٥٦٠) رجل من حمير : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٢٢ . والعرين : مأوى الأسد .
والقتم : يطلق على الظلمة والغبار .

(٥٦١) الأعشى : قصيدة ٦٢ ب ٢٢ .

(٥٦٢) الأعشى : قصيدة ٢٥ ب ٥ .

(٥٦٣) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٤٦ ب ٦ ، والبهيم : الأسود ، وإنما شبههم بالليل لأن الليل يغطي كل شيء . والمنتجع : الطالب .

(٥٦٤) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٣ .

(٥٦٥) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٤ .

٥٦٦- إِذَا جَاءَ خَصْمٌ كَالْحِفَافِ لِبُوسِهِمْ

سَوَابِغُ أَبْدَانٍ وَرَيْطٌ مُعَضَّدُ

٥٦٧- وَلَمَّا رَأَوْا نَقَرَى تَسِيلُ إِكَامِهَا

بَارِعَنَ جَرَّارٍ وَحَامِيَةٍ غُلْبُ

٥٦٨- إِلَى مِيعَادِ أُرْعَنَ مُكْفَهَرٌ تَضَمَّرُ فِي جَوَانِبِهِ الْخِيُولُ

٥٦٩- حَتَّى لَحِقْنَا بِهِمْ تَعْدِي فَوَارِسُنَا

كَأَنَّا رُعْنُ قَفٍّ يَرْفَعُ الْآلَا

٥٧٠- بَارِعَنَ مِثْلَ الطُّودِ غَيْرِ أَشَابَةٍ

تَنَاجَزُ أَلَاهُ وَلَمْ يَتَصَرَّمْ

٥٧١- بَارِعَنَ كَالطُّودِ مِنْ وَائِلٍ يَوْمُ الثُّغُورِ وَيُعْتَانُهَا

٥٧٢- بِجَمْعٍ كَرُكْنِ الطُّودِ غَيْرِ أَشَابَةٍ

إِذَا اعْتَمَدُوا لَا يُكْثِرُونَ التَّشَاغِيَا

(٥٦٦) معقل بن خويلد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٠٩ ب ٢ .

(٥٦٧) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٦٩ ب ٢ .

(٥٦٨) عبدالله بن غنمة : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٤٢٢ .

(٥٦٩) الأعشى : ديوانه ، ص ٢٥٢ قصيدة ١٧٦ ب ١ .

(٥٧٠) أوس بن حجر : سمط اللآليء ص ٤٦٠ .

(٥٧١) سلامة بن جندل : النقائض (مصر) ج ٢ ص ١٣٤ .

(٥٧٢) مالك بن نويرة : النقائض (مصر) ج ١ ص ٢٤٥ .

٥٧٣ - غُدَاةَ كَانْنَا وَبَنِي أَيْبِنَا بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رُكْنَا تَبِيرِ

٥٧٤ - وَصَبَّحَهُمْ عِنْدَ الشَّرُوقِ كَتَائِبِ

كَأَرْكَانِ سَلَمَى سَيْرُهَا مُتَوَاتِرِ

٥٧٥ - يَا وَيْلَ أُمِّكُمْ مِنْ تَجْمَعِ سَادَتِنَا

كَتَائِبُ كَالرُّبَا وَالْقَطَرُ يَنْسَكِبِ

٥٧٦ - وَمَعَ الْجَوْنِ حَوْنِ آلِ بَنِي الْأَوْ

سِ عُنُودُ كَانَهَا دَفُوءِ

٥٧٧ - نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتِ حَدٍّ مُحَافَظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَ

٥٧٨ - هُمْ ضَرُّوا عَنْ فَرْجِهَا بِكَتِيبَةٍ

كَبِيَاضِ حَرَسٍ فِي طَوَائِفِهَا الرَّجُلِ

٥٧٩ - بِجَمْعِ كَلُونِ الْأَعْبَلِ الْجَوْنِ لَوْلَهُ

تَرَى فِي نَوَاحِيهِ زُهَيْرًا وَحَذِيماً

(٥٧٣) المهمل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٠ .

(٥٧٤) المعقر البارقى : النقائض (أوربا) ص ٦٧٦ .

(٥٧٥) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٦ .

(٥٧٦) الحارث بن حلزة : المعلقة .

(٥٧٧) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٥٧٨) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ، قصيدة ١٤ ، ص ٩٠ .

(٥٧٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٥ .

صورة من الرمل :

٥٨٠- عَلَى جُرْدٍ كَأَمْثَالِ السَّعَالِي وَرَجُلٍ مِثْلِ أَهْمِيَةِ الْكَثِيبِ

صورة من الشجر الكثيف :

٥٨١- فَانْقَضَ مِثْلَ الصَّقْرِ يَقْدُمُهُ جَيْشٌ كَغَلَانِ الشَّرِيفِ لَهُمْ

صورة من شق القنوات :

٥٨٢- تَشَقُّ الْحَزَائِيُّ سُلَافُنَا كَمَا تَشَقُّ الْهَاجِرِيُّ الدَّبَارَا

صور من النار :

٥٨٣- وَمُشْعَلَةٌ كَالطَّيْرِ نَهْنَهَتْ وَرَدَهَا إِذَا مَا الْجَبَانُ يَدْعِي وَهَوَّ عَانِدُ

٥٨٤- إِنْ بَنَى الْأَوْسُ حِينَ تَسْتَعِيرُ آلَ حَرْبٍ لَكَالْثَرِ تَأْكُلُ الْحَطَبَا

٥٨٥- فَجَاءُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتَ فِي النَّارِ الْوُقُودَا

٥٨٦- فَمَا جَبُنُوا أَنَّا نَشْدُ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ رَأَوْا نَارًا تَحْسُ وَتَسْفَعُ

(٥٨٠) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٩٦ .

(٥٨١) المرقش الأكبر : المفضليات ، ص ٤٩٠ ب ٢٢ .

(٥٨٢) عوف بن عطية : المفضليات ، ص ٨٤٤ ب ٢٩ والحزائي : الغليظ من الأرض .

سلافنا : المتقدمون منا ، وذلك لكثرتهم . الهاجري : منسوب إلى هجر ، مدينة بالبحرين . والدبار : جمع دبيرة ، وهي القطعة من الأرض تزرع ، أو النهر الصغير يشق فيها .

(٥٨٣) ضمرة بن ضمرة : المفضليات ، ٦٣٣ بيت ١ . والمشعلة : الكتيبة تشعل للحرب .

نهنت : كفت . يدعى ينتسب . عائد : منحرف .

(٥٨٤) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ٣١ ب ١٩ .

(٥٨٥) خدّاش بن زهير : الأغاني ج ١٩ ص ٧٨ .

(٥٨٦) أوس بن حجر : النقائض (مصر) ج ١ ص ٦٨ .

٥٨٧— خُزِرْ عِيُونُهُمْ كَانْ لِحَظَّهُمْ حَرِيقُ غَابٍ تَرَى مِنْهُ السَّنَا قِطْعَا

صورة من الدخان :

٥٨٨— تُبَارِي الزَّجَاجَ مَغَاوِيرُهَا شَمَاطِيطٌ فِي رَهَجٍ كَالدَّخْنِ

صورة من السراب :

٥٨٩— فَأَتْبَعُهُمْ فَيَلْقَا كَالسَّرَا بٍ جَاوَاءٍ تُتْبِعُ شُخْبًا تُعُولَا

صورتان من البحر :

٥٩٠— أَلَمْ تَرَ أَنَا مِرْدَى حُرُوبٍ نَسِيلُ كَأَنَّا دُفَاعُ بَحْرٍ

٥٩١— فَمَا فَتَّشُوا حَتَّى رَأَوْا كَأَنَّا مَعَ الصُّبْحِ آذِيٌّ مِنَ الْبَحْرِ مُزِيدٌ

صورة من الريح :

٥٩٢— مَلَكْتُ سَرَاهَا إِلَى صُبْحِهَا بِشُعْثٍ كَأَنَّهُمْ حَاصِبٌ

(٥٨٧) لقيط الأيادي : مختارات ابن الشجري .

(٥٨٨) الأعشى ، قصيدة ٢ بيت ٦٤ . الزجاج : جمع زج وهو الحديدية في أسفل الرمح .

شماطيط : فرقا وجماعات . الرمح : الغبار .

(٥٨٩) زهير بن أبي سلمى ، العقد الثمين ، قصيدة ١١ ص ٨٧ . فيلق : كتيبة . وشبههم

بالسراب للون الحديد . جاواه : علاها لون صدأ الحديد . والشخب : اللبن من الخلف وهو

أحد ضروع الناقة . والشغل : الزيادة في الضرع . شبه الكتائب التي يتبع بعضها بعضاً بالزوائد

في الضروع .

(٥٩٠) بشر بن أبي خازم ، المفضليات ص ٦٤٠ بيت ٤ .

(٥٩١) مالك بن نويرة ، شعراء النصرانية ص ٢٥٩ .

(٥٩٢) معقل بن خويلد ، شعراء الهذليين ص ١١٣ بيت ٤ .

صور من السحاب :

٥٩٣- فَإِذَا رَأَيْتُمْ عَارِضًا مُتَعَلِّبًا مِنَّا فَإِنَّا لَا نَحُولُ مَالًا

٥٩٤- فِي عَارِضٍ مِنْ وَائِلٍ إِنْ تَلَقَّاهُ

يَوْمَ الْهِيَاجِ يَكُنْ مَسِيرُكَ أَنْكَدَا

٥٩٥- إِذَا قَبِلْتَ خَيْرٌ فِي جَمْعِهَا وَمَذْجٌ كَالْعَارِضِ الْمُسْتَحِقِّ

صور من السحاب والريح :

٥٩٦- فَجَاءُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجِئْنَا كَهَيْجِ الرِّيحِ تَقْذِفُ بِالْغَمَامِ

٥٩٧- ثُمَّ وَلَّوْا عِنْدَ الْحَفِیْظَةِ وَالصَّبِّ كَمَا تَطْحَرُ الْجَنُوبُ الْجَهَامَا

٥٩٨- فَلَمَّا رَأَوْنَا بِالنَّسَارِ كَأَنَّا نَشَاصُ الثَّرِيَا هَيَّجَتْهَا جَنُوبُهَا

صور من السحاب والبرق :

٥٩٩- تَلَلُّوْا مُزْنَةً بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا

(٥٩٣) عبدالله بن جعدة الكلبي ، العقد الفريد ج ٣ ص ٦٢ .

(٥٩٤) الأعشى : قصيدة ٣٤ بيت ٤١ .

(٥٩٥) المهلهل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٢ .

(٥٩٦) معقل بن خويلد : شعر الهذليين ، ص ١٠٥ بيت ٥ .

(٥٩٧) الأعشى ، قصيدة ٣٨ بيت ١٩ . الحفيظة : الغضب فيما يجب صوته والدفاع عنه .

تطحر : تدافع وتقذف . الجهام : السحاب .

(٥٩٨) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٤٣ بيت ١١ . نشاص الثريا : ما ارتفع من

السحاب بنوئها ، شبه للكتيبة في كثرتها بهذا السحاب ، وإذا كان مع السحاب ريح كان أكثر .

(٥٩٩) عبد الشارق بن عبد العزيز : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٧٢ ،

٦٠٠ - وَمَوْقِفُنَا فِي غَيْرِ دَارٍ تَثِيَّةٍ . وَمُلْحَقُنَا بِالْعَارِضِ الْمُتَأَلِّقِ

٦٠١ - فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ لَاقَى فَوَارِسًا

يَرُدُّونَ نَحَالَ الْعَارِضِ الْمُتَوَقِّدِ

٦٠٢ - يَطِيبُ لَهُ أَوْ أَفْـتِرَاصُ بِسَيْفِهِ

عَلَى دَهَشٍ فِي عَارِضٍ مُتَوَقِّدِ

٦٠٣ - ذَاكَ وَقَدْ عَنْهُمْ عَارِضٌ كَجُنْحٍ لَيْلٍ فِي سَمَاءٍ بَرُوقِ

٦٠٤ - كَأَنَّمَا الْأَلُّ فِي حَافَاتِ جَمْعِهِمْ

وَالْبَيْضُ بَرَقَ بَدَأَ فِي عَارِضٍ يَكِفُ

صورة من الرعد والبرق :

٦٠٥ - فَأُضْبَحُوا ثُمَّ صَفُّوا دُونَ بَيْضِهِمْ

وَأُبْرِقُوا سَاعَةً مِنْ بَعْدِ مَا رَعَدُوا

صور من السحاب والبرد :

٦٠٦ - فَجَاءُوا عَارِضًا بَرِدًا وَجِئْنَا كَهَيْجِ الرِّيحِ تَقْذِفُ بِالْغَمَامِ

(٦٠٠) سلامة بن جندل : ديوانه ص ١٥ .

(٦٠١) عنتره : العقد الثمين ، ص ٣٧ قصيدة ٨ بيت ٤ .

(٦٠٢) زهير بن أبي سلمى : العقد الثمين ص ٨٢ قصيدة ٢ . افترص : قطع وضرب .

دهش : عجلة ، أي يحمل على عجلة . متوقد : أي من الحديد والسلاح .

(٦٠٣) المهلهل ، شعراء النصرانية ، ص ١٧٣ .

(٦٠٤) الأعرشى : ديوانه ، ص ٢٤٩ ، قصيدة ٨٦٤ بيت ٦ .

(٦٠٥) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٧ .

(٦٠٦) معقل بن خويلد : شعر الهذليين ص ١٠٥ ب ٨ ،

٦٠٧ - جَاءَتْ بَنُو الْأَوْسِ عَارِضاً بَرِداً

تَحْلِيهِ الرِّيحُ مُقْبِلاً حَلِبا

٦٠٨ - فَجَاءُوا عَارِضاً بَرِداً وَجِئْنَا كَمِثْلِ السَّيْلِ نَرْكَبُ وَازِعِينَا

٦٠٩ - فَجَاءُوا عَارِضاً بَرِداً وَجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتَ فِي النَّارِ الْوُقُودَا

صور من السحاب الممطر :

٦١٠ - فَلَمَّا دَنَوْا صَلْنَا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ سَحَابَتْنَا تَنْدَى أُسْرُوتَهَا دَمَا

٦١١ - لَجِبَ إِذَا ابْتَدَوْا قَنَابِلَهُ كَنَشَاصِ يَوْمِ الْمِرْزَمِ السَّجْمِ

٦١٢ - يَا وَيْلَ أَمَّكُمْ مِنْ جَمْعِ سَادَتِنَا كَتَائِبُ كَالرُّبَا وَالْقَطَرُ يَنْسَكِبُ

٦١٣ - أَجَادَتْ وَبَلَّ مَدْجِنَةٌ فَدَرَّتْ عَلَيْهِمْ صَوْبَ سَارِيَةٍ دُرُورُ

٦١٤ - غَدَاةَ رَأُونَا بِالْعَرِيفِ كَأَنَّا حَبِيٍّ أَدْرَتْهُ الصَّبَا مُتَهَلِّلُ

(٦٠٧) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣١ ب ١٧ .

(٦٠٨) عبد الشارق بن عبد العزي : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٧٠ .

(٦٠٩) خدّاش بن زهير : الأغاني ج ١٩ ص ٧٨ .

(٦١٠) جساس بن نشبة : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٢٤ . سحابتنا : جيشنا الذي

كأنه سحابة . تندى : ترشح . الاسرة : الاوساط والطرائق .

(٦١١) الجميع : المفضليات ، ص ٧١٨ بيت ٧ . واللجة : ذو الأصوات . ابتدوا :

أخذوا يجانبه . القنابل : الجماعات . النشاص : ما ارتفع من السحاب . المرزم . نجم له نوء . السجم : السائل .

(٦١٢) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٦ .

(٦١٣) هلال بن رزين : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٢٦ . أجادت : أرسلت ، الوبل :

المطر الشديد . المدجنة : السحابة الكثيفة المظلمة . والدور : الكثيرة الدر . وهو فاعل درت .

(٦١٤) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ، ص ٧٧٨ . وأدرت للريح السحاب : جلبته .

صور من السيل :

٦١٥ - فجاؤوا عارضاً برداً وجئنا كمثل السيل نركب وازعينا

٦١٦ - وجئنا إليهم كموج الأتي ي يغلو النجاد ويملا المسيل

٦١٧ - إذا فزعوا مدوا إلى الميل صارخاً

كموج الأتي المزبد المتراكب

٦١٨ - أرعن مثل الأتي أعقبه صوب ملث يسيل الحدبا

٦١٩ - لهم عدوة كأنقصف الأتي مدي مد به الكدر اللاحب

٦٢٠ - وعادية وزعت لها حفيف حفيف مزبد الأعراف غاطي

تمد له حوالب مشعلات يجللن أقمر ذو انعطاط

صورة من الأشطان :

٦٢١ - جعلنا قشيراً غاية يهتدي بها كما مد أشطان الدلاء قليبها

(٦١٥) عبد الشارق بن عبد العزى : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٧٠ .

(٦١٦) الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٧٠ . والاتي : سيل يأتيك ، ولا يصيبك مطر .

(٦١٧) قيس بن الخطيم : ديوانه ، ص ١٢ ب ١٤ . والصارخ : المميت .

(٦١٨) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٢ ب ١٨ . أرعن : جيش يشبه برعن الجبل ،

وهو أنف منه متقدم . أعقبه : جاء بعده . صوب ملث : مطر دائم ، ويقال : ألثت السماء إذا دام مطرها .

(٦١٩) معقل بن خويلد : شعر الهذليين ، ص ١٣٣ ب ٥ .

(٦٢٠) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ، ص ٩٢ .

(٦٢١) بشر بن أبي خازم ، المفضليات ، ص ٦٤٣ بيت ١٧ ، والقليب : البشر . يقول :

قصدا إليهم لا نلتوي يمينا ولا شمالا كما مد الحبل في البشر .

صورتان من الرحي :

٦٢٢ - وَدُرْنَا كَمَا دَارَتْ عَلَى قُطْبِهَا الرَّحَى

وَدَارَتْ عَلَى هَامِ الرُّجَالِ الصَّفَانِحِ

٦٢٣ - صَبَّحُوا فَارِسَ فِي رَأْدِ الضُّحَى

بِطَّحُونِ فَخَمَةٍ ذَاتِ صَبَحٍ

صورة من الإيوان :

٦٢٤ - وَيَحْمِي الْحَيَّ أُرْعَنُ ذُو دُرُوعٍ

مِنِ السَّلَافِ تَحْسِبُهُ إِيوَانًا

صورة من الخمار :

٦٢٥ - وَجَلَّلَنَ دَمْعًا قِنَاعَ الْعَرُوسِ أَذْنَتْ عَلَى حَاجِبَيْهَا الْخُمَارَا

صورة من الأسنة :

٦٢٦ - فِيهَا فَوَارِسٌ مُحْمُودٌ لِقَاؤُهُمْ مِثْلُ الْأَسْنَةِ لَا مِيلٌ وَلَا كُشْفٌ

(٦٢٢) عنتره ، العقد الثمين ، ص ٣٦ قصيدة ٧ بيت ١٣ .

(٦٢٣) الأعشى ، قصيدة ٣٦ بيت ١٢ رَأْدِ الضُّحَى ورائد الضحى : وقت ارتفاع الشمس .
والرأْد والرود : الشابة . صبح : بريق الحديد .

(٦٢٤) الأعشى ، قصيدة ٢٧ بيت ٦ . سلاف العسكر : مقدمته وخيره . الإوان : بيت مرتفع البناء غير مسدود الوجه ، وهو فارسي معرب .

(٦٢٥) عوف بن عطية ، المفضليات ، ص ٨٤٤ بيت ٤١ . جللن : غطين . دمع : جبل .
يريد أنهم غطوا هذا الجبل بجيشهم .

(٦٢٦) الأعشى ، قصيدة رقم ١٥٤ بيت ٤ ص ٢٤٩ .

صورة من السامر :

٦٢٧- حَبَّتْ دُونَهُمْ بَكَرٌ فَلَمْ نَسْتَطِعْهُمْ

كَأَنَّهُمْ بِالْمَشْرِفَةِ سَامِر

صورة من الجراد :

٦٢٨- رِعَالًا كَأَمْثَالِ الْجَرَادِ لَخِيلِهِمْ عَكُوبٌ إِذَا ثَابَتْ سَرِيعٌ نُزُولُهَا

٦٢٩- فَلَمْ يَنْتَبِهْ حَتَّى أَحَاطَ بِظَهْرِهِ حَسَابٌ وَسِرْبٌ كَالْجَرَادِ يَسُوم

٦٣٠- أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَالَكُمْ

أَمْسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ الدِّبَا سِرْعًا

صورة من القطا :

٦٣١- وَنَحْنُ حُمَاةُ الْحَرْبِ لَيْسَتْ تَضُرُّنَا

نَسُوقُ خَمِيسًا كَالْقَطَا مُتَبَدِّدًا

(٦٢٧) خدّاش بن زهير ، الاغانى ج ١٩ .

(٦٢٨) الاعشى . قصيدة ٢٣ بيت ١٢ . الرعال : جمع رعل ، وهو القطعة المتقدمة من الخيل والرجال وغير ذلك . عكوب : غبار وأصوات من عكبت الإبل أي ازدحمت ، واعتكبت الغبار : ثار . ثابت : رجعت .

(٦٢٩) ساعدة بن جؤية ، ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٢٩ . سرب : قطيع رجال . يسوم : يسرح . حساب : عدد كثير .

(٦٣٠) لقيط الايادي ، مختارات ابن الشجري .

(٦٣١) قيس بن الخطيم ، ديوانه ، ص ٤١ ، قصيدة ٢٤ ، بيت ٦ .

صورة من النحل :

٦٣٢ - فَبَاتُوا يَسْتُونُ لَزْجَاجَ كَأَنَّهُمْ

إِذَا مَا تَنَادَوْا خَشْرَمٌ مُتَحَدِّبٌ

صور من الطير :

٦٣٣ - وَمُشْعَلَةٌ كَالطَّيْرِ نَهْنَهَتْ وَرَدَهَا إِذَا مَا الْجَبَانُ يَدَّعِي وَهُوَ عَائِدٌ

٦٣٤ - كَأَنَّ السَّرَايَا بَيْنَ قَوْوٍ وَقَارَةٍ عَصَائِبُ طَيْرٍ يَنْتَحِينَ لِمَشْرَبٍ

٦٣٥ - تَلْمَعُ تَلْمَعُ الطَّيْرِ رَايَاتُهُ عَلَى أَوَاذِي لُجٍّ بِحَرِّ عَمِيقٍ

٦٣٦ - بِمُعْضَلٍ لَجِبٍ كَأَنَّ عُقَابَهُ فِي رَأْسِ خُرْصٍ طَائِرٍ يَتَقَلَّبُ

٦٣٧ - فَمَا بَرُّ حَوَا حَتَّى رَأَوْا فِي دِيَارِهِمْ

لِوَانٍ كَظَلِّ الطَّائِرِ الْمُتَقَلِّبِ

٦٣٨ - كَتَائِبُ تُزَجَّى فَوْقَ كُلِّ كَتِيبَةٍ

لِوَانٍ كَظَلِّ الطَّائِرِ الْمُتَقَلِّبِ

٦٣٩ - كَتَائِبُ شُهَبًا فَوْقَ كُلِّ كَتِيبَةٍ لِوَانٍ كَظَلِّ الطَّائِرِ الْمُتَصَرِّفِ

(٦٣٢) طفيل الغنوي ، ديوانه ، ص ٢١ ، بيت ٧ .

(٦٣٣) ضمرة بن ضمرة ، المفضليات ص ٦٣٣ بيت ١ .

(٦٣٤) عنتره ، العقد الثمين ، ص ٣٥ ، قصيدة ٤ .

(٦٣٥) المهلهل ، شعراء النصرانية ، ص ١٧٣ .

(٦٣٦) عبيد بن الأبرص ، ص ١٥ بيت ٢١ ، والمعضل : الجيش الكثير يضيق به المكان

لكثرتة ، عقابه : رايته . والخرص : سنان الرمح .

(٦٣٧) طفيل الغنوي . ديوانه ص ١٣ بيت ٥٦ .

(٦٣٨) عنتره العبسي : العقد الثمين ص ٣٥ قصيدة ٤ .

(٦٣٩) عنتره العبسي ، العقد الثمين ص ٤٠ قصيدة ١٥ بيت ١٠ .

صور من العقاب والصقور :

٦٤٠ — كَفَّوْا إِذَا أَتَى الْهَامِرُ تَخْفُقُ فَوْقَهُ

كَظَلَّ الْعُقَابِ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتْ

٦٤١ — لَهَا فَرَطٌ يَحْوِي النَّهَابَ كَأَنَّهُ لَوَامِعُ عُقْبَانٍ مَرُوعٍ طَرِيدُهَا

٦٤٢ — تَبَيَّتْ كَعُقْبَانِ الشَّرِيفِ رِجَالُهُ إِذَا مَا نَوَوْا إِحْدَاثَ أَمْرٍ مُعْطَبٍ

٦٤٣ — عَوْدًا عَلَى بَدْوٍ كَرَّ مَا يَدِينُهُمْ كَرَّ الصُّقُورِ بَنَاتِ الْمَاءِ تَخْتَطِفُ

٦٤٤ — وَمَرَبَّاءٍ أَوْفَيْتُ بُجْنَحَ أُصَيْلَةٍ عَلَيْهَا كَمَا أَوْفَى الْقَطَامِيُّ مَرْقَبًا

صور من الثور :

٦٤٥ — كَغَمَاغِمِ الثَّيْرِ إِنْ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ تُغْمَضُ دُونَهُ الْحَدَقُ

صور من الإبل :

٦٤٦ — وَسَارَتْ رِجَالُ نَحْوٍ أُخْرَى عَلَيْهِمْ أَلْ

جَدِيدُ كَمَا تَمْشِي الْجِمَالُ الدَّوَالِحُ

-
- (٦٤٠) الأعرشى : قصيدة ٤٩ بيت ٧ . والهامرز : أحد قادة كسرى في يوم ذي قار .
(٦٤١) المثقب العبدى ، الفضليات ص ٢٠٩ بيت ٢٢ . الفرط : المتقدمون من الكتيبة ، يحوي النهاب : يجمع الأسلاب . لوامع العقبان : أجنحتها . مروع : من راعه إذا أفرعه .
(٦٤٢) طفيل الغنوي ، ديوانه ص ٤ بيت ١٢ .
(٦٤٣) الأعرشى ، ديوانه ص ٢٤٩ . قصيدة رقم ١٦٤ بيت ٨ .
(٦٤٤) ربيعة بن مقروم ، الفضليات .
(٦٤٥) المسيب بن علس ، ديوان الأعرشى ص ٣٧٥ .
(٦٤٦) عنبرة ، العقد الثمين ص ٣٦ قصيدة ٧ بيت ١٠ .

٦٤٧ - وَقَدْ رَجَعَتْ دُودَانُ تَبْغِي لثَارَهَا

وَجَاشَتْ تَمِيمٌ كَالْفُحُولِ تُخَاطِرُ

٦٤٨ - عَطَفْنَا لَهُمْ عَظْفَ الضُّرُوسِ مِنَ الْمَلَا

بَشَبَاءَ لَا يَمْشِي الضَّرَاءُ رَقِيبُهَا

٦٤٩ - عَطَفْنَا لَهُمْ عَظْفَ الضُّرُوسِ فَأَدَبُوا

شِلَالًا وَقَدْ بَلَ النَّجِيعُ السَّنَابِكَا

٦٥٠ - فَعَدَوْنَا عَلَيْهِمْ بَكَرَ الْوَرْدِ دِ كَمَا تُورِدُ النَّضِيجَ الْهَيَّامَا

٦٥١ - إِذَا هُمْ جَمْعٌ بَانَصِرَافٍ تَعَطَّفُوا تَعَطَّفَ وَرْدِ الْخُمْسِ أَطَّتْ رِبَاعُهَا

صورة من الضرع :

٦٥٢ - فَأَتَبَعَهُمْ فَيَلْقَا كَالسَّرَا بِ جَأَوَاءَ تُشْبِعُ شُخْبًا تُغُولَا

صورتان من النمر :

٦٥٣ - وَنَلْبِسُ لِلْعَدُوِّ جُلُودَ أُسْدٍ إِذَا نَلَقْنَا هُمْ وَجُلُودَ نَمْرٍ

(٦٤٧) المعقر البارقي ، النقائض (أوربا) ص ٦٧٦ بيت ٦ .

(٦٤٨) بشر بن أبي خازم ، المفضليات ص ٥٢ بيت ١١ . شلالا : هرابا . النجيع :

الدم . والسنابك : جمع سنبك وهو مقدم الحافر .

(٦٥٠) الاعشى ، قصيدة ٣٨ بيت ١٤ . البكر (بالتحريك) والبكرة (بضم فسكون)

واحد ، وهو أول الصبح ، وهنا ظرف زمان . والنضيج : الحوض ، لانه ينضح عطش الإبل حين تشرب منه . الهيام : العطاش .

(٦٥١) قيس بن الخطيم ، ديوانه ص ٢٥ بيت ٤ . أطت : حنت . وأطيط الإبل : زفيرها

من البطنة . والورد : الإبل الواردة . والخمس : أن تشرب الإبل الماء يوماً ، وقدعه ثلاثة أيام ثم ترد الماء في اليوم الرابع .

(٦٥٢) زهير بن أبي سلمى ، العقد الثمين ، ص ٨٨ قصيدة ١١ بيت ١٤ .

(٦٥٣) بشر بن أبي خازم . المفضليات ص ٦٤٠ بيت ٦ .

٦٥٤ - فَعَارَكُنَا الْكُفَاةَ وَعَارَكُونَا عِرَاكَ الثُّمْرِ عَارَكْتَ الْأُسُودَ

صور من الأسد :

٦٥٥ - وَلَوْ قَامَ لَمْ يَلْقَ الْأَحِبَّةَ بَعْدَهَا وَلَا قَى أُسُوداً هَضَرَهَا وَدِفَاعَهَا

٦٥٦ - وَمَعِيَ أُسُودٌ مِنْ حَنِيفَةٍ فِي الْوَعَى

للبَيْضِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ تَسْوِيمٌ

٦٥٧ - وَنَلْبَسُ لِلْعَدُوِّ جُلُودَ أُسْدٍ إِذَا نَلَقَاهُمْ وَجُلُودَ ثَمَرٍ

٦٥٨ - مَشِينَا مَشِيَةَ اللَّيْثِ غَدَاً وَاللَّيْثُ غَضِبَاتٍ

٥٦٩ - بِرِجَالٍ كَاللَّيْثِ حَرَّبَهَا الزَّجَرُ وَخَيْلٍ مَا تُنْكَرُ الْإِقْدَامَا

٦٦٠ - وَرَأَوْا عُقَابَهُمُ الْمُدَّةُ أَصْبَحَتْ

نُبَذَتْ بِأَفْضَحَ ذِي مَخَالِبَ جَهْضَمٍ

٦٦١ - وَكُنَّا بِهَا أَسْدًا زَائِرًا أَبَى لَا يُحَاوِلُ إِلَّا سَوَارًا

(٦٥٤) خدّاش بن زهير . الاغانى ج ١٩ ص ٧٨ ،

(٦٥٥) قيس بن الخطيم ديوانه ص ٢٥ بيت ٢ .

(٦٥٦) قتادة بن سلمة ، الحماسة (مصر) ج ١ ص ٣٢١ . والتسويم : التأثير والعلامة .

(٦٤٧) بشر بن أبي خازم ، المفضليات ، ص ٦٤٠ بيت ٥ .

(٦٥٨) الفند الزماني ، ديوان الحماسة . غدا : ابتكر .

(٦٥٩) الاعشى ، قصيدة ٣٨ بيت ١٥ . حربها : أغضبها . الزجر : الطرد مع صوت .

(٦٦٥) بشر بن أبي خازم ، المفضليات ، ص ١٨٢ بيت ١٥ . والافضح : أسد فيه حمرة

وبياض . جهضم : قوي شديد .

(٦٦١) عوف بن عطية ، المفضليات ص ٨٤٥ بيت ٣٥ ، زائر : من الزئير . يحاول :

يطالب . سوار : مساورة وهي المواثبة ،

- ٦٦٢ - فِدَى لِبَنِي شَقِيقٍ حِينَ جَاؤَا كَأَسَدِ الْغَابِ تَجْلِبُ بِالزُّئِيرِ
 ٦٦٣ - كَأَنَّمَا الْأُسْدُ فِي عَرِينِهِمْ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشٍ فِي قَتَمِهِ
 ٦٦٤ - وَكَتِيبَةٌ سَفَعِ الْوَجُوهِ بَوَاسِلِ كَالْأُسْدِ حِينَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَاهِهَا
 ٦٦٥ - فَعَارَ كُنَا الْكِمَاءَ وَعَارَ كُنَا عِرَاكَ النَّمْرِ عَارَكَتِ الْأُسُودَا

٨ - الموقعة

(١) الطعن

صور من الهدية :

- ٦٦٦ - وَنَحْنُ حَبَوْنَا الْجَعْفَرِيَّ بِطَعْنَةٍ تَمَجُّ نَجِيعاً مِنْ دِمِ الْجَوْفِ أَحْمَرَا
 ٦٦٧ - نَحْبُو الْكَتِيبَةَ حِينَ تَقْتَرِشُ الْقَنَا طَعْنَا كَالْهَابِ الْحَرِيقِ الْمُضْرَمِ
 ٦٦٨ - إِلَى أَنْحْوَاهِمُ طَيِّ فَأَهْدَوْا لَهُمْ طَعْنَاً مِنَ الْعُنْوَانِ وَارِي

(٦٦٢) المهمل ، شعراء النصرانية ص ١٧٥ .

(٦٦٣) رجل من حمير ، الحماسة (مصر) ج ١ ص ١٢٢ .

(٦٦٤) باعث بن صريم ، الحماسة (مصر) ج ١ ص ٢٠٨ . سفع : اسودت وجوههم من

الشمس .

(٦٦٥) خدّاش بن زهير ، الأغاني ج ١٤ ص ٧٨ .

(٦٦٦) حرقوص المري ، المفضليات ص ٣٣ بيت ١ .

(٦٦٧) سنان بن أبي حارثة ، المفضليات ص ٦٨٦ بيت ٣ . تفتارش : تفتارش أي

تتداخل ويقع بعضها على بعض ،

(٦٦٨) البراق : شعراء النصرانية ، ص ١٤٣ .

٦٦٩— جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَائِفَةٍ بِمُثَقَّفٍ صَدَقَ الْقَنَاءَ مَقُومٌ

صورتان من تشقيق الجلد :

٦٧٠— فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بِنَوَافِذِ كَنُوفِذِ الْعُبْطِ الَّتِي لَا تُرْقَعُ

٦٧١— بِضَرْبٍ فِي الْجَمَاجِمِ ذِي فُرُوعٍ وَطَعْنٍ مِثْلٍ تَعْطِيطِ الرَّهَاطِ

صورتان من جيب الحمقاء :

٦٧٢— كَجَيْبِ الدُّفْنِ الْوَرَهَا رِيَعَتْ وَهِيَ تَسْتَفْلِي

٦٧٣— كَجَيْبِ الدُّفْنِ الْوَرَهَا رِيَعَتْ بَعْدَ إِجْفَالِ

صورة من النابل :

٦٧٤— نَطَعْنُهُمْ سُلُوكِي وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلِ

صورة من النار :

٦٧٥— وَلَوْ تَصَبَّرْ لِي حَتَّى أَخْأِصَهُ أَسْعَرَتْهُ طَعْنَةٌ كَالنَّارِ بِالزَّئِدِ

(٦٦٩) عنبرة ، العقد الثمين ص ٤٧ .

(٦٧٠) أبو ذؤيب الهذلي ، المفضليات ، ص ٨٨٠ بيت ٦٢ . والعبط ، جمع عبط ، وأصل العبط : شق الجلد الصحيح ، ونحر البعير من غير علة . لا ترقع : أي لا يمكن ترقيعها .

(٦٧١) المتنخل الهذلي ، ديوان الهذليين ص ٩٢ بيت ٢٤ ،

(٦٧٢) المسيب بن علس ، ديوان الأعشى ، ص ٣٤٨ قصيدة ١٨ بيت ٢ .

(٦٧٣) الفند الزماني : شعراء النصرانية ص ٢٤٣ ، والدفنس : الحمقاء . والورهاء : قليلة العقل . ريعت : أخيفت ، والمعنى أن هذه الطعنة لقوتها اتسع عليها . كاتساع جيب المرأة الحمقاء التي تسرع في المشي وهي خائفة ، وربما مزقت جيبيها في هذه الحالة .

(٦٧٤) امرؤ القيس ، العقد الثمين ص ١٥١ قصيدة ٥١ .

(٦٧٥) زيد الخيل ، الأغاني ج ١٦ ص ٥٤ ،

٦٧٦ — نُحِبُّ الْكِتِيبَةَ حِينَ تَقْتَرِشُ الْقَنَّا

طَعْنًا كَالِهَابِ الْحَرِيقِ الْمُضْرَمِ

٦٧٧ — بِمَشْعَلَةٍ يَغْشَى الْفِرَاشَ رَشَاشُهَا

يَبِيتُ لَهَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَاحِمٌ

صورة من الإبل :

٦٧٨ — وَرَدَّ سَرَاةَ الْأَوْسِ إِذْ جَاءَ جَمْعُهُمْ

بِطَعْنِ كَأَفْوَاهِ الْمَخِيسَةِ الْهُدْلِ

٦٧٩ — بَطْعِنِ كَرَمَحِ الشَّوْلِ أُمْسَتْ غَوَارِزَا

جَوَاذِبُهَا تَأْتِي عَلَى الْمُتَغَبِّرِ

٦٨٠ — بَطْعِنِ كَايزَاغِ الْمَخَاضِ رَشَاشُهُ وَضَرْبِ كَتَشْقِيقِ الْحَصِيرِ الْمَشْقُقِ

٦٨١ — بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ

وَبَطْعِنِ كَايزَاغِ الْمَخَاضِ الضَّوَارِبِ

(٦٧٦) سنان بن أبي حارثة : المفضليات ص ٦٨٦ بيت ٣ .

(٦٧٧) الأعشى : قصيدة ٩ ، بيت ٣١ . ومشعلة : طعنة واسعة يتفرق منها الدم مندفعاً .

جاحم : متوقد . وكانوا يوقدون عند المطعمون ليعرف حاله في كل ساعة .

(٦٧٨) حسان بن ثابت : ديوانه ص ٣٢٠ .

(٦٧٩) أبو جندب الهذلي : شعر الهذليين ص ٩١ بيت ١٠ .

(٦٨٠) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ص ١٧٦ بيت ٧ .

(٦٨١) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٢ قصيدة ١ بيت ٢٢ .

صور من المَزَادَة :

٦٨٢ — فَرَدَدَ نَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا يَخْرُجُ مِنْ فُخْرِيَّةِ الْمَزَادِ الْمَاءُ

٦٨٣ — وَمِنْ دُونِهِ طَعْنٌ كَانَ رَشَاشُهُ عَنَّا إِلَى مَزَادٍ وَالْأَسَنَّةُ تُرْزَمُ

٦٨٤ — وَبِطَعْنٍ لَنَا نَوَافِذُ فِيهِمْ كَفُوهِ الْمَزَادِ يَرْوِي الشَّلِيلَةَ

٦٨٥ — وَطَعْنٍ كَفَمِ الزَّقِّ غَدَاً وَالزَّقُّ مَلَانٌ

٦٨٦ — بِضَرْبٍ تَظَلُّ الطَّيْرُ فِيهِ جَوَانِحًا وَطَعْنٍ كَأَفْوَاهِ الْمَزَادِ الْمُفْتَقِ

٦٨٧ — وَالطَّاعِنِ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءُ تَحْسِبُهَا

شَنًّا هَزِيمًا يَمْجُ الْمَاءُ مَخْرُوقًا

٦٨٨ — بِرَّمَا حَةٍ تَنْفِي التَّرَابَ كَأَنَّهَا هَرَاقَةٌ عَقٌّ مِنْ شَعِيبِي مُعَجَّلٍ

صورة من النسيج :

٦٨٩ — فَجِثْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَا حُ تَنْوُشُهُ

كَوْقَعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمَمْدُدِ

(٦٨٢) الحارث بن حلزة : المعلقة . خربة المزاد : ثقبها . والمزاد جمع مزادة ، وهي زق الماء خاصة .

(٦٨٣) المسيب بن علس : ديوان الأعشى ص ٣٥٨ قصيدة ٢١ بيت ٤ .

(٦٨٤) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٨٠ .

(٦٨٥) الفند الزماني : الحماسة (مصر) ج ١ ص ١١ . غدا : سال ، شبه الطعنة إذا سال منها الدم بفم الزق إذا سال منه الحمر .

(٦٨٦) سلامة بن جندل . ديوانه ص ١٥ .

(٦٨٧) الأسود بن يعفر : شعراء النصرانية ص ٤٨٠ .

(٦٨٨) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٣٩ بيت ٣٢ .

(٦٨٩) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٥٧ .

(ب) الضرب

صورة من الرشد :

٦٩٠— فَإِنْ تَسِيرُوا إِلَيْنَا تُرْفَدُوا عَجَلًا
ضَرْبًا يَظْلُ عَلَى هَامَاتِكُمْ يَقْدُ

صورة من الكسوة :

٦٩١— كَسَوْتُ الْجَعْفَرِيَّ أَبَا جَزَىءَ وَلَمْ تَحْفَلْ بِهِ ، سَيْفًا صَقِيلًا

صورة من تشقيق الجلد :

٦٩٢— يُجَدِّلُونَ مَلُوكًا فِي طَوَائِفِهِمْ
ضَرْبًا خَرَادِيلَ كَالْتَّشْقِيقِ فِي الْأَدَمِ

صورتان من عمل الحصر :

٦٩٣— إِذَا أَدْرَكُوهُمْ يُلْحَقُونَ سَرَائِهِمْ
بِضَرْبٍ كَمَا جَدَّ الْحَصِيرَ الشَّوْاطِبُ

(٦٩٠) البراق : شعراء النصرانية ص ١٤٤ ،

(٦٩١) قيس بن زهير : أيام العرب ، ص ٢٤٥ .

(٦٩٢) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٥٤ . يجدلون :

يصرعون . طوائفهم : نواحيهم . خراذيل : قطعاً قطعاً ،

(٦٩٣) ملك بن خالد الهذلي : الهذليين ، ص ١٧١ بيت ٣ .

٦٩٤— بَطَعْنِ كَايْزَاغَ الْمَخَاضِ وَشَاشُهُ

وَضَرْبِ كَتَشْقِيقِ الْحَصِيرِ الْمَشَقَّقِ

صورة من تقطيع الحمقاء ثوبها :

٦٩٥— مُنْتَخَبُ اللَّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ خَدْبَاءُ كَالْعَطِّ مِنْ الْحَدْعَلِ

أَفْلَطَهَا اللَّيْلُ بِعَيْرٍ فَتَسْعَى ثَوْبُهَا مُجْتَنِبُ الْمَعْدَلِ

صورة من تقطيع السيال :

٦٩٦— أَلَا إِنَّ بَيْنَ الشَّرْعِيِّ وَرَاتِجِ ضِرَابِ كَتَخْذِيمِ السِّيَالِ الْمُعْضَدِ

صورة من النار :

٦٩٧— فَإِ تَسِيرُوا إِلَيْنَا تُرْفَدُوا عَجَلًا

ضَرْبًا يَظَلُّ عَلَى هَامَاتِكُمْ يَقْدُ

صورة من المطر على الطراف :

٦٩٨— وَحَسِبْتُ وَقَعَ سُيُوفِنَا بِرُفُوسِهِمْ

وَقَعَ السَّحَابِ عَلَى الطَّرَافِ الْمَشْرُجِ

(٦٩٤) ملك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ص ١٧٥ بيت ٧ .

(٦٩٥) المتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ص ٨٦ البيتان : ٢٦ - ٢٧ .

(٦٩٦) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٢١ بيت ٥ . الشرعي وراتج : موضعان . تخذيم :

تقطيع . والسيال : شجر له شوك أبيض . والمعضد : المقطع .

(٦٩٧) البراق : شعراء النصرانية ص ١٤٤ .

(٦٩٨) الحارث بن حنظل : المفضليات ص ١٧٥ ، بيت ٨ . والطراف : بيت من جلد

والمشرج : التي ادخل بعض عراها في بعض .

سورة من الريح في الحصاد :

٦٩٩— كَأَن ائْتَلَاءَ الْمَشْرِقِ رُؤُوسَهُمْ هَوِيٌّ جُنُوبٍ فِي يَبِيسٍ مُّخَرَّقٍ

(ح) يوم الموقعة

صورتان من الوقت الطويل :

٧٠٠— إِنِّي لَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَن يَكُونَ لَكُمْ

مِنْ أَجَلٍ بَغْضَائِهِمْ يَوْمٌ كَأَيَّامِ

٧٠١— سَارُوا إِلَيْنَا وَهُمْ صَيْدٌ رُؤُوسُهُمْ

فَقَدْ جَعَلْنَا لَهُمْ يَوْمًا كَأَيَّامِ

صورتان من الكواكب :

٧٠٢— وَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْرَ لَيْسَ بِنَافِعِي وَأَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْهَبَا

٧٠٣— تَبْدُوكُوا كِبَهُ وَالشَّمْسُ طَالَعَةُ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ

(٦٩٩) سلامة بن جندل ، ديوانه ، ص ١٥ .

(٧٠٠) النابغة الذبياني ، العقد الثمين ، ص ٢٧ قصيدة ٢٦ بيت ٤ .

(٧٠١) محرز بن المكعب الضبي ، المفضليات ، ص ٥١٠ بيت ٥ . والصيد : جمع أصيد ، وهو الذي يرفع رأسه كبراً .

(٧٠٢) الحصين بن الحمام ، المفضليات ص ٦٢٣ بيت ٥ .

(٧٠٣) النابغة الذبياني ، العقد الثمين ص ٢٧ قصيدة ٢٦ بيت ٥ .

صورة من الغمام :

٧٠٤ — لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ وَانْجَلَتْ

غمامةٌ يومَ شرِّه مُتَظَاهِر

صورة من المكشر عن انيابه :

٧٠٥ — أَعَاذِلْ كَمْ مِنْ يَوْمٍ حَرِّ شَهْدُتِهِ

لَهُ مَنْظَرٌ بِأَدْيِ النَّوَاجِذِ كَالْح

صورة من الخيل :

٧٠٦ — وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عُدُوِّنَا لَهَا غُرٌّ مَعْلُومَةٌ وَحُجُول

(د) الشعور النفسي

صورة من الطابخة :

٧٠٧ — فَكَانُوا كَذَاتِ الْقِدْرِ لَمْ تَذَرِ إِذْ غَلَتْ

أُنْزِلُهَا مَذْمُومَةٌ أَمْ تُذَيِّبُهَا

(٧٠٤) عوف بن الأحوص . المفضليات ص ٧١٦ بيت ٧ .

(٧٠٥) عنتره : العقد الثمين ، ص ٣٦ ، قصيدة ٧ بيت ٥ .

(٧٠٦) السموأل بن عاديا : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٣٠ .

(٧٠٧) بشر بن أبي خازم : المفضليات ، ص ٦٤٤ بيت ١٢ . ويقصد بذات القدر كانت

امرأة تسليء سمناً ، ارتفعت عليها زبدتها ، فان أذابتها لم تصلح ، وان أنزلتها فسدت .

صورة من الحمار :

٧٠٨ — وَقَدْ ضَمَزَتْ بِجَرَّتِهَا سُلَيْمٌ مَخَافَتَنَا كَمَا ضَمَزَ الْحِمَارُ

صورة من الوعل :

٧٠٩ — وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي

عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٌ

صورتان من الناقة :

٧١٠ — وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبُورِ يَعْتُ فَأَقْبَلْتُ

إِلَى جَلَدٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّدٍ

٧١١ — وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبُورِ يَعْتُ فَرَجَّعْتُ

وَهَلْ تَنْفَعُنِي نَظْرَةٌ وَشَمِيمٌ

أَطَافَتْ فَسَافَتْ ثُمَّ عَادَتْ فَرَجَّعْتُ

أَلَا لَيْسَ عَنْهَا سُجْرُهَا بِصَرِيمٍ

(٧٠٨) بشر بن أبي خازم : المفضليات . ص ٦٧١ بيت ٣٣ . ضمزت : سكنت وذلت من الخوف ، لم ينطقوا ولم يسمع لهم خبر . ويقال : الضموز : الكضوم على الجرة ، وإنما خص الحمار لأنه لا يجتر فهو ساكت أبداً .

(٧٠٩) النابغة الذبياني : العقد الثمين ص ٢٢ قصيدة ٢٠ بيت ١٧ .

(٧١٠) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٥٧ .

(٧١١) متمم بن نويرة : النقائض (مصر) ج ٢٢١ . وسافت : شمت ، والسوف : الشم . والسجر : الحنين . صريم : منقطع .

صورتان من الشفاء :

٧١٢ — كُنَّا إِذَا نَعْرُو لِحَرْبٍ نَعْرَةً نَشْفِي صُدَاعَهُمْ بِرَأْسٍ مُصْدَمٍ

٧١٣ — فَكُلُّ قِبَائِلِهِمْ أَتَبَعَتْ كَمَا أَتَبَعَ الْعَرُّ مِلْحًا وَقَارًا

صورة من خطم الأنف :

٧١٤ — تَمَكَّكُ أَطْرَافَ الْعِظَامِ غُذِيَّةً

وَنَجْعَلُهُنَّ لِلْأُنُوفِ خَوَاطِمًا

صور من الشرب :

٧١٥ — وَنَحْنُ سَقِينَا مِنْ فَرِيرٍ وَتُجْتَرُ بِكُلِّ يَدٍ مَنَا سِنَانًا وَتَغْلِبَا

٧١٦ — نَجْذِجُهُارًا بِالسِّيُوفِ رُفُوسَهُمْ وَأَرْمَا حُنَا مِنْهُمْ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ

(٧١٢) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٨٠ بيت ١٠ . نعروا : صرخوا . مصدم : شديد ،

(٧١٣) عوف بن عطية : المفضليات ، ص ٨٤٦ بيت ٣٨ : العر : الجرب وهو يداوي بالملح والقار ، أي أتبعتهم ووقعنا بهم برءاً مما كان في صدورهم من البغي وحب القتال كما اتبع العر وهو الجرب ملحاً وقاراً فشفيت الجربى .

(٧١٤) عبد المسيح بن عسلة : المفضليات ، ص ٦٠٧ بيت ٤ . التملكك : إخراج المخ من العظم بالشفقتين ، أو شدة الاستقصاء على العظم بالفرس ، غدية : تصغير غداة . خواطم : أي خطمنا أنوفهم بهذه الواقعة ، أي صيرنا بها عاراً عليهم كالعلامة على أنوفهم .

(٧١٥) ربيعة بن مقروم : المفضليات ص ٧٣٨ بيت ٢١

(٧١٦) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية . ص ٧٧٨ .

٧٠٧ — فَأَشْرَبُوا مَا وَرَدْتُمْ الْآنَ مِنَّا

وَأَصْدُرُوا خَاسِرِينَ عَنْ شَرِّ حَالٍ

٧١٨ — بَدَارِهِمْ تَرَكَنَا يَوْمَ نَحْسٍ لَدَى أَوْطَانِهِمْ تُسْقَى السَّهَامَا

٧١٩ — وَإِنْ يَقْذِفُوا بِالْقِدْعِ عَرَضَكَ أَسْقَهُمْ

بِشُرْبِ حِمَاضِ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّهْدُدِ

٧٢٠ — ثُمَّ أَشْقَاهُمْ عَلَى نَفْدِ الْعَيْشِ فَأَرْوَنَ ذُنُوبَ رِفْدٍ مُحَالٍ

صور من الكأس :

٧٢١ — تَلَقَّ الَّذِي لَاقَى الْعَدُوَّ وَتَصْطَبِحُ

كَأْسًا صَبَابَتُهَا كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ

٧٢٢ — حَتَّى نَقِينَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ مَكْرُوهَةٍ حُسُوءَاتُهَا كَالْعَلَقَمِ

٧٢٣ — وَسَقَيْتُ تَيْمَ اللَّاتِ كَأْسًا مُرَّةً كَالنَّارِ شُبٌّ وَقُودُهَا بِضِرَامِ

٧٢٤ — وَصَبَحْنَا عَبَسًا وَمُرَّةً كَأْسًا فِي نَوَاحِي دِيَارِهِمْ فَأَسْبَطَرَتْ

(٧١٧) المهمل : شعراء النصرانية ، ص ٧٤٢ .

(٧١٨) عامر بن الطفيل : ديوانه ، ص ٩٩ بيت ٢٧ .

(٧١٩) طرفة بن العبد : المعلقة .

(٧٢٠) الأعشى : قصيدة ١ بيت ٦٤ . والذنوب : الدلو المملوءة ماء . محال : مصبوب ،

ضربه مثلاً للموت .

(٧٢١) سنان بن أبي حارثة : المفضليات ص ٦٨٨ بيت ٢ .

(٧٢٢) بشر بن أبي خازم : المفضليات ٦٨٦ بيت ٢٢ .

(٧٢٣) المهمل : شعراء النصرانية ، ص ١٧٤ .

(٧٢٤) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١٠٥ بيت ٣ . واسبطرت : انتشرت وامتدت .

- ٧٢٥ - صَرَفْتُ إِلَيْهِ نَحْسًا يَوْمَ سُوءٍ
لَهُ كَأْسٌ مِّنَ الْمَوْتِ الْمَتَّاحِ
٧٢٦ - سَقَيْنَا بِالْفَضَاءِ كَثُوسَ حَتَفٍ
بَنِي عَوْفٍ وَإِخْوَتَهُمْ تَزِيدًا
٧٢٧ - يُسَاقُونَنَا كَأْسًا مِّنَ الْمَوْتِ مُرَّةً
وَعَرْدَةً عَنَّا الْمَقْرِفُونَ الْحَنَائِلَ
٧٢٨ - أَذَاقُوهُمْ كَأْسًا مِّنَ الْمَوْتِ مُرَّةً
وَقَدْ بَذَخْتَ فُرْسَانَهُمْ وَأَدَلَّتْ
٧٢٩ - حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةً
فِيهَا الْمُثَمَّلُ نَافِعًا فَلْيُشْرَبُوا

صور من الخمر :

- ٧٣٠ - فَإِنَّ بَنِي عَجَلٍ هُمْ صَبَّخُوكُمْ
صَبُوحًا يُنْسِي ذَا اللَّذَازَةِ سَاعِرًا
٧٣١ - لَقَدْ صَبَّخْنَاهُمْ بِأَلْبِيضٍ صَافِيَةٍ
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَحَرُّ الْمَوْتِ يَتَّقِدُ
٧٣٢ - وَنَحْنُ صَبَّخْنَا عَامِرًا يَوْمَ أَقْبَلُوا
سُيُوفًا عَلَيْهِمُ النَّجَادُ بَوَاتِكًا
٧٣٣ - صَبَّخْنَا فَرَازَةَ سُمرِ الْقَنَا
فَهَلَّا فَرَازَةَ لَا تَضْجَرُوا
٧٣٤ - صَبَّخْنَاهُمْ مَشْعَشَعَةً
تَخَالُ مَصْبَهَا رَذَمًا

- (٧٢٥) جساس بن مرة : شعراء النصرانية ، ص ٢٤٧ .
(٧٢٦) قيس بن الخطيم ديوانه ، ص ٢٦ بيت ٦ . تزايد جد بني سلمة بن علي بن تزايد ، وليس في العرب تزايد غيرهم ، وغير بطن في قضاة .
(٧٢٧) مالك بن حطان : النقائص (مصر) ج ١ ص ٢٣ .
(٧٢٨) الأعشى : قصيدة ٤٠ بيت ٩ . بذخ (كعلم) تكبر وعلا . أدل : تاه وترفع .
(٧٢٩) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ١٥ بيت ٢٠ . والمثمل : السم .
(٧٣٠) مقاس العائدي : المفضليات ، ص ٦١٠ بيت ٧ . ساعراً : حاراً .
(٧٣١) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٨ .
(٧٣٢) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٥٢ بيت ١٠ .
(٧٣٣) دريد بن الصمة : شعراء النصرانية ص ٧٦٠ .
(٧٣٤) الأعشى : قصيدة ٥٦ ، بيت ٢١ . المشعشة : الخمر المزوجة بالماء . مصبها : انصبابها . رذماً : من رذمت الناقة رذماً إذا دفعت بلبنها .

٧٣٥- فَمَافَزِعُوا إِذْ خَالَطَ الْقَوْمُ أَهْلَهُمْ وَلَكِنْ رَأَوْا صِرْفًا مِنْ الْمَوْتِ أَصْهَبًا
٧٣٦- فَصَبَّحَهُمْ بِهَا صَهْبَاءٌ صِرْفًا كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ بَيْضُ النَّعَامِ

صور من المطر :

٧٣٧- كَانَهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لِطِيرِهِنَّ دَيْبٌ
٧٣٨- فَجَادَتْ عَلَى الْهَامِزِ وَشَطَّ بُيُوتَهُمْ

شَايِبٌ مَوْتٍ أَشْبَلَتْ وَأَسْتَمَلَتْ
٧٣٩- وَمَا نَذِرُوا حَتَّى غَشِينَا بُيُوتَهُمْ
بَغِيْبَةٌ مَوْتٍ مُسْبِلِ الْوَدْقِ مُزْعِفِ

صورة من الجرف المنهار :

٧٤٠- فَاسْتَذَبُّوهُمْ فَهَاضُوهُمْ كَانَهُمْ
أَرْجَاءُ هَارٍ زَفَاهُ الْيَمُّ مُنْثَلِمٌ

(٧٣٥) الحصين بن الحمام : المفضليات ص ٦٢٣ ب ٨ .

(٧٣٦) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٢٩ قصيدة ٢٧ ب ٢٧ .

(٧٣٧) علقمة الفحل : المفضليات ، ص ٧٨٤ ب ٢٢ . يقول : كان ما أصابهم من القتل

الذريع سحابة جاءت بصواعق ، فقتلت ما أصابت من الطير . وبقي ما أفلت منها يدب ولا يقدر على الطيران ،

(٧٣٨) الأعشى : قصيدة ٤٠ ب ١٤ .

(٧٣٩) عنتره : العقد الثمين ، ص ٤٠ قصيدة ١٥ ب ٤ . نذروا : علموا . بغيبة موت :

موت كان غائباً عنهم . مسبل الودق : ممطر ، وذلك كناية عن انصباب الموت فوق رؤوسهم .
والمزعف : القاتل من السم .

(٧٤٠) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين (دار الكتب) ص ٢٠٦ . هاضوهم : كسروهم .

أرجاء : نواح . هار : تكسر وانهدم . زفاه : استخفه . اليم : البحر ، شبه الجيش المنهزم
بالجرف المنهار بفعل البحر .

صورتان من الحنظل :

٧٤١—والهام تندر بالصعيد كأنما تَلَفَى السُّيُوفُ بِهَا رُؤُوسَ الحنظل

٧٤٢—كَأَنَّ رُؤُوسَ الحَزْرَجِيِّينَ إِذْ بَدَتْ

كَتَائِبُنَا تَتَرَى مَعَ الصُّبْحِ ، حَنَظَلُ

صورتان من الفنائم :

٧٤٣—لَقِينَاهُمْ نَسْتَنْقِذُ الحَيْلَ كَالْقَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْهَرِيَّ الْمُقْصِدا

٧٤٤—نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الجَرْدَ كَالْقَنَا

وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْهَرِيَّ المَقْوَمَا

صورتان من اللعب :

٧٤٥—حَشَاهُ السَّنَانُ ثُمَّ خَرَّ لِأَنْفِهِ كَمَا قَطَرَ الكَعْبَ المَوْرِبَ نَاهِدُ

٧٤٦—سَائِلُ بِنَا حُجْرُ بْنُ أُمِّ قَطَامٍ إِذْ

ظَلَّتْ بِهِ السُّمُرُ النُّوَاهِلُ تَلْعَبُ

(٧٤١) عنبرة : العقد الثمين ، ص ٤٣ ، قصيدة ٢٠ ب ١٧ . تندر : تسقط . الصعيد : الأرض ، شبه رؤوس الأعداء برؤوس الحنظل وهو شجرٌ مُرٌّ ، في سهولة قطعها .

(٧٤٢) قيس بن الخطيم ، ديوانه ص ٢٤ ب ٢ .

(٧٤٣) زيد الخيل : الأغاني ج ١٦ ص ٥٥ ،

(٧٤٤) الحصين بن الحمام : الفضليات ص ١٠٦ بيت ٩ .

(٧٤٥) ضمرة بن حمزة : الفضليات ص ٦٣٥ ب ٩ . حشاه السنان : دخل في أحشائه ، قطره :

رماء على قطره أي ناحيته . الكعب : عظم ياعب به . ناهد : صبي .

(٧: ٦) عبيد بن الأبرص ، ديوانه ، ص ١٦ ب ٢٧ .

صورة من السابح :

٧٤٧ — فَمُمُّ ثَلَاثَةُ أَفْرِقَاءَ، فَسَابِحٌ فِي الرِّمَحِ يَغْتَرُّ فِي النَّجِيعِ الْأَحْمَرِ

صورة من المحتطب :

٧٤٨ — وَغَادَرُنْ نَضْلَةً فِي مَعْرَكٍ يَجْرُ الْأَسْنَةُ كَالْمَحْتَطَبِ

صور من الكساء والشوب والخمار :

٧٤٩ — عَلَى عَمْدٍ كَسَوْنَهَا قَبُوحاً كَمَا أَكْسُو نِسَاءُهَا السَّلَابَا

٧٥٠ — وَإِنْ يَلْقَنِي بَعْدَهَا يَلْقَنِي عَلَيْهِ مِنَ الذِّلِّ ثَوْبٌ قَشِيبٌ

٧٥١ — فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ لَمْ يُوسَدَ وَقَدْ كَانَ الدِّمَاءُ لَهُ خَمَاراً

صورة من العرس :

٧٥٢ — تَرَكْتُ الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ كَمَا تَرْدِي إِلَى الْعُرْسِ الْغَوَانِي

(٧٤٧) عوف بن عطية : المفضليات ص ٣٦٨ ب ٤ . أفرقاء : جمع فريق . سابح في الرمح : يريد أنه طعنه ، ثم أجره الرمح .

(٧٤٨) عنتره العقد الثمين ، ص ٣٤ قصيدة رقم ٣ .

(٧٤٩) الحارث بن ظالم : المفضليات ، ٦١٨ .

(٧٥٠) ثعلبة بن عمرو ، ص ٥١٤ ب ١٤ .

(٧٥١) شمعة بن الاخضر : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٢٢١ . والألاءة : شجرة حسنة المنظر ، قبيحة الخبز ، لمرارتها . لم يوسد : من غير وسادة . خماراً : أي كان غريقاً في دمه كأنه لبس خميراً أحمر .

(٧٥٢) عنتره : العقد الثمين ، ص ٥٠ قصيدة ٢٥ .

صور من أكرام الضيف :

٧٥٣- فَبَاتُوا لَنَا ضَيْفًا وَبَدْنَا بِنِعْمَةٍ

لَنَا مُسْمِعَاتٌ بِالذُّفُوفِ وَزَامِر

٧٥٤- فَبَاتُوا ، وَمَنْ يَنْزِلُ بِهِ مِثْلُ ضَيْفِنَا

يَبْتَ عَنْ قِرَى أَضْيَافِهِ غَيْرَ غَافِل

٧٥٥- حَشَدُوا عَلَيْكَ وَعَجَّلُوا بِقِرَائِهِمْ

وَحَمَوْا ذِمَارَ أَبِيهِمْ أَنْ يُشْتَمُوا

٧٥٦- فَلَمْ تَقْرِهِمْ شَيْئًا وَلَكِنْ قِرَائِهِمْ

صَبُوحٌ لَدَيْنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ حَازِر

٧٥٧- وَلَوْ نَظَرُوا الصَّبَاحَ إِذْ لَذَاقُوا

بِأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ مَا قَرَأْنَا

٧٥٨- فَقَرَيْنَاهُ حِينَ رَامَ قِرَانَا كُلَّ مَاضِي الذُّبَابِ عَضْبِ الصَّقَالِ

٧٥٩- وَقَرَى بَاعِثُ أَسِيدِ حُرُوبًا فِي النُّوَاحِي يُشَبُّ مِنْهَا الضَّرَامَا

(٧٥٣) المعقر البارقي : النقائض (أوربا) ص ٦٧٦ .

(٧٥٤) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١١٦ ب ٤ .

(٧٥٥) حمصيدة الشيباني : العقد الفريد ج ٣ ص ٩٢ .

(٧٥٦) المعقر البارقي : النقائض (أوربا) ٦٧٦ .

(٧٥٧) الأعشى : قصيدة ٢٧ بيت ١٥ .

(٧٥٨) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ، ص ٢٧٣ .

(٧٥٩) المتنخل اليشكري : شعراء النصرانية ص ٧٦٠ .

٧٦٠ — نَزَلْتُمْ مِنْزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَأَعْجَلْنَا الْقُرَى أَنْ تَشْتُمُونَا
 قَرِينَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا
 ٧٦١ — إِنْ لَنَا فَخْمَةٌ مُمَلَّمَةٌ تَقْرِي الْعَدُوَّ السَّامَ وَاللَّهْبَا

صورتان من الدلو :

٧٦٢ — فَمَا جَبُّنُوا وَلَكِنْ وَاجَهُونَا بِسَجِلٍ مِنْ سَجَالِ الْمَوْتِ حَامِي
 ٧٦٣ — ثُمَّ أَسْقَاهُمْ عَلَى نَفْدِ الْعَدِ شِ فَأَرَوْى ذَنْوَبَ رِفْدٍ مُحَالِ

صورة من الجفير :

٧٦٤ — وَهَلْ يَذْرِي جُرْيَةً أَنْ نَبْلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ

صورة من الأحمال :

٧٦٥ — كَأَنَّ جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَنُسُوقُ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا

صورتان من التقشير :

٧٦٦ — لَحُونَاهُمْ لَحْوَالِ عِصِيٍّ فَأَصْبَحُوا عَلَى آلَةٍ يَشْكُو الْهَوَانَ حَرِيْبَهَا

(٧٦٠) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٧٦١) السموأل بن عاديا : ديوانه ص ٧ ب ١٩ .

(٧٦٢) معقل بن خويلد : شعر الهذليين ص ١٠٥ ب ٦ .

(٧٦٣) الأعشى : ديوانه ، قصيدة ١ ب ٦٤ .

(٧٦٤) عنتره العبسي : العقد الثمين ، ص ٣٨ قصيدة ١٠ ب ٥ ،

(٧٦٥) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٧٦٦) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٤٥ ب ١٥ . الآلة : الحالة ، واللحو :

قشر العود ، أي فعلنا بهم مثل ذلك ، أي أخذنا جميع أموالهم .

٧٦٧- وقد هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذُّبْنَا قِتَادَةَ مَنْ يَلِينَا

صورتان من الشجر المقطوع :

٧٦٨- أَوْجَرَتْ جَفْرَتَهُ خِرْصًا فَمَالَ بِهِ كَمَا انْشَنَى مُخْضَدٌ مِنْ نَاعِمِ الضَّالِ

٧٦٩- وَتَفَقَّدُوا تِسْعِينَ مِنْ سَرَوَاتِكُمْ أَشْبَاهَ نَخْلٍ صَرَّعَتْ لِجَنُوبِ

صورتان من الكلاب :

٧٧٠- نَقَلْنَاهُمْ نَقْلَ الْكِلَابِ جِرَاءَهَا عَلَى كُلِّ مَعْلُوبٍ يَشُورُ عَكُوبَهَا

٧٧١- حَلَفْنَا لَكُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعَا

نُزَايِلُكُمْ حَتَّى تَهْرُءَ الْعَوَالِيَا

عَوَالِي زَرْقًا مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةٍ هَرِيرَ الْكِلَابِ يَتَّقِينَ الْأَفَاعِيَا

صورة من الغنم :

٧٧٢- وَكَأَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ إِذْ تَعْلَوْهُمْ غَنَمٌ يُعَبِّطُهَا غَوَاةٌ شُرُوبِ

(٧٦٧) عمرو بن كلثوم ، المعلقة .

(٧٦٨) عبيد بن الأبرص : ديوانه ص ٢٥ ب ١٢ . والخرص : سنان الرمح . المخضد : ما قد قطع ، والضال : شجر الصدر الصغير الذي يكون في البادية .

(٧٦٩) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٦ ب ١٢ .

(٧٧٠) بشر بن أبي خازم : المفضليات ص ٦٤٤ ب ١٤ . المعلوب : الطريق الموطوء المعبد . العكوب : الغبار .

(٧٧١) عنبرة العقد الثمين ص ٥١ قصيدة ٢٦ البيتان ٤ و ٥ .

(٧٧٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٦ ب ١٠ .

صورثان من الطحين :

٧٧٣- طورا ندير رَحانائهم نطحنهم طحنأ وَطورا نلاقيهم فنجتلد

٧٧٤- متى ننقل إلى قوم رَحانا يكونوا في اللقاء لها طحيننا

يكون ثفالها شرقي نجد ولهوئها قضاة أجمعينا

صور من الإبل :

٧٧٥- فلما رآهم ير كبون صدورهم كبذن إياد يوم ثجت صدورها

٧٧٦- ولا تكفروا في النائبات بلائنا

إذا مسكم فيها العدو بكل كل

٧٧٧- ظارناكم بالبيض حتى لأنتم أذل من الشقبان بين الحلائب

٧٧٨- أضححت وأئل تعج من الحر ب عجيح الجمال بالاثقال

٧٧٩- وأرهبت أولى القوم حتى تنهنهوا

كما ددت يوم الورد هيماً خوامسا

(٧٧٣) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٧ ،

(٧٧٤) عمرو بن كلثوم : المعلقة .

(٧٧٥) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين ص ٤١ ب ٢١ .

(٧٧٦) طفيل الغنوي : ديوانه ، ص ٣٧ .

(٧٧٧) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٥ ب ٣٣ .

(٧٧٨) الحارث بن عباد : شعراء النصرانية ص ٢٧٢ .

(٧٧٩) حسيل بن سجيح : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٢٢١ . تنهنهوا : كفوا ورجعوا .

والهيام : داء يصحب العطشان الشديد العطش . والخوامس : التي ترد الماء لخسة أيام ، وذلك أن

تشرب في يوم ثم تمتنع ثلاثة أيام ، ثم ترد في اليوم الرابع . فيكون لها ازدهام يوم الورد .

٧٨٠- أُولَى وَأُولَى كُلٌّ فَلَسْتُ بِظَّالِمٍ
وَطِئْتَهُمْ وَطِئَ الْبَعِيرُ الْمُقَيْدُ

٧٨١- وَوَطِئْتَنَا وَطِئًا عَلَى حَقٍّ وَطِئَ الْمُقَيْدُ نَابِتَ الْهَرَمِ

٧٨٢- تَسَوْقُ أَخْرَاهُمْ أَوَائِلَهُمْ كَمَا يَسَوْقُ الْمُعَارِضُ الْجَلَبَا

٧٨٣- فَلَيْتَ سُوَيْدًا رَاءَ مَنْ جُرَّ مِنْكُمْ

وَمَنْ فَرَّ إِذْ يَحْدُونَهُمْ كَالْجَلَائِبِ

٧٨٤- وَنَكُرُ أَوْلَاهُمْ عَلَى أَخْرَاهُمْ كَرَّ الْمُحَلَّا عَنْ خِلَاطِ الْمَصْدَرِ

صور من ثمود وعاد :

٧٨٥- رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فَدَاحِضٌ

بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبٌ

(٧٨٠) الأعشى : قصيدة ٢٨ ب ١٨ . وخص البعير المقيد لثقل وطئه ، وذلك لأنه يطأ بكلتا رجليه .

(٧٨١) الحارث بن وعلة : الحماسة (مصر) ج ١ ص ٦٥ . والهرم : شجر ضعيف . والمعنى أثرت فينا تأثير الحنق الغضبان ، كما يؤثر البعير المقيد إذا وطىء الشجرة الضعيفة . ووطئ المقيد ثقل لعدم تمكنه من وضع قوائمه وفق إرادته .

(٧٨٢) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ٣١ ب ٢٤ .

(٧٨٣) قيس بن الخطيم : ديوانه ص ١٥ ب ٣٦ . والجلائب : الجماعات من الخيل والإبل والغنم ، والواحدة جلوبة ، وهو ما جلب من شيء . وسويد : هو ابن الصامت الأوسي قتله الجذر بن زياد حليف الخزرج ، فقتله .

(٧٨٤) عوف بن عطية : المفضليات ، ص ٦٣٨ ب ٣ . والهلأ : البعير يمنع من ورود الماء . والخلاط : الخالطة . المصدر : صدور الإبل عن الماء ، أي نطردهم كما تطرد الإبل عن الماء .

(٧٨٥) علقمة الفحل : المفضليات ، ص ٧٨٤ ب ٣١ . رغا فوقهم سقب السماء : أي أن أعداء المدوح هلكوا كما هلكت ثمود حين عقروا الناقة ، فرغا سقبها . والسقب : ولد الناقة ، وجعله سقب السماء لأنه رفع إلى السماء لما عقرت أمه . والداحض : هو الذي يفحص الأرض بيديه ورجليه وهو يحود بنفسه كالمدبوح .

٧٨٦- كَانُ بَذِي دُودَانَ وَالْجَزْعِ حَوْلَهُ

إِلَى طَرَفِ الْمِقْرَةِ أَرْغِيَّةَ السَّقْبِ

٧٨٧- لَقِيتُ تَغْلِبٌ كَعُصْبَةِ عَادٍ إِذَا تَاهَمُ هَوْلُ الْعَذَابِ صَبَاحًا

٧٨٨- فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ جَمَائِعُ بَكْرٍ مِثْلَ عَادٍ إِذْ مُرِّقَتْ فِي الرَّمَالِ

القتلى

صورة من القتاد :

٧٨٩- وَآخِرُ شَاصٍ تَرَى جِلْدَهُ كَقِشْرِ الْقَتَادَةِ غِبَّ الْمَطَرِ

صورة من الهشيم :

٧٩٠- وَأَضْحَتْ بَتَيْمُنَ أَجْسَادُهُمْ يُشَبِّهُهَا مَنْ رَأَى هَا الْهَشِيمَا

صور من الخشب :

٧٩١- لَا ضَيْرَ قَدْ حَكَّتْ بِمُرَّةَ بَرَكْهَا

وَتَرَكْنَ أَشْجَعَ مِثْلَ خَشْبِ الْأَثَابِ

(٧٨٦) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ص ١٦٩ .

(٧٨٧) الفند الزماني : شعراء النصرانية ص ٢٤٢ .

(٧٨٨) المهلهل : شعراء النصرانية ص ٢٧٥ .

(٧٨٩) المرقش الأكبر : المفضليات ، ص ٨٢ ب ٧ . والشاصي : الرافع رجله . وإذا

أصاب المطر القتادة انتفخت قشوره وارتفعت عن الصميم .

(٧٩٠) ربيعة بن مقزوم : المفضليات ، ص ٣٦٢ ب ٣٥ . والهشيم : ما يبس وتكسر

من ورق الشجر . تيمن (بضم الميم وفتحها) : موضع باليمن .

(٧٩١) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١١١ ب ٢ . وحككت : أي الحرب . برَكْها :

صدرها . والأثاب : شجر .

٧٩٢ — فما ذرَّ قرنُ الشمسِ حتَّى كأنهم

بـذاتِ اللَّظى مُخشِبٌ تُجرُّ إلى مُخشِب

٧٩٣ — حتَّى ترَكْنَاهُمْ لَدَى مَعْرَكٍ أَرْجُلُهُمْ كَالْخَشَبِ الشَّائِلِ

٧٩٤ — فَأَقْرَرْتُ عَيْنِي يَوْمَ ظَلُّوا كأنهم

بِيطْنٍ عَبِيطٍ خُشْبٌ أَثَلِ مُسَدِّد

الفاروق

صورة من التيس :

٧٩٥ — وَأَمَّا أَشْجَعُ الْخَنْثَى فَوَلَّتْ تَبُوساً بِالشَّظِيِّ لَهُمْ يُعَارُ

صورة من المها :

٧٩٦ — وَلَكِنَّهُ لَجَّ فِي رَوْعِهِ فَكَانَ ابْنُ كَوْزٍ مَهَاةً نُواراً

صورة من العقاب :

٧٩٧ — نَجُوتُ نِجَاءٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ كَأَنِّي عُقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنَ كَأَنَّ

(٧٩٢) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٦٩ ب ٦ .

(٧٩٣) امرؤ القيس : العقد الثمين : ص ١٥١ قصيدة ٥١ ب ٨ .

(٧٩٤) مالك بن نويرة : العقد الفريد ج ٣ ص ٨٧ .

(٧٩٥) بشر بن أبي خازم : المفضليات ، ص ٦٧١ ب ٣٩ . أراد بوصفهم بالخَنْثَى ، أنهم

لا رجال ولا نساء . الشطي : بلد . واليعار : صوت الماعز .

(٧٩٦) عوف بن عطية : المفضليات : ص ٨٤٥ ب ٣٥ . لج في رَوْعِهِ : لم يعرج على

شيء بسبب الفزع . المهابة : البقرة . النوار : النافرة . شبهه ببقرة نفرت من صائد ، فهي لا تألو شدا من الذعر .

(٧٩٧) الحارث بن وعلة : المفضليات ص ٣٢٨ البيتان ٢ و ٣ . والكاسر : هو الذي يضم

جناحيه يريد الانحطاط على الصيد . والخدارية : التي يضرب لونها إلى السواد . والسفعاء : التي

فيها سفعة ، وهي سواد يضرب إلى حمرة . والأهاضيب : جمع أهضوبة ، وهي المطرة العظيمة .

تيمن : موضع باليمن .

خُدَارِيَّةُ سَفَعَاءُ لَبَّدَ رِيشَهَا مِنْ الطَّلِّ يَوْمُ ذُوْأَهَا ضَيْبَ مَاطِرُ

صور من النعام :

٧٩٨ - كَأَنَّا وَقَدْ حَالَتْ حُدْنَةُ دُونَنَا نَعَامُ تَلَاهُ فَارِسٌ مُتَوَاتِرُ

٧٩٩ - وَهُمْ تَرَكَوْكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ

٨٠٠ - غَدَاةَ كَانَ بَنِي لُجَيْمٍ وَيَشْكُرَا

نَعَامُ بِصَحْرَاءِ الْكَدِيدَيْنِ هُرْبُ

٨٠١ - قَتَلْنَا كَبِشَهُمْ فَنَجَّوْا شِلَالَا كَمَا نَفَرْتَ بِالطَّرْدِ النَّعَامَا

٨٠٢ - وَهُمْ هَارِبُونَ فِي كُلِّ فَجٍّ كَشَرِيْدِ النَّعَامِ فَوْقَ الرُّوَايِ

٨٠٣ - وَاللَّهِ مَا هَقَلَتْ حَصَاءٌ عَنْهَا جَوْنُ السَّرَاةِ هَزِيفُ لَحْمَازِيمِ

كَانَتْ بِأَوْدِيَةِ مَحَلٍ فَجَاءَ لَهَا مِنْ الرَّبِيعِ نَجَاءٌ نَبْتُهُ دِيمُ

فَنِي شَنُونُ قَدْ ابْتَلَتْ مَسَارِبَهَا

غَيْرَ السَّخُوفِ وَلَكِنْ عَظُمُهَا زَهْمُ

بِأَسْرَعِ الشَّدْمِ نِي يَوْمَ لَا نِيَّةَ لَمَّا عَرَفْتُهُمْ وَاهْتَزَّتِ اللَّمَمُ

(٧٩٨) الحارث بن وعلة : المفضليات ، ص ٣٢٩ ب ٤ . حذنة : أرض لبني عامر بن صعصعة ، متواتر : متتابع العدو والجري . شهبوا أنفسهم حين هربوا بنعام يخاف فارساً يتبعه .
(٧٩٩) أوس بن غلفاء : المفضليات ، ص ٧٥٨ ب ١٠ . الحبارى : طير بري يسمى دجاجة البر ، يسلح حين الخوف .

(٨٠٠) سلامة بن جندل : النقائض (مصر) ج ١ ص ١٣٤ .
(٨٠١) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ٨٧ ب ١٤ . الكبش : الرئيس . شلالا : طردا .
(٨٠٢) زهير بن جناب : شعراء النصرانية ص ٢٠٩ .
(٨٠٣) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ، ص ١٦٥ ، الأبيات ٤ - ٧ .

صورة من الغنم :

٤ ٨ — لَقِينَا جَمْعَهُمْ صُبْحًا فَكَانُوا كَمِثْلِ الضَّأْنِ عَادَاهُنَّ سَيِّدِ

صورة من الأتان :

٨٠٥ — رَفَعْتُ رِجْلًا لَا أَخَافُ عِثَارَهَا وَنَجَوْتُ مِنْ كَثَبٍ نَجَاءَ خَذُوفِ

صورة من الحاطب :

٨٠٦ — أَشَقُّ جِوَاظِ الْبَيْدِ وَالْوَعَثُ مُعْرِضًا
كَأَنِّي لِمَا قَدْ أَتَيْتَ الصَّيْفُ حَاطِبُ

صورة من الصخرة :

٨٠٧ — تَمَلَّزَ مِنْ تَحْتِ الظُّبُتِ كَأَنَّهُ رَدَاةٌ إِذَا تَعَلَّوْا الْخَبَارَ نَدُورُهَا

الأسرى

صورة من الإبل :

٨٠٨ — يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ جَرِبُ الْجِمَالِ طَلِينٍ بِالْقَطَرَانِ

(٨٠٤) عامر بن الطفيل : ديوانه ص ١١٠ ب ٨ والسيد : الذئب ، ولا جمع له من هذا اللفظ . وعاداهن : من العدو ، أي ذروا وتشردوا كالضأن التي عاث فيهن الذئب .

(٨٠٥) مالك بن خالد الهذلي : شعر الهذليين ص ١٦٨ ب ٨ .

(٨٠٦) مالك بن خالد الهذلي ، شعر الهذليين .

(٨٠٧) ساعدة بن جؤية : ديوان الهذليين ، ص ٤٢ ب ٢٤ .

(٨٠٨) المهلهل : شعراء النصرانية ص ٨١٠ .

صورتان من الغناء :

٨٠٩— قَاظَ الشَّرَبَةَ فِي قَيْدٍ وَسِلْسِلَةٍ صَوْتَ الْحَدِيدِ يُغْنِيهِ إِذَا قَامَا

٨١٠— فَقَاظَ وَفِي الْجِيدِ مَشْهُورَةٌ يُغْنِيهِ فِي الْغَلِّ إِرْنَانَهَا

السبايا

صورة من الدمية :

٨١١— وَأَوَانِسٍ مِثْلِ الدُّمَى حَوْرَ الْعَيُونِ قَدْ اسْتَبَيْنَا

صورة من الربرب :

٨١٢— عَذَارِيَّ يَسْحَبْنَ الذُّيُولَ كَأَنَّهَا

مَعَ الْقَوْمِ يَنْصُفْنَ الْعَضَارِيَّ وَرَبْرَبَ

صورة من السعالي :

٨١٣— أَنَا تَرَكْنَا مِنْكُمْ قَتْلَى وَجَرَ حَى وَسَبَايَا كَالسَّعَالِي

(٨٠٩) عتيبة بن الحارث اليربوعي : النقائض (مصر) ج ١ ص ٧٦ .

(٨١٠) سلامة بن جندل النقائض (مصر) ج ١ ص ١٣٥ .

(٨١١) عبيد بن الأبرص : ديوانه ، ص ٢٩ ب ٢٤ .

(٨١٢) طفيل الغنوي : ديوانه ص ٢٤ ب ٢٧ .

(٨١٣) امرؤ القيس : العقد الثمين ، ص ١٥٥ ، قصيدة ٥٣ ، بيت رقم ٢ . هكذا روى

هذا البيت ، وظاهر أن وزنه غير مستقيم . ولذلك لو قيل مثلاً :

« وسبايا مثل (أو تشبه) السعالي ، لكان أحسن .

صورة من الرمان :

٨١٤— يُخَطِّطُنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ
وَيَخْبَأَتِ رُمَانُ الثُّدِيِّ النَّوَاهِدِ

صورة من المها :

٨١٥— أَوْ حُرَّةٍ كَمَهَاءِ الرَّمْلِ قَدْ كُبِلَتْ
فَوْقَ الْمَعَاصِمِ مِنْهَا وَالْعَرَاقِيبِ

صورة من الثقاف :

٨١٦— تَدْعُو قُعَيْنًا وَقَدْ عَضَّ الْحَدِيدُ بِهَا
عَضَّ الثَّقَافِ عَلَى صُمِّ الْأَنْبَابِ

صورة من الظباء :

٨١٧— فَإِنِّي لَوْ أَمَلْتُكُمْ فَغَزَوْتُمْ
فَجِئْتُمْ بِسِيِّ كَالظُّبَاءِ وَجَامِلِ

صورة من الهلال :

٨١٨— أَسْلَمُوا كُلَّ ذَاتِ بَعْلٍ وَأُخْرَى
ذَاتِ خَدْرِ غَرَاءٍ مِثْلِ الْهَلَالِ

صورة من شمس الضحى :

٨١٩— وَسَبَيْتُنَا مِنْ تَغْلِبٍ كُلِّ يَبُضَا
كُنُورِ الضُّحَى بِرُودِ الرُّضَابِ

(٨١٤) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٩ ، قصيدة ٦ بيت ٩ .

(٨١٥) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٤ قصيدة ٢ بيت ١٤ .

(٨١٦) النابغة الذبياني : العقد الثمين ، ص ٤ قصيدة ٢ ب ١٥ .

(٨١٧) عميرة بن طارق : النقائض (مصر) ج ١ ص ٥٣ .

(٨١٨) المهلهل : شعراء النصرانية . ص ٢٧٦ .

(٨١٩) زهير بن جندب : شعراء النصرانية ، ص ٢٠٨ .

أَسْمَاءُ الشُّعْرَاءِ

الذين اخترنا هذه المجموعة من أشعارهم

- | | |
|------------------------------|--------------------------------------|
| ٢٣ - بلعاء بن قيس الكنانى | ١ - أبو قيس بن الاسلت الانصارى |
| ٢٤ - ثعلبة بن صغير المازنى | ٢ - أبو كلبة التيمى |
| ٢٥ - ثعلبة بن عمرو العبدى | ٣ - أبى بن سلمى الضبى |
| ٢٦ - جابر بن حنى التغلبى | ٤ - أحيحة بن الجلاح الاوسى |
| ٢٧ - جحدر بن ضبيعة التغلبى | ٥ - الاخنس بن شهاب التغلبى |
| ٢٨ - جساس بن مرة (من بكر) | ٦ - الاسود بن يعفر النهشلى |
| ٢٩ - جساس بن نشبة التيمى | ٧ - الاعشى الكبير (ميمون بن قيس) |
| ٣٠ - الجميح الاسدى | ٨ - الاغلب العجلى |
| ٣١ - حاتم بن عبدالله الطائى | ٩ - امرؤ القيس بن حجر الكندى |
| ٣٢ - حاجب بن زرارة التميمى | ١٠ - أمية بن أبى الصلت الثقفى |
| ٣٣ - الحارث بن حلزة اليشكرى | ١١ - أنيف بن زيان النبهانى |
| ٣٤ - الحارث بن ظالم المرى | ١٢ - أنيف بن جبلة الضبى |
| ٣٥ - الحارث بن عباد | ١٣ - أوس بن بجير |
| ٣٦ - الحارث بن همام الشيبانى | ١٤ - أوس بن حجر التميمى |
| ٣٧ - الحارث بن وعلة الجرمى | ١٥ - أوس بن غلفاء الهجيمى |
| ٣٨ - حجر بن خالد الثعلبى | ١٦ - باعث بن صريم اليشكرى |
| ٣٩ - حرقوص المرى | ١٧ - بدر بن حزاز |
| ٤٠ - حسان بن ثابت الانصارى | ١٨ - البراق (من ربعة) |
| ٤١ - حسيل بن سجع الضبى | ١٩ - بشامة بن عمرو (من سهم) |
| ٤٢ - الحصين بن الحمام المرى | ٢٠ - بشر بن أبى خازم الاسدى |
| ٤٣ - حصين بن عمرو | ٢١ - بشر بن عمرو (من بكر) |
| ٤٤ - حمصيصة الشيبانى | ٢٢ - بكير (اصم بنى الحارث بن عباد) |
| ٤٥ - حيان بن الحكم (شهرته | |
| الفرار السلمى) | |

- ٧٨ - ضمرة بن ضمرة النهشلي
 ٧٩ - طرفة بن العبد البكري
 ٨٠ - طفيل الغنوي
 ٨١ - عامر بن الطفيل
 ٨٢ - العباس بن مرداس
 ٨٣ - عبد الشارق بن عبد العزى
 الجهني
 ٨٤ - عبد قيس بن خفاف البرجمي
 ٨٥ - عبدالله بن جذل الكناني
 ٨٦ - عبدالله بن جعدة الكلبي
 ٨٧ - عبدالله بن عنمة الضبي
 ٨٨ - عبدالله بن مرداس السلمي
 ٨٩ - عبد المدان (من مذحج)
 ٩٠ - عبد المسيح بن عسلسة
 الشيباني
 ٩١ - عبد يغوث بن وقاص الحارثي
 ٩٢ - عبيد بن الابرص الاسدي
 ٩٣ - عتيبة بن الحارث اليربوعي
 ٩٤ - علقمة الفحل التميمي
 ٩٥ - عمرو بن الاطنابة الخزرجي
 ٩٦ - عمرو بن امرئ القيس
 الخزرجي
 ٩٧ - عمرو بن كلثوم التغلبي
 ٩٨ - عمرو بن ملقط الطائي
 ٩٩ - عمرو بن معد يكرب الزبيدي
 ١٠٠ - عميرة بن طارق اليربوعي
 ١٠١ - عنقرة بن شداد العبسي
 ١٠٢ - العوام الشيباني
 ١٠٣ - عوف بن الاحوص العامري
 ١٠٤ - عوف بن عطية التيمي
 ١٠٥ - الفند الزماني
 ١٠٦ - قبيصة بن النصراني
 الجرمي الطائي

- ٤٦ - خالد بن جعفر الكلبي
 ٤٧ - خدّاش بن زهير
 ٤٨ - خراشة بن عمرو العبسي
 ٤٩ - الخصفي (عامر المحاربي)
 ٥٠ - خفاف بن عمير السلمي
 ٥١ - درهم بن يزيد الاوسي
 ٥٢ - دريد بن الصمة (من هوازن)
 ٥٣ - ذو الاصبع العدواني
 ٥٤ - راشد بن شهاب اليشكري
 ٥٥ - الربيع بن زياد العبسي
 ٥٦ - ربيعة بن طريف
 ٥٧ - ربيعة بن مقروم الضبي
 ٥٨ - رويشد بن كثير الطائي
 ٥٩ - زيان بن سيان المري
 ٦٠ - زهير بن أبي سلمى المزني
 ٦١ - زهير بن جناب الكلبي
 ٦٢ - زيد الخيل الطائي
 ٦٣ - ساعدة بن جؤية الهذلي
 ٦٤ - سبرة بن عمرو الفقعسي
 ٦٥ - سعد بن مالك البكري
 ٦٦ - سلامة بن جندل السعدي
 ٦٧ - سلمة بن الخرشب الانماري
 ٦٨ - سلمة بن زهل (وهو ابن
 زيابة التيمي)
 ٦٩ - السموأل بن عاديا
 ٧٠ - سنان بن ابي حارثة المري
 ٧١ - سويد بن ابي كاهل اليشكري
 ٧٢ - سيار بن قصير الطائي
 ٧٣ - شبيل الفزاري
 ٧٤ - شبيب بن خويلد الفزاري
 ٧٥ - شريح بن بجير الثعلبي
 ٧٦ - شمعة بن الاخضر الضبي
 ٧٧ - الشميزر الحارثي

- ١٠٧ - قتادة بن مسلمة الحنفي
 ١٠٨ - قطبة بن سيار
 ١٠٩ - قيس بن جروة الطائي
 ١١٠ - قيس بن الخطيم الاوسي
 ١١١ - قيس بن زهير العبسي
 ١١٢ - قيس بن عاصم المنقري
 ١١٣ - الكلخبة اليربوعي
 ١١٤ - كبشة (اخت عمرو بن معد يكرب)
 ١١٥ - لبيد بن ربيعة العامري
 ١١٦ - لقيط بن أوس الشيباني
 ١١٧ - لقيط بن زرارة التميمي
 ١١٨ - لقيط بن يعمر الايادي
 ١١٩ - مالك بن حطان
 ١٢٠ - مالك بن حمار الفزاري
 ١٢١ - مالك بن خالد الهذلي
 ١٢٢ - مالك بن خويلد الهذلي
 ١٢٣ - مالك بن العجلان الخزرجي
 ١٢٤ - مالك بن نويرة اليربوعي
 ١٢٥ - المتلمس (جرير بن عبد العزي)
 ١٢٦ - متمم بن نويرة اليربوعي
 ١٢٧ - المتنخل الهذلي
 ١٢٨ - المثقب العبدي
 ١٢٩ - المثلث بن رياح المري
 ١٣٠ - المثلث بن عمرو التنوخي
 ١٣١ - مجمع بن هلال (من بني تيم)
 ١٣٢ - محرز بن المكعبر الضبي
 ١٣٣ - مرداش بن ابي عامر السلمي
 ١٣٤ - المرقش الاصغر (من بكر بن وائل)

- ١٣٥ - المرقش الاكبر (من بكر بن وائل)
 ١٣٦ - مرة (ابو جساس)
 ١٣٧ - مزرد بن ضرار الذيباني
 ١٣٨ - مسهر بن يزيد الحارثي
 ١٣٩ - المسيب بن علس (خال الاعشى)
 ١٤٠ - المعقر البارقي
 ١٤١ - معقل بن خويلد الهذلي
 ١٤٢ - معقل بن عامر الاسدي
 ١٤٣ - مقاس العائدي
 ١٤٤ - الممزق العبدي
 ١٤٥ - المنخل اليشكري
 ١٤٦ - المهلهل (عدى بن ربيعة) التغلبي
 ١٤٧ - النابغة (زياد بن معاوية) الذيباني
 ١٤٨ - نعيم بن عتاب
 ١٤٩ - هند بن خالد بن الشريد
 ١٥٠ - هند بن رزين
 ١٥١ - وداك بن ثميل المازني
 ١٥٢ - ورقاء بن زهير العبسي
 ١٥٣ - وعلة الجرمي
 ١٥٤ - يزيد بن الحذاق الشنسي (من عبد قيس)
 ١٥٥ - يزيد بن سنان بن ابي حارثة المري
 ١٥٦ - يزيد بن طعمه الخطفي (من الاوس)
 ١٥٧ - يزيد بن عبد المدان (من منحج)
 ١٥٨ - يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي

المراجع

- ١ - الاصول الفنية في الادب للاستاذ عبد الحميد حسن : القاهرة ١٩٤٩
- ٢ - أصول النقد الادبي للاستاذ احمد الشايب : القاهرة ١٩٤٦
- ٣ - الاعلام للاستاذ خير الدين الزركلي : القاهرة ١٩٢٨
- ٤ - الاغانى لابي الفرج الاصبهاني (الاجزاء : طبعة دار الكتب ١٩٢٧ - ١٩٣٨)
- بقية الاجزاء : القاهرة ١٣١٣ هـ
- ٥ - الالياذة للاستاذ سليمان البستاني : القاهرة ١٩٤٢
- ٦ - أيام العرب في الجاهلية للاستاذة جاد المولى وأبي الفضل والبجاوي : القاهرة ١٩٤٢
- ٧ - تاريخ الرسل والملوك للطبري : القاهرة ١٩٠٨
- ٨ - تفسير الطبري : بولاق ١٩٠٥-١٩١٢
- ٩ - جمهرة أشعار العرب لابي الخطاب القرشي : القاهرة ١٨٩١
- ١٠ - خزانة الادب للبغدادي : القاهرة ١٩٣٠
- ١١ - الخيل للاصمعي : فينا ١٨٩٥
- ١٢ - الدراسة الادبية للاستاذ رثيف الخوري : بيروت ١٩٤٥
- ١٣ - ديوان الاعشى (ميمون بن قيس) : لندن ١٩٢٨
- ١٤ - « امرئ القيس » : القاهرة ١٨٩٠
- ١٥ - أمية بن أبي الصلت : بيروت ١٩٣٤
- ١٦ - ديوان حسان بن ثابت : القاهرة ١٩٢٩
- ١٧ - « الحماسة لابي تمام » : القاهرة ١٩١٣
- ١٨ - « الحماسة للبحري » : بيروت ١٣١٠
- ١٩ - « زهير بن ابي سلمى » : دار الكتب ١٩٤٤

٢٠ - « سلامة بن جندل »	: باريس ١٩١٠
٢١ - « السموأل بن عاديا »	: بيروت ١٩٢٠
٢٢ - ديوان طفيل الغنوي	: لندن ١٩٢٧
٢٣ - « عامر بن الطفيل »	: لندن ١٩١٣
٢٤ - « عبيد بن الابرص »	: لندن ١٩١٣
٢٥ - « علقمة الفحل »	: باريس ١٩٢٥
٢٦ - « عمرو بن قميئة »	: كمبردج ١٩١٩
٢٧ - عنقرة العبسي	: القاهرة ١٩١١
٢٨ - « طرفة بن العبد »	: القاهرة ١٩٥٩
٢٩ - « قيس بن الخطيم »	: ليبزج ١٩١٤
٣٠ - « لبيد بن ربيعة العامري »	: فينا ١٨٨٠
٣١ - « المقلص »	: لندن ١٩٠٣
٣٢ - « النابغة الذبياني »	: بيروت
٣٣ - « الهذليين »	: هانوفر ١٩٢٦
٣٤ - « الهذليين »	: دار الكتب ١٩٤٥
٣٥ - الذوق الادبي ترجمة الدكتور علي الجندي	: القاهرة ١٩٥٧
٣٦ - سمط اللاليء لابي عبيد البكري	: القاهرة ١٩٣٦
٣٧ - شرح حماسة أبي تمام للتبريزي	: القاهرة ١٩١٣
٣٨ - شرح المفضليات لابي محمد الانباري	: اكسفورد ١٩١٨
٣٩ - شرح النقائض لابي عبيدة معمر بن المثنى	: ليدن ١٩٠٥ والقاهرة ١٩٣٥
٤٠ - شعراء النصرانية للويس شيخو	: بيروت ١٨٩٠
٤١ - الشعر والشعراء لابن قتيبة	: القاهرة ١٩٤٥
٤٢ - كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري	: القسطنطينية ١٩٠٢
٤٣ - طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي	: ليدن ١٩١٦
٤٤ - العقد الثمين في دواوين الستة الجاهليين	: لندن ١٨٧٠
٤٥ - العقد الفريد لابن عبد ربه	: بولاق ١٢٩٣
٤٦ - العمدة لابن رشيق	: القاهرة ١٩٠٧
٤٧ - غنية الطلاب في معرفة الرمي بالنشاب	: المتحف البريطاني رقم ١٣٥٨
٤٨ - فجر الاسلام للاستاذ احمد امين	: القاهرة ١٩٢٨
٤٩ - فقه اللغة للثعالبي	: القاهرة ١٩٣٦

- ٥٠ - فنون الادب ترجمة الاستاذ زكي نجيب محمود : القاهرة ١٩٤٥
- ٥١ - الفهرست لابن النديم : القاهرة ١٩٢٩
- ٥٢ - في الادب الجاهلي للدكتور طه حسين : القاهرة ١٩٢٦
- ٥٣ - القاموس المحيط .
- ٥٤ - القرآن الكريم .
- ٥٥ - قصائد المهذليين : لندن ١٨٥٤
- ٥٦ - قواعد النقد الادبي ترجمة الدكتور محمد عوض محمد : القاهرة ١٩٣٦
- ٥٧ - الكامل في التاريخ لعز الدين بن الاثير : القاهرة ١٣٠١
- ٥٨ - الكامل في اللغة والادب للمبرد : القاهرة ١٩٣٦
- ٥٩ - الكشف للزمخشري : بيروت ١٩٤٧
- ٦٠ - لسان العرب
- ٦١ - المثل السائر لنصر الله بن الاثير : القاهرة ١٩٣٩
- ٦٢ - مجمع الامثال للميداني : القاهرة ١٨٩٣
- ٦٣ - مختارات ابن الشجري : القاهرة ١٨٨٨
- ٦٤ - المخصص لابن سيدة : بولاق ١٣١٦ هـ
- ٦٥ - المزهرة للسيوطي : القاهرة
- ٦٦ - المعلقة
- ٦٧ - المفضليات للضبي : اكسفورد ١٩١٨
- ٦٨ - الموشح المرزباني : القاهرة ١٣٤٣ هـ
- ٦٩ - النقد التحليلي للاستاذ محمد أحمد : القاهرة ١٩٢٩
- الغمرائي
- ٧٠ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر : القسطنطينة ١٣٠٢ هـ
- ٧١ - نقض كتاب في الادب الجاهلي للاستاذ محمد الخضر حسين : القاهرة ١٣٤٥
- ٧٢ - نهاية الارب للنويري : القاهرة ١٩٢٣

المراجع الإفرنجية

- 1 — Abercrombie, L. : Principe of literary Criticism ...
London 1932.
- 2 — Benett, A. : Literary taste ... London 1929.
- 3 — Charlton, H. B. : The Art of Literary Study ...
London 1924.
- 4 — Encyclopaedia Britanyica.
- 5 — Encyclopaedia of Islam.
- 6 — Faris, N. A. : Arab Arcahery (Translatine of an
Arabic MS.) ... Princeton University
1945.
- 7 — Krenkow : The Translation of Diwan of Tufayl
al-Ghanawi ... London 1927.
- 8 — Lewis. D. : Poetic Images ... London 1949.
- 9 — Lyall, C. : (a) Ancient Arabian Poetry ...
Edunburg 1885.
(b) Translation of Diwan of Abid ibn
al-Rbras ... London 1945.
(c) Translation of Diwan of Amir ibn
al-Tufayl ... London 1913.
(d) Translation of al-Mufaddaliyyat...
Oxford 1918-1921.
- 10 — Nicholson, R. : A Literary History of the Arabs ...
London 1914.

الأعلام

١٦٩ - ١٧٨ - ٢٣٩ - ٤١٥	١
أبو مليل : ٤٨ - ٤٩	ابراهيم بن محمد العطارى : ٥٤
أبو منصور الثعالبي : ١٤٥ - ١٥١ - ١٦٨	أبزي : ١٤٦
الاحوص : ٣٧ - ٣٨ - ٥٤	ابن الاثير ٣٠ - ٣١
أحيحة بن الجلاح : ٣٥ - ٣٦	ابن حسحاس بن وهب : ٣٤٠
الاحيمر بن عبدالله : ٤٣	ابن دريد : ١٥٩
الاخنس بن شهاب : ٩٧ - ٤١٤	ابن زياية : ٢٧٧
أسيد بن حناءة : ٤٣	ابن زيد : ٢٤
الاصمعي : ٣٢ - ٤٣٦	ابن سيدة : ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٩
الاعشى : ٨٨ - ٩٦ - ١٢٥ - ١٢٨	ابن سلام : ٦٤
١٤٣ - ١٤٦ - ١٥٦ - ١٦٠ - ١٦٩	ابن عبد ربه : ٢٩ - ٣١ - ٥٤
١٧٣ - ١٧٢ - ١٧٠ - ١٧٦	ابن عنقاء : ٤١٨
١٩٠ - ١٨٣ - ١٨٢ - ١٧٦	ابن قتيبة : ٣٣
٢٢٤ - ٣٣٦ - ٣٧٠ - ٤١٩ - ٤٢٠	ابن النديم ٢٩
اكثم بن صيفي : ٣٩	ابو تمام : ٢٧٥ - ٣١٦
الالوسي : ٣٠	ابو حنيفة : ١٤٥
امروء القيس : ١٩٨ - ٢٥٦ - ٢٦٠ - ٣٨٨	أبو زيد ٣٢
٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩١ - ٣٩٤ - ٤١٥	أبو سفيان : ٥١
٤١٥ - ٤١٦ - ٤٣٦	أبو عبدة : ٢٨ - ٢٩ - ٣١ - ٣٢
أمية بن أبي الصلت : ١٠٧ - ١٣١ - ٣٥٠	٣٣ - ٣٤ - ٥٤
الانباري : ٢٩ - ٥٤	أبو عمرو بن العلاء : ٥٤ - ٥٥
	أبو الفرج الاصبهاني : ٢٨ - ٢٩
	أبو قيس بن الاسلت : ٧٨ - ٩٣
	١٠١ - ١٥٦ - ١٦٠ - ١٦٦

أنيف بن زيان : ١٨١

أوس بن حجر : ١٣٧ - ١٦١ - ٣٨٦
٤١٥ -

أوس بن غلفاء : ٢٥٦ - ٣٨٧

ب

بجير بن الحارث بن عباد : ٢٨٥

البحثري : ١٤٣

البراق : ١٨١ - ٣١٣

بسطام بن قيس الشيباني : ٤٣ - ٤٨
٤٩ -

البسوس : ٢٧

بشامة بن عمرو : ٣١٤

بشر بن أبي خازم : ١٧٠ - ١٩٠ -
٢١٢ - ٣٣٥ - ٤٤٣

بشر بن العوراء : ٤٦

بشر بن قيس : ٤٩ .

البغدادى : ٣٠ - ٣٨

بيهس : ٤١٩

ت

التبريزي : ٣٠

تبع : ١٥٧

ث

ثابت بن قيس بن شأس : ٥٦

ثعلبة بن صعير : ١٠٩ - ١٨٤ - ٤١٥
ثمود : ٢٣

ج

جابر بن حني : ١٧٠ - ٣٤٧

جرير : ٢٥ - ٢٩ - ٣١

جزء بن ضرار : ١١٥

جشم بن بكر : ٥٤ - ٢٣٠

جلال الدين السيوطي : ٣٢

جمال الدين بن مكرم : ٣٠

الجميع الاسدي : ١٧١ - ١٧٩

جورجي زيدان : ٣٠ - ٣١

ح

حاجب بن زرارة : ٤٤ - ٤٦ - ٢١١
٤٣٩ -

حاجب خليفة : ٢٨

الحارث بن الابرص : ٤٧

الحارث بن أبي شمر : ٢٧ - ٤٠ -
٤٨ - ٣٠٢

الحارث بن جبلة : ٣٠٤ - ٣٧٢

الحارث بن حلزة : ٢٦٧ - ٣٨٧ -
٤١٧

الحارث بن شريك : ٤٤ - ٤٥ - ٤٦

الحارث بن ظالم : ١٤٩

الحارث بن عباد : ٤١ - ٤٧ - ١٠٩

٢٦٢ - ٢٨٥ - ٣٨٧ - ٤١٤ -
٤٢٠

الحارث بن عوف : ٣٠٩

الحارث بن كلدة : ٥١

الحارث بن همام : ٤١

الحارث بن ورقاء : ٤٣٦

الحارث بن ويلة : ١٩٠ - ٣٤٣

حجر الكندي : ٢٦ - ٣٩ - ٣٨٨ -
٣٨٩

حذيفة بن بدر : ١٠٨ - ٣٦٩

حرب بن أمية : ٥١

حزيمة بن طارق : ٢٨١

حسان بن ثابت : ٥٢ - ٣٦٥

حسان بن كبشة اليماني : ٢٥٦

الحسن بن علي : ٥٦

حسيل بن سجيح : ١٣٦ - ١٤٠

الحصين بن الحمام : ٩٥ - ١٤٩ -

١٩٧ - ٢٦٤

حصين بن ضمضم : ٥١

حطمة بن محارب العبدي : ١٥٨

الحكم بن الطفيل : ٤٥

حليمة بنت الحارث الغساني : ٢٦ -

٢٧ - ٤٠

حماد الرواية : ٥٥

حمل بن بدر : ٣٤٥

حنظلة بن ثعلبة : ٤٠ - ٣١٤

خ

خالد بن جبلة : ٥٤

خدام بن زيد : ٣٧٣

خراشة بن عمرو العبسي : ٨١

الخصفي : ١٨٦

خفاف بن عمير : ٤٩ - ٣٤٩

الخنساء : ١٤٤

د

دارم بن مالك : ٥٤

داود عليه السلام : ١٥٧ - ١٩٧ -

٣١٥

دريد بن الصمة : ٤٧ - ٤٨ - ٩١ -

٩٤ - ١٥٨ - ٢٩٦ - ٣٦٧ - ٤١٥

ذ

ذو الاصبع العدوانى : ١٣٩ - ١٥٠ -

٣٣٩ -

ذو يزن : ١٤٦

ر

راشد بن شهاب : ١٣٦

ربيعة بن مقروم : ١٠٦ - ١٣١ -

١٧٥ - ٢٤٢ - ٢٤٦

ربيعة بن مكرم : ٤٧ - ٤٨

ردينة : ١٤٦ - ١٩٧

رضوي : ١٣٧

ريطة بنت جندل : ٤٨

ز

زرارة بن عدس : ٥٤

زرعة بن عمرو : ٢٨٨ - ٢٨٩

زهير بن أبي سلمى : ٢١ - ٢٢ - ٧٧ -

٨٢ - ٩١ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٦ -

٩٧ - ١٠٦ - ١٠٩ - ١٢٣ - ١٢٩ -

١٥٦ - ١٧٣ - ١٧٦ - ١٨١ -

١٨٢ - ١٨٧ - ٣٠٩ - ٣٣٤ -

٣٥٠ - ٣٧٠ - ٣٨٧ - ٤١٤ -

٤٢٠ - ٤٣٦ - ٤٣٧

الزمخشري : ٢٣ - ٢٤

زهدم بن حزن : ٤٤ - ٤٦

زيد الخيل : ٨٢ - ١٩٠

س

ساعدة بن جؤية : ١٢٩ - ١٣٧ -

١٤٠ - ١٦٨ - ١٨٤ - ٢١٣

سريج : ١٥١

سعد بن مالك : ٩٣ : ١٣٢ - ٢٦٢ -

٣٦٥

سلامة بن جندل : ٢٠٣ - ٢٠٤ -

٢٥٨

سلمة بن الخرشب : ٣٨٧

سلمى بنت عمرو : ٣٥ - ٣٦
السموأل بن عاديا ١٨٨ - ٤١٩ •
سمهر : ١٤٦

ش

شأس (أخو علقمة) : ٢٨٠
شبيب الفزاري : ٣٤٦
شرحبيل : ٢٦٠ •
شرعب : ١٤٦
الشماح : ١١٥
الشميذر الحارثي : ٢٢٣ •

ض

ضرار بن القعقاع : ٤٦
ضمرة بن ضمرة النهشلي : ٩٣

ط

الطبري : ٢٣ - ٢٤ - ٢٩
طرفة بن العبد : ٩٣ - ٩٤ - ١٦٧ -
١٩٠ ٢٢٤ - ٢٣٥ - ٢٧٦
طفيل الغنوي : ٨٠ - ٨٦ - ٩٥ -
١٠٧ - ١٠٩ - ١٢١ - ١٢٦ -
١٤٠ - ١٤٦ - ١٤٩ - ١٦٠ -
١٧٠ - ١٧٤ - ١٨١ - ١٨٤ -
١٩١ - ٢٣٧ - ٣٤١ - ٤٤٥

ع

عاد : ٢٣
عامر بن الطفيل : ٣٣ - ٣٤ - ٨٥ -
٨٩ - ٩٥ - ١٠٥ - ١٠٧ - ١٣٢ -
١٤٥ - ١٤٦ - ١٧٥ - ١٩٠ -
٢٠٩ - ٢٣٦ - ٢٦٠ - ٢٦١ -
٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٦ - ٢٨٧ -

٣٣٤ - ٣٦٧ - ٣٨٧ - ٤١٤ -
٤١٥ - ٤٢٠ - ٤٣٤ - ٤٣٩ -
٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ -
٤٤٤

عامر بن صعصعه : ٥٤ - ٢٥٦ •
عامر بن عبدالمك : ٥٤
عباس بن انس : ٤٩
عباس بن مرداس : ٤٩ - ٣٤٩ -
٤١٩

عبد الحميد حسن : ٤٠٧
عبد الشارق بن عبد العزى : ١٧٩ -
١٩٢ - ٢٠٠

عبدالله بن الحارث : ٤٦
عبدالله بن رواحة : ٥٢
عبدالله بن سالم الباهلي : ٥٤
عبدالله بن عنمة : ٣٣٣ - ٣٤١
عبدالله بن معد يكرب : ٣١٦
عبد المسيح بن عسلة : ٤١٤
عبد الملك بن مروان : ١٧٣
عبد عمرو : ٤٦
عبد يغوث : ٢٩٤
عبس بن حذار : ٣١٤

عبيد بن الابصر : ٩٢ - ١٠٢ -
١٣٧ - ١٤٣ - ١٧٢ - ١٧٤ -
١٧٥ - ٢٤٥ - ٢٥٦ - ٣٦٧ -
٣٨٧ - ٣٨٩ - ٣٩١ - ٤١٤ -
٤٢٠ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤١ -
٤٤٤ - ٤٤٥

عتبة بن الحارث : ٤٣ •
عروة بن زيد الخيل : ٥٥
عروة بن الورد : ٤٥
عصمة بن سنان : ٣٤١

عقرب بنت النابغة : ٤٨ - ٣٠٧ -
٣٧٢
علقمة : ١٠٦ - ١٢٧ - ٣٠٤ - ٣٧٢
٤١٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٤١ -
٤٤٢ .

عمر بن شبة : ٣٢
عمرو بن الحارث الغساني : ٣٧٢
عمرو بن احيحة : ٣٦
عمرو بن عبدالله بن جعدة : ٣٧
علقمة بن سيف : ٢٣٠
عمرو بن عمرو التميمي : ٤٦ - ٤٧
عمرو بن قميئة : ١٥٠
عمرو بن كلثوم : ٥٥ - ٧٨ - ٩٥ -
١٨١ - ١٩٢ - ٢٢٦ - ٣٦٢ -
٣٨٧
عمرو بن معد يكرب : ١٨٩ - ٢٢٣ -
٣١٦

عمرو بن هند : ١٥٨ - ٢٢٦ - ٢٢٩
عميرة بن طارق : ١٢٦ - ١٩١ -
٣٢١ - ٤١٤
عنبرة بن شداد : ٤٠ - ٨٤ - ٩١
٩٢ - ٩٣ - ٩٧ - ١٠٥ - ١٠٨
١٠٩ - ١٣٧ - ١٧٤ - ١٨٢ -
١٨٣ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٤ -
٢٠٢ - ٢٣٥ - ٢٤٠ - ٣٤٦ -
٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٨٧ - ٤١٧
العوام الشيباني : ١٩٠
عوف بن عطية : ٩٣ - ١٠٠ - ١٠٥
١٠٦ - ١٨٠ - ٢١١

غ

غسان بن عبد الحميد : ٥٤

ف

الفرار السلمي : ٢٧٥
الفرزدق : ٢٥ - ٢٨ - ٢٩ - ٣١
الفند الزماني : ٣٤٤

ق

قبيصة النصراني : ٢٨٠
قتادة : ٢٣
قدامة بن جعفر : ٩٦ - ٤٤٣
قرواش بن هاني العبسي : ٣٦٩
قريط بن أنيف : ٩٥
قيصر : ٤١٩
قعضب : ١٤٦
قيس بن الخطيم : ٥٦ - ٥٧ - ٩٧ -
١٥٩ - ١٦٩ - ١٧١ - ١٨٣ -
١٩١ - ١٩٨ - ٢٢٤ - ٣٤٥ -
٣٦٥ - ٣٨٦ - ٤٤٢ - ٤٤٣ -
٤٤٥
قيس بن زهير : ٣٧ - ٣٨ - ١٠٧ -
٣٤٥ - ٣٤٨ - ٤٢٠
قيس بن عاصم : ٤٠ - ٤٣ - ٤٤ -
٤٥ - ٣٤٢
قيس بن المنتفق العامري : ٤٦ - ٤٧

ك

كبشة بنت عمرو : ٣٣
كبشة بنت معد يكرب : ٣١٦
كثير عزة : ١٧٣
كعب بن مالك : ٢ - ٥
الكلعبة اليربوعي : ٢٨١
كليب بن عهمة : ٤١٩
كليب بن وائل : ٥٤ - ٥٥ - ٢٣١ -
٢٨٥ - ٢٩٣ - ٣٨٩ - ٣٩٣ -
٤١٩

ل

- لايل : ١٤٢
 لبيد بن ربيعة : ١٤٤
 لقيط بن زرار : ٣٧ - ٢١٠
 لقيط بن يعمر الايادي : ٩٤ - ١٢٦
 - ١٧١ - ١٧٤ - ٣٢٤ - ٣٨٨ - ٤٤٤
 ليلى بنت عروة بن زيد الخيل : ٥٥

م

- ماسخة : ١٣٧
 مالك بن زهير : ١٤٩
 مالك بن زياد العبسي : ٣٤٦
 مالك بن عوف النضري : ٣٤٩
 مالك بن نويرة : ١٠٧ - ١٩١ - ٤١٦
 مالك ذو الرقيبة العامري : ٤٤ - ٤٦
 المبرد : ٢٩
 الملتص : ٣١٤
 مقيم بن نويرة : ٣٤١
 المتنخل الهزلي : ١٣٦ - ١٣٧
 المثقب العبدى : ٨٠
 محرز بن المكعب الضبي : ٢٥ - ٤١٦
 محمد احمد جاد المولى : ٣٠
 مرثد بن سعد : ١٥٠
 المرقش الاكبر : ٨٣ - ١٠٣
 مزرد : ١٠٨ - ١١٥ - ١٤٩ - ١٥٠
 - ١٥٩ - ١٦٤ - ٣٨٦ - ٤١٥ - ٤٣٥
 مسمع بن عبد الملك : ٥٤
 المسيب بن علس : ١٢٥ - ١٨٣
 مشرف : ١٥١

- معد يكرب عم امرىء القيس : ١٨٩
 المعقر البارقي : ١٩٠ - ١٩١
 معقل بن عامر الاسدي : ٢٤٠
 مقاس العائدي : ٢٠٣
 المهلهل : ٤٧ - ١٤٨ - ١٨٩ - ١٩٦
 - ٢٣٠ - ٢٨٥ - ٢٩٣ - ٣٨٩ - ٣٩٣ - ٣٩٤
 موسى عليه السلام : ٢٣
 الميداني : ٣٠ - ٣١

ن

- النايعة النجيباني : ٢١ - ٤٨ - ٩٣ - ١٠٧ - ١٤٤ - ١٥٠ - ١٥٥ - ١٥٨
 - ١٦٧ - ١٧٠ - ١٧٢ - ١٧٥ - ١٧٩ - ١٨٧ - ٢١٥ - ٢٧٩ - ٢٨٨
 - ٣٠٢ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٦٨ - ٣٧٠ - ٣٧٢ - ٤١٩ - ٤٣٨ - ٤٤٤
 النبي صلى الله عليه وسلم : ٣٣ - ٣٤ - ٥٦
 النضر بن الحارث : ٥١
 النضر بن عمرو : ٤٠
 النعمان بن جساس : ٢٩٤
 النعمان بن المنذر : ٣٠٢ - ٣٧٢
 النعمان بن وائل : ٤٨ - ٣٠٧ - ٣٧٢ - ٤٣٨
 نوح : ٢٣
 النوري : ٣٠ - ٢٣

ه

- هاني بن مسعود : ٤٠ -
 هرم بن سنان : ١٢٩ - ١٥٦ - ١٧٣

٣٠٩ -

هشام الكلبي : ٢٩ - ٣٢

هومر : ٤١١

و

ورقاء بن زهير العبسي : ٢٧٦

وعلة الجرمي : ٤٣ - ٢٧٤

هـ

ياقوت الحموي : ٢٨ - ٣٠ - ٣٣

يزيد بن سنان بن ابي حارثة : ١٨٣

١٨٤ - ١٨٩ - ١٩٣ - ٢٠٢

يزيد بن عبد المدان : ٢٤٢

يزيد بن الصعق : ٢٥٦ - ٣٨٧

يزيد بن مسهر الشيباني : ٣٣٦

المصادر

للصور الشعرية

مرتبة ترتيباً هجائياً

(الأرقام المذكورة هنا هي أرقام الصور الشعرية وليست أرقام الصفحات)

• البقر الوحشي : ٤٠٨ ، ٨١٣	• الابل : من ٦٦ الى ٧٨ ، ٨١ ، ٩٠ ، ١٤٨ ، الى ١٥٢ من ٣٦٢ الى ٣٦٤ ، ٤٧٣ ، ٥١٢ ، ٦٤٦ ، ٦٥١ ، من ٦٧٨ الى ٦٨١ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، من ٧٧٥ الى ٧٨٤ ، ٨٠٨
• البقل : ٥٢٤	• الانان : ٨٠٥
• البهمي : ٤١١	• الاجم : ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٥٨١
• البئر : ٢٤٣ ، ٢٤٤	• الاسد : من ١٥٥ الى ٢٠٦ ، ومن ٦٥٥ الى ٦٦٥
• التيس : من ٣٧٣ الى ٣٧٩ ، ٧٩٥	• الالم : ٣٨
• الثعبان : من ١٤٠ الى ١٤٧ ، ٤٥٤	• الايوان : ٦٢٤
• الثعلب : ٤٥٣	• البحر : ٥٩٠ - ٥٩١
• الثقاف : ٨١٦	• البرد : ٢٥١ ، من ٤٢٥ الى ٤٢٨ ، من ٦٠٦ الى ٦٠٩
• ثمود : ٧٨٥ ، ٧٨٦	• البرد : ٢٧٢ ، ٥٢١
• الثوب : ٢٦٣ ، ٤١٧ ، ٧٥٠	• البرق : ٤٩٨ ، ٥٠٤ ، من ٥٩٩ الى ٦٠٥
• الثور : ٦٤٥	
• الجبل : ١١٠ ، ٤٠٩ ، من ٥٦٥ الى ٥٧٩	
• الجداول : ٢٥٧	
• الجذع : ١٢٧ ، ٢٩١ ، من ٢٩٣ الى ٢٩٧	
• المتجرد : ٤٥	

الجراد : من ٨٦ الى ٨٩ ، من ٣٥٩ الى ٣٦١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠
 الجرف المنهار : ٧٤٠
 الجفير : ٧٦٤
 الجلاجل : ٣٢٢
 الجن : من ١٣٢ الى ١٣٩
 المجن : ٩٦
 المجنون : ٥١٤ ، ٦٩٥
 جيب الحمقاء : ٤٤٨ ، ٦٢٣ ، ٦٧٣
 الحبل : ٢٧٧ - ٢٨٠
 الحجر : من ١٣٨ الى ٢٤١
 الحدأة : ٣٣١ ، ٣٣٥
 الحصاد : ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٦٩٩
 الحصير : ٢٦٧ ، ٤٨٧ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤
 الحصن : ٩٣ ، ٩٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٤٣٧ ، ٥٥١
 المحتطب : ٧٤٩ ، ٨٠٦
 الحمار : ٧٠٨
 الحمل : ٩ ، ٧٦٥
 الحمام : ٣٣٤
 الحنظل : ٧٤١ ، ٧٤٢
 الاحول : ٣٢٤
 الخباء : ١٦٥
 الخدروف : ٢٣٤ ، ٢٣٥
 المخراق : ٥١٥ ، ٥١٦
 الخيزران : ٤٥٢
 الخشب : من ٩١ الى ٧٩٤
 الخصم : ٤٠٠
 خطم الانف : ٧١٤
 الخمر : من ٨٢ الى ٨٥ ، ٤٨٥ ، من ٧٣٠ ، ٧٣٦
 الخمار : ٢٦٢ ، ٦١٥ ، ٧٥١

الخائف : ٤٠٢
 الخيل : ٧٠٦
 الخيام : ٢٦١ ، ٩٨
 الدخل : ٨١
 الدخان : ٢٤٨ ، ٥٨٨
 الدرع : ٩٥
 الدف : ٤٠٦
 المداك : ٢٢٧ ، ٢٢٨
 الدلو : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٧٦٣
 الدهان : ٢٨٧
 الدمية : ٨١١
 الذر : ٥١٠
 الذهب : ٢٨٨
 الذوابة : ٦٨
 الفقب : من ٢٨٥ الى ٢٩٨
 الراجم : ١٢٠
 الرحي : من ١٠ الى ١٧ - ٨١ - ٦٢٢ - ٦٢٣
 الرعد : ٦٠٥
 الراعي : ٣٢٣
 الرمح : ٩٧ - ٩٨ من ٢١٢ الى ٢٢٠
 الرمل : ٨٥٠
 الرمان : ٨١٤
 الريح : ٢٤٥ - ٤١٦ - ٥٤٤ - ٥٩٢ - من ٥٩٦ الى ٥٩٨ - ٦٩٩
 المزادة : ٥٢٨ - من ٦٨٢ - ٦٨٨ - الزعفران : ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٤٢١
 المزمارة : ٣٢٢
 الزيت : ٤٤٩
 السابح : من ٣٠٧ الى ٣٢٠ - ٧٤٧
 السباع : ٣٨٠
 السبيكة : ٤١٣ - ٤١٤
 السبال : ٦٩٦

السجل : ٤
 السحاب : ٢٤٩ - ٤١٠ - من ٥٩٣ الى ٦١٤
 السدوس والسندس : ٢٦٤ .
 السراب : ٥٨٩
 السعالى : ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٨١٣
 السلاءة : ٢٩٨
 السم : ١٠٨ - ٢٢٤ - ٤٨٦
 السمك : ٥٢٠
 السندان : ٤٠٤
 الاسنة : ٦٢٦
 السهم : من ٢٢٥ الى ٢٣١
 السوار : ٣٢٦
 السوق : ٦ - ٧ - ٨
 سير الجلد : ٤١٨ - ٤١٩
 السيف : من ٩٩ الى ١٠٦ .
 السيل : ٤٨٨ - ٥٢٥ - من ٦١٥ الى ٦٢٠ .
 الشبثان : ٥١١ .
 الشجر : ٨٦٨ .
 الشحمة : ٢٠٧ .
 الشرب : ٤٠ - من ٧١٥ الى ٧٢٠
 الشارب : ٣٢١ ، ٣٢٢
 الشروق : ١٢٣ .
 الشطن : من ٤٣٩ الى ٤٤٧ - ٦٢١
 الشفاء : ٧١٢ - ٧١٣
 تشديق الارض : ٥٨٢ .
 تشديق الجلد : ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٩٢
 المشمر : من ٤١ الى ٤٤ - ٧٩ - ٣٠٦ .
 الشمس : ٥٥٢ - ٨١٩ .
 الشهاب : من ٤٥٨ الى ٤٦١ - ٥٠٥

الصبح : ٥٠٩
 المصباح : ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٥٤٦
 الصبغ : ٢٨٤
 الصخرة : ١١١ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٨٠٧
 الصاعقة : ٢٥٠ .
 الصقر : ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - من ٢٣٧ الى ٣٤١ - ٦٤٣ - ٦٤٤ .
 الاصنام : ١٢٣ .
 الصائح : ٤٨٥ .
 الصياصي : ٦٨٩ .
 الضروس : ٧٢ - ٨٠ .
 الضرع : ٦٥٢ .
 الضاري : ٨١ - ٤٧٥ .
 الضلع : ٤١٢
 الطابخة : ٧٠٧ .
 الطحلب : ٢٦١ .
 الطحن : ٧٧٣ - ٧٧٤ .
 الطعم المر : ١ - ١٠٧
 الطعام : ٢
 الطير : من ٣٢٩ الى ٣٣٣ - من ٦٣٣ الى ٦٣٩ .
 الطيبي : ١١٣ - من ٣٦٨ الى ٣٧٢ - ٤٣١ - ٨١٧ .
 الظلام : ١١٢ .
 عاد : ٧٨٧ - ٧٨٨ .
 العرس : ٧٥٢ .
 العصا : من ٢٨١ الى ٢٨٣ - ٥١٨ - ٥١٩ .
 العطشان : من ٤٧٧ الى ٤٨٤ .
 العقاب : من ٣٤١ الى ٣٤٧ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٣ - ٧٩٧ .

• العقيم : ٥٩
 • المعول : ٢٧٠ - ٢٧١
 • العوان : من ٦٠ الى ٦٧ - ٧٩ - ٨٠
 • الغدير : ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٥٢٩
 الى ٥٤٣
 • مفتصب الولد : ٢٩٩
 • الغضبان : ٤٣٦
 • الغمام : ٧٠٤
 • الغنم : ٧٧٢ - ٨٠٤
 • الغناء : ٨٠٩ - ٨١٠
 • الغنائم : ٤٧٣ - ٧٤٤
 • الغول : ٣٧
 • الفصيح : ٥١٣
 • الفضة : ٤٠٧
 • الفيل : ٤٠٧
 • الفار : ١٠٩
 • القتاد : ٧٨٩
 • القدح : ١٢١
 • القرية : ٢٦٩
 • القرط : ٤٢٠
 • التقشير : ٧٦٦ - ٧٦٧
 • القصب : ٢٠٩
 • القطا : ٣٤٩ الى ٣٥٥ - ٤٠٣
 • ٤٣٦ - ٦٣١
 • قطع الشجر : ٧٦٨ - ٧٦٩
 • القطن : ٣٠٢
 • القعب : ٢٦٨
 • القلت : ٢٦٠
 • القوس : من ٢٠٢ الى ١٢٤
 • المقيط : ٤٧٢
 • الكأس : من ٧٢١ - ٧٢٩
 • الكراث : ٤٣٨
 • اكرام الضيف : ٦٩٠ - من ٧٥٣ الى
 • ٧٦٠

• الكساء : ٦٩١ - ٧٥٠
 • المكشر عن أنيابه : من ٤٦ الى ٥٢ -
 ٦٧ - ٧٠٥
 • الكلا : ٣
 • الكلاب : ٢٠٨ - من ٣١٨ الى ٣٧٤
 • ٧٧٠ - ٧٧١
 • الكواكب : ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٧٠٢ -
 • ٧٠٣
 • الكير : ٢٧١ - ٢٧٤
 • اللجام : ١٢٥ - ١٢٦ - ٢٧٥ -
 ٢٧٦
 • اللاعب : ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ -
 • ٤٧٦ - ٦٢٧
 • اللعب : ٢٣٢ - ٣٣٣
 • اللعبة : ٧٤٥ - ٧٤٦
 • الملاقح : من ٥٣ الى ٥٨ - ٦٢ - ٦٣
 • ٧٩ - ٨٠ - ٩٠
 • الليل : من ٥٥٨ الى ٥٦٤
 • المرض : ٣٩
 • المطر : ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٤٢٣ - من
 ٦١٠ الى ٦١٤ - ٦٩٨ - ٧٣٧ -
 • ٧٣٨ - ٧٣٩
 • الملح : من ٤٩٠ الى ٤٩٣
 • المها : ٧٩٦ - ٨١٥
 • الماء : ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨
 • المائج : ٢٥٩
 • النار : من ١٨ الى ٣٦ - ٥٨ - ٦٤
 ٦٥ - ٦٦ - ٨٠ - ٩٢ - من ١٢٨
 الى ١٣١ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٤٢٩
 - ٤٣٠ - من ٤٦٢ الى ٤٦٧ -
 ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٤٧ - من ٥٨٣
 - الى ٥٨٧ - من ٦٧٥ الى ٦٧٠
 • ٦٩٧
 • النابل : ٦٧٤

النجوم : ٥٤٨ - من ٥٥٣ الى ٥٥٧	الفوى : من ٣٩٩ الى ٣٠١ - ٤٥٥ -
النحل : ٤٣٣ - ٤٣٢ - ٤١٥ - ٣٤٨	٤٥٦ - ٤٥٧ .
- ٤٣٤ - ٦٣٢ .	الهدية : من ٦٦٦ - ٦٦٩ .
النخل : من ٢٨٦ الى ٢٩٨ - ٧٦٩ .	الهشيم : ٧٩٠ .
النذر : ٤٠١ .	الهلال : ١٢٤ - ٤٧١ - ٨١٨ .
النساء : ٣٢٥ - ٤٠٥ .	الهودج : ٣٦٥ .
الفسر : ٤٧٤ .	الورق : ٥٠٨ .
الانصاب : ٢٤٢ .	الوعل : ٧٠٩ .
النعام : ٣٦٦ - ٣٦٧ - من ٧٩٨ الى	الموقت الطويل : ٧٠٠ - ٧٠١ .
٨٠٣ .	الولود : ٨١ .
النمر : ١٥٣ - ١٥٤ - ٦٥٣ - ٦٥٤	الينبوع : ٥ - ٢٥٦ .
النمل : ٥١٠ .	

فهرس الشعراء أصحاب الصور الشعرية

(والارقام المذكورة هنا ايضا ارقام الصور الشعرية المذكورة في الملحق الخاص بها لا ارقام الصفحات)

٥١٩ - ٥٣١ - ٥٣٨ - ٥٤٥ -	٠ ٦٧٩ - ٨٩ : ابو جندب الهذلي
٥٤٨ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٩ -	٠ ٦٧٠ - ٤٦٨ : ابو نؤيب الهذلي
٥٨٨ - ٥٩٤ - ٥٩٧ - ٦٠٤ -	٠ ٣٧ - ١ : ابو قيس بن الاسلت
٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٦ - ٦٢٨ -	٠ ١٩٤ - ٤٩٠ - ٥٣٢
٦٤٠ - ٦٤٣ - ٦٥٠ - ٦٥٩ -	٠ ٣١٩ - ٢٣٨ - ٢٨٨ : ابي بن سلمى
٦٧٧ - ٧٢٠ - ٨٢٨ - ٧٣٤ -	٠ ٣٤١
٠ ٧٨٠ - ٧٦٣ - ٧٥٧ - ٧٣٨	٠ ١٦٦ : أحيرة بن الجلاح
٠ ٢٧٠ - ٢٤٦ - ١٩١ : امرؤ القيس	٠ ٥٤٩ : الاخنس بن شهاب
٣٢٠ - ٣٥٢ - ٣٥٧ - ٤٤٦ -	٠ ٦٨٧ : الاسود بن يعفر
٤٧٩ - ٥٢١ - ٥٢٥ - ٦٧٤ -	٠ ٢٧ - ١١ - ١٠ - ٧ - ٦ : الاعشى
٠ ٨١٣ - ٧٩٣	٠ ٤٧ - ٤٦ - ٤٤ - ٤٣ - ٣٢ -
٠ ٤٨٨ - ١٩٦ : أمية بن ابي الصلت	٠ ٦٦ - ٦٥ - ٦١ - ٥٤ - ٥٣
٠ ٤٨٣ : أنيف بن زيان	٠ ١٠٦ - ٩٧ - ٨٥ - ٧٩ - ٧٨
٠ ٤٣٠ - ٤١١ - ٥١ : أوس بن حجر	٠ ١٤٥ - ١٣٩ - ١٢٠ - ١٠٨
٠ ٥٠٢ - ٤٩٧ - ٤٧٠ - ٤٥٥	٠ ١٨٢ - ١٧٥ - ١٥٨ - ١٥١
٠ ٥٧٠ - ٥٤٣ - ٥٣٤ - ٥١٠	٠ ٢٠١ - ١٩٩ - ١٨٤ - ١٨٣
٠ ٥٨٦	٠ ٢٢٤ - ٢٠٨ - ٢٠٦ - ٢٠٤
٠ ٧٩٩ : أوس بن علفاء	٠ ٢٧٢ - ٢٥٥ - ٢٤٩ - ٢٢٩
٠ ٦٤٤ : باعث بن صريم	٠ ٣١٣ - ٣٠٥ - ٣٠٠ - ٢٨٧
٠ ٦٦٨ - ٥١٣ - ١٧٦ - ١٢ : البراق	٠ ٣٤٥ - ٣٤٢ - ٣١٥ - ٣١٤
٠ ٦٩٧ - ٦٩٠ -	٠ ٤٥١ - ٤٣٩ - ٤٣٢ - ٣٧٤
٠ ٢١ - ٢ : بشامة بن عمرو	٠ ٥٠٣ - ٥٠٠ - ٤٨٠ - ٤٥٢

• ٧٤٤ - ٧٣٥ - ٧٠٢
 حمصيصة الشيباني : ٥٥٤ - ٧٥٥
 • خالد بن جعفر : ٣٢٦
 خدش بن زهير : ٤٢٧ - ٥٨٥
 • ٦٠٩ - ٦٢٧ - ٦٥٤ - ٦٦٥
 خراشة بن عمرو العبسي : ٧٧
 • الخصفي (عامر المحاربي) : ٢٩
 خفاف بن عمير : ١٣٣ - ٤٦٧
 • ٥٣٧
 درهم بن يزيد : ٥٠١ - ٥٢٦ - ٥٥١
 دريد بن الصمة : ٤٠ - ٩٨ - ٩٩
 • ٢٩٦ - ٣٠٣ - ٣٣٨ - ٣٦١
 • ٣٧٧ - ٣٨٧ - ٤٨٤ - ٥٢٧
 • ٥٨٠ - ٦١٤ - ٦٨٩ - ٧١٠
 • ٧١٦ - ٧٣٣
 ذو الاصبع : ١٧٤ - ١٧٨ - ٤١٢
 • ٤٣٤
 الربيع بن زياد : ١٠٩
 ربيعة بن مقروم : ١٣ - ١٤٨ - ١٨٧
 • ٣٠٩ - ٣٩٨ - ٤٨٦ - ٦٤٤
 • ٧١٥ - ٧٩٠
 زهير بن ابي سلمى : ٣ - ٥ - ٥٩
 • ٨٠ - ٨١ - ١٠٥ - ١٣٦
 • ١٧٧ - ١٨٥ - ١٩١ - ١٩٢
 • ٢٠٠ - ٢٠٣ - ٢٢١ - ٢٧٩
 • ٣٦٨ - ٥٣٩ - ٥٧٨ - ٥٨٩
 • ٦٠٢ - ٦٥٢
 زهير بن جناب : ١٤ - ٥٠ - ١٥٦
 • ٨٠٢ - ٨١٩
 زيد الخيل : ٢٨ - ١٩٠ - ٢١٣
 • ٣١٦ - ٣٤٣ - ٣٩١ - ٣٩٤
 • ٦٧٥ - ٧٤٣
 ساعدة بن جؤية : ٢٠٥ - ٢٤١

بشر بن عمرو : ٤٩
 بشر بن ابي خازم : ١٨ - ١٧١
 • ٢٢٦ - ٢٤٣ - ٣٤٤ - ٢٦٢
 • ٢٧٣ - ٢٧٨ - ٣٣٤ - ٣٥٦
 • ٣٧٣ - ٣٨٠ - ٥٩٠ - ٥٩٨
 • ٦٢١ - ٦٤٨ - ٦٥٣ - ٦٥٧
 • ٦٦٠ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧١٢
 • ٧٢٢ - ٧٦٦ - ٧٧٠ - ٧٩٥
 ثعلبة بن صغير : ٨٧ - ٢٣٩
 ثعلبة بن عمرو : ٦٧ - ٣٧٢ - ٥٣٥
 • ٧٥٠
 جابر بن حني : ١٤٣ - ١٧٢
 • ٣٥ - ٥٥
 • ١٦٣ - ١٠٧ - ١٦٣
 • ٦١٠ - ٧٢٥
 • ٢٧٧ - ٢١٧ - ٢٧٧
 • ٢٧٦ - ٤٧٥ - ٥٢٩ - ٦١١
 حاتم الطائي : ٥٢ - ١٢٥ - ٢٧٥
 • ٤٥٦
 • ٢٠٧
 الحارث بن حلزة : ١١٠ - ١١١ - ٤٤٥
 • ٦٩٨ - ٦٨٢ - ٥٧٦
 • ١٣٥
 الحارث بن عباد : ٩ - ١٦ - ٣٣
 • ٥٦ - ١٥٩ - ١٦٢ - ٣٢٥ - ٤٥٩
 • ٥٦٥ - ٥٧٥ - ٦٠٥ - ٦١٢
 • ٦٨٤ - ٧٣١ - ٧٤٩ - ٧٥٨
 • ٧٧٣ - ٧٧٨
 الحارث بن وعلة : ٧٨١ - ٧٩٧
 • ٧٩٨
 • ٦٦٦
 حسان بن ثابت : ٥٩٣ - ٤٩١ - ٦٧٨
 • ٧٧٩ - ٤٢٢
 حسيل بن سجيح : ٢١٢ - ٣٩٢
 الحصين بن الحمام : ٢١٢ - ٣٩٢

٢٨٠ - ٢٩٣ - ٤٠٩ - ٤١٠
 ٤١٦ - ٤١٧ - ٤٢٩ - ٤٣١
 ٤٣٧ - ٤٤٧ - ٤٥٠ - ٤٥٣
 ٤٦٠ - ٥١١ - ٥٢٨ - ٦٢٩
 ٦٩٢ - ٧٤٠ - ٧٧٥ - ٨٠٧
 سعد بن مالك : ٤٢
 سلامة بن جندل : ٥٨ - ١٣١ - ١٨٨
 ٢٤٢ - ٢٥٤ - ٣٢٣ - ٣٢٧
 ٣٧٠ - ٤٤٤ - ٤٧٢ - ٥١٧
 ٥٢٠ - ٥٣٣ - ٥٧١ - ٦٠٠
 ٦٨٦ - ٦٦٩ - ٨٠٠ - ٨١٠
 سلمة بن الخرشب : ٣٢٩ - ٣٤٤
 ٣٦٣
 السموأل بن عاديا : ١٦٠ - ٥٠٥
 ٥٣٦ - ٧٠٦ - ٧٦١
 سنان بن ابي حارثة : ١١٣ - ١٢٤
 ٦٧٦ - ٧٢١
 شبيب بن خويلد : ٣٦
 شمعة بن الاخضر : ٧٥١
 الصمة (أبو عبدالله ودريد) : ٦١٦
 ضمرة بن ضمرة : ٣٨٢ - ٥٨٣
 ٦٣٣ - ٧٤٥
 طرفة بن العبد : ١٤٠ - ١٦٧ - ١٦٩
 ٢٧١ - ٢٩٥ - ٢٩٩ - ٣٣٠
 ٧١٩
 طفيل الغنوي : ٨٦ - ١٠١ - ٢٢٠
 ٢٢٣ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤
 ٢٣٥ - ٢٣٧ - ٢٤٧ - ٢٤٨
 ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٥٩ - ٢٦١
 ٢٨٨ - ٢٩٠ - ٢٩٤ - ٣٠٢
 ٣٠٩ - ٣٣١ - ٣٥٠ - ٣٥٨
 ٣٥٩ - ٣٦٤ - ٣٧٨ - ٣٨١
 ٣٨٣ - ٣٨٩ - ٣٩٣ - ٣٩٦

٣٩٧ - ٤٢١ - ٤٣٥ - ٤٣٦
 ٤٥٨ - ٦٣٢ - ٦٣٧ - ٦٤٢
 ٦٨٨ - ٧٧٦ - ٨١٢
 عامر بن الطفيل : ٢٥ - ٢٦ - ٧٣
 ٨٤ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٧٠
 ٢١٦ - ٢٢٢ - ٢٩١ - ٢٩٢
 ٣٠٨ - ٣١٨ - ٣٣٦ - ٣٣٩
 ٣٨٨ - ٤٨١ - ٥٣٠ - ٥٤٠
 ٧١٨ - ٧٢٤ - ٧٥٤ - ٧٩١
 ٨٠١ - ٨٠٤
 العباس بن مرداس : ٢٨٥ - ٥٠٤
 ٥٥٦
 عبد الشارق بن عبد العزى : ٤٢٨
 ٥٥٩ - ٦٠٨ - ٦١٥
 عبد قس بن خفاف : ٥٤٢
 عبدالله بن جعدة : ٥٩٣
 عبدالله بن عنمة : ٩٣ - ١٠٤
 ٥٦٨
 عبدالله بن مرداس : ٢٤٥
 عبد المدان : ٣١٧ - ٣٢٧
 عبد المسيح بن عسلة : ٥١٨ - ٧١٤
 عبيد بن الابرص : ٥٧ - ٦٤ - ١٢٨
 ١٦٤ - ١٦٨ - ١٧٣ - ١٩٥
 ٢١٠ - ٢١٩ - ٢٢٧ - ٢٨٦
 ٢٨٩ - ٣٠٤ - ٣٠٦ - ٣٠٧
 ٣٢٨ - ٣٥٣ - ٣٥٥ - ٣٨٤
 ٣٨٦ - ٤٠٨ - ٤٤٨ - ٤٥٧
 ٤٦٤ - ٤٧٦ - ٤٧٨ - ٥٠٦
 ٥٠٩ - ٥٤٧ - ٥٥٨ - ٥٦٣
 ٦٣٦ - ٦٤٩ - ٧٢٩ - ٧٣٢
 ٧٤٦ - ٧٦٨ - ٨١١
 عتبة بن الحارث : ٨٠٩
 علقمة الفحل : ٢١٥ - ٢٨٢ - ٢٩٨
 ٣٠١ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٥٤٤

- ٣٥١ - ١٨٠ - ١٥٣ - ١٥٠
 - ٤٨٧ - ٤٦٢ - ٤٤٣ - ٤٢٥
 - ٥٨٤ - ٥٥٠ - ٥٢٢ - ٥١٦
 - ٦٣١ - ٦١٨ - ٦١٧ - ٦٠٧
 - ٧٢٩ - ٦٩٦ - ٦٥٥ - ٦٥١
 - ٧٧٧ - ٧٧٢ - ٧٦٩ - ٧٤٢
 - ٧٨٣ - ٧٨٢

• قيس بن زهير : ٤١ - ٦٩١
 • الكلحة : اليربوعي : ٤٣٨
 • ليبيد بن ربيعة : ٢٨٣ - ٣٦٧ - ٥٥٥
 • لقيط بن يعمر الايادي : ٣٤ - ٥٨٧ - ٦٣٠

• مالك بن حطان : ٧٢٧
 • مالك بن حمار : ٣١٢
 • مالك بن خالد : ١٥ - ٧٦ - ١١٦
 - ١٢٦ - ١٢٧ - ٤٢٣ - ٤٩٦
 - ٥٦٧ - ٦٨٠ - ٦٩٣ - ٦٩٤
 - ٧٨٦ - ٧٩٢ - ٨٠٣ - ٨٠٥
 • ٨٠٦

• مالك بن العجلان : ٦٣ - ٧٠ - ١٥٢
 • ١٥٥

• مالك بن نويرة : ٨٨ - ٥٧٢
 • ٧٩٤ - ٥٩١

• متمم بن نويرة : : ١٣٤ - ٧١١
 • المتنخل الهذلي : ١١٧ - ٤١٣ - ٤١٤
 - ٤١٥ - ٤٢٠ - ٤٣٣ - ٤٩٢
 - ٤٩٥ - ٥١٤ - ٦٢٠ - ٦٧١
 • ٦٩٥

• المثقب العبدى : ١٣٨ - ١٨١ - ٢٦٩
 • ٢٧٤ - ٣٤٨ - ٦٤١

• مجمع بن هلال - : ٣٤٩ - ٤٦٦
 • محرز بن المكعب : ٧٠١
 • المرقش الاصغر : ٢٥٦ - ٢٨٤
 • ٢٧١

• ٧٨٥ - ٧٣٧
 • عمرو بن الاطنابة : ٤٩٣
 • عمرو بن الخثارم : ٤٩٨
 • عمرو بن كلثوم : ١٧ - ١١٥ - ٢٧٦
 - ٤٧٣ - ٥١٥ - ٥٤١ - ٥٧٧ - ٧٦٠
 • ٧٧٤ - ٧٦٧ - ٧٦٥
 • عمرو بن معد يكرب : ١٠٢ ، ١٥٤ - ٢٥٧ - ٥٢٣

• عميرة بن طارق : ٨ - ٣٤٧ - ٤٠٣
 • ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٨١٧

• عنقرة بن شداد : ٦٨ - ٩٠ - ١٠٠
 - ١١٣ - ١١٩ - ١٣٠ - ٢٣٦
 - ٢٤٠ - ٢٥٠ - ٢٥٣ - ٢٩٧
 - ٣١٠ - ٣١١ - ٣٢١ - ٣٢٤
 - ٣٢٥ - ٤١٩ - ٤٤٠ - ٤٤١
 - ٤٤٢ - ٤٦١ - ٤٦٣ - ٤٤٧
 - ٤٨٥ - ٤٩٩ - ٥٠٧ - ٥٠٨
 - ٦٠١ - ٦٢٢ - ٦٣٤ - ٦٣٨
 - ٦٣٩ - ٦٤٦ - ٦٦٩ - ٧٠٥
 - ٧٣٩ - ٧٤١ - ٧٤٨ - ٧٥٢
 • ٧٧١ - ٧٦٤

• عوف بن الاحوص : ٧٠٤
 • عوف بن عطية : ٢٦٣ - ٢٦٦ - ٢٦٨
 - ٣٦٥ - ٥٨٢ - ٦٢٥ - ٦٦١
 • ٧٩٦ - ٧٨٤ - ٧٤٧ - ٧١٣
 • الفند الزماني : ٦٥٨ - ٦٧٣ - ٦٨٥
 • ٧٨٧

• قبيصة بن النصراني : ٦٩
 • قتادة بن مسلمة : ٥٥٣ - ٦٥٦
 • قطبة بن سيار : ٣١٠
 • قيس بن الخطيم : ٤ - ٢٢ - ٢٣
 - ٤٥ - ٦٠ - ٧٢ - ٧٤ - ٧٥
 - ٨٣ - ٩٢ - ٩٤ - ١١٤ - ١٤٢

- ٥٦٤ - ٥٧٣ - ٥٩٥ - ٦٠٣ -
 - ٦٣٥ - ٦٦٢ - ٧١٧ - ٧٢٣ -
 • ٧٨٨ - ٨٠٨ - ٨١٨ •
 - المنخل اليشكري : ١٢٩ - ١٤٤ -
 • ٧٥٩ •
 - النابغة الذبياني : ٨٢ - ٩١ - ٩٥ -
 ٩٦ - ١٣٢ - ١٣٧ - ١٤٩ - ١٥٧ -
 - ١٧٩ - ٢١٨ - ٢٣٠ - ٢٥٨ -
 - ٣٣٥ - ٣٦٦ - ٣٧٥ - ٤٦٩ -
 - ٥٥٦ - ٥٧٩ - ٦٨١ - ٧٠٠ -
 - ٧٠٣ - ٧٠٩ - ٧٣٦ - ٨١٤ -
 • ٨١٥ - ٨١٦ •
 • هلال بن رزين : ٤٢٤ - ٦١٣ •
 • هند بن خالد : ٣٣٣ •
 - يزيد بن الخذاق : ٢٦٤ - ٢٧٩ -
 • ٥١٢ •
 - يزيد بن سنان : ٣٩٩ - ٤٦٥ - ٤٧٤ -
 • يزيد بن عبد المدان : ٢١٤ •

المرقش الاكبر : ١١٨ - ١٤٦ - ٥٥٧ -
 • ٧٨٩ - ٥٨١ •
 - مزرد بن ضرار : ٤٨ - ٦٢ - ٢١١ -
 - ٢٣١ - ٢٦٠ - ٢٦٥ - ٢٦٧ -
 - ٢٨١ - ٣٢٢ - ٣٤٠ - ٣٥٤ -
 - ٣٦٩ - ٣٩٠ - ٤٠٠ - ٤٠١ -
 - ٤٠٢ - ٤٤٩ - ٤٥٤ - ٤٧١ -
 - ٤٨٢ - ٤٨٩ - ٥٢٠ - ٥٤٦ -
 • ٥٥٢ •
 - المسيب بن علس : ١٩٧ - ١٩٨ -
 • ٦٨٣ - ٦٧٢ - ٦٤٥ - ٣٠٢ •
 - المعقر البارقي : ٣٤٦ - ٣٩٥ - ٥٧٤ -
 • ٧٥٦ - ٧٥٣ - ٦٤٧ •
 - معقل بن خويلد : ١٤١ - ٤٢٦ -
 - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٩٦ - ٦٠٦ -
 • ٦١٩ - ٧٦٢ •
 • مقاس العائدي : ٧٣٠ •
 - المهلهل : ٣٠ - ١٠٣ - ١٢٣ - ١٤٧ -
 - ١٦٥ - ٣٣٢ - ٣٨٥ - ٤٩٤ -

القبائل

• جذيمة : ٢٩٠	• الاراقم : ٢٦٨
• چشم : ٤٨ - ٥٤ - ٢٢٩ - ٢٣٠	• أرحب : ٢٠٩
• ٢٣٣	• أزد السراة : ١٣٧
• جعفر : ٢٣٧ - ٢٥٨	• أسد : ٥٤ - ١٠٢ - ١٩٨ - ٢٠٩
• جهينة : ١٩٣	• ٢١٥ - ٢٥٦ - ٢٨٨ - ٣٠٨
• حام : ٢٠٩	• ٣٣٧ - ٣٤٨ - ٣٨٩ - ٣٩١
• حكم : ٢٠٩	• اسرائيل : ٤١٨
• حمير : ٢٠٩	• أشجع : ٢٦٢
• حفظة : ٢٦٠	• الاوس : ٣٥ - ٥٦ - ٦٤ - ٢٣٩
• حنيفة : ٢٠٩ - ٢٧١	• ٣٠٥ - ٣٦٥
• خثعم : ٨٩ - ٤٤٢	• ايار : ١٢٥ - ٢٧١ - ٣٢٤
• الحزرج : ٣٥ - ٥٦ - ٦٤ - ٢٣٩	• بكر : ٢٧ - ٣٠ - ٣٦ - ٤٤ - ١٠١
• ٣٦٥	• ١٩٦ - ٢٢٥ - ٢٣١ - ٢٦٢
• دارم : ٥٤	• ٢٨٥ - ٣١٤ - ٣٤٤ - ٣٥٠
• دودان : ٢٤٦	• ٣٩٣ - ٤٣٠
• ذبيان : ٢٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٨	• بهثة : ١٩٣
• ٥٠ - ٢٥٨ - ٢٦٥ - ٢٦٦	• تغلب : ٢٧ - ٣٠ - ٢٦٢ - ٢٨٥
• ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٣٠٩ - ٣٤٩	• ٢٨٦ - ٣٤٤ - ٣٥٠ - ٤٣٠
• ٣٨٨	• ٤٤٤
• ذهل : ٣٤٤	• تميم : ٣٠ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٣ - ٤٤
• الرباب : ٥٤ - ٨٨	• ١٥٨ - ٢١١ - ٢٤٨ - ٢٥٦
• ربيعة : ٣٣٧	• ٢٥٧ - ٢٧١ - ٢٨٦
• زبيد : ٥٠ - ٢١٠ - ٣١٦	• تيم اللات : ٤٦
• سعد : ٣٣٥	• ثقيف : ١٥١
• سلول : ٨٩	• جذام : ٢٠٩

سليم : ٤٨ - ١٥٨ - ٣٣٤ - ٣٤٩
 - ٤١٩
 سهم : ٣١٥
 سدواة : ٢٨٩
 شاكرك : ٢٠٩
 شنوءة : ٢٠٩ - ٤٤٢
 شيبان : ٢٩ - ٢٠٩ - ٣٢١ - ٣٣٦
 طبيء : ٨٦ - ٨٧
 عاد : ١٥٧
 عامر : ٣٧ - ٤٥ - ٥٤ - ٢٣٦
 ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٥٦ - ٢٥٨
 ٢٦١ - ٢٧٩ - ٢٨٦ - ٣٤١
 عبد القيس : ١٥٨ - ٢١٠ - ٣١٤
 عبس : ٢٧ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٥٠
 - ٩١ - ١٠١ - ٢٣٥ - ٢٤٨
 - ٣٠٩ - ٣٤٩ - ٣٨٨
 عجل : ٢٧ - ٣١٣
 العجم : ٢٧ - ٤٠ - ٢٢٥
 عدوان : ٢٦٦
 عك : ٢٠٩
 غسان : ٢٦ - ٢٧ - ٤٨ - ٢٤٦
 ٣٠٢ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٨
 غطفان : ٤٥ - ٥٤ - ٢٥٨ - ٢٦١
 - ٣٠٧

غيظ : ٣٠٧
 فزارة : ٢٩ - ٢٦٢ - ٢٦٤ - ٢٨٨
 قريش : ٥٠ - ٥٢ - ٦٤ - ٣٠٩
 - ٣٨٧
 قشير : ٣٣٧
 قضاة : ٧٨ - ٢٧١
 قعين : ٢٨٩
 قيس : ٣٠ - ٥٠ - ٥٤
 كعب : ٢١٥ - ٢٥٨ - ٣٠٤
 كنانة : ٣٠ - ٥٠ - ٢٧٠
 كندة : ٣٩ - ٢٥٦
 لخم : ٢٦ - ٢٧ - ١٥٨ - ٣٠٢
 محلم : ١٩٥
 مذحج : ٣٩ - ٢٠٩ - ٢١٥ - ٢٤٧
 مرة : ١٩٥ - ٢٦١ - ٢٦٣ - ٢٨٨
 معد : ٣٠٨ - ٣٦١ - ٣٨٨
 النجار : ٣٥
 نهدي : ٤٤٢
 نهشل : ٣٤١
 هلال : ٣٤١
 همدان : ٨٥ - ٨٦ - ٢٠٩
 هوازن : ٢٧٨ - ٢٨٠ - ٣٤٢
 وائل : ٢٨٥ - ٢٨٦
 يربوع : ٣٦ - ٣٧ - ٤٣ - ٢٥٦

الايام

- | | |
|--------------------------------------|---|
| • ذات المراود : ٣٠٧ | • أوارة : ٢٦ |
| • ذو حسى : ٢٧ | أيام العرب : ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٨ |
| • ذو طلوح : ٤٦ : ٣٤١ | • أيام الفتنة : ٢٥ |
| • ذو العجرم : ٢٧ - ٣١ | • أيام الله : ٢٣ - ٢٤ |
| • ذوقار : ٢٧ - ٣٠ - ٤٠ - ٣١٣ - ٤٣٠ | • بزاحة : ٢٤٧ |
| • ذو نجيب : ٢١٠ - ٢٥٦ | • البسوس : ٢٧ - ٢٦٢ - ٣٤٤ |
| • الرباب : ٤٣٩ | • البطحاء : ٢٧ |
| • الرقم : ٤٥ - ٢٥٨ - ٢٦١ - ٢٨٧ - ٣١٤ | • بعث : ٥٦ |
| • زرود : ٢٠٩ | • تحلاق اللمم : ٢٧ - ٤٧ - ٢٤٤ |
| • شعب جبلة : ٣٣ - ٣٧ - ٤٤ - ٤٦ | • أثبتل : ٢٧ - ٤٠ |
| • ٢١٠ - ٢٨٦ - ٣٤٠ | • الجبايات : ٢٧ |
| • ضرغد : ٢٦١ | • جدود : ٤٤ |
| • ضرية : ٢٨ - ٤٤٢ | • الجفار : ٣٣ - ٣٠٨ - ٤٤٤ |
| • طخفة : ٢٦ - ٢٨ - ٣٧ - ٢٤٧ | • حاطب : ٢٣٩ - ٤٤٣ |
| • الظعينة : ٤٧ - ٤٨ | • حجر : ٢٦ - ٢٤٥ |
| • عكاظ : ٣٠٨ - ٤٤٤ | • الحديقة : ٥٦ - ٥٧ - ١٩١ |
| • عنيزة : ٢٧ | • حرس : ٢٣٧ |
| • الغبيط : ٤٣ | • حليلة : ٢٦ - ٤٠ - ١٦٧ - ٣٠٤ |
| • الفجار : ٥٠ - ٥٥ | • الحنو : ٢٧ - ٢٤٤ |
| • الفذوان : ٢٧ | • خزاز : ٥٤ - ٢٣١ |
| • فروق : ٢٧ : ٣٩ | • داحس والغبراء : ٢٧ - ٥١ - ٣٠٩ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٩ |
| | • دارة موضوع : ٢٦٣ - ٢٦٤ |
| | • ذات المراود : ٢٦٣ - ٢٦٤ ب ٨ى |

• المشقر : ٢٧٨ - ٤٣٠	فيف الريح : ٢٦ : ٢٧٨ - ٢٧٩
النباح : ٢٧	• ٤٤٢
النسار : ٢٥ - ٢٨ - ٣٣ - ٥٤	• قراقر : ٢٧
• ٢٤٧ - ٣٠٨	• قشاوة ٤٨
• الهباءة : ٢٧	• الكلاب الاول : ٢٦ - ٢٦٠
• واردات : ٢٧	• الكلاب الثاني : ٢٥ - ٤٣ - ٢٤٦
• الوتدات : ٣٤١	• ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٩٤ - ٢٩٥
• الوقىظ : ٤٦	• محجن : ٥٥
اليعمرية : ٤٦	• المروارة : ٢٧٩
	• المريقب : ٢٧

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١٣	تمهيد
١٥	الفصل الاول : أثر البيئة الجاهلية في قيام الحرب
٢٣	الفصل الثاني : أيام العرب
	الباب الاول
٣٥٠-٦١	احصاء وتحليل لشعر الحرب
٢١٥-٧٣	الفصل الاول : الوصف
	الحرب ٧٤ - الصور الشعرية للحرب ٧٥ - نماذج للحرب ٧٧
	الغارة ٧٩ - الصور لشعرية للغارة ٨٥ - نماذج للغارة ٨٥
	البطل ٩٠ - الاصل والناحية الجسمية ٩١ - الناحية الخلقية العامة ٩٣ - الشجاعة ٩٤ - المقدرة الحربية ٩٦ - الصورة الشعرية للبطل ٩٧ - نماذج للبطل ١٠٠ -
	الخيال ١٠٤ - مدى اهتمام العرب بها ١٠٤ - صفاتها الجسمية ١٠٩ - نشاطها وقوتها ١١١ - الصور الشعرية للخيال ١١٢ - نماذج شعرية للخيال ١١٥ -
	الابل ١٢٤ - الصور الشعرية للابل ١٣٠ -
	الاسلحة والمعدات الحربية ١٣٠ - القوس ١٣٣ - حديث الشعراء عن القوس ١٣٦ - الصور الشعرية للقوس : ١٣٨ السهم ١٣٨ - حديث الشعراء عن السهم ١٣٩ - الصور الشعرية ١٤٠ - الرمح ١٤١ - حديث الشعراء عن الرمح ١٤٢ - طريقة وضعها عند الذهاب للحرب ١٤٣ - اسماء الرماح ١٤٥ - الصور الشعرية للرمح ١٤٧ - السيف ١٤٨ - حديث الشعراء عن السيف ١٤٩ - الصور الشعرية ١٥٢ -
	الدرع ١٥٣ - حديث الشعراء الجاهليين عن الدرع ١٥٤ -
	اسماء الدروع ١٥٧ - الصور الشعرية للدروع ١٥٨ -

البيضة ١٥٩ - حديث الشعراء عنها ١٥٩ - الصور الشعرية
للبيضة ١٥٩ - الترس ١٦٠ - الصور الشعرية للترس ١٦٠
- نماذج شعرية للأسلحة والمعدات الحربية ١٦١ .
الكتيبة والجيش ١٦٨ - الصور الشعرية للكتيبة والجيش
١٧٦ - بعض ما قيل في الكتيبة والجيش ١٧٨ - الموقعة
١٨٠ - وصفها ١٨٠ - الطعن ١٨٣ - الصور الشعرية للطعن
١٨٥ - الضرب ١٨٥ - الصور الشعرية للضرب ١٨٥ - يوم
الموقعة ١٨٦ - الصور الشعرية ليوم الموقعة ١٨٨ - الشعور
النفسي ١٨٩ - الصور الشعرية للشعور النفسي ١٩٢ -
نماذج شعرية للموقعة ١٩٢ .
ما حدث للأعداء ١٩٩ - القتل ٢٠١ - الجرحى ٢٠٢ -
الفارون ٢٠٣ - الأسرى ٢٠٤ - السبايا ٢٠٥ - الصور
الشعرية لما حدث للأعداء ٢٠٦ - الصور الشعرية للقتلى ٢٠٧
- الصور الشعرية للفارين ٢٠٨ - الصور الشعرية للأسرى
٢٠٨ - الصور الشعرية للسبايا ٢٠٨ - نماذج شعرية لما
حدث للأعداء ٢٠٩ .

الفصل الثاني : الفخر

٢٤٩-٢١٧

الشهامة والمروءة ٢١٨ - الشجاعة ٢١٩ - الدفاع ٢١٩ -
القوة ٢١٩ - الخبرة الحربية ٢٢٠ - الايقاع بالعدو ٢٢٠
- التضحية بالنفس ٢٢١ - قتل العظماء ٢٢١ - الصبر
٢٢١ - الرئاسة ٢٢١ - الكثرة ٢٢٢ - المجد الحربي ٢٢٢
- دوافع الفخر ٢٢٣ نشوة النصر ٢٢٣ - ثورة الغضب
٢٢٥ - الرغبة في ذكر الامجاد الحربية ٢٢٤ .

الفصل الثالث : الهجاء والتوبيخ

٢٧٢-٢٥١

التجرد من البطولة ٢٥٢ - الايقاع بهم ٢٥٣ - الضعف
والجبن ٢٥٣ - الفرار ٢٥٤ - الخزي والعار ٢٥٤ - دوافع
الهجاء والتوبيخ ٢٥٥ - الرغبة في اضعاف الروح المعنوية
للعدو ٢٥٥ - رد الكيد في نحور المعتدين ٢٥٦ - خذلان
الاعوان ٢٥٩ - فخر أو هجاء سابق ٢٦٠ - انتقام اتحاد
العشيرة ٢٦٢ - شن بعض القوم هجوما ضد نفر من
عشيرتهم ٢٦٣ - التسبب في انزال الهزيمة بالقوم ٢٦٧ -
كفران المآثر ٢٦٧ .

الفصل الرابع : الاعتذار

٢٨١-٢٧٣

الاعتذار عن هزيمة أو خسارة ٢٧٣ - الاعتذار عن فرار
أو تأخر في الهجوم ٢٧٤ - الاعتذار عن عمل حربي فاشل

٢٧٦ - دوافع الاعتذار ٢٧٧ - حدوث الهزيمة ٢٧٧ -
الهجاء واللوم ٢٧٩ - السلوك المعيب ٢٨٠ .

٢٨٣-٢٩٠

الفصل الخامس : التهديد

وصف الحالة ٢٨٣ - شن الحرب والايقاع بهم ٢٨٣ -
الابطال ٢٨٤ - الخيل ٢٨٤ - الاسلحة ٢٨٤ - جدول
التهديد ٢٨٤ - دوافع التهديد ٢٨٥ - قتل أحد افراد القبيلة
٢٨٥ - التعالي على المغلوبين ٢٨٦ - التهديد ٢٨٨ - تدبير
مكيدة ضد القوم ٢٩٠ .

٢٩١-٢٩٧

الفصل السادس : الرثاء

الفجيعة وأثرها ٢٩١ - صفات الفقيذ ٢٩٢ - محاولة
التخفيف من ألم الفجيعة ٢٩٣ - جدول الرثاء ٢٩٣ -
نماذج شعرية ٢٩٣ .

٢٩٩-٣١٠

الفصل السابع : المدح

البطولة والشهامة ٢٩٩ - الجيوش والكتائب ٣٠٠
الاسلحة والخيل ٣٠٠ - الغارات ٣٠١ - المجد الحربي
٣٠١ - جدول المديح ٣٠١ - دوافع المدح ٣٠٢ - حب
العطاء ٣٠٢ - الرغبة في اطلاق أسير ٣٠٤ - الاعتراف
بالجميل ٣٠٧ - توطيد الصلة ٣٠٨ - تخليد عمل جليل
٣٠٩ .

٣١١-٣١٧

الفصل الثامن : الاثارة

محاولة الظلم أو السيطرة ٣١٢ - خشية أخذ الدية ٣١٢ -
عندما تكون الحرب لا مفر منها ٣١٣ - وقت القتال ٣١٣
- نماذج شعرية ٣١٤ .

٣١٩-٣٢٩

الفصل التاسع : الانذار

اعداد العدو لهم ٣١٩ - شعوره نحو قومه ٣٢٠ - نصيحته
لهم ٣٢٠ - مقابلة الاعداء ٣٢١ - سروره بانتصار قومه
٣٢١ - الرد على من يلومه ٣٢١ - بعض ما قيل في الانذار
٣٢١ .

٣٣١-٣٣٨

الفصل العاشر : النصيح والتحذير

السيئة ٣٣١ - الدعوة الى الحق والانصاف ٣٣٢ التحذير
٣٣٣ - نماذج شعرية ٣٣٤ .

٣٣٩-٣٥٠

الفصل الحادي عشر : متنوعات

الوصية الحربية ٣٣٩ - صنع الجميل وشكره ٣٤٠ - طلب
اطلاق الاسير ٣٤٢ - قتال الاقارب ٣٤٢ - تهدئة المتخاصمين
٣٤٨ .

الباب الثاني النقد الادبي

٣٧٩-٣٥٧

الفصل الاول : الافكار

الوصف ٣٥٧ - الفخر ٣٦٢ - الهجاء والتوبيخ ٣٦٤ -
الاعتذار ٣٦٦ - الوعيد - ٣٦٧ - الرثاء ٣٦٨ - المدح
٣٧٠ - مقارنة بين الفخر والمدح والرثاء في شعر
٣٧٢ - الاشارة ٣٧٤ - الانذار ٣٧٥ - النصيح والتحذير
٣٧٦ - في المتنوعات ٣٧٧ .

٣٩٦-٣٨١

الفصل الثاني : العاطفة

العواطف في الاغراض المختلفة ٣٨٢ - خصائص العاطفة في
شعر الحرب في العصر الجاهلي ٣٨٤ .

٤١٢-٣٩٧

الفصل الثالث : الخيال

الصور الشعرية ٣٩٨ - مصادر الصور الشعرية ٤٠٠ -
جدول تكرار الصور الشعرية ٤٠٢ - الغرض من الصور
الشعرية ٤٠٦ - ملاحظات عامة على الخيال ٤٠٧ - شعر
الحرب والملاحم ٤١٠ .

٤٢٧-٤١٣

الفصل الرابع : الاسلوب

ملاحظات على الاسلوب ٤١٦ - جدول الاغراض الشعرية
وأوزانها ٤٢٢ - القافية ٤٢٣ - التقاليد والوحدة في
الاسلوب ٤٢٤ - جدول القافية في الاغراض الشعرية ٤٢٦ -
جدول القافية في البحور ٤٢٧ .

٤٢٩

الفصل الخامس : ملاحظات عامة على شعر الحرب

٤٤٧

الخاتمة

٤٤٩

الملحق

٤٤٩

نصوص الصور الشعرية

أسماء الشعراء

المراجع العربية

المراجع الافرنجية

فهرس العدد

فهرس الصور الشعرية

فهرس الشعراء اصحاب الصور الشعرية

فهرس القبائل

فهرس الاعلام

فهرس الموضوعات

مطابع بيبيلوس الحديثة

فرن الشباك - تلفون ٢٨٤٥٢٩

بيروت - لبنان

V D - -

